















# مجلة كلية الآداب



المجلد الحادى والثلاثون - الجزء الأول والثانى

مايو - ديسمبر ١٩٦٩

مطبعة جامعة القاهرة  
١٩٧٧

تصدر هذه المجلة مرتين كل سنة ، في مايو وديسمبر ، وتطلب من  
مكتبة جامعة القاهرة بالجيزة ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية  
العلمية إلى المشرف على تحريرها الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب  
بجامعة القاهرة

## فهرس القسم العربى

---

- الرسالة اللازمة لصوم شهر رمضان ، للدكتور محمد عبد القادر  
١ . . . . . عبد الناصر
- ٥٢ الوصول فى اللغات العربية والعبرية والسريانية ، للدكتور زاكىة رشدى
- ٦٥ بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر زمن صلاح الدين ، للدكتور حامد زيان
- دراسة مقارنة للذكاء الاجتماعى التعليمى بين الأطفال الصم وعلايى  
٧٧ . . . . . السمع ، للدكتور سلى الملا
- ١٠٥ . . . . . الامم المتحدة وقضية اريتريا ، للدكتور السيد رجب حراز
- ١٦٥ . . . . . المحافظة التسلطية ، للدكتور عبد الستار ابراهيم
- مصر وبريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية ، للدكتور محمد جمال الدين  
٢٠٢ . . . . . على المدى



## الرسالة اللازمة

في صوم شهر رمضان وحجته

تأليف

الداعي الفاطمي

حيد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى

تحقيق وتقديم

د. محمد عبد القادر عبد الناصر

---

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

في الصوم عند الفاطميين

أهم ما يلفت نظر الباحث في موضوع الصوم عند الفاطميين ثلاث مسائل :  
رؤية الهلال وبدء شهر رمضان ثم عدد أيامه .

فأما عن الرؤية فلأن الفقهاء من أهل السنة بجميع مذاهبهم يعتمدون في دخولهم في الصوم وخروجهم منه على رؤية افلال : ولا خلاف بينهم في ذلك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » . والرؤية عندهم لم يشترط فيها شخص بعينه حتى في عهد الرسول عليه السلام ، وإنما يقبل فيها خبر الواحد العدل : وذلك إذا لم يكن تفرد هذا الواحد مظنة للخط والكذب (١) .

---

( ١ ) راجع في ذلك : الفتاوى على المذاهب الأربعة ، والفصل الأول من بحث « تحديد لوائح الشهور القمرية - مجمع البحوث الإسلامية » .

ولكن الفاطميين يعتقدون على الحساب الفلكي أو علم النجوم ، ويؤولون الرؤية في الحديث المتقدم على أنها رؤية نفسانية ، ويقصلون بها الرؤية العلمية التي تترك بالحساب الفلكي . ويحتجون بأن الرؤية البصرية تخطيء فضلا عما يقع فيه المسلمون باعتمادهم عليها من اختلاف في الصوم . أما الرؤية العلمية عندهم فهي لا تخطيء ، والأخذ بها يوحد بين المسلمين على اختلاف بلادهم في أداء الفرائض . ثم إنهم يجعلون هذه الرؤية من حق الإمام ، فهو وحده الذي يحدد بما أنه معصوم من الخطأ والزلل — بدء الصوم وانتهاءه<sup>(١)</sup> . وبهذا يختلف الفاطميون عن أهل السنة في الرؤية من جهتين : الأولى معناها ، والثانية من يخبر بها .

وتأكيداً من الفاطميين لوجهة نظرهم في الرؤية فانهم يذهبون إلى أن النبي عليه السلام نفسه لم يكن يصوم برؤية الهلال ، ولم يكن يتطلع إليه في السماء حتى يراه ، فيصوم حسب هذه الرؤية ، وإنما كان يصوم ويفطر بما آتاه الله من العلم . ومن أدلتهم على ذلك :

١ — أن النبي عليه السلام « كان يقول — وهو صادق — إن الروح الأمين جبريل (ع) يشاه بكرة وعشيا بأخبار السماء ، فلا حاجة له إلى أن يقبل وجهه فيها يطلب الهلال . وعنده من يأتيه بالخبر اليقين . ولو برز إلى السماء يطلب هلالا لكان ذلك تعطلا — أي إضعافا — لقوله إنه يهبط عليه جبريل ، وكان يقال له : هلا سألته عن ذلك فغيبت به عن الطلب »

٢ — « أنه مأثور عن النبي (ص) في الأخبار — أنه قال : ( أنا بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض ) فلو أنه بعد هذا القول شوهده يطلب هلالا لقبل له : فأين قولك بالأمس : إنك بطرقات السماء أعرف منا بطرقات الأرض ؟<sup>(٢)</sup> » .

(١) راجع في ذلك : الرسالة اللازمة ، والمجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية ، والمجالس ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من المجالس المستنصرية .

(٢) المجلس ٤٢ من المائة الأولى من المجالس المؤيدية . والقول بأن النبي عليه السلام كان يصوم برؤية الهلال لا يقلل من شأن النبوة ، فالنبي في ذلك كان مشرعا لأمة ، وإذا كان النبي يستثنى عن التطلع إلى السماء بالوحى فهذه درجة لم توت لأحد من بعده . فليس للأمة إلا أن تستند في الصوم على الرؤية سواء بالعين المجردة أم بالآلات المستحقة أم بالعلم الصحيح إذا كانت الرؤية غير ممكنة لغير مثلا .



ولما كانت الرؤية البصرية في نظرهم معرضة للخطأ ، ومؤدية إلى الاختلاف بين المسلمين في أدائهم لفريضة الصوم . ولما كان لا يعقل عندهم أن النبي عليه السلام كان يعتمد عليها فإنهم يستعملون أن يأمر النبي أمته بما لم يعمله ، وبما يوضع في الخطأ . ويؤدى إلى الاختلاف (١) . فالنبي عليه السلام لم يكن يخفى عليه أن أوضاع الأرض مختلفة ، فنها مرتفع يقضى بأن تكون رؤية الهلال أسرع مثل رموس الجبال وما يجرى مجراها . ومنها منسفل يقضى بأن تكون الرؤية فيه أبطأ . ومعنى هنا أن قوما يرون الهلال في ليلة ما وقوما لا يرونه في تسعين ليلة . ويترب على هذا « أن يوماً واحداً يكون من شعبان حيث لا يرى الهلال ومن رمضان حيث يرى ، أو من رمضان حيث لا يرى ومن شوال حيث يرى » (٢) لذلك لا يعقل عندهم أن يكل النبي أمته في فرض من فروض الدين على أمر غير ثابت لم يأخذ هو به . وبهذا ينهون إلى تأكيد ما يدعوا به الموضوع وهو أن الرؤية الواردة في الحديث ليست الرؤية البصرية وإنما هي الرؤية النفسانية أى العلمية .

هذا ومن علمائهم من يذهب إلى أن الحديث المتكلم (صوموا لرؤيته . . ) خاص بظرف معين . وهذا الظرف هو أن الرسول عليه السلام « أراد التوجه في بعض الغزوات في القرب من شهر رمضان ، فاجتمع إليه انصحابة فقالوا : يا رسول الله . كنا نصوم بصومك . وتطربا بطارك . فكيف حالنا في غيبتك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » . وقد استدلل صاحب هذا الرأي (٣) من الحديث ومن الظرف الخاص الذي ساقه له على أمرين :

الأول وجوب الصوم بصوم الرسول إذا كان حاضراً ، أو من يقوم مقامه إذا كان غائباً . ووجوب التطربا بطاره .

والثاني أن الصوم لرؤية الهلال من قضايا الضرورة في حين علم قيام الرسول والإمام الذي يقوم مقامه (٤) . فإذا كان الرسول حاضراً أو الإمام حاضراً كان

( ١ ) الرسالة اللازمة ص ٣١ .

( ٢ ) المجلس ٤٢ من المائة الأول من المجالس المؤيدية .

( ٣ ) هو المؤيد الشيرازى . أنظر المجلس ٤٢ من مجاله .

( ٤ ) ليس المقصود بالإمام الذى يقوم مقام الرسول عديم أى شخص كان يقره الرسول مقامه =

قانون الفرض أن يصام بصومه ويفطر بإفطاره (١) .

ومن علمائهم (٢) من لم يلجأ إلى تأويل الرؤية الواردة في الحديث ، ولم ينكر الرؤية البصرية ، وإنما أخذ بها وبالحساب جميعا ، ورأى أنهما كالظاهر والباطن لا بد من الجمع بينهما ، حتى إذا أشكل الأمر في أحدهما اتمس في الآخر . « فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتفق الظاهر والباطن وزال الإشكال وزكت الأعمال ، وإن وفق الحساب ولم يطلع الهلال علم أنه قد غم » . غير أن صاحب هذا الرأي يرى أن الجمع بين الأمرين أى الرؤية البصرية والحساب يصعب على العوام ، فلا بد من الرجوع إلى الإمام (٣) .

وهكذا نرى أن علماء الفاطميين مع اختلاف مواقفهم من حديث الرؤية بين مؤول له ومخصص لحكمه وجامع بين الرؤية فيه بمعناها الظاهر وبين الحساب الذى هو الرؤية العلمية عندهم يتفقون فيما بينهم على ترك أمر الصوم للإمام ، فهو وحده الذى له أن يحدد بدء الصوم وانتهائه ، وعلى الأمة أن تصوم بصومه ، وتفطر بإفطاره دون حاجة منها إلى التطلع إلى رؤية الهلال فى السماء . فأمر الدين كلها ومنها الصوم موكولة إلى الإمام ، كما كانت موكولة إلى جده النبي . فهو الذى يحفظها ، ويؤم الأمة فى تنفيذها ، وليس للأمة إلا أن تأتم به فى ذلك . وهنا نرى فكرة الإمامة عند الفاطميين تتحكم فى هذا الجانب من موضوع الصوم :

وأما عن بدء الصوم أو بدء الشهر القمري بصفة عامة فالفاطميون يجعلون بداية الشهر من لحظة مفارقة القمر للشمس بعد اجتماعهما ، وهو ما يسمى عند علماء الفلك بالوضع الاجتماعى ، كما يجعلون دلوك الشمس أى زوالها من اللحظة التى تأخذ فيها الشمس فى المبوط من وسط السماء . وحركة الشمس فى هذه اللحظة لا يمكن إدراكها بالعين المجردة ، وإنما تترك بعد ذلك حينما يظهر أثر هبوطها عن

= حينما كان يترك المدينة ، وإنما المقصود بالإمام هنا إمام من أهل البيت ومن نسل الحسين بن علي ، ويعهد إليه بالإمامة بالنصر من أبيه .

( ١ ) المجلس ٤٢ من المجالس القزوينية - المائة الأولى .

( ٢ ) هو صاحب المجالس المستنصرية .

( ٣ ) انظر المجالس ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من المجالس المستنصرية .

وسط السماء في ظل الأشياء ، فكذلك لا يمكن للعين إدراك مفارقة القمر للشمس في لحظة المفارقة (١) .

وعندهم أنه مع عدم إدراك العين لميوط الشمس عن وسط السماء عند بدء هذا الميوط فإن وقت الصلاة يكون قد حان . وكذلك مع عدم إدراك العين لمفارقة القمر للشمس في لحظة المفارقة يكون الشهر قد بدأ . ووجب الصوم في اليوم التالي . ولا عبرة برؤية الهلال ، لأنهم لا يأخفون بها كما عرفنا مما تقدم .

وهم يرون ذلك مع أن (الوضع الاجتماعي) يتقدم (الوضع الحلال) الذي هو بداية الشهر القمري عند أهل السنة وغيرهم ممن يأخفون بالرؤية (٢) : يوم على الأقل ويؤمن على الأكثر .

ومعنى هذا أنه في اليوم الذي تم فيه رؤية الهلال يكون الفاطميون صائمين . وحتى يجعلوا ذلك مشروعاً فإن الآخذين منهم بحديث الصوم (٣) يؤولون اللام في الحديث تأويلاً يجعل الصوم سابقاً للرؤية . وذلك أنهم يجعلون الصوم من أجل الرؤية . وقد مثلوا لذلك بقول القائل : ألفوا لحجى الأمير شعرا . وقالوا : إنه لما كان تأليف الشعر ينبغي أن يكون سابقاً لحجى الأمير حتى يلقى عند مجيئه فكذلك ينبغي أن يكون الصوم سابقاً للرؤية . بمعنى أن يكون المسلمون صائمين وقت الرؤية . كما أن الشعر يكون مؤلفاً وقت مجيء الأمير (٤) .

ومن الواضح أن صاحب هذا الرأي وهو الكرمانى متحيف على اللغة فهو يؤولها وفق رأيه وليس كما تقتضى تراكيبها . فاللام في الحديث (صوموا لرؤيته) لا تقتضى أن يكون ما قبلها سابقاً لما بعدها . ثم إنه شبهها باللام في قوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس » (٥) وأصحاب اللغة يجعلون من معانى هذه اللام (بعد) . وقد مثلوا لذلك بالآية السابقة (٦) .

---

( ١ ) الرسالة اللازمة ص ٣٠ .

( ٢ ) الشيخة الزيدية والإمامية يأخفون بالرؤية في الصوم .

( ٣ ) منهم الكرمانى .

( ٤ ) الرسالة اللازمة ص ٢٧ .

( ٥ ) الإسراء : ٧٨ .

( ٦ ) الاقطن ١ - ١٧٠ .

والكرمانى فى الحقيقة مضطرب فى موقفه من حديث الصوم بصفة عامة ، فقد رأيناه يؤول الرؤية فيه بأنها رؤية نفسانية <sup>(١)</sup> ، ثم عاد فتحدث عنها فى هذا الموضوع على أنها رؤية بصرية <sup>(٢)</sup> ، وجعل الصوم سابقاً لها . فقوله هنا بين الضعف والتهافت .

بقيت المسألة الثالثة وهى مسألة عدد أيام شهر رمضان . وأهل السنة كما هو معلوم لا يلتزمون بعدد معين لأيام شهر رمضان وإنما يعتمدون فى عدد أيامه على رؤية الهلال سواء جاء كاملاً ثلاثين يوماً أو ناقصاً تسعة وعشرين يوماً ، اتباعاً منهم فى ذلك للسنة النبوية ، فحاصل الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع « أن الاعتبار بالحلال ، فقد يكون - أى الشهر - تاماً ثلاثين . وقد يكون ناقصاً تسعاً وعشرين ، وقد لا يرى الهلال فيجب إكمال العدد ثلاثين . قالوا : وقد يقع النقص متواليين شهرين وثلاثة وأربعة . ولا يقع فى أكثر من أربعة <sup>(٣)</sup> .

والقاطميون عندهم أن رمضان كامل دائماً لا ينقص أبداً ما دامت الشهور تجري <sup>(٤)</sup> . ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة منها ما يروونه عن النبي عليه السلام « ما تم شعبان وما نقص رمضان » <sup>(٥)</sup> . ومنها أمر الكفارات ، إذ أن من أفطر فى شهر رمضان يوماً متعمداً فعليه عتق رقبة . فإن عجز فعليه صوم شهرين متتابعين ، فإن عجز فإطعام ستين مسكيناً . وهنا يذهبون إلى أنه لو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً لاحتمل أن تكون الكفارة إطعام ستين مسكيناً أو ثمانية وخمسين <sup>(٦)</sup> .

ومن أدلتهم أيضاً قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معلودات » <sup>(٧)</sup> . ففسرهم أن المراد بقوله تعالى ( الذين

(١) الرسالة اللازمة ص ٣ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ١٠ وما بعدها .

(٣) شرح المنوى على صحيح مسلم ٣-١٢٥ . وحساب الرصد يؤكد ذلك .

(٤) تأويل الدعائم ٣-١٠٩ .

(٥) هذا رأى المؤيد الشيرازى فى الخبر وعند الكرماتى وصاحب المجالس المستنصرية أنه من أقوال الأئمة .

(٦) المجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية المائدة الأولى .

(٧) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

من قبلكم ) التصارى . وصيام التصارى غير متعلق بالرؤية بل بالحساب . وقوله :  
( أياما معلودات ) تأكيد لذلك . فالأيام المعلودات هى التى لا تزال معلودة  
لا يحتاج فيها إلى رؤية ولا نظر . فلو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين ،  
وتارة تسعة وعشرين لما قال ( أياما معلودات ) قطعاً . وهى مثل قول القائل :  
هذا حساب محسوب ، وهذه دراهم معلودة .

ومن أدلتهم أيضاً أن السنة عندهم منها ستة أشهر كاملة وستة ناقصة . وأولها  
مبنى على الكمال . فالشهر الأول الذى هو المحرم كامل وصفر ناقص وربيع  
الأول كامل وربيع الآخر ناقص ورجب كامل وشعبان ناقص وشهر رمضان  
كامل .

ثم يأتون بدليل على نقص شعبان وهو ليلة النصف منه . ولا نصف لرجب  
ولا لشهر رمضان . وذلك أن ليلة النصف من شعبان ليلة الخامس عشر منه .  
وهذه الليلة ليلة النصف بالحقيقة لكون أربعة عشر قدامها وأربعة عشر خلفها وهى  
فى النصف ولا يكاد يصح ذلك فى شهر رمضان : لأنه إن جعلت ليلة الخامس  
عشر هى النصف لم يصح ، فقد بقى فى الشهر ستة عشر يوماً . وإن جعلت ليلة  
السادس عشر لم يصح ، فليس السادس عشر نصف الثلاثين (١) .

وهذا هو ما يسمى عند الفلكيين بالسير الوسطى . وعند من يأخذون بهذا  
النظام منهم أن الشهر ٢٩ يوما وكسراً من اليوم دائماً : فيجبرون كسر اليوم كلما  
زاد على نصف يوم ، فيصير المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وهكذا  
على التوالى دون نظر إلى الهلال . ولكن هذا النظام تبين خطؤه علمياً : فقد تتوالى  
أشهر كلها ثلاثون . وأشهر كلها تسعة وعشرون (٢) . وعلى هذا لا يقبله الفقهاء من  
أهل السنة لمخالفته للواقع ولما جاء فى السنة (٣) .

وإذا احتج محتج على جواز أن يكون شهر رمضان تسعة وعشرين يوما بقول  
الرسول عليه السلام : « نحن قوم أميون لا نعرف الحساب : الصوم مرة هكذا حتى

( ١ ) المجلس ٤٢ من المجالس المؤيدة .

( ٢ ) تحديد أوائل الشهور القمرية ص ٧٦ وما بعدها .

( ٣ ) راجع باب الصوم فى صحيح مسلم .

استوفى العدة ثلاثين في ست مرات ، وأنه جمع الأصابع ثمانية فلما انتهى إلى الآخر قصص واحدا من الأصابع ثم قال : ومرة هكنا ، (١) استعملوا ذلك وقالوا : حاشا لله أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي شرفه الله بالمعراج ، وأراه ما وراء الحجاب يكون به من العي واللكن وإن كان أمياً أن لا يفصل ثلاثين من تسعة وعشرين بلسانه فيغني عن جمع الأصابع وتحريك اليد هذه الدفعات الكثيرة مما يقوم به راعي البقر والغنم (٢).

والحقيقة أنه ليس في إشارة النبي عليه السلام هنا قلدح في بيانه : فليس هذا هو الحديث الوحيد الذي عبر به عن أن شهر رمضان قد يكون ثلاثين يوماً وقد يكون تسعة وعشرين يوماً فهناك أحاديث كثيرة قالها النبي في هذا المعنى دون أن يستخدم الإشارة التي استخدمها في هذا الحديث :

فاستخدام الإشارة في هذا الحديث مع وجود أحاديث أخرى بمعناه إنما جاء لإفهام من لم يفهم ممن كانوا حاضرين حينما قال الرسول هذا الحديث أو لزيادة التأكيد عليهم في فهم المقصود دون أن يكون في ذلك مساس ببلادة الرسول ولاطن في صحة الحديث . وشأن الرسول في ذلك شأن أى خطيب أو متحدث يريد أن يوصل فكرة معينة إلى من يرى أنه لم يفهمها حتى الفهم . أو إذا كانت الفكرة من الأفكار التي يجب تثبيتها في الأذهان :

هذا وقد كان اختلاف الفاطميين عن أهل السنة في الصوم وبخاصة إفطارهم قبلهم بيومين في بعض الأحيان مع الأمور التي أثارت بين الفريقين جدلاً حاداً كان ينتهي أحياناً إلى مناظرات بين العلماء من أولئك وهؤلاء ، وأحياناً أخرى كان ينتهي إلى العنف وكانت الغلبة بالطبع لمن في أيديهم السلطة . وكان من مظاهر غلبة أصحاب السلطة أن يلزموا مخالفهم بالسير على مذهبهم في الصوم :

ففي شيراز التي كانت تابعة للخلافة العباسية السنية : وكانت الغالبية فيها من السنين حدث أن صلى المريد الشيرازي داعي الفاطميين هناك عيد القطر باتباعه قبل رؤية الهلال بيوم سنة ٤٢٩ هـ فثار أهل السنة وكاد الأمر يتقلب إلى فتنة عارمة ،

( ١ ) البيرة المؤيدية ص ٦ وأنظر صحيح مسلم باب الصوم ٣-١٢٧ .

( ٢ ) البيرة المؤيدية ص ٦٠ .

وتقرر نفي المؤيد من شيراز<sup>(١)</sup> ، ولكن انتهى الأمر إلى عقد المناظرات بينه وبين العلماء من أهل السنة وغيرهم ممن يصومون بالروية<sup>(٢)</sup> .

وفي مصر حينما كان الحكم للفاطميين نجدهم يحاولون إلزام أهل السنة بأن يصوموا بصوم الإمام ويفطروا بافطاره دون انتظار منهم لروية الهلال . فقد تهدد جوهر الصقلى القاضى السبى الذى لم يفطر هو وأتباعه بعد التاسع والعشرين من رمضان لسنة ٣٥٨ هـ وكان يتطلع إلى الهلال<sup>(٣)</sup> . كما تهدد أيضا المعز لدين الله الذين صاموا يوم العيد سنة ٣٦٣ هـ . لأنهم لم يروا الهلال يوم التاسع والعشرين من رمضان<sup>(٤)</sup> . ثم إن الحاكم بأمر الله أصدر في رمضان سنة ٣٩٩ هـ سجلا جاء فيه ألا يعارض أهل الروية فيهم عليه<sup>(٥)</sup> . وهذا الخبر مع دلالة على تسامح الحاكم مع غير أتباع مذهبه إلا أنه يدل أيضا على أن الدولة الفاطمية كانت تلزم من كانوا على غير مذهبها بأن يصوموا حسب مذهبها .

وإذا تساؤلنا عن تاريخ نظام الصوم عند الفاطميين فإننا لا نجد لتساؤلنا جوابا يقينا كافيا ، لقلة ما نشر أو ظهر من المؤلفات الفاطمية التي تحدث فيها علماءهم عن الصوم . وكل ما يمكن أن نقوله في ضوء ما وصلنا من معلومات عنه أنه أخذ يظهر بظهور الدولة الفاطمية في المغرب على يد المهدي بالله ( ٢١٦ - ٣٢٢ هـ ) . وفي هذا يقول صاحب المجالس المنتصرة<sup>(٦)</sup> : « فإن الإمام المهدي بالله ( ص ) لما أظهر الله أمره وأطلع بالسعد فجره . ونشر لأهل الدين فخره : تقلد من أمر الصيام ما عجز عنه الخالص والعام . روى عن آبائه الكرام أن شهر رمضان لا يكون غير تام . وصامه هو والأئمة من خريته ومن أتم بهم من سعداء الأنام<sup>(٧)</sup> » . ولكن لم نجبرنا المؤلف من هم الآباء الذين روى عنهم المهدي .

( ١ ) السيرة المؤيدة ص ٥ وما بعدها .

( ٢ ) من تأخروا المؤيد في الصوم علوى زيدى . السيرة المؤيدة ص ٥٧ .

( ٣ ) المعز لدين الله ص ١٩٥ .

( ٤ ) المرجع السابق ص ٢٧٤ .

( ٥ ) أتماظ الحقا ٢-٧٨ .

( ٦ ) من الدعاء في عصر المنتصريات الفاطمية ( ٤٢٧ - ٤٨٧ ) .

( ٧ ) المجلس ٣٠ من المجالس المنتصرة .

وحسب الكتب الفاطمية التي وصلتنا تعتبر الإشارات القليلة التي نجدها عند القاضي النعمان بن محمد (ت سنة ٣٦٣ هـ) أقدم معلومات عن الصوم عند الفاطميين . وفي إحدى هذه الإشارات ذهب النعمان إلى أن الله تعالى بقوله : « ولتكملوا العدة » نص على شهر رمضان بكمال العدة فكان كذلك كامل الأيام أيامه ثلاثون يوماً لا تنقص أبداً مادامت الشهور تجري (١) . وفي إشارة أخرى ذهب إلى ضرورة الاقتداء بإمام الزمان في الصوم والفطر ، فإذا أمر بالصوم وجب الصوم على الناس ، وإذا أمر بالفطر في آخر الشهر أفطروا (٢) . هذا بالإضافة إلى ما أورده من تأويل الصوم والنصوص المتعلقة به .

وفي مطلع القرن الخامس الهجري يؤلف حميد الدين الكرمانى (ت بعد سنة ٤١٢ هـ) رسالة يخصصها للصوم ويتناول فيها كل ما يتصل به عند الفاطميين . ويكاد بهذا الشمول يتفرد عن كل من كتبوا في الموضوع ، وسيأتى تفصيل ذلك في عرضنا لمضمون هذه الرسالة :

فإذا ما تقدمنا بعد الكرمانى فلنأخذ بالمويد الشيرازى يطالعنا في سيرته بأخبار سنة ٤٢٩ هـ التي صلى فيها عيد الفطر بأتباعه قبل أهل السنة في شيراز بيوم وما أثاره ذلك من جدل ومناظرات بينه وبين أهل السنة ومن كان يصوم مثلهم من أهل المذاهب الأخرى ، ودفاعه في هذه المناظرات عن نظام الصوم عند الفاطميين (٣) . ثم نجده في مجالسه يتناول الموضوع بإيجاز وهو يعتبر حديث الصوم خاصاً بظرف معين ، وبهذا يعنى نفسه من تأويل الرواية في هذا الحديث . ثم يرد القول بأن النبي عليه السلام كان يصوم بروية الهلال . ويدافع عن وجهة نظر الفاطميين في تمام رمضان ونقص شعبان (٤) .

وفي زمن المويد نجد صاحب المجالس المستنصرية يتناول الصوم في ثلاثة من مجالسه تناولاً يربط فيه بين الظاهر والباطن أو بين الرويتين البصرية والعلمية . فهو لم يؤول الرواية البصرية كالكرمانى ولم يلغها ويعتبرها خاصة بظرف معين في حياة

(١) تأويل للعالم ٣-١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ٣-١١٥ .

(٣) السيرة المؤيدية ص ٥ وما بعدها ، ص ٦٠ وما بعدها .

(٤) المجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية - المائة الأولى .



الرسول كالمؤيد ، وبهذا يتضح لنا اختلاف هؤلاء الدعاة الثلاثة حول رؤية الهلال : وهذا الاختلاف ليس بالأمر اليسير لتعلقه بأمر جوهري عتدم هو التأويل في فريضة من القرائض .

وملاحظتنا هذه وإن بدت صغيرة إلا أنها ذات دلالة كبيرة في الحقيقة . لأنها تشير إلى تغيير كبير في نظام الدعوة الفاطمية . فالعلوم أن المعز لدين الله الفاطمي وهو الذي أظهر التأويل وفتح بابه<sup>(١)</sup> . وحاول نشره على نطاق واسع<sup>(٢)</sup> بعد أن كان آباؤه أشقاء به لا يكادون ييوضون به إلا لخاصة خاصتهم<sup>(٣)</sup> — كان هو الذي يتولى أمر التأويل . ويخرج إلى النعمان مجالسه مكتوبة ليقراها على أتباعه حتى لا يحدث فيها أى تغيير بالتقص أو الزيادة<sup>(٤)</sup> . وكان يفعل ذلك مع دعائه في الأقاليم النابتة حيث كان يرسل إليهم ما يقرعونه في مجالسهم على أتباعهم<sup>(٥)</sup> . وهذا النظام كان لا يدع مجالاً لاختلاف الدعاة في مسألة من مسائل التأويل . لأن مصدر التأويل واحد وهو الإمام ونصه ملون ثابت .

فوجود الاختلاف بين هؤلاء الدعاة الثلاثة ومنهم اثنان متعاصران على النحو الذى أو ضحناه إنما يدل على أنهم كانوا يجتهدون في التأويل ولم يكونوا يتلقون ما يلقونه في مجالس الحكمة من الإمام على نحو ما رأينا في عصر المعز . ولكن إلى أى حد كان اجتهداهم ؟ هل كان مطلقاً . أم محدوداً بموضوعات معينة ؟ والإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى مقارنة شاملة ودقيقة بين أعمال الدعاة . ومعظم هذه الأعمال غير موجود لدى الباحث الآن .

هذا وبعد القرن الخامس الهجرى لا يكاد الباحث يجد شيئاً عن الصوم فيها ظهر من مؤلفات فاطمية . ولا نستطيع أن نقول إن الأئمة ودعائهم لم يتناولوا هذا الموضوع طوال هذه الفترة . ولكننا على أية حال نستطيع أن نقول إنه إذا كانت في هذا الفترة كتابات عن الصوم . وقد كانت في أغلب الظن — فانها لا تخرج

(١) المجالس والمساير ١٦-١٨٠ ٦ .

(٢) المرجع السابق ١٨٠-٦ .

(٣) المرجع السابق ١٦-٦ .

(٤ و ٥) المرجع السابق ٢٨-٥ .

عن النظام الذى رأينا فيما تقدم ، فأصحابها كانوا بالطبع كثيرهم من المؤلفين فى شتى مجالات التأليف فى المصور المتأخرة ، همهم الجمع والتلخيص والشرح لما تركه لهم أسلافهم دون إضافات جوهرية .

ويبدو أن الدافع لمن كتبوا فى هذا الموضوع من دعاة الفاطميين هو أن الأحداث التى كانت تحدث عندما كان الخلاف يستفحل بين الفاطميين وأهل السنة فى أمر الصوم كانت تترك صداها فى نفوس أتباع المذهب الفاطمى وبخاصة فى الجهات النائية عن سلطان الدولة الفاطمية ، وتدعوهم إلى التساؤل عن حقيقة الموقف . فكان الدعاة يقومون بشرح ذلك لم حتى لا يتسرب إلى نفوسهم أى شك فيما يتصل بالعقائد الفاطمية . وكانوا فى شرحهم هذا يريدون على مخالفتهم فى المذهب ويحاولون إثبات صحة مذهبهم بكل ما أوتوا من قوة فى الجدل الذى كان من أهم العناصر فى عملهم ، وذلك فى رسائل ومقالات أو محاضرات يلقونها على أتباعهم فى مجالس الحكمة التأويلية .

### الرسالة اللازمة فى صوم شهر رمضان وحجته :

تعتبر هذه الرسالة أهم ما وصلنا من المؤلفات التى تناولت الصوم عند الفاطميين للأسباب التى سنذكرها فيما بعد . ومؤلفها هو سيدنا حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني ( ت بعد سنة ٤١٢ هـ ) (١) أحد دعاة الدعوة الفاطمية فى عصر الحاكم بأمر الله ( ٣٨٦ - ٤١١ هـ ) .

ويبدو أنه كان أشهر الدعاة فى عصره وأكثرهم لساناً وقوة بيان . حتى لقب بحجة العراقيين .

ولما ظهر الدرزى - وغلا فى الإمام غلواً كبيراً حتى قال بألوهية (٢) الحاكم وهبت أعاصير الفتنة على الدعوة الفاطمية وأوشكت أن تنجحها لم يجد تخكين داعى الدعوة عوناً له فى تجنب الدعوة هذا الخطر المحقق خيراً من الكرماني من بين الدعاة جميعاً ، فاستدعاه للقاهرة سنة ٤٠٨ هـ (٣)

(١) مقدمة التحقيق لكتاب راحة العقل

(٢) أمثال الحفا ٢ - ١١٣ .

٣- مقدمة التحقيق لكتاب راحة العقل

وإذا اطلعنا على ما ظهر من مؤلفات الكرمانى فإننا نلاحظ أنه وقف قلمه للدفاع عن الدعوة الفاطمية وقضاياها ، ورسالة اللازمة في الصوم صورة من صور هذا الدفاع . إذ يبدو من مقلتها أن الذى دعاه إلى تأليفها طعن المخالفين على الفاطميين لدخولهم في الصوم قبل غيرهم من المسلمين سنة ٤٠٠ هـ حتى يرد طعون الطاعنين ويطمئن أتباع الدعوة إلى صحة كل ما يصدر عن الإمام ومن ذلك أمره بالدخول في الصوم . ويتضح مع مقدمة المؤلف أنه ألف رسالته هذه سنة ٤٠٠ هـ أو بعدها بقليل ، وهى السنة التى دخل فيها الفاطميون في الصوم قبل غيرهم من المذاهب التى تعتمد على الرواية في الصوم بيومين كما يتضح أيضا أنه ألفها في المشرق ، وليس في القاهرة لأن مجيئه إلى القاهرة — كما رأينا — كان سنة ٤٠٨ هـ وأثناء فتنة المرزى ، ولأن الأمثلة التى ضربها في الرسالة لصفاء الجو وكدورته في البلاد أمثلة من بلاد المشرق كشيراز وكرمان وطبرستان وجيلان .

هذا وبيننا المؤلف في رسالته منذ البداية عن السبب الذى جعله يسميها باللازمة وأنه سماها كذلك ، لأنه ضمنها حججا تلزم الكافة من المسلمين باتباع الفاطميين في الصوم كما يقول .

وقد تناول المؤلف في رسالته كل ما يتصل بالصوم عند الفاطميين إذ تحدث عن رؤية الهلال ، وذهب إلى أن الرواية رؤية علمية وليست بصرية . وعلى هذا أول الرواية الواردة في حديث الصوم ، وساق الأدلة الكثيرة ثقيلة وعقيلة تأييدا لمذهبه ثم اتخذ من القول بالرواية العلمية مدخلا للقول بضرورة رد أمر الصيام إلى الإمام . فالصوم عندهم كغيره من أمور الدين لا يحق لأحد من الأمة البت في شيء منها ، وذلك لأن الإمامة أهم قضايا المذهب الفاطمى والغور الذى يلور عليه تفكير علمائهم حينما يتناولون موضوعا من الموضوعات . ثم تحدث عن بداية الشهر عند الفاطميين ، وهى بداية تسبق بدايته عند أهل السنة — كما أوضحنا من قبل — واستعان في عرضه لهذه الفكرة بمعلومات فلكية دقيقة . وهذا أمر لا يستغرب بالنسبة للعصر الفاطمى الذى ازدهرت فيه العلوم الفلكية أو النجامة ، واهتم بها الخلفاء أنفسهم ، ومنهم من برع فيها حتى وصل إلى حد الشهرة بها كالحليفة المنصور بالله (ت سنة ٣٤١ هـ) .

وكما أول الرواية في حثيث الصوم بأنها رواية علمية ، ليدعم مذهبه بالحديث فإنه حلول أيضاً أن يؤول نفس الحديث تأويلاً يطابق مذهبه في الدخول في الصوم قبل أهل السنة ، ليجد لمذهبه في هذه الناحية من الموضوع مستنداً من الحديث أيضاً . غير أنه أخفق في هذه المحاولة من ناحيتين : الأولى أنه جار على اللغة وتركيبها ، والثانية أنه اضطرب في موقفه من الحديث على نحو ما ذكرنا من قبل .

ثم انتقل المؤلف إلى فكرة تمام رمضان ، وأنه لا يتقص أبداً . وتوافق طاقة من الأدلة دفاعاً عن هذه الفكرة . منها أن احتمال التقص والتمام في شهور رمضان يوقع الأمة في الشك ، ولهذا استبعد أن يحمل النبي أمته على قاعدة قد يحدث فيها شك (١) . ومن هذه الفكرة عاد ليؤكد مرة أخرى أن الصوم شأنه شأن غيره من أمور الدين لا يصح أن يوكل إلى الأمة لتحديد بدئه وانتهائه ، وإنما هو من اختصاص الإمام المعصوم . فالمسألة ليست عندهم مسألة إجماع وإنما مسألة إمامة موروثه من النبي عليه السلام . إلا أن الكرمانى يجديته عن ترك الأمة أمر الصيام للإمام ليحدد لها بدئه وانتهائه لم يوضح لنا بجلاء ما إذا كان علم الإمام بذلك علماً لدنياً أم أنه توصل إليه بالحساب الفلكي كما يتوصل سائر الفلكيين .

وبعد أن يوفى المؤلف هذه الجوانب من الموضوع ينتقل إلى التأويل الذي هو عنصر أساسى من عناصر المذهب فالشمس تقابل ( الناطق ) الذي هو النبي ﷺ ، والقمر يقابل ( الأساس ) الذي هو ( وصيه ) على بن أبى طالب . ثم يعرض لمراحل العمر وأحواله . ويقابل بينها وبين أحوال ( الوصى ) على بن أبى طالب في الدعوة من قبل أن يعلن النبي ( وصايته ) حسباً يذهبون : إلى أن ظهر أمره ظهور القمر عند مضي أربعة عشر يوماً حيث يراه الكبير والصغير . ويعضى في هذا التأويل فيقابل بين شهر رمضان - بما أنه أشرف شهور السنة ﷻ - وبين ( الوصى ) الذي هو صاحب رتبة التأويل ﷻ . ولا يكتفى بهذا وإنما يؤول آيتى الصيام (البقرة ١٨٣ ، ١٨٤) تأويلاً يؤكد به مذهب إليه من شرف ( الوصى ) ومكاته .

وبعد هذا كله يختم الكرمانى رسالته بما يؤكد به الغرض الذى ألفها من أجله ،

فيقرر صحة دخول الفاطميين في الصوم قبل غيرهم من المسلمين بناء على رؤيتهم العلمية بالحساب . ولا ينسى هنا أن يدافع عن علم النجوم الذي اشتهر به أمته . ويؤكد أنه علم صحيح غير منتهى عنه .

وبعد . فمع ما تتضمنه رسالة الكرماني في الصوم من أمور تختلف معه فيها . إلا أن ذلك لم يمنعني من إعدادها للنشر ، لأنها تمثل وجهة النظر الفاطمية في الصوم وتأويله تمثيلا واضحا . ولعلها المؤلف الوحيد بين المؤلفات القديمة الفاطمية الذي خصصه صاحبه للحديث الشامل عن الصوم . ومن هنا سيجد فيها القارئ فكرة تامة وواضحة عن هذا الموضوع قد لا يتاح له الوقوف عليها في كتاب آخر غيرها .

والرسالة بالإضافة إلى ذلك تلقى ضوءا على تقدم علم الفلك عند أسلافنا إلى إلى درجة تستحق الإعجاب والتقدير . ثم إنها بما تتضمنه من دعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية في الصوم والإفطار تثير التفكير في العمل الجاد لتحقيق الأمل الكبير الذي يراود المسلمين والعلماء والمصلحين منهم بصفة خاصة كلما استقبلوا شهر رمضان وودعوه وهو أن تتحد البلاد الإسلامية في صومها وإفطارها . فالتوحيد طابع ديننا وجوهره . وقد أحس المسلمون اليوم شعوبا وحكومات بضرورة الوحدة بينهم . فلم لا تتمثل هذه الوحدة في هذه الشعيرة الدينية ؟ أليس من العجب العجائب أن نقف حائرين بين رؤية الهلال وعلمها في الوقت الذي يتجون فيه غيرنا فوق القمر ؟

إن اختلاف مطامع الأهلة باختلاف مواقع البلاد بحيث يرى اخلال في بلد ولا يرى في آخر ظاهرة لا تنكر . وهذه الظاهرة لم يفت قتها المسلمون بحجها وإجالة الفكر فيها منذ أمد بعيد . وقد ذهبوا فيها مذهبين : الأول اعتبارا اختلاف مطامع الأهلة في تحديد بداية الصوم ونهايته بمعنى أن كل إقليم يصوم ويضطر برويته اخلال . والآخر عدم مراعاة هذا الاختلاف بمعنى أنه إذا رُئي هلال رمضان في إحدى البلاد الإسلامية وجب على سائر المسلمين الصوم بروية من رأوه .

وقد رجح الأستاذ الشيخ محمد علي السائس عضو مجمع البحوث الإسلامية الرأي الثاني ، ودعا إلى الأخذ به في بحثه القيم . تحديد أوائل الشهور القمرية ، لا لأن هذا هو ما تصبو إليه نفوس كثير من العلماء والمصلحين حتى تتوحد كلمة

الأمة الإسلامية ، ولا لأن القائلين به هم الكثرة الغالبة وهم الجمهور : ولكن لأن  
سنده من الكتاب والسنة قوى متين ، (١) :

فليت دعوة فضيلته تلقى الاستجابة السريعة من أهل الاختصاص في العالم  
الإسلامي حتى يتخلص المسلمون من البلبلة التي تواجههم كل عام :

وثمة مسألة أخرى تثيرها هذه الرسالة وهي ؛ هل نأخذ بالحساب الفلكي  
في تحديد أول الشهر القمري إذا لم تيسر الرؤية الحقيقية للهلال أو لا نأخذ ؟ .

وقد أقر كثير من فقهاء المسلمين الأخذ بالحساب الصحيح إذا منع مانع من  
الرؤية الحقيقية ، فإذا دل هذا الحساب على أن الهلال قد طلع من الأفق على وجه  
يرى لولا وجود المانع كالغيم مثلا فهذا يقتضى الوجوب لوجود السبب الشرعي ،  
وليست حقيقة الرؤية مشروطة في الزوم (٢) ، وما دامت هذه المسألة كذلك فانها  
تدعم الرأي السابق في حسم الاختلاف المتكرر حول الرؤية كل عام .

هذا وأسلوب الرسالة أسلوب علمي ، وإن لم يخل في بعض المواضع من السجع  
والصور البيانية (٣) ، وذلك لأن المؤلف تتلوه فيها موضوعا قهها على مذهبه ،  
واستعان في عرضه بما أتيج له من معلومات فلكية ومذهبية ومنطقية تلبو آثارها في  
تقسيم الموضوع وتسلسل أفكاره وشمولها وغلبة طابع الحجاج عليه ، كما تلبو في  
كثرة المصطلحات المذهبية والعلمية وبخاصة علم الفلك (٤) الذي يتصل به موضوع  
الرسالة اتصالا وثيقا . ومثل هذا المجال لا يجد فيه السجع ولا غيره من ألوان البيان  
والبداع منفذا صالحا له . ومن هنا نرى المؤلف قد لاءم في رسالته هذه بين الموضوع  
والأسلوب .

ثم إن المؤلف استعان كثيرا بالآيات القرآنية ، يؤولها حيناً ويستشهد بها حيناً  
آخر ، وكذلك بالأحاديث النبوية التي جمع فيها بين مرويات أهل السنة ومرويات  
أصحاب مذهبه . كما أنه استعان — لتوضيح فكرته — بالمقارنات والتشبيات والحوار

( ١ ) تحديد أوائل الشهور القمرية ص ٧١ وما بعدها .

( ٢ ) المرجع السابق ص ٨٣ وما بعدها .

( ٣ ) يبدو هذا في بداية الرسالة .

( ٤ ) أنظر فهرس المصطلحات .

الذى يكثر فيه من ( فإن قيل كذا قلت كذا ) بحيث لا يكاد يترك مسألة يمكن أن يطرق إليها تفكير أحد من أتباعه إلا ويتساءل عنها . ثم يقدم ما يراه شافياً فيها من إجابة . ومع ذلك فإن الرسالة لم تخل من الحمل الطويلة المركبة المسرفة في الطول والتركيب إلى حد التعقيد والغموض (١)

أما عن تحقيق هذه الرسالة فقد اعتمدت فيه على نسخة واحدة . لم ييسر سواها . لأن المخطوطات الفاطمية نادرة وأصحابها في الغالب أشقاء بها . وهذه النسخة التي اعتمدت عليها هي نسخة الأستاذ محمد حسن الأعظمي الباكستاني . وهي ملحقة بالجزء الأول من كتاب جامع الحقائق . وتقع في سبع عشرة صفحة من القطع الكبير ٣٠ - ٢١ . وبا لصفحة ستة عشر سطرأ بخط النسخ الجيد . وهي قليلة الأخطاء .

ويبدو أنها نسخت حديثاً وهي بلون تاريخ . ولم يذكر فيها اسم ناسخها ، وهذا أمر لا يستغرب في المخطوطات الفاطمية إذ كان القوم يذهبون في كثير من الأحيان إلى السر والتقية . ثم إن المعز لدين الله . فيما رواه عنه القاضي النعمان كان يستحسن ألا يذكر المؤلف من رجاله اسمه على الكتاب الذى يؤلفه . لأنه رأى أن الناس في عصره يأخذون عن جهلوه . ويزهلون في علم من عرفوه (٢) .

وأما عن نسبة هذه الرسالة لكرمانى فهذا أمر لا يحتاج إلى إثبات . فقد تحدث القلماء والمحدثون الذين عرضوا له في مؤلفاتهم عن رسالته هذه . واقتبس بعضهم نصوصاً منها تطابق ما جاء بها مطابقة تامة .

وأخيراً . فلنأى أرجو أن أكون بهذا العمل المتواضع قد وفقت في تقديم أحد المؤلفات الفاطمية التى تمثل جزءاً هاماً من تراثنا العربى الإسلامى لا ينبغي إغفاله إذا أتاحت الفرصة للحصول على أصوله .

والله الموفق وهو المستعان . . .

محمد عبد القادر عبد الناصر

(١) أنظر على سبيل المثال ص ٢٢ بالرسالة وتليقنا بالهامش رقم (٢)

(٢) المجالس والمسيرات ٥-٩ ، ٣٤-١٤ .

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات ، وبطاعته أولياته نعم البركات ، وصلى الله على رسوله وعيله محمد خير الأنام ، وفخر من تقلمه من الرسل الكرام ، وعلى أبرار عترته الطاهرين منار الهدى وأقمار الدجى وسلم تسليما .

أما بعد أيها الأخ فإنك كتبت تذكر أن أهل القرقة والاختلاف فيما جرت به عاداتهم من الوقعة فى أهل الحق والأتلاف قد كثرت أقاويلهم طعنا منهم على الجماعة وتعبيراً لهم فى دخولهم الصوم قبل العامة ، وسألت أن أشرح لك أمر الصوم فى دخول جماعة شيعة أمير المؤمنين قبل أولئك وخصوصاً صوم سنة أربعمائة التى أوجبت الأوامر الواردة من الحضرة الطاهرة الدخول فيه بيومين قبل رؤية الهلال عياناً ، والملة فيه بيان وإيضاح وبرهان فأجبت أن أجعل ذلك فى رسالة أورد فيها من البراهين الشافية ما ترتع نواظر أولى النهى فى نظام مبانيه ، وتسخر أعين المخالفين لالتيام معانيه ففعلت مستعيناً بالله وبأوليائه فى أرضه ، ووسمتها بالرسالة اللازمة فى صوم شهر رمضان وحينه ، لأن الذى ضمنتها حبيج تلزم الكافة من المسلمين لا يخلص لهم منها فى مبادئ العقل والحس والله ولى أحسن التوفيق فى الإصابة .

لأعلم عصمك (الله) من شبه الجهالة ، ووقاك من عي الضلالة ، أن القوم المخالفين لو كان لهم تمييز وبصيرة ، أو كان لهم فى العقل والفهم نصيب وقسمة لكان قيد الشيطان عنهم ملفوعاً : وهمم إلى الحق مصروفاً . ولكانوا من جملة من استثناءهم الله فى كتابه بقوله : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك . الآية »<sup>(١)</sup> لكنهم لما ركبوا مطية الأهواء ، وترامت بهم أسباب الآراء سول لهم الشيطان فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ، وحتى فهم قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم

(١) مود : ١١٨ .



قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور « (١) . فهم فيما هم فيه كالأنعام بل كالوقواق وهم لا يشعرون : كما قال تعالى « أموات غير أحياء وما يشعرون » (٢) وقد ماتوا عن معرفة الحقائق وعموا عنها باستنكارهم على أهل الحق وبغيتهم واختلافهم فصاروا كالبهايم في اختلافاتهم يتردون وفي عمايتهم من غير تمييز ولا بصيرة يركضون (٣) . ولم يعوا فيما هم فيه من الاختلاف والافتراق الذي نعى الله عنه بقوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » (٤) إلا يبيغهم واستكبارهم وحسدكم واستنكافهم من طاعة من أوجب الله طاعته من ولاية الأمر الذين أمر الله بالرجوع (٥) فيما اختلفوا فيه إليهم بقوله تعالى : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » (٦) وقال تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (٧) . فمن جانب الاستكبار والبغى والحسد وأطاع أهل الحق وقف على الحقائق . وخرج من جملة أهل الجهالة . ومن عائد أهل الحق . وأصر على ما هو عليه من الارتكاض في العمى والضلالة أداه ذلك إلى الهلاك وسوء المقالة . وحق عليه كلمة العذاب ، واستحق به آية العقاب . نموذج بالله من ذلك . ومن الفرقة بعد الائتلاف . ومن الطغيان بعد الإيمان . ومن العصيان في أوليائه (ص) بعد التسليم والإيمان . وإياه نسأل أن يجعلنا من الفائزين برحمته . القائمين بطاعته وطاعة أوليائه . إنه خير مسئول وأكرم مأمول .

ثم إن الله تعالى أوجب على عباده في نص كتابه الصوم بقوله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معلودات » (٨) .

(١) الحج : ٤٦ .

(٢) النمل : ٢١ .

(٣) في الأصل : يركضون .

(٤) آل عمران : ١٠٥١ .

(٥) في الأصل : المرجوع .

(٦) النساء : ٥٩ .

(٧) النساء : ٨٣ .

(٨) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقال النبي (ص) : شعبان شهرى ورمضان شهر الله وصومه فرض . وقالت الأئمة (ص) : صوم شهر رمضان فريضة على كل مسلم .

ولما فرض الله تعالى صوم شهر رمضان على عباده لم يتركهم النبي (ص) في العمى عن معرفة وقته وحينه . كما لم يتركهم في الجهالة بمعرفة غيره من الفرائض من أعداد الصلاة وأوقاتها حين فرضها . وكية الزكاة في أعيان الأشياء حين أوجبا ، فقال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وهذه الرواية لا يكاد يقع فيها خلاف بين الفرق من المسلمين . وهى عماد أهل الظاهر في احتجاجهم فتقول : إن الله خلق الأشياء كلها أزواجا ليكون المنفرد بالوحداية هو : فلا يشاركه فيها شيء فقال تعالى : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها ... الآية » (١) وقال : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (٢) . ولما كان ذلك كذلك ورأينا الأشياء كلها أزواجا وأشكالا كالخوهر والعرض والسماء والأرض والبحر والبر والسهل والجبل والليل والنهار والخير والشر والجسد والروح والظاهر والباطن والدنيا والآخرة والذكر والأنثى وغير ذلك مما يطول ذكره . ورأينا النبي (ص) جعل أساس شريعته وقاعدتها على الزوجية حين قرن الأوامر والفرائض بأقرانها دلالة على ما قلنا من تجريد توحيد الله مثل الصلاة التى قرننا بالزكاة والأذان الذى قرنه بالإقامة والحج الذى قرنه بالعمرة والصفاء الذى قرنه بالمروة والفريضة التى قرننا بالسنة والركوع الذى قرنه بالسجود وشهادة أن لا إله إلا الله التى قرننا بشهادة أن محمداً رسول الله وأشياء ذلك مما يطول ذكره قلنا إن الرؤية أيضا رؤيتان إحداها مقرونة بالأخرى : رؤية طبيعية ورؤية نفسانية . فالرؤية الطبيعية ما تكون بالعين وهى التى تترك الألوان من بياض وسواد وحمرة وصفرة وغيرها . والأشكال من تلوير وتثليث وتربيع وتخميم وغير ذلك . والاحتجاج على ذلك مستغنى عنه لوقوعه (٣) تحت الحس . والرؤية النفسانية ما تكون من جهة العلم بالقلب والنفس ، وهى تترك ما لا تتركه (٤) الرؤية الطبيعية من الأسباب التى تنيب عن إدراكها لإياها .

(١) يس : ٣٦ .

(٢) القاريات : ٤٩ .

(٣) فى الأصل (لوقرة) .

(٤) فى الأصل : ما تتركه .

قال تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى »<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ، »<sup>(٢)</sup> وقال : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل »<sup>(٣)</sup> . وقد علمنا أن النى ( ص ) لم يكن فى زمن أصحاب الفيل فبراهم ، وإنما المراد به رؤية النفس التى تكون من جهة الفؤاد والعلم . ويقال أيضاً فى المثل : فلان أعى القلب بمعنى أنه بليد متأخر عن معرفة الأشياء ورؤيتها على غيبتها .

فلما صح بما أوردناه أن الرؤية رؤيتان كالأشياء كلها فيما تنقسم إليه من حالين ووجهين ليخلص توحيد الله فلا يشاركه فى الوجدانية شئ ، قلنا : لما كانت الرؤية الطبيعية التى هى من جهة العين لا تترك من الأشياء إلا ما كان جسيماً واقعاً تحت الحدود والزمان مثل الألوان والأشكال وكانت الرؤية النفسانية التى هى من جهة الفؤاد والعلم تترك ما تتركه الرؤية الطبيعية وما تعجز عن إدراكه مما تغيب عن الأبصار جميعاً كان منه القضية بأن الرؤية النفسانية التى تكون من جهة الفؤاد والعلم أجل من الرؤية الطبيعية التى تكون من جهة العين والبصر والطف إدراكاً إذ كان فعلها فى معرفة الأشياء وإدراكها على حقائقها كالبصر ، فان إنساناً لو أخذ من غدير ماء قطرة حكمت الرؤية النفسانية بأن كمية ذلك الماء انتصفت بقطر القطرة . ورأت ذلك رؤية صحيحة . وكان ذلك التقصان للحس من جهة العين والبصر غير واقع .

ولما كانت الرؤية النفسانية أدق والطف إدراكاً كان الأخذ فى أداء فرائض الله تعالى بها ألزم من الأخذ بغيرها وأولى . فإن الاقتصاد على غير الأفضل مع وجود الأفضل من قضايا الجهل لا من قضية العقل . وهو الذى يلزم الناس بالحقيقة — أعنى الأخذ بالأدق والأفضل الذى هو رؤية العلم والنفس .

ثم إن إنساناً لو عرف بقلبه ورأى أن وقت صلاة من الصلوات قد أتاه : ولم يسمع صوت الأذان لكانت الصلاة لازمة له . كما أن المتسحر للصوم لو رأى بقلبه وعلم أن الفجر قد طلع وبصره ممنوع عن رؤيته لحائل قد حال لكان الإمساك

(١) التيم : ١١ .

(٢) الفرقان : ٤٥ .

(٣) الفيل : ١ .

عن الطعام لازماً له وإن كان بصره لم يره ، وإذا كان ذلك كذلك فقد لزم الصوم  
للمسحر والإمساك عن الطعام بعلمه أن الفجر قد طلع وإن كان بصره ممنوعاً عن  
رؤيته للمانع منع .

وكذلك تقول : إن دخول الصوم لازم مع حصول المعرفة بأن علة الصوم  
التي هي مفارقة القمر النير الأعظم <sup>(١)</sup> عند اجتماعهما قد حصلت ولو كان البصر  
ممنوعاً عن رؤيته بحال من الأحوال من ضوء أو غيم أو غبار أو جبل : إذ من  
المعالم أن العلة إذا حصلت وجب لوجودها معلولها . فلا يتقدم أحدهما على الآخر  
إلا بالمرتبة .

فاذن أهل الدعوة في دخولهم الصوم بحكم الرؤية النفسانية التي لا تكاد يقع  
فيها خطأ على بيان ومعرفة .

ثم إنه لما كان الرسول (ص) أوجب الصوم في بعض شهور السنة : وأخبر  
أن الله تعالى قد جعل الشمس والقمر سبياً إلى معرفة السنين والشهور وأوقاتها  
وأهلها فقال تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقلده منازل  
لتعلموا عدد السنين والحساب » <sup>(٢)</sup> وقال سبحانه : « يسألونك عن الأهلة قل هي  
مواقيت فتناس والحج » <sup>(٣)</sup> وكانت السنة اثني عشر شهراً كما قال تعالى : « إن  
عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها  
أربعة حرم » <sup>(٤)</sup> وهي لا تتم إلا بانقضاء عدتها . وكان <sup>(٥)</sup> كون الشهر لا يكون  
ولا تمام أيامه <sup>(٦)</sup> إلا بحسب القمر من المكان الذي يكون هو والشمس معه في درجة  
ودقيقة واحدة : وذلك هو الاجتماع عند أهل النجوم إلى أن يقطع الفلك كله ويعود  
إلى التضميم والاجتماع كان <sup>(٧)</sup> من ذلك العلم بأنه إذا صارت درجته ودقيقته من البروج

(١) يقصد الشمس .

(٢) يونس : ٥ .

(٣) البقرة : ١٨٩ .

(٤) التوبة : ٣٦ .

(٥) مطوف على (كان الرسول) في أول فقره .

(٦) يقصد لا يبدأ ولا يتم أيامه .

(٧) جواب (لما) في أول الفقرة .

مثل درجة الشمس ودقيقتها منه فقد تم مسيره للشهر الماضي ، وإذا فارق الشمس كان مسيره للشهر المستقبل<sup>(١)</sup> ، وإذا كان مسيره للشهر المستقبل وكان له في مسيره إلى الاجتماع والمفارقة حالات بانتقاص ضوء نصف جرمه مما يلي المركز الذي هو الأرض إلى أن يضم وإضاءة نصف جرمه الأعلى عند ذلك مما يلي المحيط كإضاءة كل نصف جرمه ليلة استقباله مما يلي المركز وظهور الضياء في نصف جرمه عند المفارقة وتزايد به بقدر تباعده وأسباب يعجز البصر عن إدراكها كلها قلنا : إنه لم يقع عجز البصر عن إدراك هذه الأحوال كلها منه ورؤية المضيء من جرم القمر عند مسيره إلى اجتماع في آخر الشهر وعند مفارقه في أول الشهر إلا لحال ضوء الشمس المانع للبصر عن الإدراك ، فإن الضوء في منع البصر عن رؤيته حينئذ كغيره من الأسباب التي تحول وتمنع البصر عن رؤيته وعلمه مثل القيم والقيار والمناط<sup>(٢)</sup> والجبل ، ألا ترى أن الكواكب بالنهار لا ترى لضياء الشمس واستارها به . وإذا انكسفت أدرك البصر رؤيتها وذلك لتقصان الضوء بانكسافها . فاذن قد صح أن قدر المضيء من جرم القمر عند مفارقه الشمس لولا ضوء الشمس وشعاعها لكان يرى بالعين فإن الضوء هو الحائل والمانع كغيره من القيم وكندورة الهواء<sup>(٣)</sup> .

ولما كان البصر ممنوعا بضوء الشمس عن رؤية الهلال بعد مفارقه إياها كانت النفس من جهة العلم غير ممنوعة عن رؤيته على حقيقته فلزم الصوم برؤية العلم التي هي أجل على ما أقمنا عليه من الدلالات .

فإذن بهذه الشواهد أهل الدعوة المادية في دخولهم الصوم بالرؤية النفسانية على حقيقة وصواب . وإذا كانوا هم على الصواب كان من خالفهم على الخطأ .

(١) هناك وضمان القمر بالنسبة للشمس : الوضع الإجماعي والوضع الهلال : فالوضع الإجماعي يفقد به اجتماع الشمس والقمر . ويبدأ الشهر القمري عند بعض أهل النجوم من الليلة التالية لهذا الوضع مباشرة مع أن رؤية الهلال تكون غير ممكنة . وعلى هذا يسير الفلكيون أما الوضع الهلال فانه يكون حينئذ تمكن رؤية الهلال ، وذلك يكون بعد الوضع الإجماعي يوم على الأقل أو يومين على الأكثر والجرة عند أهل السنة بالوضع الهلال لا بالوضع الإجماعي . ومن هنا يقع الاختلاف بين أهل السنة والفلكيين في تحديد بداية الشهر القمري . (راجع في ذلك بحث تحديد أوائل الشهور القمرية ، ص ٧٦)

(٢) في الأصل : الحياط .

(٣) العبارة طويلة ومركبة إلى حد التصقيد .

ثم نقول للناسية وغيرهم من المخالفين : من أين أوجبتم أن الرؤية رؤية البصر من دون رؤية الفؤاد والعلم ، وقد قامت الدلائل على أن الرؤية على وجهين لا يحدد ذلك إلا مكابر ظاهر المكابرة ؟ فان قلتم إن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بعد وقوع بصر عليه ولانه إذا أبصره قام له حكم رؤية العلم به قلنا إن احتجاجكم ذلك فاسد لا يصح من جهات :

إحداها أننا إذا قلنا لكم : هل رأيتم الله تعالى ؟ يلزمكم على هذا الأصل أن تقولوا : لا . فنقول : فلم أقررتم به ، وقد أوجبتم أن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بعد وقوع بصره عليه ، ولم يقع بصركم عليه تعالى وتكبر ؟ فيلزمكم أن ترجعوا عن النزول بالبصر إلى حديث العلم ، فتقولوا : علمنا وصح عندنا بالبراهين فأقررنا ، وهو قولنا وأصلنا

وثانيها أمر العالم في حديثه ، لو سألناكم عنه لزمكم أن تحكموا على حديثه بحكم رؤية العلم والبرهان ، لا بحكم رؤية البصر وهو قولنا .

وثالثها انا نقول : ما تقولون في رجل أفطر ولم ير الهلال يبصره لحائل حال وقد انقضى ثلاثون يوما من رمضان ، هل كان إفطاره حقا أم لا ؟ فان قلتم : كان حقا ، قلنا ، كيف ولم يبصر الهلال ، وأصل مذهبكم أن الصوم والإفطار لا يجوز إلا بعد رؤية الهلال بالبصر ؟ فيلزمكم أن تقولوا : إننا علمنا أن الهلال بعد ثلاثين يوما يرى ، وإنما الحائل حال عن رؤيته . قلنا لكم : قد تركتم حكم رؤية البصر ورجعتم إلى حديث رؤية العلم ضرورة ، وهو قولنا ، وإن قلتم : لم يكن الإفطار حقا لزمكم ما لزمكم .

وبعد فما لا يعلم من الأشياء إلا من جهة الحواس التي تجمع البصر وغيره فهو ذات الأشياء الحسائية في هيئاتها وكميئتها فقط ، والنفس تستغنى بعد الاستعانة بالحواس في معرفتها دفعة عن الاستعانة بها أخرى ، وما للحواس ومحصولها وقوع الاستغناء عنها بقيام النفس بذاتها مقامها (١). وذلك أن النفس في الإنسان أجل الآلات

(١) يقصد ما قيمة الحواس ومحصولها أي نتيجتها وقوع الاستغناء عنها بالنفس ؟

التي بها تترك الأشياء كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ولها مزية ليست لساثرها (١) بقيامها مقام جميعها بعد مصير صور محسوساتها فيها. وهي في إدراك ما لا يدركه السمع والبصر والشم والذوق واللمس كالسمع في إدراك ما لا يدركه البصر والشم والذوق واللمس . وكالبصر في إدراك ما لا يدركه السمع والشم والذوق واللمس : وكالشم في إدراك ما لا يدركه السمع والبصر والذوق واللمس وكباقى الحواس . حكمة من الله لتلا يفوت النفس شيء لا تتركه مما أبدعه من العالمين : ومدرکہا غير مدرک لغيرها من الحواس کغيرها (٢) .

وإدراكها إدراكان : إدراك بواسطة الحواس الخمس كإدراكها الألوان والأشكال من جهة البصر والأصوات الدالة وغير الدالة من جهة السمع وغير ذلك مما يتعلق إدراكه بالحواس الأخرى . وهو الذى منه يقع استدلالها في إدراك ما لا يدركه الحواس . وإدراك بذاتها عن طريق الاستدلال الذى يقوم مما تتركه من جهة الحواس كإدراكها حدث العلم بعد إدراكها إياه من جهة الحواس : وما تتركه بذاتها عن طريق الاستدلال فلا طريق للحواس إليه . وما تتركه من جهة الحواس فهي تستغنى عنه أول ما تتركه بها عن إدراك ثان من جهتها عند الحاجة إلى المعرفة . لقبولها صورة ذلك الشيء المدرك بالحواس على هيئتها في أول ما أدركتها ووجودها له في ذاتها ماثلاً لها متى رجعت إلى هويتها من غير حاجة إلى الاستعانة بالحواس آنفاً . كصورة الكواكب في ذاتها وكيفيتها إذا أدركتها من جهة البصر استغنت بتلك الرؤية عن رؤية ثانية بحصول الصورة في ذاتها وانحفاظها بقبولها إياها : وقامت بعد ذلك مقام الحواس بذاتها كنفس من تشمل عيناه المستغنية بما عرفته من صور ما أدركته من الذوات من جهة عينيه عن إدراك ثان ، لقبولها تلك الصورة : وكوّن تلك الصورة فيها تختص به قاءة على هيئتها من غير استحالة عنها عند إدراك ثان بالبصر .

وليس المراد في طلب الملل ورؤيته بالبصر في كل سنة وشهر أن تعرف هيئته في صورته ودقته وغلفته فحتاج في معرفة ذلك إلى البصر الذى هو الآلة

( ١ ) الصير في (لها) عائد على النفس ، وفي (ساثرها) عائد على الحواس

( ٢ ) يقصد أنها تترك ما لا تتركه الحواس ، كما أن لحواس كل منها تترك من اللوكلات ما لا تتركه غيرها .

فى إدراك مثل ذلك ، بل المراد فى طلبه معرفة هلية كونه فى المغرب أمام الشمس بعد أن كان فى المشرق بعدها ، وإدراك هلية كونه فى المغرب يتعلق بالنفس لا بالبصر إذ البصر مع ارتفاع الموانع لا يدرك إلا الأشكال والألوان فقط . ولما كان البصر لا يدرك ( إلا ) الأشكال والألوان وكان طلب الهلال لا لمعرفة لونه وشكله إذ لو كان يطلب لمعرفة لونه وشكله لكان من المحال طلبه مع حصول العلم بكيفية صورته وهيئته ولونه لما تقلم من رؤيتكم بالبصر وقيام الثقة بأنه لا يعلم ما دامت السموات والأرض وأنه لا يتغير عما يتصور من صورته بما أدرك من جهة البصر من حال التلوين فى الشكل وإضاءة جزء الحرم إلى حال التبريع فى الشكل وإضاءة كل الحرم ، ولا كان أيضا طلبه لتعلق وجوب الصوم بشرط الدقة فى الحرم المضىء أو الغلظة فيه ، إذ لو كان يطلب لمعرفة دقته وغلظته لكان من المحال أن يصوم الراى إذا كان دقيقا والشرط غلظته . أو يصوم إذا كان غليظا والشرط دقته ، وكان هذا الشرط من الشكل واللون والدقة والغلظة غير موجود فى وجوب الصوم بطل (١) أن يكون تعلق وجوب الصوم بإدراك الهلال بالبصر . وإذا بطل ذلك ثبت تعلقه بإدراك النفس إياه فى كونه أمام الشمس .

إذن قد قامت الدلالة على أن الإنسان قد يعرف من جهة الاستدلال مما أدركه من النوات الجسمانية بحواسه ما لا يدركه بها ، وأن المراد فى طلب الهلال (لا) (٢) لمعرفة ذاته ودقته وغلظته فيكون العلم لا يقع إلا بالبصر . وأن تعلق الصوم برؤية النفس لا بغيرها . وأن أهل الدعوة فى أخذهم بموجب رؤية النفس فى دخولهم الصوم على منهاج قوم وصراف مستقيم .

ثم إن رؤية البصر قد يقع من جهتها الخطأ فى رؤية الأشياء على حقائقها من أعراضها فىرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا والدقيق غليظا والغليظ دقيقا . وربما لا يرى إلا من قريب أو لا يرى إلا من بعيد . ولا تكاد رؤية العلم تخطئ فيها تحيط به . والأخذ بما لا يخطئ فى قضاء الفرائض عند أولى الأبواب أحق من الأخذ

( ١ ) جواب لما فى أول الفقرة .

( ٢ ) ليست فى الأصل .



بما يخطئ فاذن أهل الدعوة المادية في دخولهم الصوم أخذوا بما لا يخطئ على بيان حقيقة .

ثم إن قول النبي ( ص ) : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته في الظاهر لا يخلو من وجهين :

إما أنه ( ص ) أراد بقوله ذلك أن يكون صوم الأمة من وقت رؤية الهلال عيانا كقول المخالفين .

أو يرى الهلال والأمة صائمة كقولنا .

فإن كان النبي ( ص ) أراد أن يكون صوم الأمة من وقت رؤية الهلال بالبصر . فما معنى قوله ( ص ) « لرؤيته » ؟ وما السبب في اقتضائه ( ص ) من جميع وجوه الإعراب مع اختاره وقوله : « أنا أفصح العرب ولا فخر على اللام دون الحروف الأخرى التي هي تستعمل في الإعراب ؟ وهل كان استعمال النبي ( ص ) في هذا الموضع بقوله : « لرؤيته » من دونها إلا لأن تكون الأمة صائمة عند رؤية الهلال بالبصر ؟ وذلك أن المعنى في اللام المستعمل والمراد فيه أن يكون الفعل متقدما على المفعول له مثلما يقال لجماعة : أصالحوا الشيء القلاني لحبي فلان . بمعنى أن يكون الشيء مصلحا وقت مجيئه . ومثلما يقال : أنقوا نقاء فلان شعرا تفرغونه عليه بمعنى أنهم يلقونه والشعر مؤلف مقول . لا أنهم يؤلقونه من وقت لقائه . ومثلما يقال اعملوا للآخرة بمعنى أن تقدموا العمل قبل حين الآخرة . فعلوم أن في الآخرة لا عمل (١) .

فاذن بهذه الشواهد قد صح أن حرف اللام لم يستعمل إلا لأن يكون القوم صائمين عند رؤية الهلال عيانا .

وإن كان مراد النبي ( ص ) أن يرى الهلال والأمة صائمة فهو ما قلناه وأثبتنا البرهان عليه .

فان عارضنا معارض فقال : ما تتكرون أن يكون اللام من قول النبي ( ص ) : ( لرؤيته ) كاللام من قول الله عز وجل : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » (٢)

( ١ ) هذه اللام لما علة صان منها إنشادة من ( بعد ) راجع لانتقال ١ - ١٧٠ .

( ٢ ) الإسراء : ٧٨ .

يجب تقديم الصوم على الرؤية ، كما لا يجب تقديم الصلاة على دلوك الشمس .  
 قلنا : إن القول في ( لام ) قول الله عز وجل : لدلوك الشمس كالقول في ( لام )  
 قول النبي ( ص ) : « لرؤيته »<sup>(١)</sup> وذلك أن دلوك الشمس زوالها من قبة السماء  
 على ما فسر : وإدراك الزوال إدراكان : إدراك نفساني وإدراك طبيعي . والإدراك  
 النفساني يتقدم على الإدراك الطبيعي ، وذلك أن زوالها بالحقيقة في قبة السماء لا تدركه  
 إلا الرؤية النفسانية من جهة العلم ، لأن الرؤية الطبيعية تضيق عن إدراكه إلى أن  
 تفارق<sup>(٢)</sup> نقطة السمت هابطة<sup>(٣)</sup> ، وتحصل من نقاطها في المبط عند تقاطع خط  
 الدائرة والخط المستقيم على ما بيناه في هذه الصورة ليعاين ، فحينئذ يدركه  
 الحس<sup>(٤)</sup> لأن حركة الشمس وظلها إنما يقع تحت الحس بارتفاعها في الدائرة عند  
 طلوعها من مشرقها وهبوطها فيها إلى مغربها . فإما كان لها ارتفاع وهبوط فالحس  
 يدرك انقباض الظل وزيادته : وإذا حصلت في السمت حيث لا ارتفاع<sup>(٥)</sup> لها وهي  
 إلى الزوال والمبوط فالحس بكل عن إدراك سيرها وحركتها ، لأنها قد حصلت  
 في السمت عند الزوال بحيث تخفى حركتها عن الحس وتغيب عنه ، فيقدر من لا علم  
 له أنها قد وقفت ، وإنما خفي ذلك عن الحس ، لأنها قد سامت الموضع الذي هي  
 منه في أبعد بعد علوا عليه . وصارت حركتها في ممرها في السمت من خط الدائرة على  
 خط مستو منها حيث يماس سطح خط الدائرة الخط المستقيم : وهو من موضع  
 خط ( أ ل ف ) الدائرة مكان تقاطع خط الدائرة والخط المستوي من الجانب الشرقي  
 إلى خط ( ج ) من الجانب الغربي<sup>(٦)</sup> ، فلا يتبين للحس انتقاص الظل وزيادته ،  
 إذا انتقاصه وزيادته إنما يكون بالارتفاع في العلو والمبوط ، وليس هناك للشمس  
 ارتفاع ولا هبوط ، بل هي في خط مستوي .

( ١ ) لام لدلوك بمعنى ( بعد ) : الاتفاقان ١-١٧٠ .

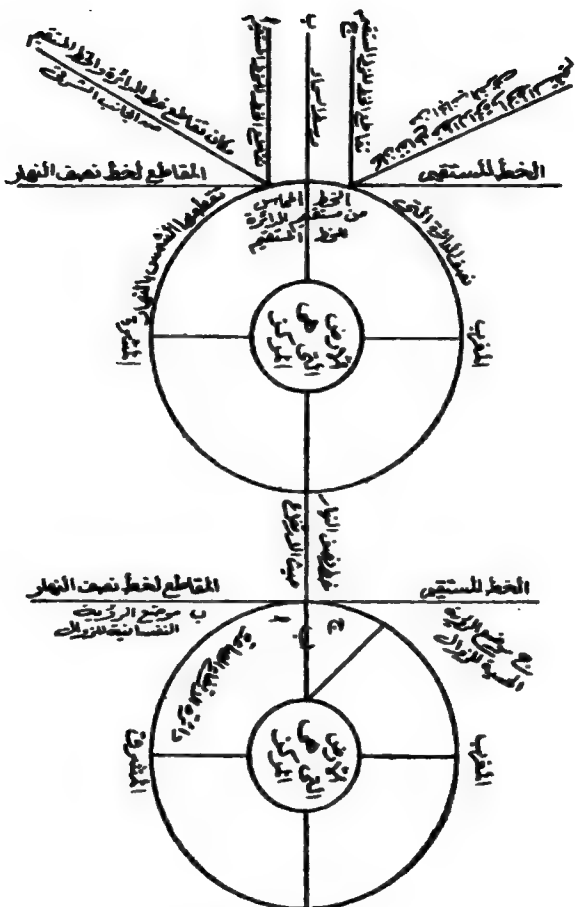
( ٢ ) في الأصل : يفارقة والتفسير راجع إلى الشمس .

( ٣ ) في الأصل : هابطة .

( ٤ ) يقصد الزوال .

( ٥ ) أي حيث لا تأخذ في الارتفاع بعد ذلك ولكنها تبدأ في الزوال ثم المبوط .

( ٦ ) في الأصل : جانب المغرب .



هذه الصورة في نسختها أخرى

فإذا كان ذلك كذلك فالزوال الحق الذي يجب به الصلاة عند حصول قرص الشمس من خط الدائرة في خط (ب) المرتى بالرؤية النفسانية الذي هو علامة خط النصف مما يقطعه بالنهار ، لا عند حصولها في خط (ج) المرتى بالرؤية الطبيعية الذي هو أكثر من النصف ، فإن من وقت بلوغها خط (ب) يتأخذ في الهبوط وإن كان حسنا ليس يدرك ظلها ولا حركتها بمكانها وحصولها في خط مستو ، ولا يتبين ذلك للحس إلا بعد حصولها في تقاطع خط الدائرة والخط المستوي .

فإذا كان الكلام في (لام) « للوك الشمس » كالكلام في (لام) « لرؤية » وجب أن يكون الظل إذا جاء فالصلى في صلاته كما أن الملأل إذا أهل وأدركه الحس فالصائم في صومه ، ليكون أحوط في أداء القرائض . وهذه الشواهد قد بطلت معارضته (١) .

فإذا قال قائل : إذا كان الأمر على ما ذكرته وكان الصوم يلزم بالرؤية النفسانية بما أوردته ، فما معنى قول النبي ( ص ) : « فإن غم عليكم فعلموا ثلاثين يوما ؟ وهل ذلك إلا إيجاب رؤية العين ؟ قلنا : إنا وإن كنا قد أثبتنا رؤية نفسانية بما أثبتنا من الشواهد ، وأنها أشرف وأحرى في الأخذ بها في أداء القرائض فما دفعنا حكم (٢) رؤية العين ، لأن هاتين الرؤيتين أصلا في أداء القرائض وأحدهما أفضل من الآخر ، والأفضل للخاصة الذين (٣) يقتضون بعلمهم على غيرهم وهم أولو العلم ، والآخر للعامة (٤) الذين يلزمهم بجهلهم اتباع أهل العلم ، وهم العروة من القهم :

والحال بين الرؤيتين مثل وقى الصلاة الذين أولهما أفضل من الآخر ، ومثل الأمور كلها بأنها أمران خفي وظاهر ، فالخفي لا يعرفه إلا الخواص والظاهر يعرفه الخواص والعامة جميعاً ، ويلزم الخواص القيام بلوازم ما قد علموا كما يلزم العامة القيام باللوازم مما عرفوه .

وإذا كان ذلك كذلك فما تنكر أن يكون العالم بفضل علمه يلزمه الصوم بالرؤية النفسانية الخفية ، والجاهل يلزمه اتباع العالم في ذلك ، كما أن المتصحر العالم بعلمه الخفي

( ١ ) هذه مناقلة وانسنة .

( ٢ ) في الأصل : فادفعنا رؤية حكم رؤية العين .

( ٣ ) في الأصل : الأفضل للخاصة التي .

( ٤ ) في الأصل : لعامة .

يعلم أن الفجر قد طلع ، ويحرم عليه الأكل والشرب والنكاح ، ويلزمه الصوم ، وعلى المتسحر الجاهل بالفجر الاعتناء بالعالم في ذلك .

وقول النبي ( ص ) : « فان غم عليكم فملوا ثلاثين يوماً ، لا يكاد يصح عند الاعتبار أن مراده ( ص ) رؤية العين . وذلك أن الصوم برؤية البصر مع ارتفاع الموانع من محاب وغيره لا يكاد يكون أبداً ثلاثين يوماً ، فقط يكون تسعة وعشرين يوماً .

وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون النبي يحمل أمته في أمر من أوامر الله تعالى على قاعدة قد يحدث فيها شك ، فتكون علة لزيادة في فريضة أو قصر منها . وتصير أمته في أداؤها في عشاء ، ولا أن يأمر أمته بصوم يوم زائد في شهر من الشهور الناقصة بحدوث غيم ، لو لم يكن (١) لكان يعلم أن ذلك اليوم يحرم الصوم فيه ويجب (٢) الإظهار ، لأن الصوم عبادة الله : وهو من الدين الذي يبان الله به . والعباد مأمورون بالإخلاص فيه بقول الله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (٣) » . والإخلاص غير الشك والشبهة (٤) .

وإذا كان الإخلاص غير الشك والشبهة . وكان الشك والشبهة قد أخطأ بهذه القاعدة فنقول : إن النبي ( ص ) لم يدع أحداً من الناس في عبادة الله إلى الشك ، ولا إلى ماعنه تقع الشبهة . وإذا كان النبي ( ص ) لم يدع إلى الشك والشبهة ، فافقده من أيام الشهر على الأكل والتم من دون الانقاص والأقل مع جواز كون أيام الشهر أن يكون ناقصاً بموجب رؤية البصر : ووقوع الشك فيه لم يكن إلا للدلالة على رؤية النفس التي لا تزيد أعتادها ولا تنقص ، والحث على الأخذ بما دعا الله تعالى إليه من إكمال العلة بقوله : « وتكملوا العلة » .

ثم نقول : من أين الثقة لقرنوم الذين يكون صومهم عند حلول غيم ومانع على موجب ذلك بأن اليوم الذي علوه من رمضان أو من شعبان بغيره يكون في

( ١ ) أي الغيم .

( ٢ ) ليست موجودة في الأصل .

( ٣ ) الآية : هـ .

( ٤ ) في الأصل : والإخلاص له الدين ، والإخلاص غير الشك والشبهة .

السماء هو كما علوه وحسيوه ؟ وذلك اليوم بعينه عند قوم آخرين مثلهم من ملهمهم في الأخذ بروية البصر بخلافه بارتفاع الموانع عندهم من صحاب وغيره مثلاً يكون مثلاً بكرمان غيم فيكون صومهم بخلاف صوم أهل شيراز الذين لا يكون مثلاً عندهم غيم . ولو جاز أن يكون وقت الصوم في أهل إقليم واحد يتفاوت حتى إنه يجب على قوم الصوم في يوم وعلى قوم آخرين في غد ذلك اليوم لحاز أن يكون وقت الصلاة أيضاً في أهل بلد يتفاوت<sup>(١)</sup> حتى تكون الصلاة الواحدة تلزم واحداً في وقت<sup>(٢)</sup> ، ويكون تلزم تلك الصلاة بعينها آخر في وقت آخر .

ولما كان ذلك غير جائز ، إذا الصلاة إذا جاء وقتها لزم الأمة إقامتها ، أقامها من أقام ، وتركها من ترك ، لزم الصوم أيضاً الأمة إذا جاء وقته صامه من صام وأطهر فيه من أظفر .

وإذا كان ذلك كذلك فقول النبي ( ص ) ما قاله دلالة منه ( ص ) - حين علم أن الخطأ قد يقع في روية العين - على ما<sup>(٣)</sup> يقع فيه الخطأ من روية النفس التي هي العلم ، وعدتها التي هي من قضايها المتلوب<sup>(٤)</sup> إليه من إكمال العدة .

ثم إن قول النبي ( ص ) : « فان غم عليكم فعلوا الثلاثين يوماً » يقضى في دخول الصوم أن يكون العد من أيام شعبان ، وفي الخروج منه بالإنظار أن يكون العد من أيام رمضان .

ومعلوم أن العد غير ممكن إلا بحصول أعداد ومعرفة بأولها ، ثم معلوم أنه قد يقع في الأكثر أن لا يرى الهلال في أوائل الشهور لموانع تمنع البصر عن رؤيته خاصة في الموانع الكثيرة الهواء مثل طبرستان ، وجيلان والسواحل وجزائر البحر . وإذا كان ممكناً أن لا يرى الهلال في أول شعبان بالعين ، ولا يرى لعارض يقع ولا يعلم أوله ، فكيف يعد منه ، أم كيف يعد من رمضان ثلاثون وأوله لم يتحقق ؟

( ١ ) المقارنة بالصلاة هنا لا موضع لها .

( ٢ ) في الأصل : يوم .

( ٣ ) يقصد بقول النبي هنا الحديث المتقدم والآق بعد ذلك ( فان غم ) وحديث هنا عن الروية

النفسية وأنها إذا وقع فيها خطأ أو عدم يقين بأعر الشهر فيكمل الشهر ثلاثين يوماً .

( ٤ ) العبارة مضطربة ، وقد يكون فيها سقط . وعلى أية حال ففرغه منها أن عجز الحديث يؤكد

أيضاً أن الروية النفسية هي المرادة .

وحمل هذا الخبر على أن المراد فيه رؤية العين يقتضى أن يكون النبي ( ص ) قد أوقع أمتهم في الخلاف ، ودعاهم إلى مالا استطاعة لهم فيه من عد أيام شهر لا يعلم أوله ، ولا يرى الحلال فيه والله تعالى يقول : « لا يكلف الله قسراً إلا وسعها » . ( ١ )

ولما كان ذلك غير متوهم في النبي ( ص ) ، وهو منزّه عنه ، متفلس من أن يكلف عباد الله مالا يستطيعونه ، وأن يوقعهم في الخلاف وجب أن يكون الخبر « فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوماً » غير صحيح ( ٢ ) . أو إن كان النبي ( ص ) لو قد قاله فالواجب أن يؤخذ بالوجه الذى يصح ويحسم مادة الشناعة دونه لا غيره : وإذا كان ذلك واجبا ، وكانت الشهادات قد قامت على أن الصحيح المتعبد إليه الخلق رؤية النفس العلمية ( ٣ ) قلنا : إن الكلام إذن أسفر عن أن المراد غير رؤية العين وأن العوام الأقلاء المعرفة عليهم الاتباع ، وبطلت المعارضة في ذلك .

ثم تقول : وأى شيء من الشريعة التى جاء بها محمد ( ص ) مما هو من دعائم الإسلام جعل أمره إلى الأمة الغير المعصومة الواقعة تحت الزلل والخطأ الصلاة ( ٤ ) أم الصوم أم الزكاة أم الحج أم الجهاد حتى يكون الصوم أيضاً موكولا إليهم في طلب هلاله ومعرفة أوقاته : أليس الصلاة عماد الدين ، ووجه الإسلام ، وجميع أعمالها ( ٥ ) من تكبيرة الإحرام والقراءة والركوع والسجود والتسليم موكولا إلى الإمام القائم مقام الرسول في الصلوات بالناس من دون للمؤمنين ( الذين عليهم ) ( ٦ ) اتباع الإمام في هذه الأعمال من غير أن يتبعوا مرادهم في تقديم عمل من أعمالها أو تأخير واحد فيها ، ومن فعل منهم ذلك في تقديم أو تأخير فصلاته خلع ( ٧ ) ؟ . أليس الزكاة جبايتها إلى الإمام القائم مقام الرسول ( ص ) وكذلك تركها والعلول بها

( ١ ) البقرة : ٢٨٦ .

( ٢ ) الحديث صحيح . راجع حل سيل للثالث صحيح سلم يطلب الصوم .

( ٣ ) في الأصل : العلم .

( ٤ ) في الأصل : ألم الصلاة .

( ٥ ) في الأصل : أعماله .

( ٦ ) التكله من متعاقب .

( ٧ ) أخرج الرجل صلاته إخراجاً إذا قمعها ومعناه أن يغير كلمة وفى التهذيب من الأسمى . الخلع القمصان وأصل ذلك من خلع الفتنة إذا ألفت ولها تغير تمام الحمل ( مادة خلع في المسباح للتأخير ) .

عنه غير جائز وضررة ما يحصل منها في المستحقين إليه من دون الأمة كما كان أيام النبي (ص)، ومن أعطى زكاته غير القائم مقام الرسول (ص) فعليه قضاؤها ثانياً كما أن واحداً لو أعطى زكاته في أيام النبي (ص) غيره لكان يلزمه أن يؤديها ثانياً إليه ، لوضعه إياها غير موضعها ؟ . أليس الحج لا يتم إلا بالإمام الذي يتسلم على الجماعة فيلزمهم أن يتبعوه فيما يفعله من المناسك ، ومن يفرد بتقديم أحد المناسك على الآخر أو (١) تأخيرها فحجه خلع ؟ . أليس تدبير الجهاد في سبيل الله إلى التتول (٢) لأمر المسلمين المجاهدين في حفظ نظامهم ، وجمع شأنهم ، والتقدم بهم في القتال ، والرجوع وطلب المصالحة في المدة والقتال ، وعلى الأمة المجاهدة اتباع منه (٣) بأمر الله من دون اتباع أهوائهم في الصلح والقتال . ومن فعل شيئاً من ذلك بغير أمره ، وسفك دماً بغير إذنه فهو مأخوذ به ؟

وإذا كان ذلك كذلك وكانت أصول الإسلام موكولة إلى من يحفظها وعلى الأمة أن يتبعوه فيها ، فن أين جاز لمؤلاء القوم أن يتبعوا في دخول الصوم الذي هو من الأصول أهوامهم من غير اتباع القائم مقام الرسول (ص) فيه ؟ وهل فعلهم ذلك ودخولهم الصوم باجتهادهم الذي يؤدبهم إلى إيجاب ما ليس بفريضة وترك فريضة أو عدلها سنة إلا تجرأ على الله تعالى أو خروجاً من عصمة الأمر ؟ نعوذ بالله من ذلك .

فإن قال قائل : على أصلك الذي أصلته في دخول الصوم الذي هو الاجتماع والمفارقة (٤) يجب أن يكون يوم يتفق فيه (٥) الاجتماع والمفارقة بعضه من شعبان وبعضه من رمضان ، ويلزم صوم ذلك البيض ، وهذا خلف لم يأمر به النبي (ص) : قلنا : إن النبي (ص) فرض الفرائض عن الله تعالى ، وجعل لكل فريضة منها علتين بهما تجب وتفترض : إحداهما حلة سابقة بها تصح الحلة الثانية التي تتبعها

(١) في الأصل : وتأخيرها .

(٢) في الأصل : التتول .

(٣) في الأصل : منهم ، والمقصود اتباعه .

(٤) يقصد أنه جعل الأصل في دخول الصيام مستقلاً إلى اجتماع الشمس مع القمر ومفارقتها .

(٥) أي اليوم الذي يتفق فيه الاجتماع والمفارقة .



إحدى الفرائض من الأخرى ، وهى عامة بمعنى أن تلك العلة السابقة علة لها ولغيرها من الفرائض ، فلا يؤخذ في أدائها بها إلا بالثانية . وثانيتهما<sup>(١)</sup> تالية للعامة وهى خاصا بمعنى أنها تخصص بترك الفريضة من دون غيرها ، وبها تفصل عما سواها ، وذلك مثل الصلاة الأولى التى فرضها الله فى النهار لا فى الليل ، قلنا : إن هذه الصلاة لما كانت لا تفترض إلا بالنهار والنهار علة لها سابقة عامة بمعنى أنها علة لهذه الصلاة ولغيرها من الصلوات التى تقضى بالنهار : ثم لما لم تكن هذه الصلاة تفترض مع حصول هذه العلة المتضمنة التى هى النهار إلا عند زوال الشمس عن القبة قلنا : إن هذه علة ثانية بها تفترض ويؤخذ في أدائها ، وهى خاصة .

ومثل الزكاة التى فرضها قلنا : إن الزكاة لما كانت لا تفترض إلا عن المال فالمال علة لوجوب الزكاة ، وهى علة سابقة عامة . ثم لما لم تكن تفترض الزكاة مع حصول العلة المتضمنة التى هى المال إلا بحول الحول عليه فالحول علة ثانية بها تجب ويؤخذ في أدائها ، وهى خاصة .

ومثل الحج الذى فرضه قلنا : إن الحج لما كان لا يفترض إلا بإمكان علة له وهى سابقة عامة ، ثم لما لم يكن يجب أن يحج مع حصول الإمكان الذى هو العلة المتضمنة إلا فى اليوم الأكبر بمكة قلنا : إنه علة ثانية بها يؤخذ في قضائه ، وهى خاصة .

ومثل الجهاد الذى فرضه الله تعالى على الأمة قلنا : إن الجهاد لما كان لا يفترض إلا بحصول الخلاف وقيام منار العصيان والنكول عن الطاعة ، فالخلاف علة سابقة عامة ثم لما لم يكن يفترض الجهاد مع وجود الخلاف والنكول عن الطاعة إلا بقيام القائم مقام الرسول (ص) ورئيس القوم يقود الأمة إلى القتال ، قلنا إنه علة ثانية ، وهى خاصة .

ولما كان ذلك كذلك قلنا : إن الصوم له أيضاً علتان إحداها سابقة عامة وهى مفارقة القمر الشمس ، وثانيتهما خاصة<sup>(٢)</sup> وهى وقت طلوع الفجر الذى يجب قبله الحول فى الصوم ، فكلما أنه لم تفترض الصلاة مع كون النهار إلا عند الزوال ، وذلك وقته ، ولا الزكاة مع كون المال إلا عند حول الحول عليه وهو وقته ، ولا الحج

(١) فى الأصل وثانيهما .

(٢) فى الأصل : أحدهما سابق عام وهو مفارقة القمر الشمس وثانيهما خاص وهو .

مع حصول الإمكان إلا بمكة في اليوم الأكبر وهو وقته ، ولا الجهاد مع كون الخلاف  
إلا بالرئيس المدير القائم مقام الرسول خليفة رب العالمين وهو عماده ، كذلك الصوم  
لا يفرض مع كون<sup>(١)</sup> مفارقة القمر الشمس إلا عند التجر بدنها وهو وقته . فاذن  
بطل قوله في معارضته أن بعضه من شعبان وبعضه من رمضان ، وأنه يجب صوم  
ذلك البعض .

والذي يزيد إقناعاً بذلك مع قيام البراهين عليه من الظاهر الشهادة العظمى  
التي هي الناطقة بصدق رسول الله (ص) فيما جاء به عن الله تعالى من توازن  
ما وضعه من الشريعة والرسوم الدينية مع ما خلقه الله وفطره من الآفاق والأنفس  
المنصوص عليه بقوله : « سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه  
الحق » الذي ليس في استطاعة بشر أن يحاكيه في فعله إلا من كان لجسده في حظيرة  
القلنس نسية ، ولنفسه في قبول وحى الله تعالى تهيؤ وأهبة إذا رجع إلى التأويل الذي  
هو أحد التفسيرين اللذين أمر الله تعالى نبيه (ص) بدعاء عبده في عبادته إلهما<sup>(٢)</sup> بقوله :  
« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » التي تنقسم إلى : العمل الذي هو العبادة الطبيعية الظاهرة  
المختصة بالأبدان الطبيعية من جهة أداء الفرائض والسنن التي جاء (ع) بها المختصة بالتأويل  
الذي هو العلم : وإلى العلم<sup>(٣)</sup> الذي هو العبادة العظمى النفسانية الخفية المختصة بالأنفس  
الخفية من جهة اعتقاد الحقائق في كيفية تجريده توحيده تعالى المؤيدة للعبادة الطبيعية الظاهرة  
التي هي العمل . وذلك أن الشمس في الدعوة التأويلية جعلت في كونها أشرف  
الأجسام وأضوأها ومادة لغيرها في الضوء ، وسبباً لنشوء المواليد في علم الطبيعة ،  
وعلة يتعلق بها أسباب العلم كلها دليلاً<sup>(٤)</sup> على معرفة مرتبة النبي (ص) فكما أن الشمس  
أشرف الأجسام كلها وأضوأها فكذلك نفس الناطق أشرف الأنفس وأعلمها وكما  
أنها مادة لغيرها<sup>(٥)</sup> من الكواكب في الضوء فكذلك نفس الناطق<sup>(٥)</sup> (ع) مادة  
لأنفس البشر في العلوم الإلهية المؤيدة إلى التوحيد المحض ، وكما أنها سبب لنشوء

(١) يقصد بالتفسيرين الظاهر والباطن الذي هو التأويل . وفي الأصل : هو التفسيرين اللذين .

(٢) في الأصل : العمل .

(٣) في الأصل : دليلاً .

(٤) يقصد الشمس .

(٥) الناطق محتم هو النبي عليه السلام وله وقته للتأويل راجع مراتب المخلوق في كتاب أدب

مصر القاطنة ص ٤٠ .

المواليد في علم الطبيعة فكذلك النبي ( ص ) سب لنشوء المواليد الروحانية في علم النفس ، وكما أنها علة يتعلق بها أسباب العلم الجسماني فكذلك النبي ( ص ) علة يتعلق بها أسباب علم الدين الذي هو عبادة الله ، هذا في الجسم وهذا في النفس .

والقمر في كونه دون الشمس مرتبة وقابلا من ضوء الشمس أكثر من غيره من الكواكب ومضيئا لظلام الليل ومتوسطا في نشوء المواليد بينها وبين الشمس بالقبول والإفاضه جعل دليلا على مرتبة الأساس<sup>(١)</sup> ، وكما أن القمر مرتبة في الضوء دون الشمس فكذلك مرتبة الأساس في قبول ضياء علم الإبداع دون النبي ( ص ) ، وكما أن قبوله من ضوء الشمس أكثر من قبول غيره فكذلك قبوله من الناطق (ع) ضوء ما امتد إليه من بركات توحيد الله أكثر من غيره من القابليين ، وكما أنه مضى لظلام الليل فكذلك الأساس مبین عما جاء به النبي (ص) من الرموز المنطقية<sup>(٢)</sup> والشرعية المبسطة والأمثال المضروبة ، وكما أنه واسطة بين الشمس وغيرها في نشوء المواليد فكذلك الأساس واسطة بين الناطق وبين الأمة في نشوء المواليد في علم النفس بالإفادة والاستفادة فاذن قد توازن أحوال الشمس والقمر الجسمانيين في علم الجسم مثل أحوال الشمس والقمر الروحانيين في علم الدين .

ثم نقول : إن للقمر أحوالا فنها أنه إذا اجتمع مع الشمس أضواء نصف جرمه الأعلى مما يلي الشمس وهو ما يقوله المنجمون إنه تمتد إليه قوة بها يصير إلى الكون جميع ما يكاد أن يكون من الأحداث والأكوان إلى الاجتماع الثاني تقليد أ من العزيز العليم كالوزير مثلا إذا اجتمع مع الملك فيأمر الملك من أمر المماكة مما يقوم مقامه في إمضائه إذا خرج من عنده ، وذلك كتعليم الرسول ( ص ) الأساس ( ع ) ما أراد أن يعلمه إياه ليقوم مقامه في الهداية والتعليم ، واستفادة الأساس منه أيامه من غير أن كان يفيد قبل الإشارة<sup>(٣)</sup> ، ولذلك أشار النبي ( ص ) إلى علي بن أبي طالب ( ص ) فقال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب .

---

( ١ ) الأساس علم هو الوصي وله رتبة التأويل وهو الإمام علي رضي الله عنه واجع مراتب الحدود في كتف أدب صراطية ص ٤٠ .

( ٢ ) الذي عليه السلام لم يأت برموز منطقية ، فالقرآن الذي نزل عليه إنما نزل بلسان عربي مبين وأسانيده عليه السلام عربية ضيقة ليس فيها الغامض وكان أصحابه يسألونه أحيانا عما يحتاج إلى تحديد أو تفصيل فكان يجيبهم بما يسألون عنه سواء في القرآن أو في الحديث .

( ٣ ) يقصد غير الذي كان يفيد الوصي من النبي قبل الإشارة بالنسب عليه بالوصاية أو قبل الإشارة إليه بأنه باب علم النبي .

ومنها خفائه بعد المفارقة عن رؤية العامة من الناس بكونه تحت ضوء الشمس إلا عن رؤية أولى العلم ، وذلك كخفاء أمر الأساس — فيما يقرر له من مرتبه واقتراض طاعته بالإشارة إليه — عن أولى الجهل والعامة إلا عن أولى الفضل والاختصاص .

ومنها إعلاله وظهوره عند حصول الشمس في مغربها حتى يراه الكبير والصغير وذلك كظهور أمر الأساس بما كان من الناطق بالنص عليه واقتراض طاعته عند لزما حان انتقاله من العلم حتى عرف الصغير والكبير .

ومنها أنه لا يكون له ضوء بالنهار بحصول قرص الشمس فوق الأرض إلا بعد غيوبتها وذلك كالأساس الذي لا يكون له أمر في حياة الناطق إلا بعد انتقاله من العلم .

ومنها أن يكون في بدء ظهوره ضعيفا لا يراه إلا من كان قوى البصر ويقع الخلاف في رؤيته بين الناس وذلك لضعف أمر الأساس في بدء وقته ، وحلوث الاختلاف في إمامته ، ونكول الجماعة عن التزام طاعته إلا من كان ذا إخلاص ومعركة .

ومنها ازدياد ضوئه على مرور الأيام وذلك كاستعلاء أمر دعوته وفشائه إمامته في الناس على قصرم الأعوام .

ومنها استكمال ضوئه عند مضي الأربعة عشر يوما منه فبإياه الصغير والكبير ، ولا يشك في رؤيته ، وذلك كاتهاء ضوء إمامته إلى الأمة قاطبة عند مضي الثاني السبعة في آخر الدور فلا يشك أحد حينئذ في إمامته وتقدمه .

ثم إيجاب أهل العلم والإيمان اليوم الذي يكون في الاستتار بعد المفارقة من الشهر المستقبل (١) كاستغراض من كان ذا إيمان صحيح بما عرفه من إشارات النبي (ص) على الخصوص طاعة أمير المؤمنين قبل أن ينص عليه في الظاهر على العموم ، وإيجاب أهل الجهل والعامة ذلك اليوم المقترض صومه من الشهر الماضي الغير المقترض صومه بقلة معرفتهم وإخلالهم بصومه إلى أن يروا الهلال بالدين كإيجابهم على الأساس

(١) في الأصل : للمستقل ويقصد اليوم الذي لا يرى فيه الهلال ، ولكن يجب — حسب منبههم — من رمضان .

المقتضى طاعته كمثل غيره ممن لم تقتض طاعته لا بإشارة ولا بنص ، وإخلالهم بطاعته جهلا منهم بوجوبها عليهم إلى أن تظهر لهم حقيقة إمامته<sup>(١)</sup> .

فشهر رمضان من بين أشهر السنة أشرفها وأعظمها خطراً وهو الأساس المقدم على غيره من الأصحاب الذى شرف بمرتبة البيان والتأويل الذى هو العلم ، ودل عليه بالإشارات. وهو مجمع لهم جميع ما جاء به النبي (ص) عن الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ليكون دلالة عليه . فإنا قد علمنا أن القرآن نزل فى ثلاث وعشرين سنة لا دفعة واحدة فى شهر رمضان بل كل يوم وشهر وستة . وحمل الآية على ظاهر اللفظ بوقوع الخلاف ، ولحل ذلك احتج إلى التأويل ، ليصح قول الله عز وجل وقول الرسول (ص) . ولزوم صومه واقتراضه عند رؤية الهلال من جهة النفس لأهل العلم أولاً ، ومن جهة الحس لأهل الجهل آخرًا كاقتراض طاعة الأساس عند ارتقاء<sup>(٢)</sup> النبي (ص) إياه إلى هذه المرتبة ودلالته عليه بالإشارات — على أولى العلم والمعرفة أولاً ، وبالنصر والتوقيت على العامة آخرًا ، وكوجوب الإمساك عن الترخيص فى المفاتحة والتعليم مع كونه مقدمًا على الجماعة ، ولذلك قال تعالى : « لا ترفضوا أصواتكم فوق صوت النبي » معنا للجماعة عن التعلد إلى ما يخرج<sup>(٣)</sup> حكم الله ويفضيه ولا يوسمه من التقدم على الرسول فى وقته وعلى الأساس والقائم مقامهما فى حينهم ليتبين الإمام من المأموم والرئيس من المأموس .

ثم قال : « فنشهد منكم الشهر فليصمه » وذلك إشارة من الناطق للامة التابعة له فى اتباع الأساس وفى الإنصات لقوله بمعنى<sup>(٤)</sup> أن من حضر مجلس الأساس فى علم الظاهر والباطن فليصمك ، فهو الممنوح المتبوع المشرف المقدم المقصود إليه أمر الدين لا غير ، وذلك دليل على أن الصوم قد كانوا قبل اقتراض طاعته يفاوضون فى باب الدين والعلم كيف أرادوا فتنوا عن ذلك ، كما أن قبل الصوم

---

( ١ ) ربط بين إيجابهم صوم اليوم الذى يحكم طمهم أو رؤيتهم النفسية بأنه من رمضان قيل للرؤية البصرية وبين التصديق بوصاية على قبل أن ينص النبي على وصايته حسب مقتضى فى الوصاية .

( ٢ ) كذا فى الأصل : والصواب ترقية .

( ٣ ) فى الأصل : يخرج وهو تحريف .

( ٤ ) فى الأصل : بمنى وهو تحريف .

ووجوبه كانوا يأكلون كيف أحبوا ففتحوا عنه باقتراض الصوم ، وذلك كأمير النبي ( ص ) في باب النكاح فقال : لانكاح إلا بولي وشاهدين ، البال على أنه قد كان يكون النكاح بلاولي ولاشاهدين وهو المنة ، كيف أحبوا في أول الإسلام ففتحوا عنها بذلك ( ١ ) .

ثم قوله : « فن كان منكم مريضاً أو على سفر فعلة من أيام آخر ، هو استثناء من جملة من شهد الشهر ، بمعنى أنه قد اقتضى على الناس كلهم إذا حضروا مجلس التأويل المنسوب إلى الأساس السكوت إلا من كان كلامه على سبيل الاستفادة من شاك ومتعلم ، ثم يلزم السكوت من بعد على الرسم إذ كان حضور ذلك المجلس هو الصلاة التضامنية العلمية ، وواجب أن يستعمل فيها ما يجب في الصلاة العلمية من الآداب والسنن وإقامة الأحكام . وقد أوردنا في الرسالة الحاوية من ذكر الصوم أيضاً طرفاً على شرح وإيضاح بقدر ما تنهى إلينا من الفوائد من جهة ولي الله ( ع ) .

وأما شهر رمضان سنة أربعمائة واثنا عشر دخول أهل الحق في صومه قبل رؤية الخلال بالعين يبرهن مع المتعلم أنه لم يكن فيما مضى من التفاوت بين صوم أهل الحق وصوم أهل الخلاف إلا يوماً واحداً فالأمر - لعمرى - يشبهه إلا على العقلاء وذلك أن الاجتماع الكائن في شهر رمضان اتفق في ليلة الثلاثاء برؤية البصر لاستملاء الضوء على جرمه ، فإنه كان منها في وقت غروبها على ست درج ودقائق ، وعلى مثل هذا البعد الذي هو نصف جرمه الأعلى لا يلحقه البصر لحصوله تحت الشعاع المانع للبصر عن عمله ، فلم يجز الإفطار في ذلك اليوم الذي كان القمر من الشمس في آخره على مثل تلك الدرج ، فلو أفطر لكان الذي يمكن أن يصام من شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً ، لأن الاجتماع للشمس والقمر لشهر شوال كان ليلة الأربعاء على ساعتين ودقائق منها فكان يوم الأربعاء يوم العيد المحرم صومه ، ولكان الإخلال بفريضة من الفرائض قد وقع إذ شهر رمضان ثلاثون يوماً من غير نقصان يقول المولى ( ع ) : « ماتم شعبان ولا تقص رمضان ( ٢ ) » .

( ١ ) إشارة إلى تحريمهم نكاح المنة .

( ٢ ) للتوיד الشيرازي لورده على أنه حديث في المجلس ٤٢ من المائة الأولى من المجالس المزيبية .

ولكن ورد في الأحاديث الصحيحة أن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوماً ( صحيح مسلم باب الصوم ) وليس شرطاً أن يكون رمضان ثلاثين يوماً عند أهل السنة . وقواعد وحد الفلك تؤيدهم .

وأدلّ الدليل على صحة دخولنا الصوم من يوم الاثنين قول النبي ( ص ) :  
يوم صومكم ويوم نحركم يوم واحد ، ولنحر بالحرّم يوم الاثنين العاشر من ذي  
الحجة ستة أربعمائة على موجب رؤية العلم وهو التاسع منه على موجب رؤية العين ،  
والأمر على ذلك مستمر في كل عام كما قال ( ع ) من غير خلاف يقع .

فإن قال قائل إن ما أوردته من حديث الشمس والقمر والدرجات والبعد  
والساعات ، وجعلته حجتك ودليلك هو من علم النجوم ، وقد نبى النبي ( ص )  
عن الأخذ به والنظر فيه ، قلنا : كيف صار الاستدلال في تحقيق وقت الصوم  
ومعرفته من طريق الشمس والقمر اللذين هما علة الشهور والسنين ، ولا يكون  
ذلك إلا بحركتهما ومسيرهما واجتماعهما واقتراقهما لنا منها ، والاستدلال في  
تحقيق القبلة وأوقات الصلاة ومعرفتها التي هي مثل الصوم بكونه من دعائم الإسلام  
من طريق منازل القمر وارتفاع الشمس بالمقائس التي نصبوها لكم مأثوراته ؟  
وهل ذلك إلا قسمة ضيزى ؟

هذا ولم يكن نبى النبي ( ص ) عن ذلك إلا للإلحاد وذلك أن من ابتدأ طلب  
العلم بتعلم علم النجوم من غير أن يتعلم العلوم الدينية الشرعية<sup>(١)</sup> أداه ذلك إلى الإلحاد  
على ما عليه اعتقاد أصحاب بطليموس والفاثلين بالهيئة : فأما من تعلمه<sup>(٢)</sup> العلوم  
الدينية الشرعية فالمعرفة بكيفية الأفلاك والكواكب فيها ركبت له تزيد النفس في  
توحيد الله تعالى إيماناً<sup>(٣)</sup> ويكسب تصورها في وحدانيته إيماناً ، ولذلك قال تعالى :  
« نخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون<sup>(٤)</sup> »  
وقال : « سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق<sup>(٥)</sup> » وليس  
الآفاق إلا السموات والأرض وما فيها .

( ١ ) يقصد أن من ابتدأ طلب العلم بتعلم علم النجوم من غير أن يكون قد سبق هذا العلم بتعلم  
العلوم الدينية الشرعية أداه ذلك إلى الإلحاد .

( ٢ ) كذلك في الأصل : وهو يقصد فأما من بدأ بالعلوم الدينية الشرعية قبل علم النجوم فإن تحصيله  
لهذا العلم حيث يزده مرة بتوحيد الله .

( ٣ ) وهذا ما كان يصح به للمزائين الله . راجع المجالس والمسائرات ٥-٤ ، ١٥-١٠ ، ٢٠ ،

١٠ ، ٢١-١ ، ٢٥-٢٠ ، ٢٧-٣ .

( ٤ ) غافر : ٥٧ .

( ٥ ) فصلت : ٥٣ .

ثم لو كان الأمر على ما قالوا لما أقسم الله تعالى بالنجوم ، ولما وصفها بالدلالة على وحدانيته في كتابه بقوله تعالى : « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمرأ منيراً »<sup>(١)</sup> ولما أقسم فقال : « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه نعم لو تعلمون عظيم »<sup>(٢)</sup> وقال : « فلا أقسم بالجنس الجوار الكائن »<sup>(٣)</sup> وقال : « فالمدبرات أمراً »<sup>(٤)</sup> وقال : « والسماء ذات البروج »<sup>(٥)</sup> وقال : « وأشمس وضحاها والقمر إذا تلاها »<sup>(٦)</sup> وقال : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب »<sup>(٧)</sup> فأى متقبة أجل من معرفة ثمرات الكواكب في دوائرها ومواضعها في أوجاتها وحضيضها الناطقة بصحة ما أسسه الله تعالى من دينه الشاهد بصدقه قول النبي ( ص ) فيما جاء به عن الله تعالى ؟ أم أى علم أجل بعد التوحيد ومراتب الخلود ومن علم ما يحدث بانتقالات الكواكب في أبراجها جنوبا وشمالا واتصالات أنوار بعضها ببعض في علم الكون والفساد من ظهور المواليد وغيرها من الحوادث للدلالة على — مراتب أولياء الله ؟ فهل تستوى الظلمات والنور أم هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ؟

فقد صح إذن بما أوردناه من الشواهد الظاهرة وباطناً أن الرؤية رؤيتان ، وأن الأخذ بالأفضل منهما في أداء القرائن أولى ، وللهي ( ص ) في استماله حرف اللام بقوله : « الرؤية » هو الدلالة على رؤية العلم الذي يوجب أن يكون القوم صائمين عند رؤية الهلال بالبصر من دون غيره .

فاعرف — أعانك الله على طاعته وطاعة أوليائه — معاني ما أوردته ، واستعن

(١) القرآن : ٦١ .

(٢) الواقعة : ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) التكوين : ١٥ ، ١٦ .

(٤) النازعات : ٥ .

(٥) البروج : ١ .

(٦) الشمس : ١ ، ٢ .

(٧) يونس : ٥ .



بالله في جميع أمورك وتقرب إليه باخلاص النية والطوية في عبادته وطاعته وطاعة أوليائه ، فنعم المعين على ما يراد معرفته من الحقائق ، واشكر الله تعالى على النعمة الواصلة إليك من جهة أمنائه .

وبعد فقد ختمت الرسالة بالحمد لله العلى الأعلى وبالصلاة على النبي محمد المصطفى والولي على المرتضى والأئمة الطاهرين أقطار الدجى وإمام الزمان مولانا وهادينا وولى نعمتنا المنصور أبى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وبالسلام والتحيات الطيبات عليهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وإياه نسأل أن يثبتنا على طاعته وطاعة وليه وينور عقولنا بجمته وقلوبه إنه خير مسئول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين

والسلام

تمت

## مراجع التحقيق والدراسة

- ١ - ابن كثير تفسير القرآن العظيم . دار الشعب
- ٢ - تميم بن المعز ديوان تميم . بتحقيق لجنة من دار الكتب المصرية وأعاد نشره محمد حسن الأعظمي . دار الثقافة - بيروت ١٩٧١
- ٣ - ثقة الإمام المجالس المستنصرية بتحقيق محمد كامل حسين دار الفكر العربي ١٩٤٧
- ٤ - حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمي - مكتبة النهضة المصرية ط ٢ سنة ١٩٦٤
- ٥ - السيوطي (جلال الدين) : الإتيان في علوم القرآن . الحلبي ط ٣ سنة ١٩٥١
- ٦ - المؤيد في الدين الشيرازي : المجالس المؤيدية بتحقيق محمد عبد القادر ( تحت الطبع )
- ٧ - المؤيد في الدين الشيرازي : ديوان المؤيد . بتحقيق محمد كامل حسين . دار الكاتب المصري سنة ١٩٤٩
- ٨ - المؤيد في الدين الشيرازي : السيرة المؤيدية . بتحقيق محمد كامل حسين . دار الفكر العربي سنة ١٩٤٩
- ٩ - الكرمانى ( حميد الدين أحمد ) : إزاحة العقل . بتحقيق محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمي دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣
- ١٠ - محمد علي السائيس : تحديد أوائل أشهر القمرية . مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢
- ١١ - محمد كامل حسين - : في أدب مصر الفاطمية . دار الفكر العربي سنة ١٩٧٠

١٢ - محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية في مصر : مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩

١٣ - مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم بشرح النووي : دار الشعب

١٤ - المقرئ ( تقي الدين ) : إعطاء الحقائق ج ٢ بتحقيق محمد حلمي محمد أحمد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١

١٥ - النعمان بن محمد : دعائم الإسلام بتحقيق آصف علي قاضي : دار المعارف سنة ١٩٦٩

١٦ - النعمان بن محمد : تأويل دعائم الإسلام بتحقيق محمد حسن الأعظمي : دار المعارف سنة ١٩٧١

١٧ - النعمان بن محمد : المجالس والمسايرات بتحقيق محمد عبد القادر ( تحت الطبع ) .

## فهرس الموضوعات

### (أ) في الدراسة :

صفحة :

١	روية الملال بين الفاطميين وأهل السنة
٣٠٢	قول الفاطميين بأنها علمية وأن حديث الرؤية خاص بطرف معين
٤	القول بالرؤيتين البصرية والعلمية
٩-٤	يده شهر الصوم وعدد أيامه عند الفاطميين وتتم ذلك تاريخيا
١٠	اختلاف الفعاة الفاطميين في تأويل النصوص الخاصة بالصوم
١٢	الرسالة اللازمة ومكانة مؤلفها في السورة وزمان ومكان تأليفها
١٥-١٣	محتوياتها وأهميتها في موضوعها وأسلوب كتابتها
١٦	طريقة التحقيق ونسبة الرسالة إلى صاحبها

### (ب) في نص الرسالة :

١٨	الدافع إلى التأليف وموقف المؤلف من مخالف منعه
١٩	وجوب الصوم
٢٠	موقف المؤلف من حديث الرؤية
٢٣-٢١	الرؤية البصرية والرؤية العلمية
٢٦-٢٤	فضل النفس على الحواس
٣٠-٢٧	رأى المؤلف في وقت الزوال وتوضيحه ذلك بالرسم
٣٢-٣١	حيوب الرؤية البصرية في نظر المؤلف
٣٣	أمر الصوم خاص بالإمام
٣٥-٣٤	رأى المؤلف في تحديد الصوم واستماتته في ذلك يعلم الفلك
٣٨-٣٦	تأويل الشمس والقمر بالتقوى والوصى
٤٠-٣٩	تأويل شهر رمضان ، والنص القرآني الوارد في الصوم
٤١	موقف المؤلف من حديث التهي عن التنبؤ
	الرؤية العلمية أفضل من الرؤية البصرية ، ولا يصح الأخذ بالمتفول
	مع وجود الأفضل ، والتلميح بذلك إلى ولاية أبي بكر وعمر وعثمان مع وجود
٤٢	حل .
٤٣	الخاتمة
٤٤	مراجع التحقيق والدراسة
٤٦	الفهارس

## فهرس المصطلحات

### والألفاظ ذات الدلالات الخاصة عند الفاطميين

إضاءة ٢٦٠٢٣	آداب ٤٠
احتقاد ٤١٠٣٦	الآراء ١٨
الأعداد ٣٢	الآفاق ٤١٠٣٦
الإعراب ٢٧	أبدع ٢٥
أعنى ٤٢   أعنى القلب ٢٠	أبراج ٤٢
الإفادة والاستفادة ٣٧	اتصالات ٤٢
افتراق ٤١-١٩	اجتماع ٢٢
افتراض ٤٠ افتراض ٣٩ ٤٠٠	اجتهاد ٣٤
أفطر ٣٢٠٢٧ إظهار ٤٠٠٣١٠٢٤	احتجاج ٢٤٠١٩
إقامة ٤٠٠-١٩	اختلاف ٣٨٠١٩
اقتداء ٣١	إخلاص ٣١
اقتصار ٣١٠٢٧٠٢٠	إدراك ٢٦٠٢٥٠٢٣٠٢٠١٩
إقلم ٢٧٠٣٢	إدراك طبيعي ٢٨
أقمار ٤٣	إداراك نقصان ٢٨
القرام ٣٨	الأرض ٤١٠٤٠٠-٣٩٠٣٨٠٢٦٠٢٣٠١٩
إلحاد ٤١	أزواج ١٩
ألوان ٢٦٠٢٥٠٢٠٠١٩	الأساس ٣٩٠٣٨٠٣٧
الإمام ٤٣٠٣٩٠٣٢	استار ٣٨٠٢٣
الإمامة ٢٩٠٣٨	استحالة ٢٥
الأمثال ٣٧	استدلال ٤١٠٢٦٠٢٥
إسك ٢٩٠٢٢	استعانة ٢٥
الأمة ٣٩٠٣٨٠٣٧-٣٥٠٣٤٠٣٢٠٣٢٠٢٧	استراض ٣٨
أثناء ٤٣	استلاء ٣٨
أمير المؤمنين ٤٣٠٣٨٠١٨	استكبار ١٩
انتقاض ٢٨٠٢٣	الإسلام ٤٠
انتماءات الكواكب ٤٢	إشارة ٣٩٠٣٧-إشارات ٣٩٠٣٨
إنصات ٣٩	الأصوات العالة وغير العالة ٢٥

تكوير ٢٦٤١٩  
 الترخيص في المفاتيح ٣٩  
 التسليم ١٩  
 التضمين بين الشمس والقمر ٢٢  
 التملئ ٣٩  
 تملج ٣٩  
 تقاطع ٢٨  
 تقديم ٣٢  
 تنهى ٤٠  
 توازن ٣٦  
 التوحيد ٤٢٤١٠٣٧٠٣٦٠٢٠  
 الثقة ٣١٠٢٦  
 جائز ٣٢  
 جاهل ٣١٠٣٠  
 جرم القصر ٣٧٠٢٦٠٢٢  
 الجسم ٣٧-الجسماني ٢٠-الجسمانية ٢٤  
 الحياصة ٣٩٠٣٤٠١٨  
 الجهاد ٣٥٠٣٤٠٣٣  
 الجهل ٣٩٠٣٨٠٣٠٠٢٠  
 الجهالة ١٩٠١٨  
 الجوهر ١٩  
 حائل ٢٤٠٢٣٠٢٠  
 حجة ٤١-حجج ١٨  
 الحلود ٤٢  
 حسد ١٩  
 الحس ٢٨٠١٨  
 حصول المرفة ٢٢  
 الحضرة الطاهرة ١٨  
 حظيرة القنص ٣٦  
 حقائق ٤٣٠٣٦٠٢٦٠٢٠٠١٩  
 حقيقة ٢٧٠٢٣٠٢٠  
 حكة ٣٦٠٢٥

أنعام ١٩  
 أهل الجهل ٣٩٠٣٨-أهل الجهالة ١٩  
 أهل الحق والإخلاص ٤٠٠١٩٠١٨  
 أهل الخلاف ٤٠  
 أهل الدعوة الحادية ٢٧٠٢٦٠٢٢  
 أهل الظاهر ٢٠  
 أهل العلم وأهل الجهل ٣٩٠٣٠  
 أهل الفرة والاختلاف ١٨  
 أهل النجوم ٢٢  
 الأهواء ٣٤٠١٨  
 أولو الألباب ٤٢٠٢٦  
 أولو الأمر ١٩  
 أولو العلم ٣٨٠٣٠  
 أولو الفضل والاختصاص ٣٨  
 أولو النهى ١٨  
 أوليا. ٤٢٠١٩٠١٨  
 إيفاض ١٨  
 إيقان ٤١٠٣٦٠١٩  
 الإيمان ٤١٠١٩  
 الباب ٣٧  
 الباطن ٤٢٠٣٩٠١٩  
 براهين ٣٦٠٢٤٠١٨-برهان ٢٧  
 بروج ٤٢٠٢٢  
 بصير ٤٢ بصيرة ١٩٠١٨  
 بنى ١٩  
 بليد ١٩  
 البهائم ١٩  
 بيان ٣٩٠٢٧٠٢٢٠١٨  
 —  
 التأويل ٤٠٠٣٩٠٣٦  
 (الدعوة) التأويلية ٣٦  
 التجريد ٣٦٠٢٠  
 تحقيق ٤١٠٣٢



التهود ٢٢

شواهد ٤٢٤٣٠٠٢٧٠٢٣

الشيطان ١٨

شعبة أمير المؤمنين ١٨

-

الصلاة ٢٣٠٣٠٠٢٨٠٢٠٠١٩

الصلاة النفسية العلمية ٤٠

الصلوات ٢٠

الصورة ٢٨٠٢٦٠٢٥

صام ٢٢ يصوم ٢٦ صوما ٢٧٠

الصوم ٢٤٠٢٣٠٢٢٠٢١٠٢٠٠١٩٠١٨

٤٠٠٢٩٠٢٦٠٢٣٠٢٢٠٢١٠٢٠٠٢٧٠٢٦٠

صوم الأمة ٢٧

الصيام ١٩

الضلالة ١٩٠١٨

القصور ٢٣٠٢٢

القضايا ٢٢

طاعة ٤٣٠١٩

طلعة الأولياء ٤٣٠٤٢

الطاهرون (وصف للأئمة) ٤٣

طلب أخلال ٢٥

طنوح ٣٥٠٢٨

طن ١٩

الظفر ٠٠٢٩٠٢٨٠٢٦٠١٩

عارض ٢٧

عالم الإبداع ٢٧

عالم الجمال ٢٧

عالم الخلق وعالم الدين ٤٢

عالم الطبيعة ٢٧

عالم الكون والفساد ٤٢

عالم النفس ٢٧

العالم ٢١٠٢٠

العالم ٢٠

العامة ٢٩٠٢٨٠٢٥٠٢٣٠٢٠٠١٨

عياد ٢٣٠١٩ عيادة الله ٢٧

العبادات الطبيعية الظاهرة ٢٦

العبادات الظنسية الخفية ٢٦

العبادات السلية ٢٦

عرة ١٨

العبد ٢٢٠٢١٠٢٢

العراة من الفهم ٣٠

العرب ٢٧

العرض ١٩

حصنة ٣٤

المصيان ١٩

النقل ٢٠٠١٨

العلم ٢٦٠٢٦

علم الظاهر والباطن ٢٩

العلم بالقلب والنفس ١٩

علم النجوم ٤١

علم الهيئة ٤١

العلوم الإلهية ٢٦

العلوم الدينية الشرعية

العلمة ٢٧٠٢٥٠٢٤٠٢٢٠١٨

عماد ١٩ عماد الدين ٢٢

العمرة ١٩

العمى - العناية ١٩

-

غنية ٢١ غنيوية غنياب ٢٨

القائرون ١٩

القنجر ٢٦٠٢١٠٢٢٠٢٠

القنراض ٤٠٠٢٦٠٢٥٠٢٤٠٢٣٠٠٢٠٠١٩

الفرق - القرقة ١٩

الفلك - الأفلك ٤١٠٢٢



## الفهم ١٨

القائم مقام النبي والوصي ٣٦٠٣٦٠٣٣

التقابلون ٣٧ ٣٧٠٢٥ ٣٧٠٢٥

قضية ٢٠ قضايا ٣٢٠٢٠

القمر ٤٢٠٣٧٠٣٥٠٢٢

القمر ( في عالم الخلق وعالم اللين ) ٣٧

## الكافة ١٨

الكواكب ٤٢٠٤١٠٣٧٠٣٦٠٣٥٠٢٣

الكون ٣٧

لازم ٢٠ لازمة ١٨

لام التحليل ٤٢٠٢٧

لوازم ٣٠

ليل ٣٥٠١٩ ليلة ٢٣

المادة ٣٦ المؤمنون ١٨

مبادئ العقل والحسن ١٨

المتبوع ٣٩

المتنصر ٣١٠٣٠٠٢٢٠٢١

التمائم بفتح اللام ٢٢

( زواج ) المتعة ٤٠

المتقدس ٣٣

مجلس التأويل ٤٠

مجمع علم النبي ٣٩

المهني ( صفة قنوحيد ) ٣٦

المخالفون ٢٤

المخلصون ٣١

مدينة العلم ٣٧

المروسي ٣٩

المروي ٣٠

المرتبة ٢٢

مرتبة الأساس ٣٧

مرحلة البيان والتأويل ٣٩

مرتبة الخلود ٤٢

مرتبة النبي ٣٦

مركز قللثة ٢٩

المسلمون ١٩

المصطفى ٤٣

معارض ٢٧ - معارضة ٣٦٠٣٠

معرفة ٢٢٠٢٢٠٢٦٠٢٢

المصورة ٣٣

مطلوب ٢٢

مطلوب ٣٢

المفاتيح ٣٩

المفارقة ٣٨٠٣٦٠٣٤٠٢٣٠٢٢

المفروض ٣٩٠٣٨

المفوض إليه أمر العيين ٣٩

مقاييس ٤١

المقدم ٣٩

مكابر - مكابرة ٢٤

المنوع ٣٩ منوع ٣٣٠٢٢

منازل القمر ٤١

مناسك ٣٤

المتجسدون ٣٧

المتنوب ٣٣٠٣٢

محرز ٣٣

المفرد ٢٠

الموالي ٤٢

الموالي الروحانية ٣٧

مواليد عالم الطبيعة ٣٦

الموالي ( الأئمة ) ٤٠

الموانع ٣٢٠٢٦

الناسية ٢٤

الناسك ٣٩٠٣٨٠٣٧٠٣٦

النحوم ٤٢٠٤١

نزول القرآن ٢٩

نشوء المواليد ٣٧

النسبة ٤٣

النقص ٤١: ٣٩: ٣٧

نقص - نقصان ٤٠: ٣٣: ٢٠

نقطة الست ٢٨

نكاح ٤٠: ٣١

نهي ٤١

النور ٤٢

النير الأعظم ٢٢

حادينا ٤٣

النهاية ٣٧

الحلال ٣٨: ٣٣: ٣٢: ٢٦: ٢٤

حلية الحلال ٢٦

هوية ٢٥

( علم ) الهيئة ٤١

واجب ٢٣ وجوب ٤٠: ٣٦

وجود ٢٥

وحدانية ٤٢: ٤١: ١٩

وحى ٣٦

الوزير ٣٧

وماعة ٢٥

ولاية الأمر ١٩

ولي الأمر ١٩

ولي الله ٤٣: ٤٠

ولي نعمتنا ٤٣

فهرس الأعلام

بطليموس ٤١

الحاكم بأمر الله ٤٣

الرسول عليه السلام ٣٩: ٣٧: ٣٦: ٢٢: ١٩

٤٠: ٤١: ٤٢: ٤٣ ( أنظر : محمد )

علي بن أبي طالب ( المرتضى ) ٤٣: ٣٧

محمد عليه السلام ٣٣: ٢٠

الذي عليه السلام ٣٢: ٣١: ٢٧: ٢٠: ١٩

٤٠: ٣٩: ٣٨: ٣٧: ٣٦: ٣٥: ٣٤: ٣٣

٤١: ٤٢: ٤٣. ( أنظر : محمد )

فهرس الأماكن

جزائر البحر ٢٢

جبلان ٣٢

الحرم ٤١

السواحل ٣٢

شيران ٢٢

طبرستان ٣٢

كرمان ٣٢

مكة ٣٦: ٣٥

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الموصول

في

### اللغات العربية والعبرية والسريانية

للدكتورة زكية محمد رشدي

استاذة اللغات السامية بآداب القاهرة

#### معنى الموصول :

معنى الموصول هو ما افتقر إلى كلام بعده يتصل به ليتم اسما . فاذا تم بما بعد كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة فيجوز أن يقع فاعلا ومفعولا : ومضافا إليه ، ومبتدأ وخبر . فنقول « نجح الذي ذاكر دروسه » فوضع الذي رفع على أنه فاعل ، ونقول « ضربت الذي قام أبوه » فوضعه نصب لكونه مفعولا ، ونقول « جاء في غلام الذي في الدار » فيكون الذي في موضع المضاف إليه باضافة الغلام ، ونقول « الذي في الدار زيد » فيكون الذي في موضع رفع مبتدأ ، ونقول « زيد الذي أبوه قائم » فيكون الذي في موضع رفع خبر المبتدأ .

#### لفظ الموصول :

١ - في العربية : الذي للمذكر المفرد ، والذات للمثنى ، والذين للجمع ، والألى واللامون في الرفع واللاتين في الجر والنصب ، والى للمفرد المؤنث واللاتن للمثنى واللاتى واللات واللاى والواتى للجمع .

أما الذي فيكون للمذكر العاقل ولغيره فتال الأول قوله تعالى « هذا الذي

بحث الله رسولا<sup>(١)</sup> ومثال الثاني قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله »<sup>(٢)</sup> .

ومنزلة الذى وحده منزلة حرف من الكلمة من حيث كان لا يفهم معناه إلا بضم ما بعده إليه فصار من مقدماته ولذلك كان لفظ الموصول مبنيا . فالموصول وحده اسم ناقص أى ناقص الدلالة . وفيه أربع لغات .

١ - الذى - بياء ساكنة وهو الأصل فيهما .

٢ - اللذ - بكسر الذال من غير باء كأنهم حذفوا الياء تخفيفاً . إذ كانت الكسرة قبلها تدل عليها وذلك كقولهم يا صاحب اجتزأ بها عن الياء

٣ - اللذ - بسكون الذال ومجازه أنهم عندما حذفوا الياء اجتزأ بالكسرة منها اسكنوا الذال للوقف ثم أجروا الوصل مجرى الوقف كما قال الشاعر .

مثل الحريق صادف القصبا . . . والتين والحلفاء فالتها

والشاهد فيه أنه لما اضطرب حرك ما كان ساكنا فى الأصل .

٤ - الذى - بتشديد الياء للمبالغة فى الصفة كما قالوا أحمري وأصغري وكما قيل الدهر بالإنسان دوارى . وجاء فى القاموس ( والدهر دوارية ودوارى دائر ) .  
أصل الذى :

يذهب البصريون إلى أن أصل الذى هو لذ كسم وشج فاللام فاء الكلمة والذال عينها والياء لامها .

ويذهب الكوفيون إلى أن أصلها الذال وحدها وما عداها زائد . فاصل الذى كاصل هذا . وهذا عندهم أصله الذال وحدها فجوهرهما واحد وإنما يفرقان بحسب ما ينفتحهما من الزيادات المختلفة لاختلاف معنيهما واحتجوا بذلك بأن قالوا رأينا الياء تسقط فى التثنية نحو قولك اللذان والذين .

وذهب بعض النحويين إلى أن الألف واللام فى الذى زائده للتعريف كما فى

(١) سورة الفرقان آية ٤١ .

(٢) سورة الاسراء آية ١ .

الرجل والغلّام ، والذي عليه المحققون أنهما زائدتان والمراد بهما لفظ التعريف لا معناه .

ورأى ( ابن يعيش ) أنها ليستا لمعنى التعريف ، ويدل على ذلك بقوله .

١ - إن الألف واللام في الموصولات زيادة لازمة ولام التعريف لا نعرفها جاءت لازمة ، بل يجوز اسقاطها نحو الرجل والغلّام ورجل وغلّام . ولم نجد أنهم قالوا لذ كما قالوا غلّام فلما خالفت ما عليه نظائرها دل على أنها زائدة لتعريف معنى التعريف كما يزداد غيرها من الحروف .

٢ - كثير من الأسماء الموصولة معرفة من الألف واللام وهي مع ذلك معرفة وهي من وما وأى نحو قولك « ضربت من أخطأ » « وأخذت ما أعطيتني » « ولذكر من أتهم في الدار » .

فكل هذه معارف ولا ألف ولام فيها كما كانتا في التي وإنما تعرفها بما بعدها من صلاتها ، وإذا ثبت أن الصلة معرفة لم يكن الألف واللام فيها دخلا فيه من الموصولات معرفة أيضاً لأن الاسم لا يتعرف من جهتين مختلفتين وإذا ثبت أن الألف واللام لا يفيدان هنا التعريف كانت زيادتهما لضرب من اصلاح اللفظ .

وتوجد بالإضافة إلى التي أدوات أخرى استعملها العرب مثل ذو : فان قبيلة طيء تقول « هذا ذو قال ذاك » يريدون الذي قال ذاك وهي مبنية . وتكون ذو بالواو دائماً في حالة الرفع والنصب والجر وتستعمل بمفرد والجمع بنوعيه .

ذا : وتستعمل كاسم موصول بشرط دخول ما أو من الاستفهاميتين عليها كما قال الشاعر .

وقصيدة تاتى الملوك غريبة . . . قد قفنا ليقال : من ذا قالها ؟

أى من التي قالها ؟

ويضاف إلى ما تقدم الألف واللام فتكون موصولة بمعنى الذي في الصفة نحو اسم الفاعل واسم المفعول فتقول هذا الضارب زيد والمراد الذي ضرب زيداً ، وهذا المضروب والمراد الذي ضرب أو يضرب ، كما تدخل على الفعل في مثل .

ما انت بالحكم الرضى حكومته . . . ولا الأصيل ولا ذو الرأى والجذل  
ونادراً ما يستخدم اسم الإشارة في التعبير عن الموصول مثل -  
علم ما لقياد عليك اماره . . . أنت وهذا تحلين طليق  
( أى والذى تحلين طليق ) وهو شاذ عند البصريين .  
وهناك أسماء موصولة أخرى مثل أى وما ومن .

## ٢ - في السرياقية :

أما في السرائية فقد استعملوا الدال (١) للتعبير عن الموصول بعد  
أن ضغفت دلالتها الإشارية . وهى تلزم هذه الصورة مع المقرد والجمع مذاكرا  
ومؤنثا مثل .  $\text{הַיְּשָׁרִים הַלְלוּ אֶת הַיְּהוָה}$  أى الذى لا تسمع أذناه هو يرى  
( أفرطس ٢٨١ - ٥ ) :  $\text{וְהַיְּהוָה הַלְלוּ אֶת הַיְּהוָה}$  أى المدينون الذين  
هم أبناء قطورة ( أفرطس ٢١١ - ٤ ) :  $\text{הַיְּהוָה הַלְלוּ אֶת הַיְּהוָה}$  أى كلمة  
الله التى قبلها ( افريم ١٦٦ - ٩ ) ،

$\text{וְהַיְּהוָה הַלְלוּ אֶת הַיְּהוָה}$  اسم أى الشرور والآثام الى  
لا تستطيع الكتب أن تظهرها ( افرطس ٣٤٣ - ١٨ ) .  
وعند دخول أداة الموصول هذه على حرف الجر المتصل بضمير الملك تظهر  
بينهما باء فتقول  $\text{הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה}$   
:  $\text{הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה ، הַיְּהוָה}$

## ٣ - في العبرية :

ولفظ الموصول في العبرية هو عبارة عن الكلمة المبنية  $\text{יְהוָה}$  (١) وهو  
يلزم صورة واحدة مع الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . ويستعمل للعاقل

(١) ما زال اشتقاق كلمة  $\text{יְהוָה}$  محل للبحث .

( ١ ) هل تتصل بالكلمة العبرية اثر والارامية  $\text{וְהַיְּהוָה}$  التى بمعنى  
الاثر والمكان ؟ ولكن نولده يرى أنه من الصعب ان تتطور كلمة اثر لتصبح اسما  
موصولا . (ب) هل هى عبارة عن عدة جذور ضميرية ؟ ولكن هومل يرى انها  
اسم اصيل يتميز عن  $\text{וְהַיְּהוָה}$  ( وهى من الجذور الضميرية ) وتستخدم  
في العبرية كروابط للموصول وتتميز عن  $\text{וְהַיְּהוָה}$  اللذين يستعملان  
في بعض الاحيان ( ج ) هل هى ضمير اشارة أصلى ؟

وغيره فهو العاقل في مثل **וְכִן נִשְׁכַּח אֶל יִצְחָק בְּנֵי יִשְׂרָאֵל אֲמָרָם**  
 أى اذهبوا راجعين إلى الملك الذى أرسلكم (ملوك ثاى : ١ - ٦) ولغير العاقل  
 فى مثل **הַיִּשְׁטָה אֲמָרָם לַעֲבָדֵי יְהוָה** أى السريى الذى صعدت عليه (ملوك  
 ثاى : ١ - ٤) وذلك فى المفرد. أما فى الجمع لعاقل قتل  
**וְכִן נִשְׁכַּח אֶל יִצְחָק בְּנֵי יִשְׂרָאֵל אֲמָרָם** أى بنو الأنبياء الذين فى أربعا (ملوك  
 ثاى : ٢ - ٥) . ولغير العاقل فى مثل **וְכִן נִשְׁכַּח אֶל יִצְחָק בְּנֵי יִשְׂרָאֵל**  
 أى فكانت كل أيام آدم الى عاشبا (التكوين : ٥ - ٥) .

والى جانب **אֲמָרָם** نجد أن الكب المتاخرة قد استخلت صورة  
 مختصرة منها وهى الشين فقط **וְכִן** فنجعلها فى الجامعة والمزامير وأخبار  
 الأيام وعزرا والقضاة وغيرها مثل : **וְכִן נִשְׁכַּח אֶל יִצְחָק בְּנֵי יִשְׂרָאֵל**  
 أى كالرمل الذى على شاطئ البحر فى الكثرة (القضاة : ٧ - ١٣) ونادرا  
 ما نجد **נִשְׁכַּח** مثل **וְכִן נִשְׁכַּח אֶל יִצְחָק בְּנֵי יִשְׂרָאֵל** أى حتى قت أنا دبورة  
 (القضاة : ٥ - ٧) . وجاءت مرة واحدة **נִשְׁכַּח** وذلك قبل الألف فى القضاة

٦ : ١٧ وعموما فهى تاتى **נִשְׁכַּח** قبل حروف الحلق ، **נִשְׁכַּח** قبل الفاء كما فى  
 الجامعة ٣ : ١٨ .

ومثل ضمير الإشارة الأصلى **אֲמָרָם** . توجد أيضاً أسماء اشارة أخرى تستعمل  
 كاسم موصول وهى **וְכִן** والأخيرة هى الشائعة فقال  
**וְכִן** أى لقيتان هذا خلقته ليلىب فيه (المزامير ١٠٤ -  
 ٢٦) . ومثال **וְכִן** : **וְכִן** أى لقيتان هذا خلقته ليلىب فيه (المزامير ١٢ - ١٣٢) ومثال  
**וְכִן** : **וְכִן** أى أليس الرب الذى أخطانا إليه  
 (أشعيا ٤٢ - ٢٤)

وتستعمل أداة التعريف وهى **הַ** للموصول كما نرى فى المثال الآتى





ولكن ذلك أنكره كثير من العلماء وقالوا لا يجوز إلا للضرورة الشرعية وينطبق هذا الكلام على اللغة العبرية كذلك . فجاء الضمير للمتكلم في مثل **אֲנִי יוֹסֵף בְּעֹדוֹנִי** أى أنا يوسف الذى بعثونى ( التكوين ٤٥ - ٤ ) والأصل أن تكون **אֲנִי** أى بعتموه (١) . وجاء الضمير للمخاطب

في مثل **אֲנִי יוֹסֵף בְּעֹדוֹנִי** أى يعقوب الذى اخترتك ( اشعيا ٤١ - ٨ ) فقال اخترتك والأصل أن تكون **אֲנִי** أى اخترته (٢) .

وكما عدل عن ضمير الغيبة بضمير المتكلم أو المخاطب في اللغتين العربية والعبرية كذلك عدل بها عنه في اللغة السريانية كما في مثل **أَنَا أَنَا أَنَا** أى وأنا أيضا الذى ترونى . وأصله أن يقول (ترونى) ومثل **أَنَا سَحَابٌ حَمِيمٌ** أى أنا حبيب الذى تبحثون عني والأصل أن يقول (تبحثون عنه) ( القصة السريانية ٩٠ ) . ومثل **أَنَا أَنَا أَنَا** أى اتم الذى فاح عرفكم في كل مكان . والأصل أن يقال (اعرفهم) ، **أَنَا أَنَا أَنَا** أى أنت الذى أخبرتنا . والأصل أن يقال ( أخبرنا ) ( أفرم ٤٩٢ ) .

### حذف العائد :

كثر في العربية حذف العائد من الصلة حتى صار قياسا ، وليس حذفها دون اثباتها في الحسن ، وقد جاء الأسران في قوله تعالى « هذا الذى بعث الله رسولا » والمراد ( بعثه ) . وقال في موضع آخر « كالى يتخطه الشيطان من المس » (٣) فاقى بالعائد وهو الماء في يتخطه .

ولا يحذف هذا العائد إلا بشروط ثلاث .

١ - أن يكون ضميرا منصوبا لا ضميرا مرفوعا ولا مجرورا ، لأن المفعول كالفضلة في الكلام والمستغنى عنه .

(١) انظر العدد ٢٢ - ٣٠ ، اشعيا ٤٩ - ٢٣ .

(٢) انظر ارميا ٢٢ - ١٩ ، التكوين ١٥ - ٧ .

(٣) البقرة آية ٢٧٥ .

٢- أن يكون العائد متصلا لا منفصلا لكثرة حروف المنفصل .

٣- أن يكون على حذف دليل ، وذلك أن يكون ضميرا واحدا لا بد للصلة منه فتقول ( الذى ضربت زيد ) فيحذف العائد الذى هو الماء لأن ه الكلام والصلة لا يتم إلا بتقديره . ولو قلت ه الذى ضربته فى داره زيد ه لم يحذف الماء لأن الصلة تم بدونه ، فلا يكون فى اللفظ ما يدل عليه .  
كذلك فى السريانية نجد حذف الضمير العائد يتمثل فى الآتى :

١- إذا كان مفعولا لشيء مثل  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى كلمة الله التى قبلها ( افریم ١٦٦ - ٩ ) :  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى الشرور والآثام التى أوجد ( ها ) الضياع ( افریم ١٧٩ - ١٨ ) .

٢- إذا كان العائد مجرورا بحرف . ويشترط دخول الحرف حينئذ على صاحب الموصول ما لم يكن انباء الظرفية . وصاحب الموصول اسم زمان فلا يشترط دخولها فالأول مثل  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى فى الموضع الذى كلوا فيه .  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى البيت الذى تدخلونه . والثانى نحو  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى اليوم الذى صلبوه فيه ،  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى إلى السنة الرابعة للملك سليمان التى ابتدا فيها بناء ..... .

ونادرا ما يحذف العائد إذا كان التابع اسم فاعل أو اسم مفعول كما فى مثل  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى الطيبة التى تعود أن يمنحها ( افریم ٢٠٥ - ١٩ ) . فتجد أن اسم الفاعل  $\text{ܡܠܟܐ}$  خال من الضمير .

وفى العبرية يحذف العائد كذلك فى المواضع الآتية :

١- أن يكون مفعولا لشيء كما فى مثل  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$  أى عمله الذى عمل ( التكوين ٢ - ٢ ) والأصل أن تكون  $\text{ܡܠܟܐ ܕܡܪܝܢܐ}$

٢- حينما يكون ضميرا منفصلا بمثل حالة القاعلية فى الجملة الاسمية مثل

٦. הַיָּמִים הַהֵם יִשְׁמַח וְיִשְׂמַח וְיִשְׂמַח אֵי הַמַּיָּה הָאֵלֶּי ( هي ) من تحت الجبل : التكوين ١٧-٧) والأصل أن تكون

٣- ويلاحظ الحذف الغالب للضمير العائد حين يكون المسند الخالص بالجملة الوصفية هو فعل القول مثل : הַיָּמִים הַהֵם יִשְׁמַח וְיִשְׂמַח וְיִשְׂמַח אֵי הַמַּיָּה הָאֵלֶּי ( هي ) الذي قال الرب اعطيكم إياه ( العدد : ١٠ - ٢٩ ) (١).

٤- حينما تضاف الجملة البدلية إلى ظرف مكان يحذف الضمير العائد كما في مثل : הַיָּמִים הַהֵם יִשְׁמַח וְיִשְׂמַח וְיִשְׂמַח אֵי הַמַּיָּה הָאֵלֶּי ( هي ) لأن كل الأيام التي يعيش ( فيها ) ابن يسي (٢) . . . .

بعد هذا العرض الذي قدمنا تلخيصه بالتأنيث :

١- أصل لفظ الموصول في اللغة السامية الأم هو على الأرجح الذال والياء . فاذا نظرنا إلى اللغة العربية وجدنا أن لفظ الموصول الذي ( هو عبارة عن الذال والياء ) ، أما ( ال ) فقد دخلت عليها - كما يقول النحاة - لحق التثنية أو للفظه ، أو هي زيادة للتحيين .

وإذا كنا نرى أن لفظ الموصول في اللغة السريانية هو الذال فقط فليس معنى هذا أنه لا توجد باء في الأصل : بل يؤيد كلامي السابق - وهو أن لفظ الموصول في اللغة السامية الأم هو الذال والياء - وجودهما معا في حالة دخول لفظ الموصول على حرف الجر المتصل بضمير الملك - كما ذكرنا آنفا - في مثل : הַיָּמִים הַהֵם יִשְׁמַח וְיִשְׂמַח وְיִשְׂמַח

وربما تكون قد سقطت هذه الباء في فترة قديمة من فترات تطور اللغة السريانية وبذلك انضردت الذال في التعبير عن الموصول في هذه اللغة .

أما في اللغة العربية فنجد أن من الألفاظ المستعملة للموصول : הַיָּמִים הַהֵם ، ١١ ، وهي كما نرى تشترك مع العربية والسريانية في حرف الذال ، وكما أن التطور

(١) انظر كذلك ( العدد ١٤ - ٤٠ - صويل الاول ٩ - ١٧ : ملوك اول ٨ - ٢٩ ) .  
(٢) انظر كذلك : التكوين ٤٥ - ٦ ، التثنية ١ - ٤٦ ، ٩ - ٧ ، ملوك اول ١١ - ٤٤ ) .

القوى من السامية الأم إلى السريانية أدى إلى سقوط الياء فكللك نرجع أنه في المصور الأولى لتطور اللغة من السامية الأم إلى العبرية قد سقطت الياء ، ثم الحقت بدلا منها الهاء أو الواو كحركة مد في فترة تلت الفترة الأولى . وينطبق هذا الكلام أيضا على لفظي الموصول في العربية ( ذا ، ذو ) .

٢- تشترك العربية والعبرية في استخدام أداء التعريف للتعبير عن الموصول أما السريانية فلا تستلزمها حيث تختلف في المفرد عنها في الجمع . وهي فيها تلحق الاسم بخلاف العربية والعبرية فهي فيها سابقة عليه .

٣- تشترك السريانية والعبرية في أن لفظ الموصول كان يستخدم في البداية للدلالة على الإشارة ثم استخدم للموصول بعد أن ضحفت دلالة الإشارية ، وأرى أن لفظ الموصول في العربية يندرج تحت هذا القول حيث أن الأصل في الحالين ( الإشارة والموصول ) واحد وهو الذال ، خاصة وأنا نجد أن اسم الإشارة في بعض الحالات يعبر عن الموصول كما في ( أنت وهذا تحمليين طليق ) .

٤- تشترك اللغات الثلاث في وجوب وجود جملة للصلة ليكمل المعنى بها وأن تشمل تلك الجملة على عائد يعود على الموصول ويكون مطابقا له في الافراد والجمع والتذكير والتانيث ، كما تشترك أيضا في وجوب أن يكون العائد ضمير غيبة ، وكلها قد تستثنى هذا الشرط وتعدل عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم أو المخاطب .

وأخيرا نجد أن تلك اللغات تشترك في حلفها العائد تبعاً للشروط التي ذكرناها آنفا .

## أهم المراجع

1. Brockelmann grundriss der vergleichenden grammatik Semilischen Sprachen, Berlin, 1908.
2. Gesenius, Hebräische grammatik, Leipzig, 1899.
3. Nöldeke Syriac grammar translated from german by, Crichton, London, 1904.

٤ - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - الفصل - القاهرة مكتبة الخانجي  
١٣٢٢ هـ

٥ - جمال الدين بن محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، أوضح  
المسالك إلى الفية ابن مالك - القاهرة - دار الكتب المصرية ١٣٣٤ هـ

٦ - محمد بن مالك الطائي - شرح ابن عقيل على متن الفية ابن مالك - القاهرة،  
مطبعة السعادة ١٣٤١ هـ



# بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر زمن صلاح الدين الأيوبي

في عهد دولة ابن جبر

الدكتور حامد زيان غانم

أخذ الحديث عن أعمال صلاح الدين<sup>(١)</sup> الأيوبي الحرية الشيء الكثير من اهتمام الباحثين غير أن أعماله السلمية في داخل البلاد لم تحظ بذلك الاهتمام . حقيقة أننا لا نستطيع أن نقلل من شأن تلك الانتصارات التي أحرزها صلاح الدين ضد الصليبيين . ولكننا أيضا لا يمكننا اغفال نشاطه الداخلي وأعماله الجليلة ، وهي لا تقل أهمية عن أعماله الحربية وقد اهتم صلاح الدين بأمور رعيته اهتماما بالغا<sup>(٢)</sup> ، وغير كثيرا من مظاهر حياة المجتمع المصري ، ذلك أن صلاح الدين الأيوبي تولى حكم مصر في أعقاب الدولة الفاطمية الشيعية ( عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ) ، فكان عليه أن يبحر من أذهان المعاصرين ما علق بهم من المذهب الشيعي ، بعد أن استمر حكم الدولة الفاطمية في مصر أكثر من قرنين من الزمان ، كذلك فإن صلاح الدين شب وتربى في مجتمع الشاء<sup>(٣)</sup> الذي اختلف كثيرا عن المجتمع المصري وقد

(١) هو الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الكردي ، تولى حكم مصر عام ٥٦٧ هـ بعد أن أزال من مصر الدعوة الفاطمية ( ابن أبياس : تاريخ مصر ص ٦٦ ) .

(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢ .

(٣) ولد صلاح الدين بتكريت ( عام ٥٢٢ هـ ) ثم انتقل مع والده إلى الموصل ، ثم إلى الشام حيث كان مقامه بعد أن تولى والده أيوب حكم بطلب ( ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٦ ) .

نقل صلاح الدين معه الى مصر فيما نقل بعض مظاهر حياة المجتمع الشامي (١) ،  
ويبدو أن شخصية السلطان الملك العادل نور الدين محمود أثرت كثيرا في  
صلاح الدين الذي حاكاه في الاهتمام بكثير من أمور المجتمع .

وقد تناول كثير من المؤرخين المعاصرين الحديث عن صلاح الدين الأيوبي (٢)  
لكن جاءت كتاباتهم كلها مركزة حول أعماله الحربية، ولم ينل المجتمع المصري منها  
الا أقل القليل . غير أنه من حسن الحظ أن زار مصر أيام صلاح الدين أحد  
الرحالة المقاربة وهو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير المعروف بسعته الطيبة،  
وقد ولد ابن جبير ببلنسية في ربيع الأول عام ٥٤٠ هـ ( ١١٤٥ م ) وقد توفي  
بالاسكندرية في شعبان عام ٦١٤ هـ ( ١٢١٧ م ) (٣) ، وكان أدبيا بارعا شاعرا مجيدا  
صنيا فاضلا، نزه انهمة، سرى النفس ، كريم الأخلاق (٤) وقد اتخذ غرناطة موطنه  
له ، وقام منها بثلاث رحلات الى الشرق كان آخرها تلك التي توفي فيها  
بالاسكندرية عام ٦١٤ هـ (٥) .

أما أولى رحلات ابن جبير فهي تلك التي دون مشاهداته فيها في مذكرات  
أودعها كتابه المعروف باسم « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار » أو « الرحلة »  
ومن بين البلدان التي زارها في تلك الرحلة كانت مصر ، التي قضى فيها الفترة  
الممتدة ما بين ٢٦ ذى القعدة ٥٧٨ هـ ( ٢٦ مارس ١١٨٣ م ) و ٢٥ ربيع الأول ٥٧٩ هـ  
( ٢٠ يونيه ١١٨٣ م ) زار خلالها كلا من الاسكندرية والقاهرة ومصر وقوص  
وعيذاب . وكان اهتمام ابن جبير منصبا على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية  
بمصر ، ذلك المجتمع الغرب عن ابن جبير المغربي الأصل ، ولهذا جاءت مذكراته  
مرآة لكثير من أحوال المجتمع المصري زمن صلاح الدين .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا . ج ٤ ص ٥ - ٦ .

(٢) منهم : ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،  
الاسفهانى : الفتح القدسي ، في الفتح القدسي . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،  
أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين .

(٣) القرى : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ١ ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٥٠٨ .

(٥) المصدر السابق .



وأول ما استرعى انتباه ابن جبير عند زيارته للاسكندرية ، اهتمام السلطان صلاح الدين الأيوبي بأمر الغريباء ، من ذلك أن صلاح الدين « أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك » (١) . ويصف الشيخ عبد اللطيف البغدادي (٢) تلك الحمامات التي شاهدها ببصر بقوله « وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها وضعا . ولا أتم حكمة ولا أحسن منظرا ومخبرا ، أما أولا فإن أحواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى أربع روايا ، وأكثر من ذلك ، تصب فيه ميزابان تجاجان حار وبارد ، وقبل ذلك تصبان في حوض صغير جدا مرتفع فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير ، وهذا الحوض نحو ربعه فوق الأرض وسائر في عمقها ، ينزل اليه المستحم فيستقع فيه : ودخل الحمام مقاصير بأبواب وفي المسلخ أيضا مقاصير لأرباب التخصص حتى لا يختلطوا بالعواء . ولا يظهروا على عورتهم ، وهذا المسلخ بمقاصيره حسن القصة : مليح البنية وفي وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة وجميع ذلك مزوق السقوف مغوف الجدران مبيضها . مرخم الأرض بأنصاف الرخام : مجزع باختلاف ألوانه : وترخيم الداخل يكون أبدا أحسن من ترخيم الخارج : وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الأزاج جاماته مختلفة الألوان صافية الأصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه » (٣) .

ولم يكف صلاح الدين بذلك بل « نصب لهم - أي للغريباء - مارساتا (٤) لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم ضياء يتفقدون أحوالهم . وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء » (٥) ولما كان بالاسكندرية كثير من الوافدين على مصر من أكابر الناس لذلك رتب صلاح الدين

(١) ابن جبير : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ص ٤١ ( طبعة جب )

(٢) عاصر عبد اللطيف البغدادي السلطان صلاح الدين واولاده من بعده .

(٣) عبد اللطيف البغدادي : الافادة والاعتبار ص ٣٩ - ٤٠ .

(٤) المارستان هو بيت المرضى ( القريزي : الخطط ج ٤ ص ٣٥٨ ' .

(٥) ابن جبير : تذكرة بالأخبار ٤١ .

بالمارستان المذكور « أقوام يرسم الزيادة للمرضى الذين يتزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغربة خاصة ، وينهون الى الأطباء أحوالهم ، ليتكفلوا بعمالجتهم » (١) وقد أشار ابن جبير أيضا الى أنه شاهد بمدينة القاهرة مارستانا من انشاء صلاح الدين « وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا أبرزه لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا ، وعين قيا من أهل المرفقة . وضع لديه خزائن العقاقير ، ومكنه من استعمال شربة وأقامتها على اختلاف أنواعها ، ووضعت في مقاصر ذلك القصر أسره يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسب . وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم وبإزاء هذا الموضع موضع مقطوع للنساء المرضى ، ولهن أيضا من يكفلن . ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع القناء ، فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد ، اتخذت مجالس للمجانين ، ولهم أيضا من يتفقد في كل يوم أحوالهم ، ويقابلها بما يصلح لها ، والسلطان — أى صلاح الدين — يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ، ويؤكد في الاعتناء بها والمثابة عليها غاية التأكيد . وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه » (٢) ويبدو أن هذا اليمارستان السابق الوصف كان من انشاء أحمد بن طولون وليس من انشاء صلاح الدين كما ذكر ابن جبير . ويتضح لنا ذلك من مطابقة أوصاف ذلك المارستان كما وصفها ابن جبير مع أوصاف مارستان ابن طولون (٣) ، ولكن يكفي صلاح الدين أنه أولى عنايته بأمر هذا المارستان . والحقيقة أن صلاح الدين اتبع نفس سياسة سيده نور الدين محمود في الاهتمام بأمر المرضى (٤) . فأمر بأن تصبح خزانة الأشربة التي كانت بالقصر الكبير الفاطمي مارستانا للمرضى .

وقد اهتم ابن جبير بأحوال المغاربة بمصر فوجد « أن السلطان — صلاح الدين —

(١) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤١ .

(٢) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) القرطبي : الخطط ج ٤ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٤) ابن قاضي شهاب : الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ورقة ٢١ (مخطوط) .

عن لأبناء السبيل من المغاربة - المقيمين بالاسكندرية - خبزتين لكل  
 انسان في كل يوم بالغاً ما بلغوا ، ونصب لتفريق ذلك كل يوم انساناً أميناً من  
 قبله . فقد انتهى في اليوم الى ألفي خبزة أو أزيد بحسب القلة والكثرة . وهكذا  
 دائماً » (١) . كما جعل السلطان صلاح الدين المسجد الكبير المنسوب الى أبى  
 العباس أحمد ابن طولون ، وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة  
 البناء ، مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه . ويطلقون فيه (٢) . وأجرى عليهم  
 الأرزاق في « كل شهر » (٣) . ويبدو أن السلطان صلاح الدين قد جعل لكل  
 جالية أجنبية في مصر رئيساً منها : يحتكم اليه أفرادها . من ذلك ما ذكره ابن  
 جبير عن جالية المغاربة التي « جعل السلطان أحكامهم اليهم . ولم يجعل يدا  
 لأحد عليهم . فقدموا من أنفسهم حاكماً يستلون أمره . ويتحاكمون في طوارئ  
 أمورهم عنده » (٤) .

وهو من مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر . توفير السلطان صلاح الدين الأمن في  
 أنحاء البلاد . حتى صار الناس في أمن تام . ولم يعد لظلمة الليل أي أثر على  
 أعمالهم أو أفعالهم وقد أكد ابن جبير هذه الظاهرة أثناء حديثه عن كل من  
 الاسكندرية والقاهرة ، فقال متحدثاً عن القاهرة : « ومن عند هذا السلطان  
 - صلاح الدين - وتأمينه للسبل : أن الناس في بلاده لا يظلمون لباس الليل .  
 تصرفاً فيما بينهم . ولا يستشعرون لسواده هية » (٥) . كذلك كان الحال في  
 الاسكندرية « التي تصرف الناس فيه بالليل كتصرفهم بالنهار في جميع الأحوال » (٦)

وقد أخذ اهتمام السلطان صلاح الدين بحياة طالبى العلم الواقدين على مصر  
 قدراً كبيراً من ملاحظات ابن جبير . الذي شاد بنا لصلاح الدين من فضل كبير

(١) ابن جبير : تذكرة بالآخبار ص ٤١ .

(٢) أى يحضرون فيه حلقات الدرس والعلم .

(٣) ابن جبير : المصدر السابق ص ٥١ .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٥) ابن جبير : تذكرة بالآخبار ص ٥٥ .

(٦) المصدر السابق ص ٤٢ .

في العمل على تسهيل سبل الإقامة والعيش لهم حيث « يلتقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه أو مدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعليمه ، واجراء يقوم به في جميع أحواله » (١) ، غير أن صلاح الدين لم يقتصر في اهتمامه هذا بطلابی العلم من الغرباء فقط ، بل اهتم أيضا بمختلف أماكن التعليم مثل المدارس والمساجد ، وعمل على توفير حياة اجتماعية سليمة للمقيمين بها فكانت « الاجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان في كل شهر » ، كذلك من الأعمال الاجتماعية الجليلة التي قام بها صلاح الدين اهتمامه الشديد بأبناء الفقراء والأيتام فامر « بعمارة معاصر ألزما معلمين لكتاب الله عز وجل ، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة وتجري عليهم الجراية الكافية لهم » (٢) وفي هذا تأكيدا لمحاكاة صلاح الدين لسيده الملك العادل نور الدين محمود الذي عرف عنه الاهتمام الكبير بالأيتام وأبناء الفقراء (٣) .

ويعتبر عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي بداية عصر جديد في تاريخ مصر. إذ أزال هذا السلطان الدولة الفاطمية ومذهبها الشيعة من البلاد . وأحل محلها المذهب السني والدعوة للخليفة العباسي. وأسس بها دولة تحمل اسمه (٤) . وقد تبع هذا التغير تغير في مختلف أنشطة المجتمع المصري (٥) . خاصة في العادات والتقاليد التي اتبعت في كثير من المناسبات (٦) وقد استرعى انتباه ابن جبير هيئة

(١) ابن جبير : تذكرة بالأخبار ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩ - ٥١ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب . ج ١ ص ٢٨٤ . النويري : نهاية الارب .

ج ٢٥ ورقة ٦٠ (مخطوط) .

(٤) اسقط اسم الخليفة الفاطمي العاضد من الخطبة . في اول جمعة من

المحرم عام ٥٦٧ هـ ( ١١٧١ م ) .

(٥) انظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٥٣ . ابن واصل :

مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢١٠ .

Lane — Poole : A Hist of Egypt in the middle ages, P. 204-205.

(٦) اشار القلقشندي الى ان الدولة الايوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية

وخلفتها الديار المصرية ، خالفتها في كثير من ترتيب الملكة ، وغيرت غالب =

خطيب الجمعة، الذي اختلف هيئته عن هيئة خطيب القاطنين، فوصفه وصفا دقيقا يظهر مدى التغير الذي حدث أيام صلاح الدين من ذلك قوله : «و يأخذ الخطيب فيها - أى صلاة الجمعة - مأخذ سنى ، يجمع فيها الدعاء للصعابة رضى الله عنهم ، وللتابعين ومن سواهم ، ولأمهات المؤمنين زوجات النبی صلى الله عليه وسلم ، ولعمية الكريمين حمزة والعباس رضى الله عنهما . ويلطف الوعظ . ويرقق التذكير حتى تخضع القلوب القاسية ، وتتفجر العيون الجامدة . ويأتى للخطبة لابسا السواد على رسم العباسية . وصفه لباسه بردة سوداء . عليها طيلسان شرب أسود - وهو الذى يسمى بالمغرب الاحرام - وعمامة سوداء ، متقلدا سيفا ، وعند صعوده المنبر يضرب بنعل سيفه المنبر . فى أول ارتفاعه ضربة يسمع بها الحاضرين . كأنها ايدان بالانصات وفى توسطه أخرى ، وفى انتهاء صعوده ثالثة . ثم يسلم على الحاضرين يمينا وشمالا ، ويقف بين رایتين سوداوين فيهما تجزيع يباس قد ركزتا فى أعلى المنبر . ودعاؤه فى هذا التاريخ - شهر ذى القعدة عام ٥٧٨ هـ - للامام العباسى أبى العباس أحمد انتاصر لدين الله بن الامام أبى محمد الحسن المستضى ، باق ابن الامام أبى المظفر يوسف المستجد باق ثم نحى دولته أبى المنظر يوسف بن أيوب صلاح الدين - ثم لأخيه ولوى عهده أبى بكر سيف الدين» (١) .

وقد نتج عن ذلك التغير الذى أحدثه صلاح الدين بإبطال الدعوة للمذهب الشيعى والعودة للمذهب السنى : الغاء كثير من الاحتفالات الخاصة بالشيعى وأحياء ما يخص المذهب السنى ، وتحوير بعض أعياد الشيعة بما يتفق وتحول البلاد الى المذهب السنى : من ذلك مثلا أن يوم العاشر من المحرم - وهو يوم عاشوراء - كان يمثل يوم حزن وأسى عند القاطنين ، تطلق فيه الأسواق ، فجملة صلاح الدين « يوم سرور يوسع فيه الناس على عيالهم ويتسبطون فى المطاعم ويصنعون

= معاملها ، وجرت على ما كانت عليه الدولة الاتابكية . ( صبح الاعشى : ج ٤ ص ٥٦ - ٦٠ ) .

(١) ابن جبير : تذكرة بالآخبار ص ٤٩ - ٥٠ ، انظر ايضا : ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٤٥ .

الحلاوت - الحلوى - ويتخذون الأواني الجديدة ويكتحون ويدخلون الحمام « (١) وظل الحال كما كان سائدا من خروج الناس للاحتفال بمختلف المناسبات ببر الجيزة ، ويبدو أن ابن جبير قد شاهد مثل هذه الاحتفالات لأنه أشار الى أن الجيزة « مجتمع اللهو والنزهة » (٢) .

وامتلات مصر بالمشاهد والقبور التي اعتاد الأهالي زيارتها للتبرك والدعاء . وقد زار ابن جبير كثيرا منها ، ويبدو أنه افتن بالمشهد الحسيني فوصفه وصفا رائعا موضحا تهافت سكان مصر على زيارته والتبرك به ، ومما جاء في وصفه : « ذلك المشهد العظيم الشأن ، الذي بمدينة القاهرة ، حيث رأس الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما ، وهو في تابوت فضة - مدفون تحت الأرض - قد بنى عليه بنيان خيل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به مجلج بأنواع الديباج ، مخوف بأمثال العمدة الكبار شهما أبيض ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة . ومنها مذهبه - وعلقت عليه قناديل فضة... وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك واحداقهم به وانكبابهم عليه - وتحميم بالكسوة التي عليه ، وطوافهم حوله ، مزدحمين داعين بأكين . متوسلين الى الله سبحانه ببركته التربة المقدسة ومتضرعين ما يذيب الأكباد . ويصدع الجماد » (٣) ولم يكن السلطان صلاح الدين بعيدا عن شعور أهالي مصر تجاه المشهد الحسيني فأولاه اهتمامه ورعايته وجعل به حلقة تدريس ووقفاء وأجرى عليه النفقة اللازمة (٤) .

كذلك لعبت القرافة ومابها من مشاهد قبور ومساكن ومساجد دورا كبيرا في المجتمع المصري زمن صلاح الدين . فقد قصدوا سائر الناس لزيارة مشاهد

---

(١) القريري : الخطط ج ٢ ص ٢٨٥ - سعيد عبد الفتاح عاشور : الإيويون والماليك ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) ابن جبير : تذكرة بالأخبار ص ٥٢ .

(٣) ابن جبير : تذكرة بالأخبار ص ٤٤ - ٤٥ .

(٤) القريري : الخطط ج ٢ ص ٢٨٤ .

قبورهم والتبرك بما فيها من قبور الأولياء الصالحين (١) : فحين قصدوا الغريباء والطلقاء والصلحاء والفقراء لتكون مأوى لهم، أما قاصدى اللهو والطرب فوجدوا بها أيضا مرتعا خصباً . وقد زار ابن جبير القرافة وبات فيها ليلة الاربعاء الحادى عشر من ذى الحجة عام ٥٧٨ هـ (٢) ووصفها بقوله : « وهى أيضا احدى عجائب الدنيا لما تحوى عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم وأهل البيت رضوان الله عليهم، والصحابة التابعين والعلماء والزهاد والأولياء ذوى الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة »، وقد ذكر ابن جبير أسماء معظم مشاهد قبور أهل البيت والشرفات الطويات . وبعض أصحاب رسول الله . والتابعين والأئمة والعلماء والزهاد والأولياء المشتهرين بالكرامات . وأوضح ابن جبير أنه « من العجب أن القرافة المذكورة كلها مساجد مبنية ، ومشاهد معمورة . يأوى إليها الغريباء والعلماء والفقراء والأجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان فى كل شهر » (٣) .

وقد شاهد ابن جبير بعض الهياكل التى يعظمها أهالى مصر ويتبركون بزيارتها، منها ذلك الهيكل الذى بمدينة اخميم — احدى مدن الصعيد — الذى تناوله ابن جبير بالوصف الدقيق . وقد أنهى وصفه لهذا الهيكل بقوله : « وبالجملة فشأن هذا الهيكل عظيم . ومראה احدى عجائب الدنيا التى لا يبالغ الوصف ، ولا ينتهى إليها الحد » . ومن بين الهياكل التى شاهدها ابن جبير ، ذلك الهيكل الموجود بمدينة دندرة احدى مدن الصعيد (٤) .

ومن بين مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر ، ما ذكره ابن جبير عن نساء مصر خاصة فى مدينتى قنا ودشنه وهما من مدن صعيد مصر ، فقد امتدح ابن جبير وضع المرأة فى كلتا المدينتين وخص قنا بقوله : « ومن مآثرها الماثورة صون نساء أهلها ،

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٦٨ .

(٢) ابن جبير : المصدر السابق ص ٤٥ .

(٣) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤٩ .

(٤) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٦١ ، ٦٢ .

والتزامهن البيوت فلا تظهر في زقاق من أزقتها امرأة البتة ، أما دشنه فقد وجد ابن جبير حال نساءها مثل حال نساء قنا . ويبدو أن الحديث عن صون النساء في صعيد مصر قد وصل الى أساع ابن جبير قبل مشاهداته لصعيد مصر (١) .

وقد عاصر ابن جبير مرحلة بناء القلعة (٢) ، التي أمر صلاح الدين ببنائها عام ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) (٣) لتكون «موضع سكناه» (٤) . والمعروف أن مصر كانت قبل مجيء الأيوبيين إليها خالية من قلعة تحميها (٥) ، فكان على صلاح الدين أن يقيم في القاهرة قلعة يستند إليها حكمه الذي هدده شيعة الفاطميين (٦) ، بالإضافة الى تخوفه من سيده نور الدين محمود (٧) . وقد اتبع صلاح الدين في بناء قلعته ما كان متبعاً في بلاد الشام من أنظمة بناء القلاع . وقد أشار ابن جبير الى أن صلاح الدين استعان بأسرى الصليبيين في عملية بناء القلعة وغيرها من المباني التي أقامها كالأبراج والصور الكبير المقام حول كل من مصر والقاهرة (٨) . غير أن بناء القلعة لم يتم في حياة صلاح الدين (٩) ، وإنما الذي تم في عهده هو هيكلها العام بالإضافة الى البئر الذي حفر بداخلها . وقد أصبحت القلعة بعد أن تم بناؤها

(١) ابن جبير : المصدر السابق ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ١٩٨ . القرطبي : السلوك ج ١ ص ٦٣ ،

Lane-Poole : A Hist of Egypt in the middle ages, P 201

(٤) ابن جبير : المصدر السابق ص ٥٠ .

(٥) على بيومي : قيام الدولة الايوبية ص ٢٣٦ .

(٦) القرطبي : الخطط ج ٢ ص ٣٣٠ . ابن واصل : مفرج الكروب ج ١

ص ٢٠١ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٢١ . أبو شامة : الروضتين في

أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٠٢ .

(٨) ابن جبير : المصدر السابق ص ٥٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣

ص ٣٦٨ .

(٩) انتهى بناء القلعة أيام الملك الكامل محمد بن الملك العادل . انظر :

ابن اياس : تاريخ مصر ج ١ ص ٧٠ - ٧١ .

Lane-Pool : op cit, P 201



مقر النشاط الاجتماعي ، حيث صارت مقر الحكم والسلطان واشتملت على  
العديد من المساكن والمساجد (١) ، وكانت محور الكثير من مظاهر الحياة  
الاجتماعية في العصرين الأيوبي والملوكي (٢) .

وبعد ، فانه يتضح مما سبق أن اهتمام ابن جبير كان منصبا على بعض مظاهر  
الحياة الاجتماعية بمصر ، غير أن المدة التي قضاها ابن جبير في مصر لم تكن كافية  
للإلمام بكل ما في المجتمع من ظواهر اجتماعية . ذلك أن ابن جبير في هذه  
الرحلة لم يقيم في مصر سوى ثلاثة أشهر قضاها في التنقل بين الاسكندرية  
والقاهرة ومصر وقوص وعذاب أي في الطريق الى جدة حيث كانت وجهته الى  
بيت الله الحرام كما كان لتدين ابن جبير وتقواه أثر كبير في نوعيه الأماكن التي  
زارها بمصر ، ومن ذلك أنه تحدث كثيرا عن القرافة وما بها من مشاهد القبور  
والشهد الحسيني وما بمصر من هياكل . ومن الملاحظ أيضا أن ابن جبير اهتم  
كثيرا ببعض المنشآت الاجتماعية التي أنشأها السلطان صلاح الدين اضمحارا منه  
لظنة صلاح الدين . وقد أعجب كثيرا بصلاح الدين : ونبذوا هذه  
الحقيقة واضحة في تبرأة ابن جبير لصلاح الدين من أعمال جباة المكوس من  
حجاج بيت الله الحرام ، وفي المدح الكثير الذي كاله لصلاح الدين وفي نفس  
الوقت خلت ملاحظات ابن جبير من ظواهر اجتماعية أخرى : كنا في حاجة شديدة  
اليها ، مثل عادات وتقاليد المجتمع المصري في ذلك الحين : من مآكل ومشرب  
وملبس . وعادات الأفراح والزواج والمآتم والأحزان . كل هذا أهله ابن جبير ،  
وقد يكون سبب هذا الإهمال راجع الى شخصية ابن جبير نفسه ، بالإضافة الى  
قصر المدة التي قضاها بمصر . ولكن رغم هذا تعتبر مشاهدات ابن جبير مرآة  
لكثير من أحوال المجتمع المصري زمن صلاح الدين الأيوبي .

(١) القريري : الخطط ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١ : ابن ايلس : تاريخ مصر

ج ١ ص ٧١ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ج ٢ ص ٣٦٨ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك

ص ٥٨ - ٦٦ .



## دراسة مقارنة للذكاء الاجتماعى والاستعداد التعليمى

### بين الاطفال الصم وعادى السمع

دكتورة سلوى الملا

مدرسة علم النفس - جامعة القاهرة

بدأ القياس النفسى الحديث للذكاء بظهور اختبار بينيه - سيمون ١٩٠٥ ، وقد تضمن السلوك الذى يتصف بالذكاء فى رأى بينيه القدرة على استخدام التفكير المجرد فى حل للمشكلات ، كما أنه افترض أن الذكاء يزداد مع تقدم الطفل فى النمو ويتوقف بعد ذلك لتنمو القدرات الخاصة وتفتح (B. Kuppuswamy, 1974.P. 111)

وربما كانت امحاولة الأولى الكاملة لاستخدام مقياس بينيه مع الأطفال الصم هى التى قام بها بنتر وباترسون اللذان قاما بتقديم أسئلة مكتوبة للطفل الأصم : وطلبوا منه أن يكتب الإجابة . غير أنه سرعان ما اتضح أن كثيراً من الأطفال لم يفهموا الأسئلة المكتوبة ، لكنهم فى نفس الوقت فهموا السؤال حين وجه إليهم بواسطة الأجنحية اليدوية أو بواسطة لغة الإشارات . وقد استخدم الباحث فيما بعد عدة أساليب (الكلام : الكتابة ، أجنحية اليد . الإشارات) فى توجيه الأسئلة . وكما كان التوقع فانه من بين ٢٢ حالة أجري اختبارها أظهرت جميع الحالات باستثناء واحد تخلفاً عقلياً . فقد كان متوسط العمر الزمنى ١٢:٥ ومتوسط العمر العقلى ٧:٩ . واتضح أن معظم وحدات الاختبار غير مناسبة للصم . وإن كثيراً من الأسئلة بالغ الصعوبة عليهم . ونتيجة لهذا فقد اتجهوا إلى تطوير اختبار أدائى فى عام ١٩١٥ - ١٩١٦ - وقد استخلصوا من دراستهما ما يأتى :

(أ) متوسط مستوى الذكاء للأصم لا يصل إلى ٩٠ .

(ب) السن الذي يحدث عنده الصمم لا يؤثر في ذكاء الطفل .

(ج) لا يوجد فرق في متوسط ذكاء الأطفال الصم بالوراثة أو الصم المكتسب .

(د) إن متوسط ذكاء الأطفال الذين تعلموا بالطريقة اليدوية أقل من المجموعات الأخرى .

(هـ) لا توجد فروق ذات دلالة في مستوى ذكاء التلاميذ الذين تعلموا بالطريقة الشفوية أو كلا الطريقتين .

(و) إن الطفل الأصم أقل عشر درجات تقريبا عن الطفل العادي في نتيجة

الاختبارات غير اللفظية أو الأدائية Hiskey Nebraska manual 1966 .

وقد كانت فكرة التعامل مع الأطفال الصم وإمكان قياس قدراتهم هي الأساس عندما قامت أنستازي بوضع اختبارها الأدائي . ففي الصورة ٢ المعدلة خفضت التعليمات اللفظية إلى أقصى درجة ممكنة حتى يمكن استخدام هذه الصورة مع الأطفال الصم . ولكن أنستازي تعودت نظرت إلى أنه رغم أن هناك بعض الاختبارات التي تصلح للاستخدام مع الصم : إلا أن المعايير الأصلية لهذه الاختبارات قد قننت على مجموعات من الأطفال عاديين السمع . ورغم أنه قد يكون من اللازم في كثير من الأحيان مقارنة ذكاء الأطفال الصم بالمعايير العامة للأطفال العاديين . إلا أن المعايير المستخرجة على الأطفال الصم مفيدة أيضا جدا في المواقف التعليمية هؤلاء الأطفال ANASTASI, 1968. P 265 .

وقد استخدم نيولى طريقة مشابهة في عام ١٩١٩ : حيث أختبر ٨٥ طفلا أصم في مدرسة شيكاغو ورفض استنتاجات بنتر وباترسون - وقد استنتج نيولى أن القدرة التعليمية توزع توزيعا اعتداليا بين المفحوصين .

وقد لوحظ من البحوث أن عدم كفاية حاسة السمع يؤدي إلى إعاقة النمو العقلي بدرجة أخطر مما تحدثه غير ذلك من الحواس . فالصمم يعوق النمو اللفظي ويمنع الاتصالات الاجتماعية العادية . وفي تصنيف أنستازي لعبوب السمع نجد أن هناك ثلاث مستويات للإعاقة السمعية . أولا الأطفال الذين يعانون من قصور

فى السمع وتمثل هذه المجموعة الحالات البسيطة . وكثير من هذه الحالات لا يمكن ملاحظتها ، وقد يفسر سلوك الطفل بالتالى تفسيراً خاطئاً باعتباره ناشئاً عن عدم العناية أو عدم الاهتمام أو الغباء . ومن بين الآثار التى تحدثها هذه الحالة على الطفل يمكن أن نذكر سوء التحصيل الدراسى ، صعوبات النطق . فقد الاهتمام ، العزلة الاجتماعية والشك .

وأما ثقيل السمع **Hard of hearing** فهم هؤلاء الذين تكون العامة لديهم واضحة ملحوظة ولكنهم بالرغم من ذلك قادرون على استخدام حاسة السمع فى اكتساب القدرة على فهم الكلام . وفيما يتعلق بالذكاء العام والنمو القفوى والتقدم التعليمى فانهم يكونون وسطاً بين من يعانون من نقص بسيط فى السمع وبين حالات الصمم التام . وهناك من الدلائل ما يوحى بأن استجابات ثقيل السمع من أطفال المدارس على بعض الاختبارات الأدائية لا تقل عنها لدى زملائهم فى الفصل من الأسوياء . وبالرغم من أن ثقيل السمع من الأطفال يتكاثفون مع زملائهم الأسوياء فى درجات الاختبارات غير اللفظية إلا أن أدائهم فى اختبارات التحصيل الدراسى أقل من مستوى الأسوياء .

أما مجموعة الصم فهى تتضمن الأفراد الذين يكون القصور السمعى لديهم خطيراً بدرجة تمنعهم من اكتساب اللغة فى البيئة العادية . وهؤلاء الأفراد الذين يقال عنهم بكم - خرس ، يكونون صورة واضحة لأثر الحواجز البيئية على نمو إحدى الوظائف السلوكية الهامة . فلأن هذا الأصم - الأبكم لم يسمع مطلقاً الصوت البشرى لهذا نمجه غير قادر على الكلام ، ولو أن أعضاء الكلام لديه سوية وطبيعية تماماً . فوجود أعضاء الكلام لدى الإنسان لا تؤدى فى ذاتها إلى نمو اللغة البشرية بدرجة أكبر مما يؤدى إليه أى تكوين جسمى إلى وظيفة مرتبطة به ، فوجود أعضاء الكلام من نخط معين أمر ضرورى ولكنه غير كاف لاكتساب اللغة . وقد تبين أنه يمكن هؤلاء الصم - البكم أن يتعلموا بطريقة عادية باستخدام الوسائل الحديثة فى التعلم المؤسسة على الاستعانة بمهديات حسية أخرى . وهذا يبرهن على أن العجز لدى الأصم - الأبكم إنما هو ناشئ عن عجز فى استخدام المؤثرات أو

الحواجز البيئية **ANASTASI I. Folley. 1959, P.542**

وفي عام ١٩٣٠ طبق باترسون اختبار جودانف على عينة عشوائية من التلاميذ ٤٦٦ تلميذا من خمس مدارس داخلية للصم تقع أعمارهم بين ٤,٩ سنة و ٢١ سنة . وقد قرر أن منحنى التوزيع لا يعتبر توزيعا اعتداليا . فقد تجمع العدد الأكبر من العينة عند الحد الأدنى من المنحنى . وكان متوسط التخلف للصم ٢٢ شهرا . وقد كان هناك احساس بأن هذا التخلف يرجع في جزء كبير منه إلى التأخر في بدء التعلم وإلى عدم القدرة على تمثل اللغة . Hiskey Nebraska manual, 1966.

وفي عدد من الدراسات الكثيرة التي أجريت في مدارس الصم وجد أنهم متخلفون أربع أو خمس سنوات دراسية . وأما بالنسبة لاختبارات الذكاء التي تعتمد على اللغة فإن الصم يعانون فيها صعوبة كبيرة بسبب العجز في اللغة وفي المفاهيم اللفظية لديهم . فهذه العادة يصل أثرها للدرجة يمكن معها اعتبار الاختبارات اللفظية غير ممكنة التطبيق ، حتى بالنسبة للاختبارات التي لا تتضمن لغة مطلوبة .

وفي أحد البحوث الشاملة على الأطفال طبق اختبار بنر غير اللفظي على ٤٤٣٢ طفلا يتراوح أعمارهم بين ١٢ سنة وأكثر في ٤١ مدرسة من مدارس الصم . وكان متوسط العمر العقلي ونسبة الذكاء بين الأطفال في كل سنة من سنوات العمر الزمني من الأعمار ١٢ - ١٥ سنة كالآتي :

م. العمر الزمني	م. العمر العقلي	م. نسبة الذكاء
	شهر	سنة
١٢	٩	٨٦
١٣	٢	٨٤
١٤	٨	٨٣
١٥	١	٨٢

وكان متوسط نسبة ذكاء الأطفال في الاختبارات العملية يتراوح من أقل قليلا من ٩٠ إلى أكثر قليلا من ١٠٠ تبعا لطبيعة الاختبار . ومن المحتمل أن تتوقف هذه الفروض إلى حد كبير على درجة مساعدة مفهومات اللغة في أداء الاختبارات

فيا أن اللغة تودى وظيفة هامة في هذا القدر من عملية التفكير فان التأخر اللغوى الذى يحدته الصمم يعوق مجالا كبيرا من النشاط العقلى للفرد ، ولم توجد أية علاقة بين العمر الذى بدأ عنده الصمم والدرجات على الاختبارات العملية أو الغير لفظية . ومن ناحية أخرى فان مستوى التحصيل الدراسى يكون أعلى بوضوح عندما يحدث فقد السمع في سن الرابعة من العمر أو بعد ذلك . أى بعد الاكتساب الطيعى للغة .

وبالنسبة لنمو الشخصية لاحظت استازى أن الصمم وتقبل السمع يميلون لأن يعانون من عدم الاستقرار الانفعالى . الانطواء . الخجل ، عدم الشعور بالأمن بدرجة أكثر مما لدى الأسوياء من ذوى السمع العادى . ويميل الأطفال الصمم لأن يكونوا دون المعدل من حيث النضج الاجتماعى ، كما أنهم يحدثون مشكلات سلوكية أكثر من الأطفال العاديين ( السيد خيرى وآخرون ، ١٩٥٩ ، ص ٥٤٣ ) .

وقد اهتم مالك كان في عام ١٩٣٣ بهذه الأنواع من المتناقضات في نتائج الاختبارات النفسية المختلفة وأكد حقيقة أن نسبة ذكاء الفرد هى محصلة نوع الاختبار المستخدم . وقد أظهر أن الطفل الأصم الذى يظهر تخلفا مقداره ستين أو أكثر في اختبار غير أدائى يظهر تخلفا أقل<sup>١</sup> من سنة في الاختبار الأدائى .

وقد رأينا من خلال هذه الدراسات المختلفة أن المقارنة بين الأطفال الصمم وعاديين السمع تستحق المزيد من المقارنة والدراسة . وقد اخترنا أن نقارن بينهما من حيث النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى باعتبار أن هذين المتغيرين من المتغيرات التى تتأثر إلى حد كبير بالصمم أو بعدم القدرة على استخدام اللغة .

### « إجراءات البحث »

الأدوات : استعملنا في هذه الدراسة اختبارين لقياس ذكاء الأطفال ، أحدهما يقيس الذكاء الاجتماعى أو مستوى النضج الاجتماعى ، والثانى يقيس الذكاء التعليمى أو الاستعداد التعليمى .

أولا : مقياس الفانيالاند للنضج الاجتماعى :

Vienland : The Social Maturity Scale

قد يكون من الصعب إلى حد كبير تحديد المقصود بالنضج الاجتماعى . ولكن

رغم أن مقياس النضج الاجتماعي لم تصل إلى مستوى اختبارات الذكاء المعروفة ، إلا أنها قد تطورت إلى حد كبير الآن موفرة قدرًا من التراث ومن المادة النظرية ما أتاح لنا أن نزداد استبصارًا بنمو وتطور العلاقات الاجتماعية ، وبأساليب قياس النضج عند الأطفال .

وقد وضع ادجار دول ١٩٤٦ مقياس الفايبلاند للنضج الاجتماعي ليحدد أولاً مستوى نضج الأطفال المتخلفين عقلياً حتى يمكن مساعدتهم ولصعوبة استخدام أدوات القياس العادية معهم . ورغم أن المقياس ينطلي مدى الأعمار من الميلاد حتى سن ٢٥ سنة إلا أنه قد وجد أن هذا المقياس أكثر فائدة في المستويات الصغيرة من الأعمار وخاصة مع المتخلفين عقلياً . ويتكون المقياس الكلي من ١١٧ فقرة مجمعة في مستويات للأعمار . وقد تم الحصول على البيانات اللازمة لكل فقرة لا من خلال موقف الاختبار ولكن من خلال مقابلة شخصية مع ملاحظين أو مع المفحوص نفسه . والفكرة الأساسية له قائمة على ما يفضله الفرد في حياته اليومية ، وتنطلي الفقرات ثماني فئات أساسية هي ( الاعتماد على النفس بصفة عامة ، الاعتماد على النفس في الأكل ، والملبس ، القدرة على توجيه الذات ، الاشغال بأعمال ، الاتصال ، التحرك ، والتطبيع الاجتماعي ) . ويمكن الحصول على درجات فرعية لكل طفل على كل مقياس من هذه المقياس الفرعية على حدة . كما يمكن الحصول على درجة كلية للمقياس تمثل العمر الاجتماعي للطفل ونسبة ذكائه الاجتماعي .

تكونت عينة التقنين الأصلية للمقياس من ٦٢٠ فرداً متضمنة ١٠ ذكور و ١٠ إناث في كل سنة من الميلاد حتى سن الثلاثين . ويتحدد صدق المقياس على أساس قدرته على التمييز بين الأعمار والمقارنات التي تمت بين الأطفال المتخلفين والأسياء ، والارتباطات بين درجات المقياس ودرجات محكمين يعرفون الأطفال جيداً . كما حسب الثبات بطريقة إعادة الاختبار على ١٢٣ حالة وكانت قيمة المعامل ٩٢ ، هذا وقد تراوح المدى الزمني لإعادة بين يوم و ٩ شهور : وقد تفاوتت الارتباطات إلى حد كبير بين النضج الاجتماعي وبين استنفورد بينيه لقياس ذكاء الأطفال ، كما كانت المعاملات الارتباطية الناتجة منخفضة :

وقد انضحت قيمة مقياس الفايبلاند للنضج الاجتماعي للمعالجين الاكلينيكيين



في الوصول إلى قرارات مع الأطفال المتخلفين عقليا ، فثلا قد يكون في إمكان الطفل الذي يظهر تخلفا على اختبار بينه أن يتكيف بشكل مرضي خارج المؤسسة إذا كانت درجته مرتفعة نسبيا على مقياس الفايولاند .

والصورة المستخدمة في هذا البحث مكونة من ٨٩ فقرة مقسمة في مستويات للأعمار من سن الميلاد حتى من ١٢ - ١٥ سنة توضح درجة النضج الاجتماعي للطفل حسب مرحلة العمر التي ينتمي إليها . ويمكن بهذه الصورة الحصول على درجة كلية توضح النضج الاجتماعي بصفة عامة . كما يمكن الحصول على درجات توضح النضج الاجتماعي في الجوانب الأساسية التي ذكرناها الآن . ويستخرج العمر الاجتماعي للطفل . ثم تحسب نسبة الذكاء الاجتماعي بنفس الطريقة المتبعة في مقياس بينه .

#### ثانيا : اختبار هسكي بنبراسكا للاستعداد التعليمي :

Hiskey Nebraska of Learning Aptitude :

وضع هذا الاختبار مارشال هسكي في عام ١٩٤١ لسد الثغرات الموجودة في عملية قياس ذكاء الأطفال الصم . وقد ذاع انتشاره بعد الحرب العالمية الثانية مما أوجب استخراج معايير للأطفال المعاقين قائمة على أساس التوجيهات القبطية المنطوقة عند إجراء الاختبار . وقد ظهرت هذه المعايير في عام ١٩٥٥ . وقد جرب الاختبار بصورته الأولى مع ٤٦٦ طفلا في السن من ٤ : ١٠ في مدارس الصم التابعة لولايات ، أيوا ، بنبراسكا ، كانساس ، ميسوري ، إلينويس ، انديانا ، وأوهايو حيث كانت هذه العينة ممثلة للأفراد في العمر الزمني المطلوب والمقيدين بمدارس الصم في بعض هذه الولايات .

ولقد ساد الاعتقاد بأن استخدام فكرة العمر العقلي سيقود إلى مقارنات خاطئة بين الأطفال الصم وعاديين السمع ، ولهذا السبب ولأن معظم عناصر الاختبار قد اختبرت لتماثل القدرات التي يجب أن يظهرها الطفل الأصم في المدرسة ، فإن اصطلاح العمر التعليمي قد استخدم مع الأطفال الصم ، فثلا العمر التعليمي لطفل في الخامسة من عمره يعني أنه تبعا لنتائج الاختبار فإن هذا الطفل يستطيع أن يقوم بتلك الواجبات التي يمكن لطفل أصم متوسط في عمر خمس سنوات أن يقوم

بها أو أنه سيكون قادرا على حل المشكلات بنفس متوسط الكفاءة لطفل أصم في سن الخامسة . وعند اعداد معايير الاختبار للأطفال العاديين (١٩٥٤ - ١٩٥٥) طبق الاختبار على الأطفال الذين طبق عليهم اختبار استانفورد بينيه . وكان متوسط نسب ذكائهم من ٩٠ - ١١٠ . وطبق الاختبار على أكثر من ٤٠٠ طفل بين سن ٤ : ١٠ سنوات . وحين استخدم الاختبار مع الأطفال العاديين كان معامل الارتباط بين متوسطات نسب الذكاء في اختبار بينيه ونسب الذكاء في نبراسكا لكل مجموعة عمرية ٨٣ ، وهذا دليل على درجة عالية من الصدق إذا ما قبل اختبار استانفورد بينيه طبعة ١٩٣٧ كقياس شائع الاستخدام . ودليل أيضا على أن اختبار نبراسكا للاستعداد التعليمي يمكن استخدامه بثقة كقياس للذكاء . كما حسب الثبات النصفى مع استخدام معادلة سبيرمان براون لتصحيح الطول . وكان معامل الثبات للأطفال الصم ٩٦٣ ، وللأطفال العاديين ٩٣٦ .

ثم عدل المقياس وزيدت فقراته إلى ١٦٣ موقف رتبت في اثنتي عشر اختبارا فرعيا وفقا للدرجة صعوبتها . وقد استخدم هذا المقياس المعدل مع كل الأطفال الصم وعاديين السمع بغية الحصول على معايير له . وقد قُتِن على مدى عمرى يتراوح من ٢,٦ إلى ١٧ سنة وخمسة شهور . وتكونت عينة التقنين من ١٠٧٩ طفلا أصم و ١٠٧٤ عادى السمع . وقد روعى تكافؤ المجموعتين من حيث المستوى الاجتماعى الاقتصادى بمراعاة مهنة الأب . وقد خفضت فيه السرعة إلى أقصى درجة ممكنة لأنه قد لوحظ صعوبة نقلها إلى الطفل الأصم . كما بذلت فيه المحاولات ليشمل العديد من الوظائف العقلية التى قد لا تتوافر في غيره من الاختبارات الأدائية . ويستخدم الباتنومايم وتمرينات الأداء أمام الطفل . وقد اختبرت كل فقرات الاختبار بمراعاة حدود الطفل الأصم . كما اختبرت أيضا على أساس قدرتها على التمييز بين الأعمار .

حسبت الارتباطات الداخلية لفقرات الاختبار ، وقد كانت كل المعاملات مرتفعة بصورة مقبولة ودالة إحصائيا . ويوضح مارشال نبراسكا أن من أحسن الشواهد على صدق الاختبار هو أن يستمر مستخدما بنجاح لعدة سنوات ، حيث دلت تقارير البحوث خلال العشرين سنة الأخيرة أن المقياس يعتبر وسيلة صادقة .

كما قام مصمم الاختبار بمحاولة ثانية لحساب الارتباطات في الاختبار المعدل مع اختبار بينيه وكان الارتباط بين استنفورد بينيه والمسكني نبراسكا ٨٦. في فئة السن من ٣ : ١٠ و ٧٨، في فئة السن من ١١ : ١٧ . كما كان معامل الارتباط ٨٢، مع اختبار وكسلر لذكاء الأطفال WISC . كما حسب الثبات النصفي في المقياس المعدل واستخدمت معادلة سبيرمان براون لتصحيح طول الاختبار . وكانت معاملات الثبات كالآتي :

٩٤٧، للأطفال الصم في السن من ٣ : ١٠ سنوات .

٩٣٣، للأطفال العاديين في السن من ٣ : ١٠ سنوات .

٩١٨، للأطفال الصم في السن من ١١ : ١٧ سنة .

٩٠٤، للأطفال العاديين في السن من ١١ : ١٧ سنة .

ويتكون الاختبار من ١٢ فقرة فرعية كالآتي :

١ — أنماط الخرز Bead patterns : للسن من ٣ : ١٠ . ويطلب

فيه من الطفل أن يقوم بلصم أنواع مختلفة من الأشكال مباشرة أو من الذاكرة .

٢ — تذكر الألوان . Memory for color : للسن من ٣ : ١٠ . .

ويطلب فيه من الطفل أن يتعرف على مجموعات من الألوان من الذاكرة .

٣ — التعرف على الصور . Picture Identification : للسن من ٣ : ١٠

ويطلب فيه من الفحوص التعرف على مجموعات من الصور .

٤ — ترابط الصور Picture assooiation : للسن من ٣ : ١٠ ويطلب

فيه من الفحوص أن يجمع وحدات من الصور في وحدات متماثلة .

٥ — تطبيق الورق Paper folding : للسن من ٣ : ١٠ ويطلب فيه من

المفحوص أن يطبق الورق بحسب نماذج معينة يقوم بها الفاحص أمامه .

٦ — مدى الإنتباه البصري : Visual Attention span : يصلح لكل

الأعمار : حيث يطلب فيه من الطفل أن يقوم بتجميع وحدات من الصور من الذاكرة .

٧- المكعبات : Block Patterns : يصلح لكل الأعمار : ويطلب فيه من الطفل أن يكون مجموعات من المكعبات حسب نماذج مطبوعة على بطاقات .

٨- تكميل الرسم : Completion of Drawings : يصلح لكل الأعمار ويطلب فيه من الطفل أن يكمل الأجزاء الناقصة من الرسومات بالقلم .

٩- تذكر الأرقام : Memory for digits : للسن من ١١ فأكثر . ويطلب فيه من الطفل أن يتعرف من الذاكرة على مجموعات من الأرقام تقدم له .

١٠- الغاز المكعبات : Puzzle Blocks : للسن من ١١ فأكثر . وهي مكونات من المكعبات مقطعة لتماثل شكلاً أصلياً يقدم للطفل ويطلب منه أن يجمع هذه القطع لتماثل الشكل الأصلي .

١١- الصور المتناظرة Picture Analogy : للسن من ١١ فأكثر . ويقدم فيه للطفل مجموعات من الصور ويطلب منه أن يختار من بينها الصور المرتبطة معاً بمعنى .

١٢- الاستدلال المكاني : Spatial Reasoning : للسن من ١١ فأكثر . ويقدم فيه للطفل شكلاً هندسياً ويطلب فيه منه أن يستخرج من مجموعات أخرى من الأشكال الشكل المكون للشكل المقدم .

ويعتبر الاختبار بهذه الصورة اختباراً أدائياً ، ويطبق تطبيقاً فردياً ، ويغطي مدى العمر من ٣ : ١٧ سنة ، حيث هناك ثمانية اختبارات تصلح للسن من ٣ : ١٠ وأربعة اختبارات للسن من ١١ فأكثر . وتقدم التعليمات للطفل الأصم بالإشارة أو الباتوماتيم ، أما الطفل العادي فهي تقدم له لفظياً . يحسب بعد ذلك وسيط الدرجات ، ويستخرج العمر التعليمي من جداول المعايير ، وتستخرج نسبة الذكاء التعليمية بنفس الطريقة المستخدمة في كل من اختبار استانفورد بينيه والفائنلاند للتصنيف الاجتماعي . ويلاحظ أن هناك معايير خاصة للأطفال الصم .

ورغم أن الاختبار يعتبر اختباراً أدائياً . إلا أن الباحث قد قامت بمحاولة لا اختبار صلاحية الاختبار على عدد من الأطفال الصم وعاديين السمع من الأطفال المقيمين في دار الطفولة للفحص والتأهيل النفس بلحوان ومن خارجها بهدف معرفة ما إذا كان الاختبار يصلح للاستخدام مع عينات مصريه . وقد اتضح من هذه المحاولة أن الاختبار خاصة في المستويات الصغيرة من الأعمار يعتبر اختباراً مناسباً .

**حساب الثبات :** ثم حساب الثبات النصفى لاختبار المسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى على عينتين احدهما من الأطفال الصم والأخرى من الأطفال العاديين فى السن من ٣ : ١٠ باستخدام الاختبارات الثمانية التى تصلح لهذا السن . وتكونت كل عينة من ٣٠ طفلا ١٥ من الذكور و ١٥ من الاناث . وكانت معاملات الارتباط الناتجة كالاتى كما يتضح من الجدول رقم (١) .

جدول رقم (١) يبين الثبات بالنسبة  
لاختبار المسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى  
للعينتين مع استخدام معادلة سيرمان براون  
لتصحيح الطول .

الثبات قبل التصحيح	الثبات بعد التصحيح	الثبات
		العينة
٨٥	٩٢	الأطفال الصم
٨٣	٩١	الأطفال عاديين السمع

ولهذه المعاملات دلالة احصائية مرتفعة ومقبولة . هذا وقد روعى تكافؤ المجموعتين بوجه عام من حيث المستوى الاجتماعى الاقتصادى .

كما حسب الثبات لمقياس الفايبلاند للنضج الاجتماعى على العينتين بالاستعانة بالوالدين معا بطريقة اعادة الاختبار . وقد تراوح المدى الزمنى للاعادة بين يوم واحد وسبعة أيام . وكانت معاملات الثبات الناتجة كالاتى :

٩٣ ، للأطفال الصم و ٩٦ ولأطفال العاديين ولهذا المعاملات دلالة احصائية مرتفعة ومقبولة .

## صدق اختبار الهسكي بنراسكا للاستعداد التطيبي :

و كحاولة لبيان صدق الاختبار ، طبق اختبار استانفورد . بينية طبعه ١٩٣٧ على العينة المكونة من ٣٠ طفلا من الأطفال عاديين السمع والتي حسب عليها الثبات ثم حسب معامل الارتباط بين نسب الذكاء للاختبارين . وقد كان معامل الارتباط الناتج ٨٩ و ولهذا المعامل دلالة احصائية مرتفعة ومقبولة .

العينة \* (١) تكونت عينة البحث الأولى من ٣٠ طفلا أصم ، ١٥ من البنين و ١٥ من البنات في السن من ٣ : ٦ وهي مرحلة الحضانة أو قبيل الالتحاق بالمدرسة . وقد فضلنا اختيار هذا السن قبل أن تتدخل مثيرات المدرسة في عملية التعليم وما يصاحبها من نمو لغوي وتعدد في الخبرات . وقد روعي ضبط المتغيرات الآتية في العينة :

(١) الاتقل درجة الفقد في السمع عن ٨٠٪ حسب تشخيص الطبيب .

(ب) إلا يكون الطفل الأصم قد مر بأي خبره تدريب على الكلام .

(ج) الا يكون مصابا بأي نوع من الاضطرابات النفسية أو العصبية حسب تشخيص الطبيب .

(د) الا يكون هناك أي درجة من درجات التخلف العقلي .

(هـ) الثبات في المستوى الاجتماعي الاقتصادي . وذلك حتى لا يتدخل أي عامل من هذه العوامل بصورة أو بأخرى بجانب حاله الصمم فيؤثر على النتائج .

---

\* اعتمدت الباحثة في حساب الصلح على طبة ١٩٣٧ من اختبار استانفورد بينية لقياس ذكاء الأطفال ، رغم ظهور طبة ١٩٦٠ التي عدلت فيها معايير الاختبار فأصبحت معايير مسترشدة بدلا من المعايير الطولية وذلك لصعوبة الحصول عليها .

(\*) أخذت هذه البينة (١) من الأطفال الصم أثناء عمل الباحثة في مشروع البحث في وسائل تخاطب الصم التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية بإشراف الأستاذ محمد حسن وكيل الوزارة . وقد أجرى فحص السمع في العيادة الخارجية التابعة لمستشفى المرداش بإشراف الدكتور صلاح الدين محمود سليمان الأستاذ المساعد طبب عين شمس والباحث الرئيسي بالمشروع . كما قام بفحص المستوى التخاطبي للطفل الدكتور ناصر قطبي الأستاذ المساعد طبب عين شمس والباحث الرئيسي بالمشروع . كما قامت بالنقص السيكياترى الدكتور زينب بشرى المدرسة طبب عين شمس والباحثة بالمشروع . كما قامت الباحثة بفحص ذكاء الأطفال في نجمة الصم واليكم مقر المشروع بمصر الجديدة .

العينة (٢) : أخذت عينه ضابطة من الأطفال عاديي السمع . تكونت من ٣٠ طفلاً في السن من ٣ : ٦ ، ١٥ من البنين و ١٥ من البنات . وقد روعي تكافؤ المجموعتين بصفة عامة من حيث المستوى الاجتماعي الاقتصادي . وقد اعتبرت العينتين من مستوى اجتماعي اقتصادي منخفض بمراعاة مختلف المتغيرات الممكنة مثل : مهنة الأب ، مستوى تعليم الأب ، مهنة الأم - مستوى تعليم الأم - الحى السكنى ، متوسط دخل الأسرة في الشهر .

وكانت المتغيرات في معظمها متماثلة مثل :

( أ ) الحى السكنى : تراوح الحى السكنى للعينتين في أحياء لا تخرج عن بولاق . المطرية . الشراية . وبعض العزب التابعة لأحياء .

( ب ) مهنة الأب : لم تختلف مهنة الأب في العينتين عن العمال والحرفيين وما إلى ذلك .

( ج ) مستوى تعليم الأب : يقرأ ويكتب .

( د ) مستوى تعليم الأم : تقرأ وتكتب ٨٠ ٪ من الحالات وأمية في ٢٠ ٪ منها .

( هـ ) مهنة الأم : لا تعمل

( و ) متوسط دخل الأسرة في الشهر : تراوح الدخل بين ٢٠ : ٢٥ جنياً في المتوسط .

الأجراء : طبق مقياس الفايثلانج للتضج الاجتماعي بالاستعانة بالوالدين معا . كما طبق على الأطفال اختيار المسكن بمراسكا للاستعداد التعليمي .

الفرض (١) : يختلف الأطفال الصم عن الأطفال عاديي السمع من حيث التضج الاجتماعي والاستعداد التعليمي .

النتائج : تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لنسب ذكاء كل اختيار ولدى كل عينه على حدة . كما تم حساب دلالة الفروق بين الأطفال الصم وعاديي السمع .

وبين الجدول التالي رقم (٢) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وأختيار دلالة الفرق بين المجموعتين .

جدول رقم (٢) بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجموعتين ودلالة الفرق بينها (قيمة ت)

الاختيار المستخدم	الأطفال الصم		الأطفال عادي السمع		قيمة ت
	٢	٤	٢	٤	
١- الفايولاند للتضج الاجتماعي	٧٧,٥٤	١٣,٤٦	٨٢,٦٩	٤,٩٨	٢,٧٥ **
٢- المسكى نبراسكا للاستعداد التعليمي .	٧٤	١٢,١٢	٨٥	٣,٥٦	٦,٧١ **

٥٥ له دلالة احصائية عند مستوى ٠.٠١ .

يتضح من المقارنات السابقة أنه كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية بين العينتين الصم وعاديين السمع من حيث التضج الاجتماعي والاستعداد التعليمي في اتجاه التضج لعينة الأطفال عاديين السمع ، ويتضح ذلك من الفروق الهائلة ومن الفروق بين المتوسطات .

ولقد رأيت الباحثة أن تكرر هذه المحاولة مرة أخرى على عينتين من مستوى اجتماعي اقتصادي مختلفتين لما إذا كانت الفروق بين الصم وعاديين السمع فروقا قائمة فلاهما اختلفت منتهات البيئة بما تتيحه من فرص وإمكانات تفوق المستوى المنخفض .

العينة (٣): أخذت عينة من الأطفال الصم ٣٠ طفلا من الأطفال المزددين على

العيادات الخاصة . ١٥ من البنين و ١٥ من البنات في السن من ٦:٣ وقد اعتبرت العينة من مستوى اجتماعي اقتصادي متوسط بمراعاة نفس المتغيرات السابقة .

العينة (٤) : وفي مقابل ذلك عينة من ٣٠ طفلا من الأطفال عاديين السمع في

السن من ٦:٣ ، ١٥ من البنين و ١٥ من البنات . وقد روعي تكافؤ المجموعتين من حيث المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط ، بضبط نفس المتغيرات التي سبق ضبطها في العينتين السابقتين .

الاجراء : طبق مقياس الفايولاند للتضج الاجتماعي بالاستعانة بالوالدين معا كما طبق على الأطفال اختبار المسكى نبراسكا للاستعداد التعليمي .



## النتائج : حسب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري باللبه لكل اختيار

ولدى كل عينة على حدة . كما تم حساب دلالة الفروق بين المجموعتين الصم وعاديين السمع باختيار « ت » . وبين الجدول رقم ( ٣ ) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختيار دلالة الفرق بين المجموعتين .

جدول رقم (٣) بين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمجموعتين ، ودلالة الفرق بينهما ( اختبار ت )

الاختبار المستخدم	الأطفال الصم من مستوى متوسط		الأطفال العاديين من نفس المستوى		قيمة « ت »
	٢	٤	٢	٤	
١- الفايبلاند للنضج الاجتماعي	٩١.١٢	٣.٧٦	٩٧	٥.٣١	٦.٨٦
٢- المسكن نبراسكا للاستعداد التعليمي	٨٩	٣.٧٠	٩٩	٦.٨١	٩.٩

٥٥ له دلالة احصائية عند مستوى ٠.٠١ .

تأكد بهذا الفرض الأول وهو أن هناك فروقا دالة احصائية بين الأطفال الصم وعاديين السمع من حيث النضج الاجتماعي والاستعداد التعليمي في اتجاه التفوق للأطفال عاديين السمع كما يتضح من المتوسطات الحسابية ، ومن ارتفاع دلالة الفروق في مستويين من المستويات الاجتماعية الاقتصادية .

ثانياً : قارنا حتى الآن بين الأطفال الصم وعاديين السمع من حيث النضج الاجتماعي ، والاستعداد التعليمي ، وقد رأينا كمحاولة لبيان أثر المستوى الاجتماعي الاقتصادي ، والفرق بين اليثبات المنبهة واليثبات غير المنبهة أن تقارن داخل العينات .

( أ ) الأطفال الصم من مستوى اجتماعي اقتصادي منخفض .

( ب ) الأطفال الصم من مستوى اجتماعي اقتصادي متوسط .

كما تم المقارنة داخل عينة الأطفال عاديين السمع بين المستويين بنفس الطريقة .

( أ ) أطفال عاديين من مستوى اجتماعي اقتصادي منخفض .

( ب ) أطفال عاديين من مستوى اجتماعي اقتصادي متوسط .

الفرض (٢) : يؤثر المستوى الاجتماعي الاقتصادي في النمو الاجتماعي

والاستعداد التعليمي للطفل سواء اكان أصم أم عادي السمع .

النتائج : حسب قيمة « ت » للمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية

النتيجة وبين الجدولان ( ٤ ) ، ( ٥ ) قيمة « ت » لدلالة الفروق بين المجموعات .  
جدول رقم ( ٤ ) بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجموعتين  
من الأطفال الصم ودلالة الفرق بينهما .

الاختبار المستخدم	أطفال سم من مستوى منخفض		أطفال سم من مستوى متوسط		قيمة « ت »
	٢	٤	٢	٤	
١ - الفايولاند للنضج الاجتماعي	٧٧,٥٤	١٣,٤٦	٩١,٢	٣,٧٦	٧,٥١ **
٢ - المسكن نبراسكا للاستعداد التعليمي	٧٤	١٢,١٢	٨٩	٣,٧٠	٩,٠٩ **

٥٥ له دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠١ .

جدول رقم ( ٥ ) بين المتوسطات الحسابية

والانحرافات المعيارية للمجموعتين من الأطفال عاديي السمع ودلالة الفرق بينهما

الاختبار المستخدم	الأطفال الماديين من مستوى منخفض		الأطفال الماديين من مستوى متوسط		قيمة « ت »
	٢	٤	٢	٤	
١ - الفايولاند للنضج الاجتماعي	٨٢,٦٩	٤,٩٨	٩٧	٥,٣١	١٥,٢٣ **
المسكن نبراسكا للاستعداد التعليمي	٨٥	٣,٥٦	٩٩	٦,٨١	١٤ **

يتضح من هذه المقارنات أن هناك فروقا داخل المجموعات من حيث النضج الاجتماعي والاستعداد التعليمي في اتجاه التفوق للمجموعتين من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط . وقد اتضح ذلك من ارتفاع المتوسطات الحسابية ومن ارتفاع دلالة الفروق . وتأكد هذا الفرض الثاني وهو أن المستوى الحضاري للطفل يؤثر إلى حد كبير في نموه الاجتماعي واستعداده التعليمي .

ثالثا : تدل الدراسات المختلفة عن التطبيع الاجتماعي في الدول المتقدمة . والدول النامية أن هذا التطبيع يختلف عند البنت عنه عند الولد متأثرا بنظرة وظروف المجتمع

المتاحة لكل منهما . ولهذا فقد رأت الباحثة أن تختبر الفروق بين الجنسين من حيث التضيح الاجتماعي والاستعداد التعليمي كمحاولة استكشافية ليان هذه الفروق في حالة وجود عاعة حية هي الصم .

الفرض ( ٣ ) : يختلف التضيح الاجتماعي والاستعداد التعليمي للولد الأصم عن البنت الأصم إذا قورن ذلك بالأطفال العاديين .

النتائج : تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل اختبار ولدى كل عينة على حده . كما تم حساب دلالة الفروق باستخدام اختبار « ت » وتبين الجدول من ( ٦ ) إلى ( ١٣ ) دلالة هذه الفروق .

جدول رقم ( ٦ ) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين في التضيح الاجتماعي داخل عينة الأطفال الصم من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض .

ع	م	
٢٠٧٦	٧٥.٤	بنين
٣,٩	٧٦,٦٣	بنات

قيمة ت = ١.٣٨

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم ( ٧ ) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفروق بين الجنسين في الاستعداد التعليمي داخل عينة الأطفال الصم من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض .

ع	م	
٣,٢٤	٧٥	بنين
٢,٢٦	٧٣,٢٤	بنات

قيمة ت = ٢,٢١

ولهذه القيمة دلالة احصائية عند مستوى ٠.٠٥

جول رقم (٨) بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين في التصحج الاجتماعي داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض .

ع	م	
٥,١٣	٨٢	بنين
٥,١	٨٣,٥	بنات

قيمة ت = ١,٠٨

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جول رقم (٩) بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين في الاستعداد التعليمي داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض .

ع	م	
٢,٩٦	٨٥,٨٨	بنين
٤,٠٨	٨٤,٦	بنات

قيمة ت = ١,٣٧

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جول رقم (١٠) بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين في التصحج الاجتماعي داخل عينة الأطفال الصغار من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط .

ع	م	
٤,٥٩	٨٩,٣٦	بنين
٢,٠٤	٩٠	بنات

قيمة ت = ٠,٦٧

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (١١) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين البنين في الاستعداد التعليمي داخل عينة الأطفال الصم من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط .

ع	ب	
٢,٠٨	٨٩	بنين
٤,٣٤	٨٨,٤٦	بنات

قيمة ت = ٦١,

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (١٢) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين البنين في النضج الاجتماعي داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط .

ع	ب	
٧,١٤	١٠١,٧	بنين
٧,١١	١٠١,٤٤	بنات

قيمة ت = ١٤,

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (١٣) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين البنين في الاستعداد التعليمي داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط .

ع	ب	
٦,٤٥	١٠١,٤٦	بنين
٦,٤٢	٩٩,٥١	بنات

قيمة ت = ١,١٥ .

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

## مناقشة النتائج

تحققت فروض البحث في معظمها إذ تبين أن هناك فروقا بين الأطفال الصم وعاديين السمع في كل من النضج الاجتماعي والاستعداد التعليمي ، كما كانت هناك فروق داخل المجموعات موضحة أثر المستوى الاجتماعي الاقتصادي . بينما لم تتضح أية فروق بين الجنسين في عينات البحث الأربع . وستناول الآن كل فرض من الفروض الثلاثة بالمناقشة موضحين ارتباط نتائج هذا البحث بالدراسات والبحوث السابقة التي أجريت على الصم والمعوقين بصفة عامة .

أولا : الفرض الأول : تركز الدراسات والبحوث على أهمية اللغة كعامل من العوامل الأساسية التي تتدخل في النضج الاجتماعي والاستعداد التعليمي للطفل ، كما أنها تعتبر من المكونات في نمو وتطور الذكاء . وقد اتضح من نتائج الفرض الأول أن الفروق بين الأطفال الصم وعاديين السمع فروقا دالة احصائيا في اتجاه التفوق للأطفال العاديين ، وإذا وضعنا في اعتبارنا العوامل التي استطعنا تثبيتها بين العينات الأربع يتضح أن العامل المتغير الوحيد هو اللغة . فلا شك أن عدم قدرة الطفل الأصم على استخدام اللغة يعوق إلى حد كبير نموه الاجتماعي ويعوق بشكل أوضح استعداده التعليمي . وقد كانت الفروق بين النضج الاجتماعي للعينتين دالة احصائيا . إذ كان متوسط النضج الاجتماعي للأطفال الصم من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المنخفض ٧٧,٥٤ بينما كان لعاديين السمع ٨٢,٦٩ ووصلت قيمة « ت » إلى ٢,٧٥ وقد كان لهذه القيمة دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠١ . كما اتضح من الجدول رقم (٣) أن الفروق بين العينتين من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط فروقا دالة فقد كان متوسط النضج الاجتماعي للأطفال الصم ٩١,٢ بينما كان ٩٧ لعاديين السمع وكانت قيمة « ت » ٦,٨٦ . وهذا ما يؤكد أهمية اللغة كعامل حيوي في نمو قدرة الطفل على التعامل والتواصل الاجتماعي . فرغم أن المستوى الاجتماعي الاقتصادي قد يتدخل ويتيح للطفل في البيئة المتوسطة الفرصة على نمو إمكاناته . يتيح له القدرة على التواصل الاجتماعي ، فلا شك أن لعامل السن دخل واضح في هذه المقارنات ، فنلاحظ أن عينات البحث كانت في السن من ٣ : ٦ وهي مرحلة الحضنة أو قبيل الالتحاق بالمرسة . وهنا نجد أن الطفل الأصم قد لا تساعده

امكانياته بعد على المحاكاة والاستفادة من البيئة مثل الطفل العادي الذي يتعلم من البيئة كل يوم شيئاً جديداً . فالطفل الأصم يعاني في هذه المرحلة الكثير من المشكلات الاجتماعية والنفسية قبل أن يتأخّر له التأقلم مع ضيقه ومحاولة تعويضه بجوانب أخرى من قنراته .

كما كانت الفروق بين الاستعداد التعليمي أكثر ارتفاعاً . فقد كان المتوسط الحسابي للاستعداد التعليمي للأطفال الصم من مستوى منخفض ٧٤ بينما كان لمعديني السمع ٨٥ ووصلت قيمة « ت » إلى ٦.٧١ وهذه القيمة دلالة احصائية عند مستوى ٠.٠١ . كما اتضحت نفس النتيجة في المقارنات الموضحة بالحلول رقم (٣) إذ كان المتوسط الحسابي للأطفال الصم ٨٩ في حين كان لمعديني السمع ووصلت قيمة « ت » إلى ٩.٩ مسجلة دلالة احصائية عند مستوى ٠.٠١ . وتتفق هذه النتيجة مع نتائج البحوث التي أوضحت دائماً أن افتقار الصم إلى اللغة يعوق إلى حد كبير النمو الاجتماعي والاستعداد التعليمي . فتجد بحوث أنستازي التي تؤكد على أن الصم يفوق النمو اللغوي كما أنه يمنع الاتصالات الاجتماعية العادية مما يؤدي إلى تأخر الطفل الأصم بشكل عام عن الطفل عادي السمع ( السيد بحري وآخرون ١٩٥٩ ص ٥٤٢ ) . كذلك وجد باترسون ١٩٣٠ تحلقاً لدى الأصم يصل مقداره إلى ٢٢ شهراً وقد كان هناك احساس بأن هذا التخلف يرجع في جزء كبير منه إلى التأخر في بدء التعلم وإلى عدم القدرة على تمثل اللغة Hiskey Nebraska manual. 1966

ووجدت تاون ١٩٦٢ علاقة واضحة بين اللغة والذكاء وبيئت نتائجها علاقات واضحة بين مستويات التخلف العقلي قائمة على أساس اختبار بينيه ونمو وتطور اللغة عند الأطفال . مثل فهم الإيماءات ، تقليد الآخرين . فهم الكلمات ، ترديد الكلمات ، بداية استخدام الجمل . كما وجدت تقدماً واضحاً في الذكاء مع ازدياد الحصول اللغوي في السن من ٣ : ٦ . A.C. Townen 1962

كما وجد سيركين ولوين ١٩٤١ علاقة واضحة بين نسب الذكاء عند الأطفال الذين يعانون من عيوب الكلام وبين درجة التفهم اللغوي التي يعانون منها N. ELLIS. 1963. P. 526.

وتوضح الدراسة التي قام بها أندرو ١٩٦٩ علاقة اللغة بالذكاء والنمو . فقد

قارن بين مجموعتين من الأطفال أحدهما من الصم ويقيم في مدرسة خاصة وأخرى من الأطفال العاديين في إحدى مدارس الحضانة . وقد استخدم اندرو اختبار استانفورد يبينه لقياس الذكاء حيث قد وجد أن هذا الاختبار يصلح للاستخدام في المستويات الصغرى من الأعمار . وقد وجد علاقة واضحة بين استخدام اللغة وبين نمو الطفل العقلي وقدرته بصفة عامة .  
E.H.Young, 1955, P. 136.

ثانيا : الفرض الثانى : تحقق أيضا الفرض الثانى إذا اتضح من المقارنات أن هناك فروقا بين الأطفال في النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى ، فروقا مرتبطة بالمستوى الاجتماعى الاقتصادى . وقد اتضح ذلك من مقارنة المتوسطات الحسابية ومن دلالة الفروق التى تظهر من الجدولان ٤ ، ٥ . ونشير هنا بصفة خاصة إلى الدراسات التى بينت أثر العوامل البيئية على نمو الذكاء بصفة عامة . فقد بينت معظم الدراسات أن نسبة الذكاء تظل ثابتة بعد سن معين ، وأن ثراء البيئة بالخبرات يلعب دورا هاما في تحسن الذكاء في حدود معينة وذلك عند اختبار الأطفال فى السن أقل من ٦ . وهذا ما يدل عاده على أن الطفل يكون أكثر مرونة في المراحل المبكرة من نموه وأنه يمكن أن يتقدم إلى حد كبير إذا ما كانت البيئة التى ينمو فيها بيئة منشطة متعددة المثيرات مما يتيح له نمو الخبرة وتعمدها .

وتبين الدراسات الحديثة أن هناك فروقا واضحة في نمو الطفل تختلف بين الأطفال من الريف والحضر ، والأطفال من المجتمعات الصناعية ، والأطفال من الطبقات المتوسطة . وقد أكدت هذه الدراسات على أهمية العوامل البيئية . فقد إتضح من دراسة كيرك مع الأطفال المتخلفين والمعوقين كيف أدى التلريب في مرحلة ما قبل المدرسة إلى ازدياد معدل النمو العقلي والاجتماعى .  
Kuppuswamy 1974, P. 156. كما وجد مكارتي قبل ذلك ١٩٣٠ علاقة بين نمو اللغة عند الطفل وبين المستوى الاجتماعى الاقتصادى في اتجاه التفوق للأطفال من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط . ( سويف ١٩٧٥ ص ) . كما وجد ثمبلين أيضاً ١٩٥٧ أنه في كل مقاييس النمو المختلفة لدى الأطفال في السن من ٣ : ٦ تفوق الأطفال من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط ، ذلك أن الوالدين من المستوى المتوسط كما ذكر الباحث إيربان الطفل ذهنياً بما يقدره له من خبرات ومن فرص للنمو تفوق إلى حد كبير مثيرات الطفل من المستوى الأقل من المتوسط .



كذلك استخدمت رافال ١٩٧٠ ( Kuppaswamy 1974, P-156 ) مقياس الثايلاند للنضج الاجتماعي كنموذج وطورت منه صوره جديدة مقتصرة فقط على العشر سنوات الأولى من عمر الطفل، وقد وصفت النضج الاجتماعي بأنه عملية تطور من (أ) الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس . ( ب ) من عدم تحمل المسؤولية إلى الإحساس بالمسئولية . ( ج ) من الإحساس بعدم القدرة إلى الإحساس بالقدرة وقد تكون مقياس رافال من ١٧٠ قرة تتضمن فقرات تغطي نفس البنود الأساسية لمقياس دول . ومن بين الفقرات ١٧٠ تبين أن هناك ١٠٠ قرة تميز بين الأطفال من الريف والحضر . فلم يتفوق الأطفال الريفيون إلا في ٧ فقرات فقط بينما تفوق الحضريون في ٩٣ قرة . كما بينت الدراسة أيضاً أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل أهمية بالغة في نضجه الاجتماعي . أى أن لجو الأسرة وجو الحضارة بصفة عامة أهمية بالغة في نضج الطفل الاجتماعي .

ويلاحظ أيضاً أن الأطفال من المستوى الاجتماعي الإقتصادي المتوسط ينحدرون من آباء متعلمين ، حصلوا على شهادات جامعية على الأقل ، وهذا ما يعنى أنهم من مستوى ذكاء لا يقل عن المتوسط أن لم يزد . ولا شك أن عامل الوراثة يلعب دوراً في نمو الطفل العقلي بصفة عامة كما تؤكد الدراسات ، والإحتمالان مطروحان للاستفسار في أية دراسة تالية توضح أكثر طبيعة الفروق في المستويات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة .

### ثالثاً : الفرض الثالث : كثيراً ما تختلف نظرة المجتمع وطريقة وأسلوب

معاملة الأفراد للبت إذا ما أصيبت بفقد حاسة من الحواس عن أسلوب معاملتهم للولد ، بشكل قد يؤثر إلى حد ما في عملية النضج الاجتماعي والإستعداد للتعلم . وقد كان هذا ما دعانا إلى محاولة استكشاف هذه الفروق بين البيئات ومقارنة ذلك بالنضج لدى الأطفال العاديين . وقد اتضح من المقارنات أن الفروق لم تصل لحد الدلالة الإحصائية إلا مرة واحدة فقط ، حيث كان لاحتى قيم وت ، دلاله إحصائية عند مستوى ٠.٠٥ ، وهذه القيمة بمفردها لا توضح طبيعة الفروق المتوقعة . والواقع أن ضعف الفروق ربما يشير إلى أن الصمم لا يؤثر إلى حد كبير في الفروق بين الجفنين : إلا أن التقاط التي لابد وأن تضعها في الاعتبار عند النظر

لهذه النتيجة : أولاً مرحلة العمر التي اختارناها في هذا البحث وهي مرحلة الحضانة أو قبيل الالتحاق بالمدرسة ، حيث تراوح المدى الزمني للاطفال من ٣ : ٦ سنوات . في هذه المرحلة يكون الطفل غير فعال في المجتمع بطرقه المختلفة : بل تقتصر الدائره التي يتعامل معها في أضيق نطاق ، في دائره الأسرة الصغيرة فقط . وقد يحتاج الأمر إلى محاولة أوسع تتناول عينات من الأطفال الموقنين في مراحل عمر مختلفة لتبين طبيعة الفروق بين الجنسين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نلفت النظر إلى أن عينات المقارنة بين الأولاد والبنات كانت صغيرة العدد فقد تمت المقارنات بين ١٥ ولد و ١٥ بنت في كل فئة من عينات البحث الأربع ، وربما اختلفت هذه النتيجة أو تأكدت بشكل قاطع في محاولة أخرى بعدد أكثر من الأولاد والبنات .

ونشير أخيراً إلى أنه قد عقدت جامعة الدول العربية عدة مؤتمرات في الستينات والسبعينات من هذا القرن ( حلقة تربية الموهوبين والموقنين في البلاد العربية - التقرير النهائي وتوجيهات الحلقة : ١٩٦٩ ، ١٩٧٤ ) تناولت بالدراسة الأطفال الموقنين والموهوبين وكان موضوع دراسة الصم وتأهيلهم من الموضوعات الأساسية التي نوقشت في هذه المؤتمرات . وقد عرف الطفل الأصم من الناحية الطبية بأنه « ذلك الطفل الذي حرم حاسة السمع منذ ولادته » أو هو الذي فقد القدرة السمعية قبل تعلم الكلام ، أو هو الذي فقدتها بمجرد أن تعلم الكلام للدرجة أن آثار التعلم فقدت بسرعة . وقد بين المؤتمران الطفل الأصم يتميز بالصفات البارزة الآتية :

- ١ - أن الطفل الأصم يميل لأن ينسحب من المجتمع ولذلك فهو غير ناضج اجتماعياً بل درجة كافيته .
- ٢ - أن الأطفال الصم كجموعة لديهم مشكلات خاصة بالسلوك ، مثل العدوان ، والسرقة ، والرغبة في التنكيل ، والكيد بالآخرين وتوقيع الإيذاء .
- ٣ - أن الأطفال الصم يميلون غالباً إلى الإشباع المباشر لحاجاتهم ، بمعنى أن مطالبهم يجب أن تشبع بنزعة .

٤ - أن استجابات الطفل الأصم لاختبارات الذكاء التي تتفق مع نوع إعاقته لا تختلف عن استجابات الطفل العادي .

٥ - أن التكيف الإجتماعي غير واضح لدى الأطفال الصم . كما أثبت ذلك اختبار روجرز للشخصية ومقياس براون للشخصية .

٦ - أن الأطفال الصم قد أظهروا عجزاً واضحاً في قدرتهم على تحمل المسؤولية !

٧ - أثبت اختبار فانيلانج للتضج الإجتماعي أنهم غير كاملين من ناحية التضج الإجتماعي وذلك بسبب عجزهم عن التفاعل مع المجتمع لأن التفاعل الذي يتم بين الفرد والمجتمع وأفراده الآخرين يؤدي حتماً إلى تضجهم إجتماعياً .

٨ - أن المخاوف تظهر بصورة واضحة لدى البينات الصم وأكبر هذه المخاوف ظهوراً هي الخوف من المستقبل .

٩ - يمكن إجراء الاختبارات والمقاييس النفسية والعقلية على الأطفال الصم بعد إجراء التعديلات الملائمة لها .

### ملخص البحث

تمت المقارنة بين أربع مجموعات من الأطفال في السن من ٣ : ٦ من مستويين اجتماعيين إقتصاديين هما المستوى المنخفض والمستوى المتوسط : بين الأطفال الصم وعاديين السمع من حيث التضج الإجتماعي والاستعداد التعليمي باستخدام مقياس الفانيلانج للتضج الاجتماعي والمسكي بنراسكا وقد تكونت كل عينة من عينات البحث من ٣٠ طفلاً ١٥ من البنين و١٥ من البينات . وقد ضبظت معظم المتغيرات التي تحمل المقارنات ممكنة للإجابة على فروض البحث الثلاثة . وقد تبين باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة أن الفروق بين المجموعات فروقا دالة بشكل صحيح يناقشة النتائج في إطار الفروق التي ظهرت من الكثير من الدراسات السابقة على الصم والمعوقين بشكل عام .

## مراجع البحث

### أولاً : المراجع العربية :

١ - اسماعيل ، م . ع ، إبراهيم . ن . أ . ومنصور . ر . ف . كيف نربي أطفالنا ، القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٦٧ .

٢ - الغريب ، رمزية . التقويم والقياس النفسى والتربوى ، القاهرة : الأنجلو ، ١٩٧٠

٣ - خيرى ، أ . م . الإحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والإجتماعية . القاهرة : الفكر العربى ، ١٩٥٦

٤ - خيرى . أ . م . ، سويف ، م ، أ ، وآخرون . سيكولوجية الفروق بين الأفراد والجماعات . القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ .

٥ - سلامة . أ . غ . جابر ع . ج . سيكولوجية الطفولة والشخصية . القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٧٠ .

٦ - سليمان . ع . المنهج وكتابة تقرير البحث فى العلوم السلوكية . القاهرة : الأنجلو ، ١٩٧٣ .

٧ - سويف . م . أ . مقدمة لعلم النفس الإجتماعى . القاهرة : الأنجلو ، ١٩٧٥ .

٨ - جامعة الدول العربية . الأمانة العامة : الإدارة الثقافية ، قسم التربية : حلقة تربية المهووبين والمعوقين فى البلاد العربية . التقرير النهائى وتوصيات الحلقة مايو ١٩٦٩

### ثانياً : المراجع الأجنبية :

9. Andrew. M.C. Rigidity and Isolations : Astudy of the deaf and the blind, canadian psychol. 1948, Vol. 43. pp. 476-494.
10. ANASTASI. A. *Psychological testing*. 3rd. London : MACMillan. 1968.
11. ANASTASI. A.I. Folley : *Differential Psychology*. 3rd. New York : MACmillan, 1958.

12. Frandsen. A.N. *How children learn*. New York : McGraw-Hill, 1957.
13. Jarecky. K. Identification of the Socially Gifted, in, B. BARBE. L. Rem. Zulli. J. (Eds). *Psychology and education of the gifted*. New York : John-wiley, 1965.
14. Kyppuswamy, *child Behavior and development*. INDIA : Bharti-1974.
15. Spradlin. J. E. Language and communication of mental defectives. in, ELLIS. N. (Ed.) *Hand Book of Mental deficiency*, New York : MCGrew Hill, 1963.
16. Young E.H.L. Hawk. S.S. *MoTo-Kinesthetic, speech training*, california : stanford university press. 1955.
17. Special education ; the Handicapped and the gifted. Report of the committee on special classes. white House conference on child health and protection. New York-London, 1931.



# الامم المتحدة وقضية اريتريا

١٩٥٢- ١٩٤٥

للدكتور السيد رجب حراز  
استاذ التاريخ الحديث المساعد  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

تمكنت قوات الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية من ازالة الهيمنة  
بالإيطاليين في شرق أفريقية . وقامت ادارة عسكرية بريطانية بالسيطرة على  
الصومال واريتريا وأثيوبيا . ولم يثر مصير أثيوبيا أى اشكال بين الحلفاء .  
فقد عاد الامبراطور هيلاسلاسى الى بلاده مع قوات الحلفاء بعد غياب دام خمس  
سنوات واستقر في أديس أبابا منذ ٥ مايو ١٩٤١ . ثم عقد مع بريطانيا اتفاقين  
في ٣١ يناير ١٩٤٢ و ١٩ ديسمبر ١٩٤٤ تم له بموجبها العودة الى السلطة ،  
وبذا تحقق تصريح أظونى ايدن Eden وزير خارجية بريطانيا في ٤  
فبراير ١٩٤١ ، والذي جاء به « ان جلالة الملك سوف يرحب بعودة ظهور دولة  
أثيوبية مستقلة ، وسوف يعترف بحق الامبراطور هيلاسلاسى في المطالبة  
بالعرش » (١) .

وكان الاتجاه الغالب بين الحلفاء أثناء الحرب هو أن إيطاليا فقدت  
امبراطورتها في أفريقية ، وأنها لن تعود بعد الحرب الى هذه المستعمرات (٢) .

Luther, E. W.: Ethiopia Today, pp 21—22; Greenfield, R.: (١)  
Ethiopia. A New Political History, pp 273—276; Sandford, C.: Ethiopia under  
Haile Selassie, p. 120.

(٢) عبد الملك عودة : السياسة والحكم في افريقية ص ٢٩٢ .

وفي ٨ مايو ١٩٤٥ انتهت الحرب في أوروبا ، وعقد الثلاثة الكبار : ترومان وتشرشل وستالين في ١٧ يولية مؤتمرا في بوتسدام ، حيث تقرر انشاء مجلس وزراء خارجية Council of Foreign Ministers تمثل فيه كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفيتية والصين وفرنسا ، ويكلف هذا المجلس بتحضير مشروع معاهدات الصلح مع إيطاليا ورومانيا وبلغاريا والمجر وفنلندا لمرضاها على الأمم المتحدة (٣) .

وقد اجتمع المجلس المذكور لأول مرة في ١١ سبتمبر ١٩٤٥ في لندن ووالى اجتماعه حتى ٢ أكتوبر من العام نفسه . وفي هذا الاجتماع وضع المشروع الأول لمعاهدة الصلح مع إيطاليا . ثم عقد وزراء خارجية بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي اجتماعا في موسكو ( ١٠ - ٢٤ ديسمبر ١٩٤٥ ) تقرر فيه أن يوالى نواب وزراء الخارجية اجتماعاتهم في لندن لياتمام صياغة المشروعات النهائية لمعاهدات الصلح ، وعند اتمام عملهم يدعو مجلس وزراء الخارجية للانعقاد مؤتمرا يضم الدول الخمس الكبرى وجميع الأمم التي ساهمت في الحرب بقوات وفيرة ضد الدول الأوروبية المعادية ، ويكون من مهمة هذا المؤتمر النظر في مشروعات المعاهدات المذكورة . وتقرر أن تقوم الدول الموقعة على شروط الهدنة مع إيطاليا ورومانيا والمجر وبلغاريا وفنلندا بتحرير النصوص النهائية لمعاهدات الصلح توطئة للتوقيع عليها من ممثلي الدول الحاضرة في المؤتمر ، والتي كانت في حرب مع الدول المعادية المذكورة وتصبح المعاهدات نافذة بمجرد التصديق عليها من الدول الموقعة على شروط الهدنة .

واجتمع نواب وزراء الخارجية في لندن من يناير الى أبريل ١٩٤٦ لقيام بما طلب منهم . وفي ٢٥ أبريل انعقد مجلس وزراء الخارجية في باريس وقرروا بعد أن تأجل اجتماعه من ١٦ مايو الى ١٥ يولية ١٩٤٦ توجيه الدعوة لمؤتمر باريس ، فاجتمعت إحدى وعشرون دولة في باريس في ٢٩ يولية واستمر الاجتماع الى ١٥ أكتوبر ١٩٤٦ . ثم اجتمع مجلس وزراء الخارجية مرة أخرى

---

Pankhurst, E. S. & Pankhurst, R. K. P.: Ethiopia and (٧)

Eritrea. The Last Phase of the Reunion Struggle 1941-1952, p. 117.



في نيويورك في ٤ نوفمبر أثناء انعقاد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة وأعاد النظر في توصيات مؤتمر الصلح في باريس ، وعقد المجلس جلسة ختامية في ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ واستقر قراره على أن توقع الدول الاحدى والعشرون ودول الأعداء السابقة معاهدات الصلح في باريس في ١٠ فبراير ١٩٤٧ (٤) .

### معاهدة الصلح مع إيطاليا :

ووقعت بالفعل في باريس في ١٠ فبراير ١٩٤٧ معاهدة الصلح مع إيطاليا (٥) وصدر عن الدول الأربع : الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا تصريح في اليوم نفسه الحق بالمعاهدة تحت رقم ١١ . وتند نصت المادة ٢٣ من معاهدة الصلح مع إيطاليا على ما يلي :

١ - تنازل إيطاليا عن كل حق أو سند في الممتلكات الإيطالية الإقليمية في أفريقية ، وهي ليبيا وأريتريا والصومال الإيطالي .

٢ - الى أن يتم تقرير مصيرها نهائيا تستمر هذه الممتلكات تحت الإدارة الحالية .

٣ - تقوم حكومات الاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا بالاشتراك فيما بينها بتقرير مصير هذه الممتلكات تقريرا نهائيا في خلال سنة من تنفيذ المعاهدة الحالية بالطريقة الميينة في التصريح المشترك الصادر من تلك الحكومات في ١٠ فبراير ١٩٤٧ برقم ١١ والآتي نصه :

( أ ) اتفقت حكومات الاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على أن تبت نهائيا بالاشتراك فيما بينها في مصير الممتلكات الإقليمية الإيطالية في أفريقية التي تنازلت إيطاليا عن أي حق أو سند فيها طبقا للمادة ٢٣ من معاهدة الصلح مع إيطاليا المؤرخة في ١٠ فبراير ١٩٤٧ وذلك في خلال سنة من تنفيذها .

(ب) تقوم الدول الأربع بتقرير مصير الأقاليم المتوه عنها تقريرا نهائيا ، وبتعديل حدودها التعديل المناسب على ضوء رغبات الأهالي ، ومنا

---

(٤) مذكرة عن « نظام الوصاية الدولي وعلاقته بمصير المستعمرات الإيطالية » بقلم عمر لطفى . أغسطس ١٩٤٧ .  
(٥) صودق عليها في ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ .

يحقن رفايتهم ويصون مصلحة السلام والأمن ، مع مراعاة وجهات  
نظر الدول الأخرى التي يعينها الأمر .

(ج) اذا لم تمكن الدول الأربع من الاتفاق في خلال سنة من تنفيذ  
معاهدة الصلح مع إيطاليا على تقرير مصير أى اقليم من هذه  
الأقاليم : دفع الأمر الى الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة لتصدر  
توصية ( بشأنه ) وتتعهد الدول الأربع بأن تقبل التوصية وأن تتخذ  
الاجراءات المناسبة لتنفيذها .

(د) يقوم نواب وزراء الخارجية بموالة النظر في مسألة تقرير مصير  
المستعمرات الإيطالية السابقة ، بقصد التوصل الى توصيات خاصة  
بالموضوع تعرض على مجلس وزراء الخارجية ، كذلك يرسل  
نواب وزراء الخارجية الى أى مستعمرة من المستعمرات الإيطالية  
السابقة لجانا تقوم بحث حالتها والتيقن من آراء السكان المحليين  
ولتزويد وزراء الخارجية بالمعلومات اللازمة في الموضوع (١) .

#### موقف مصر من مسألة اريتريا :

وكانت الحكومة المصرية قد اهتمت منذ أوائل الحرب العالمية الثانية  
بتأمين اشتراكها في أية تسوية تمس مصالحها . وقد أرسل السفير البريطاني  
في ١٦ نوفمبر ١٩٤٢ يبلغها أن الحكومة البريطانية ستبذل خير معاوتها  
لتحقق نصر تمشيطها على قدم المساواة في أية مفاوضة للصلح تمس مصالحها  
المباشرة . وانهزت الحكومة المصرية فرصة انعقاد مجلس وزراء خارجية  
الدول الخمس في لندن ، فوجهت في ١٢ سبتمبر ١٩٤٥ الى الدول المشتركة  
في هذا المجلس مذكرة تبين ارتباط مصالحها ارتباطا مباشرا بمصير ليبيا  
واريتريا . وأما بخصوص اريتريا ، فقد جاء بالمذكرة المصرية أن مصر تجد  
« أن من الواجب عليها أن تذكر بحقوقها في تلك المناطق ، وأن تشير الى أن  
من العدل وحسن التصرف أن يلحق بالسودان الذي تديره الآن مصر وبريطانيا  
العظمى ما يكون تكملة طبيعية له من هذه المناطق » .

غير أنه لما كان قرار موسكو في ديسمبر ١٩٤٥ قد جاء قاصرا الاشتراك في مؤتمر الصلح على الدول التي وصفها بأنها ساهمت بقوات وفيرة في الحرب ضد الدول الأوروبية ، فقد وجهت الحكومة المصرية في يناير ١٩٤٦ مذكرة الى الدول الخمس تؤكد فيها وجهة نظرها بضرورة اشتراكها في مؤتمر الصلح وتشير الى مساهمتها الجديدة في المجهود الحربي . وبذلت وزارة الخارجية المصرية وهيئاتها التمثيلية في الخارج مساع متواصلة للاشتراك في مؤتمر الصلح ، وأخيرا وافق المؤتمر في ١٢ أغسطس ١٩٤٦ على ارسال الدعوة الى مصر والباينا وكوبا والمكسيك للاشتراك في المؤتمر .

وفي ٣٠ أغسطس ١٩٤٦ قدم الوفد المصري الى مؤتمر الصلح بباريس مذكرة تضمنت بياناً بحقوق مصر التاريخية في مصوع وطابع هذه المدينة العربي وتبعيتها للحكم العثماني ، ثم انتقلها للحكم المصري في عهد محمد علي . وأشارت المذكرة الى الصعوبات التي واجهتها مصر أثناء الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ والجلء عن السودان : وكيف بنت مطامع ايطاليا الاستعمارية : وانزال الجنود الايطالين على سواحل شرق افريقيا في أواخر عام ١٨٨٢ ودخول الايطالين مصوع عام ١٨٨٥ ، وأن الايطالين أعلنوا في مناسبات عديدة عدم مساس احتلالهم بالسيادة العثمانية المصرية . وقد احتجت الحكومة المصرية كما احتج الباب العالي على وجود الايطالين غير الشرعي في ذلك الركن من العالم . وخلصت المذكرة من ذلك الى القول : « أما وقد انتهى سلطان ايطاليا في شرق افريقية : فمن الحق والعدل إعادة مصوع الى الدولة التي اغتصبتها ايطاليا منها » .

ولقد وجد الوفد المصري نفسه بطلبه هذا معارضا مطالب أثيوبيا في اريتريا . فقد قدم الوفد الاثيوبي مذكرة للمؤتمر بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٤٦ تبين الأسباب التي استند عليها في المطالبة باستيلاء اثيوبيا على اريتريا . وتضمنت هذه المذكرة شرح الروابط العنصرية والتاريخية والثقافية واللغوية التي تجمع بين اريتريا وأثيوبيا ، وأن الحكومة الاثيوبية توالى تعليم أبناء اريتريا في الخارج ، لأن الايطالين لم يتجاوزوا بالنسبة للأهالي نطلق التعليم الابتدائي في أضيق محال ، « فأثيوبيا قبله أقطار شباب أريتريا الطموح الى العلم والثقافة » ، ثم ان اريتريا اتخذها الايطاليون قاعدة للهجوم على اثيوبيا

مرتين في أربعين سنة . وأشارت المذكرة الاثيوبية الى أن وزير الخارجية البريطانية مستر ارنست بيغن Ernest Bevin قد صرح بأن « اريتريا وحدة مصطنعة لا تستطيع أن تعيش » ، اذ أن اريتريا — كما قالت المذكرة — تعتمد اقتصاديا على اثيوبيا ، ونوهت باستعداد اثيوبيا لتولى أية وصاية تعرض على اريتريا ، بحجة أنها جزء من أثيوبيا يجب أن يعود اليها .

وقدم الوفد الاثيوبي اقتراحا بالنص على تنازل إيطاليا تنازلا تاما عن ليبيا والصومال الإيطالي ، واقترح تعديل النص الخاص باريتريا ، بحيث يتضمن الحكم باعادة اريتريا الى اثيوبيا . وطالب بعدم تأجيل البت في مصير أريتريا ، اذ أن أثيوبيا لديها مشروعات لانهاض الاقتصاد الارترى المكمل للاقتصاد الاثيوبي ، وللنهوض بطرق المواصلات والموانئ الارترية والتطعيم والمرافق العامة . وطالب بضرورة سماع صوت اثيوبيا عند البت في مصير الصومال الإيطالي .

ولما احيلت مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة على اللجنة السياسية والاقليمية من لجان المؤتمر لبحثها ، ألقى مندوب اثيوبيا خطابا استهله بقوله : « ان المطروح للبحث هو اجتباب أسباب العدوان الإيطالي في افريقية ، وليس لاطاليا من سند على اريتريا سوى عدوان حديث العهد ، فليس لها رعايا ايطاليون ولا مصالح اقتصادية هامة . ومهما بلغ المؤرخون الايطاليون من مهارة ، فليسوا يبالون حد اثبات أن الشعب الارترى من أصل ايطالي ، انما المبرر الوحيد لبقاء ايطاليا في اريتريا كان اتخاذها قاعدة للهجوم على اثيوبيا . ولا يخفى أن الشعب الاثيوبي والشعب الارترى شعب واحد جاء من الجزء الجنوبي من جزيرة العرب منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد . وادعى أن اريتريا ظلت حتى عام ١٨٨٥ مقاطعة اثيوبية ، وأن عددا كبيرا من موظفي حكومة اثيوبيا من أصل ارترى ، وأن اريتريا تعتمد على موارد اثيوبيا من الناحية الاقتصادية ، اذ أنها عاجزة عن سد مطالبها حتى الزراعة منها ، ثم اشار الى معاهدة ١٨٨٤ بين اثيوبيا ومصر وبريطانيا والى معاهدة ١٨٩٦ بين إيطاليا

واثيوبيا (٧) ، وقال انه نص في المعاهدة الأخيرة على عودة اريتريا الى اثيوبيا اذا تنازلت ايطاليا عنها .

وحينما ألقى واصف غالى خطابه أمام اللجنة السياسية والاقليمية شارحا طلب مصر الخاص بمصوع ، انبرى مندوب اثيوبيا للرد عليه ، فقال : « انه يؤسف ان يقف للرد على بعض ملاحظات ذكرها مندوب مصر ، اذ ان العلاقات المصرية الاثيوبية ودية على الدوام . وتجمع بين البلدين عدة روابط تجعل من الضروري ازالة سوء التفاهم الذي يمكن أن ينشأ بخصوص مصوع . لقد عزا الوفد المصرى في مذكرته عن مصوع أهمية خاصة الى تهوؤ العرب على طول شواطئ البحر الأحمر الافريقية ، ويمكن التأكيد أيضا بأن اثيوبيا هي من أصل عربى ، فسكان اثيوبيا واريتريا انضموا شعوبا وهاجروا من بلاد العرب قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة . وظلت اثيوبيا قرونا عديدة تسيطر على ضفة البحر الأحمر الغربية ، وهي لا تزال الى اليوم تحتفظ بالعلاقات الثقافية واللغوية مع سكان جنوب بلاد العرب ، فمن الخطأ التاريخى القول بأن شعب اثيوبيا غير شعب اريتريا » .

واستمر المندوب الاثيوبى يقول : « ولا أريد أن أدخل في تفاصيل التاريخ القديم ، ولكن يعنى التوبة ببعض الحوادث التاريخية التى تتعلق باستيلاء الأتراك والمصريين على مصوع . فقد لاحظت أول بعثة أوروبية وصلت الى اثيوبيا من البرتغال فى أوائل القرن السادس عشر أن العرب يحتلون الجزيرة المواجهة لمصوع ، ولكن الشواطئ وداخل البلاد يسيطر عليها امبراطور اثيوبيا . ومن الثابت أن الأتراك احتلوا هذه الجزيرة عام ١٥٥٧ ، ولكن حكمهم لم يمتد الى الشواطئ ، ولم تهم ولاية تركية فى هذه المنطقة كما جاء فى المذكرة المصرية . فطوال مدة الاحتلال التركى كان زعماء مصوع يدفعون الضريبة لامبراطور اثيوبيا وينفذون أوامره . ومن الثابت أيضا أن مصر فى

(٧) بخصوص هاتين المعاهدتين ، انظر :

السيد رجب حراز : التوسع الإيطالى فى شرق افريقية وتأسيس مستعمرتى اريتريا والصومال ص ١٦٤ و ١٦٥ وكذلك :

Ronsetti, C. : Storia Diplomatica dell'Etiopia durante il regno di Menelik, pp 25-26; 181-183; Bentwich, N. : Ethiopia, Eritrea, Somaliland, pp 22-24; Hertslet, E : The Map of Africa by Treaty, vol 2, pp 422-423.

القرن التاسع عشر احتلت سواكن ومصوع خلال بضعة سنوات ، وحاولت جيوشها مرتين اجتياح شمال اثيوبيا ، ولكنها عدلت عن ذلك بعد أن انتصرت عليها قوات الامبراطور يوحنا في مركتين فاصلتين وقتا في اريتريا في عامي ١٨٧٥ و ١٨٧٦ . ولما عهد الى الجنرال غوردون حاكم عام السودان أن يعقد الصلح مع اثيوبيا ، نصح بسحب القوات المصرية . وأخيرا عقدت في عام ١٨٨٤ معاهدة بين اثيوبيا ومصر وبريطانيا اعترفت فيها مصر بسيادة اثيوبيا على هذه المنطقة . ولم يذكر مندوب مصر هذه المعاهدة المعقودة في عام ١٨٨٤ على وجهها الصحيح ، لأنها تنص على إعادة جميع بلاد بوغوص الى امبراطور اثيوبيا ، لا على التخلي له عن هذه البلاد . وقد جلا المصريون عن ميناء مصوع بعد مضي بضعة أشهر على توقيع المعاهدة واحتلها الايطاليون بدورهم . وقد احتجت الحكومة الاثيوبية على هذا الاحتلال وقاومت التوغل الايطالي في البلاد . واستطرد قائلا : « وقد أشار مندوب مصر الى احتجاجات تركيا ومصر على أعمال الايطاليين ونوه بالمجهود السياسي الذي بذل ، في عام ١٨٨٥ ، ولكنه لم يقيم الدليل على أن هذه الاحتجاجات قد تكررت في خلال الخمسين سنة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، فكيف يمكن القول بأن وجود حامية اجنبية في مدينة تحيط بها البلاد الاثيوبية يكسب مصر حقا فيسا طالبت به ؟ » .

ورد واصف غالى على رئيس الوفد الاثيوبى ، فقال : « لقد سمع الوفد المصرى بكل اهتمام الخطاب الذى القاه رئيس الوفد الاثيوبى بشأن مصوع : ورأى من الضروري تصحيح بعض المسائل الواردة فيه . فقد قلنا ونكرر الآن القول بأن مصوع ظلت في أيدي المصريين الى أن دخلها الايطاليون في عام ١٨٨٥ ، اذ أن الخديوى رأى على أثر ثورة المهدي أن يحتفظ بقواته المبعثرة في أماكن متباعدة ، فاضطر الى التخلي عن مقاطعة بوغوص لامبراطور اثيوبيا في مقابل سماحه للحاميات المصرية في جنوب شرق السودان باجتياز الأراضي الاثيوبية الى مصوع . وقد عقد اتفاق بين مصر واثيوبيا وبريطانيا في عام ١٨٨٤ ، ذكرت فيه المدن التى أراد الخديوى التخلي عنها ، وحددت المساعدة التى وعد بها التجاشى في سبيل هذا الجلاء » ، ثم قال : « ان الجيوش الايطالية لما دخلت مصوع في عام ١٨٨٥ خاطبت في موضوعها القائد المصرى عزت بك الذى تلقى مع القائد الايطالى تصريحاً بأن ايطاليا لا تنوى بملها هذا أن تس

السيادة المصرية (٨) ٥٥٠ أن مصوع ظلت مصرية الى سنة ١٨٨٥ ، ولم تتخل مصر عن سيادتها عليها في يوم من الأيام » . واختتم واصف غالى بيانه قائلاً : « ان الايطالين انتزعوا مصوع من مصر ، وان مصر هي التي يجب أن تعاد اليها مصوع ، وهذا بطبيعة الحال لا يؤثر في الصداقة التقليدية القائمة بين مصر واثيوبيا . فنحن نرجو للشعب الاثيوبي السعادة والرخاء ، ونعتقد بأن حكومتى أديس أبابا والقاهرة ستعرفان في خلال هذه السنة - التي يجب أن يقرر فيها مصير المستعمرات الايطالية - أن تتفاهما أخوياً على هذه المسائل التي يبدو الآن أنها تهرق بينهما » (٩) .

وهكذا وبرغم أنه كان من خطة الحكومة المصرية في أول الأمر الاقتصار على طلب انضمام مصوع الى اقليم السودان الشرقي ، لأهمية مصوع كمنفذ للتجارة لا غنى عنه ليس لهذا الاقليم الشرقي فحسب ، بل وللسودانين الأوسط والغربي كذلك ، فقد تثبت الوفد الاثيوبي في مؤتمر الصلح بباريس وأمام لجنة المؤتمر السياسية والاقليمية في أغسطس وسبتمبر ١٩٤٦ بضرورة انضمام اريتريا بأجمعها - بما في ذلك مصوع - الى اثيوبيا . واعتمد في هذه المطالبة ومعارضة وجهة نظر الحكومة المصرية على معاهدة ٣ يونية ١٨٨٤ المبرمة بين مصر واثيوبيا وبريطانيا .

ولم يلبث أن استمع مؤتمر وزراء الخارجية في لندن الى آراء وأقوال الحكومات ذات المصلحة في تقرير مصير المستعمرات الايطالية السابقة ، ومنها الحكومة المصرية . وكان عبد الفتاح عرو سفير مصر في لندن ورئيس الوفد المصرى في مؤتمر وزراء الخارجية قد حاول أن يتفاهم مع رئيس الوفد الاثيوبي في مسألة مصوع على وجه الخصوص قبل تقديم مذكرة الحكومة المصرية الى مؤتمر وزراء الخارجية ، ولكن الاثيوبيين رفضوا كل تفاهم اعتاداً على

(٨) انظر بهذا الصدد نص تصريح الاميرال كايمى الذى سلمه الى القائد المصرى عزت بك :

Documenti Diplomatici presentati al Parlamento italiano, N. XVIII, Roma 1888, Il Commandante delle forze navali nel Mar Rosso al ministro della Marina, Massaua, 6 Febbrajo 1886, Doc. N. 15, pp 16-18.

(٩) محمد على نشأت : « تقرير عن مؤتمر الصلح بباريس » . وكان محمد على نشأت وقتئذ سكرتيراً ثالثاً بوزارة الخارجية المصرية ، الى جانب انه كان سكرتير وفد مصر في مؤتمر الصلح بباريس .

معاهدة ١٨٨٤ المذكورة . وعلى ذلك ، قر الرأي عندما بحث وفد مصر هذه المسألة في لندن على عدم اقتصار الحكومة المصرية على المطالبة بمصوع ، بل توسيع دائرة هذه المطالب حتى تشمل جميع اريتريا ، طالما أنه في وسع الوفد أن يدحض الحجج التي اعتمدت عليها حكومة اثيوبيا ، وفي مقدمة هذه ورود كلمة « تسترد » في معاهدة ٣ يونية ١٨٨٤ ، ذلك بأن حكومة اثيوبيا ذهبت في تفسير هذه « الكلمة » الى أنها كانت ذات حقوق ثابتة في هذا الاقليم اغتصبت منها فيما مضى حتى « استردتها » أخيرا بفضل المعاهدة المذكورة .

وكان رأى وفد مصر وقتئذ أنه لا مناص من المطالبة بجميع اريتريا ، حتى اذا وجد الاثيوبيون أن دعاويهم لا تقوم على أساس صحيح ، غدوا أكثر ميلا للتفاهم مع الحكومة المصرية . وبناء على ذلك ، فقد أدخل الوفد المصرى على صلب مذكرته ( التي تقدم بها في ١٧ نوفمبر ١٩٤٧ ) تعديلا أسفر عن المطالبة بكل اريتريا ، ثم ألقى رئيس الوفد في جلسة المؤتمر في ٢١ نوفمبر بيانًا ناقش فيه تمسك الاثيوبيين بمعاهدة ٣ يونية ١٨٨٤ ، كما وزع على أعضاء المؤتمر مذكرة وافية لهمد حجج الاثيوبيين في التمسك بهذه المعاهدة من جهة وبيان حقوق مصر الثابتة على اريتريا بأجمعها من جهة أخرى (١) .

### التغيرات السياسية والأحزاب :

تعرض مصير المستعمرات الإيطالية السابقة : ليبيا واريترى والصومال لتيارات عديدة ، دولية ومحلية وإقليمية ، وتعددت الآراء والمقترحات بهذا الصدد .

فعلى الصعيد الدولي ؛ بدأت آراء ووجهات نظر الدول الأربع ( انوليات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وفرنسا ) تبرز تدريجيا خلال المباحثات التي دارت عموما حول معاهدة الصلح مع إيطاليا ، وهى المباحثات

---

(١) مذكرة عن « تمسك الحكومة المصرية بعوقفها من مسألة اريتريا » بقلم الدكتور محمد فؤاد شكرى مستشار الوفد المصرى في مؤتمر وزراء الخارجية بلندن . وكان الوفد برئاسة عبد الفتاح عمرو سفير مصر وقتئذ في لندن ، ويتألف من حسين محمد سعيد وزير مصر المغوض بها والبر منصور القنصل المصرى العام ، وعمر لطفى ومحمد عوض القونى ، وكلاهما من رجال وزارة الخارجية المصرية .



التي دارت في المؤتمرات التي عقدت في لندن ( سبتمبر ١٩٤٥ ) وباريس ( أبريل ١٩٤٦ ) ونيويورك ( نوفمبر - ديسمبر ١٩٤٦ ) وسيطرت عليها مصالح الدول الأربع الكبرى . ومن خلال هذه المباحثات ، ظهرت الآراء والمقترحات التالية . اما أن توضع المستعمرات تحت الوصاية . سواء كانت هذه دولة أم وصاية دولة واحدة ، واما أن تعطى المستعمرات قدرا من الاستقلال . واما أن تعاد جميعها أو بعضها الى إيطاليا .

وتحدث الايطاليون أمام اللجنة الاقليمية والسياسية بمؤتمر الصلح ، فطالبوا باعطائهم الوصاية على « أقاليمهم الافريقية » . وانبرى بعض الأعضاء ( البرازيل خصوصا ) للدفاع عن مصلحة إيطاليا والتنبية الى ضرورة مراعاتها عند تقرير مستقبل هذه الأقاليم الافريقية . وقام الوفد الهندي بتقديم حجج الايطاليين والمنسوبة البرازيلي بصدد عودة الايطاليين الى مستعمراتهم السابقة .

وبذلت فرنسا قصارى جهدها لبيان أن المستعمرات الإيطالية السابقة ليست سوى أقاليم « متأخرة » لا غنى عن البحث عن مرشد لها ليساعد على السير في طريق التقدم والنمو ، وخلصت من ذلك كله الى ضرورة فرض نظام « الوصاية » على تلك المستعمرات مع عدم اغفال مصالح إيطاليا عند الوصول الى قرار نهائي بشأنها . والحقيقة أن فرنسا كانت من بين الدول الأربع التي اتخذت موقفا ثابتا من مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة ، وأيدت على طول الخط مطالب إيطاليا أن تكون لها الوصاية على مستعمراتها السابقة ، على أن تعطى أثيوبيا منفذا الى البحر الأحمر عن طريق ميناء عصب . وكان موقف فرنسا هذا مثار تعليقات المراقبين والصحفيين ، فقال المراسل الخاص لصحيفة « الأهرام » في لندن : « لفرنسا وحدها أن تفخر بالثبات على المبدأ ، اذا كان الثبات على المبدأ مفخرة في طلب الحل لمشكلة المستعمرات الإيطالية السابقة . فما يرحت فرنسا منذ دار النقاش حول المسألة لأول مرة ، أي منذ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، تؤيد طلب إيطاليا الوصاية على هذه المستعمرات باستثناء فزان ، فقد احتفظ الفرنسيون بالحق في بسط سلطانهم عليها » (١١) .

فقد ظلت فرنسا تمارض في استقلال المستعمرات الإيطالية السابقة وبخاصة ليبيا ، لخوفها مما سيكون لاستقلال ليبيا من أثر في الممتلكات الفرنسية بشمال افريقية ، فقد صرح أحد المسؤولين الأمريكيين بأن « الفرنسيين يخشون أن يكون لاستقلال ليبيا أثر مباشر في تونس ، وربما في غيرها من شمال افريقية الخاضعة للنفوذ الفرنسي » (١٢) .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تميل اجمالا الى الحل الفرنسي : أي منح إيطاليا الوصاية على مستعمراتها السابقة . ولو أنها في المراحل الأولى لقضية المستعمرات الإيطالية كانت ترى غير ذلك ، ففي ١٣ سبتمبر ١٩٤٥ اقترح الوفد الأمريكي وضع المستعمرات الإيطالية السابقة تحت « الوصاية الدولية أو الجماعية » « Collective Trusteeship » فتمنح السلطة التنفيذية الى محايد يتولى الادارة ويكون مسئولاً أمام مجلس الوصاية ، على أن تعاونه لجنة استشارية تضم ممثلين للدول الأربع وإيطاليا واثنين من المقيمين في الاقليم » . كما رأت أن تعطى أثيوبيا منفذا الى البحر عن طريق عصب ، وأن تمنح ليبيا واريتريا الاستقلال بعد عشر سنوات ، وأن تظل الوصاية على الصومال لفترة غير محدودة . ولكن مولوتوف Molotov وزير خارجية الاتحاد السوفيتي رفض تلك المقترحات باعتبارها غير عملية (١٣) .

أما بريطانيا فقد كانت مقيدة بالتصريح المحدد الذي أعلنته أيام الحرب : وهو البيان الذي أدلى به وزير خارجيتها وتشد المستر أطلوني ايدن في مجلس العموم في ٨ يناير ١٩٤٢ ردا على سؤال وجهه اليه أحد النواب . فقال : « اني أصرح بأن السيد ادريس السنوسي اتصل بالهيئات البريطانية المسئولة بمصر في خلال شهر من انهيار فرنسا في وقت لم يكن فيه الموقف العسكري في افريقيا ملائما لنا على الاطلاق . فتألف فيما بعد جيش سنوسي يضم أتباعه الذين قد تخلصوا من نير الظلم الإيطالي بين حين وآخر في خلال العشرين سنة الماضية . وقام هذا الجيش بمساعدات قيمة أثناء القيام بتلك العمليات الحربية الموفقة في الصحراء الغربية في شتاء ١٩٤٠ و ١٩٤١ . وهو الآن يقوم أيضا بنصيب قيم في

(١٢) الاهرام بتاريخ ١٢/٨/١٩٤٦

(١٣) Trevaskis, G.K.N. : Eritrea. A Colony in Transition 1941-52, p. 85.

الحملة العسكرية الحالية . فأتهم هذه الفرصة لأعبر عن التقدير التام الذي تحمله حكومة صاحب الجلالة البريطانية للنصيب الذي قام به وما زال يقوم به السيد ادريس السنوسي وأتباعه في المجهود البريطاني الحربي . وانا نرحب بتعاونهم مع قوات صاحب الجلالة البريطانية في مهمة سحق العدو المشترك . وقد وطلت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عزمها على أنه متى انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين في برقة تحت النير الايطالى مرة أخرى بأى حال من الأحوال <sup>(١٤)</sup> . ومن ثم فقد اقترح المستر يغن وزير خارجية بريطانيا في حكومة العمال بعد انتهاء الحرب أن تنال ليبيا استقلالها . وأن توضع بلاد الصومال بعد توحيدها تحت الوصاية البريطانية ، على أن تشمل اوجادين Ogaden . وجذا نوعا من التقسيم بصد ارتريا . فتكون عصب — ومن المحتل كذلك بعض أجزاء أخرى من ارتريا — من نصيب أثيوبيا ، ثم حدث بعد ذلك أن أشار المستر يغن الى أن بريطانيا قد توافق على وضع إقليم طرابلس الغرب تحت وصاية ايطاليا ، ولكن بريطانيا يجب أن تصمد في رفضها لأى سيطرة للايطاليين على برقة <sup>(١٥)</sup> .

وأما الاتحاد السوفيتى فقد طالب في سبتمبر ١٩٤٥ بأن تكون له الوصاية على طرابلس الغرب . كما أنه أظهر اهتمامه بساحل ارتريا على البحر الأحمر . وفى محاولة للتوفيق بين مبدأ « الوصاية الدولية أو الجبائية » الذى تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية وبين الحل الفرنسى الذى يرفض استبعاد ايطاليا من أى مشروع للوصاية على مستعمراتها السابقة ، تقدم الوفد السوفيتى في ٢٩ أبريل ١٩٤٦ الى مجلس الوزراء باقتراح يرمى الى انشاء وصاية جماعية من قبل دولتين على كل واحدة من المستعمرات الايطالية السابقة ، بحيث تكون هى احدى هاتين الدولتين . وتكون الدولة الأخرى واحدة من دول الحلفاء الأربع . وتقدم الاتحاد السوفيتى باقتراحات أخرى الى مجلس وزراء

---

House of Commons Debates, vol. 377 (1942), Cols. 77-82; (11)  
 Khadduri, M. : Modern Libya. A study in Political Development, p. 35.  
 وانظر أيضا محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(١٥) محمد فؤاد شكرى : ليبيا الحديثة . وثائق تحريرها واستقلالها  
 الجزء الأول (١٩٤٥ — ١٩٤٧) المجلد الأول ص ٢١ .

الخارجية ، ولكنها جميعا لم تلق قبولا من الدول الثلاث الأخرى ، فتحول الاتحاد السوفيتي في آخر الأمر الى الاشتراك مع الفرنسيين في تحييد وضع كل المستعمرات الإيطالية السابقة تحت وصاية إيطاليا منفردة . وفي مايو ١٩٤٦ لفت مولوتوف انتباه مجلس وزراء الخارجية الى حقيقة أن اقتراح الاتحاد السوفيتي الأخير بوضع المستعمرات الإيطالية السابقة تحت وصاية إيطاليا ، انما يتفق مع وجهة النظر الفرنسية ويلقى تأييدا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن حدث في الاجتماع التالي لمجلس وزراء الخارجية أن سحب الاقتراح الأمريكي ، وعزا المندوب السوفيتي عدم التوصل الى اتفاق بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة الى رغبة بريطانيا أساسا في التوسع في هذه المناطق (١٦) .

وعلى الصعيد المحلي ، ظهرت في إريتريا عدة أحزاب ومنظمات سياسية :  
 ١ - حزب الوحدة الإريترية الأثيوبية Eritrean-Ethiopian Union Party  
 أو الحزب الاتحادي Unionist Party ، وسكرتيره العام أتوتدلا بايرو Ato Tedla Bairu ، وهو شاب أثيوبي مسيحي كان يعمل بالإدارة البريطانية بإريتريا . وقد أسس هذا الحزب في أبريل ١٩٤١ وأخذ مقره في أسمرة ، ولم يتخذ شكلا منظما الا في عام ١٩٤٦ (١٧) . ويبدو أن رابطة حب الوطن Mahaber Fekri Hager أو Love of Country Association قد اندمجت في الحزب الاتحادي . وكانت هذه الرابطة قد تشكلت خلال عام ١٩٤٢ برئاسة جيرمسكال ولدو Gebremaskal Woldu وصارت تدعو للوحدة الإريترية الأثيوبية .

وكان برنامج الحزب الاتحادي يدعو للوحدة غير المشروطة لكل من إريتريا مع أثيوبيا ، ويمارض معارضة مطلقة عودة الحكم الإيطالي ، ويرفض الوصاية الأجنبية .

ووجد الحزب تأييدا كبيرا من جانب الحكومة الأثيوبية ورجال الدين المسيحيين في إريتريا ، وعلى رأسهم أبونا مرقس Abuna Morqos بطريرك

United Nations, A/C.1/SR. 240.

(١٦)

United Nations, A/C.1/SC. 14/5.

(١٧)

الكنيسة القبطية في ارتريا ، والذي بدأ أواخر عام ١٩٤٣ تقريباً يجمع توقعات على « ملتقى » يطالب بالوحدة القومية مع أثيوبيا (١٨) . وقد حاولت الإدارة البريطانية - على قول جرينفيلد - اقناع رجال الدين المسيحيين في ارتريا بعدم التدخل في السياسة . ولكن دون جدوى (١٩) .

٢ - الرابطة الإسلامية Moslem League : تأسست في ٤ ديسمبر ١٩٤٦ برئاسة السيد بابكر بن عثمان الميرغني زعيم الفرع الارتري للطريقة الختمية ، على حين تولى الشيخ ابراهيم سلطان على منصب سكرتير الرابطة العام . وأخذت مقرها في كرن (٢٠) .

وكان برنامج الرابطة يدعو لوحدة ارتريا واستقلالها ، وإذا لم يتحقق استقلال ارتريا فوراً . فالوصاية البريطانية لمدة عشر سنوات . وفضلاً عن ذلك . كانت الرابطة تطالب باستعادة بعض لأراضي السودانية والأثيوبية في ارتريا ، وتعارض الوحدة مع أثيوبيا .

٣ - الحزب التقدمي الحر Liberal. Progressive Party وتشكل في فبراير ١٩٤٧ وأخذ مقره في عدى كايي Adi Caieh . وكان برنامجه يدعو لوحدة ارتريا ، ويعارض الوحدة مع أثيوبيا ، ويطالب باستقلال ارتريا التدريجي تحت إشراف الأمم المتحدة ، واستعادة بعض أراضي تيجراي Tigray والسودان إلى ارتريا (٢١) .

٤ - الحزب الوطني الإسلامي لمصوع National Moslem Party of Massaw وتشكل في مارس - أبريل ١٩٧٤ ، وأخذ مقره في مصوع . ويتكون أعضاؤه من عناصر منشقة على الرابطة الإسلامية ، ويدعو برنامجهم إلى وحدة ارتريا ، والوصاية البريطانية لمدة عشر سنوات ، يتبعها استقلال ارتريا التام (٢٢) .

Trevaaskia, G. K. N. : Op. cit, pp 60-64.

(١٨)

Greenfield, R. : Op. cit, p. 284.

(١٩)

United Nations, A/C. 1/SC. 14/L.

(٢٠)

United Nations, A/C.1/SC. 14/8.

(٢١)

United Nations, A/C.1/442.

(٢٢)

٥ - رابطة المحاربين القدماء الاريتريّة 'Eritrean Old Soliders' Association وقد أسست في أبريل ١٩٤٧ ، وتأسف من الجنود الاريتريين السابقين ( مسلمون ومسيحيون ) . وليس لها أغراض سياسية ، ولكن أغلبية أعضائها تطلب بالوصاية الإيطالية (٢٣) .

٦ - الحزب الموالي لإيطاليا Pro-Italia Party ، وتشكل في سبتمبر ١٩٤٧ ، وأخذ مقره في أسرة . ويدعو برنامجه الى وحدة اريتريا ، ووضع البلاد تحت الوصاية الإيطالية التي تؤدي الى الاستقلال في أقصر فترة ممكنة (٢٤) .

٧ - الرابطة الإيطالية الاريتريّة Itafo-Eritrean Association وتضم الإيطاليين الذين ولدوا في اريتريا أو الذين عاشوا هناك لفترة طويلة ، فضلا عن المولدين والزوجات الوطنيات للإيطاليين أو للمولدين وكذلك أمهات المولدين . وكانت الرابطة تطلب بالوصاية الإيطالية ، وإذا تمّ هذا الحل ، فالاستقلال القوي لاريتريا تحت حماية حكومة تختارها الدول الأربع الكبرى أو هيئة الأمم المتحدة (٢٥) .

٨ - اللجنة الممثلة للإيطاليين في اريتريا The Representative Committee for Italians in Eritrea ومقرها أسرة ، وليس من المعروف تاريخ تأسيسها . وهي تزعم أنها تمثل جميع الإيطاليين في اريتريا وتسهر على حماية مصالحهم المعنوية والمادية ، وتؤيد الوصاية الإيطالية على اريتريا غير المجزأة (٢٦) .

٩ - الأحزاب السياسية الإيطالية : وكانت هناك أحزاب سياسية إيطالية معترف بها رسميا ، وهي الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي والحزب الليبرالي والحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي المسيحي وحزب العمال الديمقراطي وحزب العمال الاشتراكي . وكانت جميعها تؤيد الوصاية الإيطالية على اريتريا غير المجزأة (٢٧) .

United Nations, A/C.1/442.

(٢٣)

United Nations, A/C.1/SC.14/8.

(٢٤)

United Nations, A/C.1/SC.14/9; A/C.1/442.

(٢٥)

United Nations, A/C.1/SC.14/8.

(٢٦)

United Nations, A/C.1/442.

(٢٧)

والى جانب هذه الأحزاب التى طالب بعضها بالحزب الاتحادى بالوحدة مع أثيوبيا والبعض الآخر بالاستقلال أو الوصاية البريطانية أو الإيطالية : كانت السلطات البريطانية سواء فى إريتريا أو السودان ترى أن أفضل حل للمسألة الإريتريّة هو تقسيم البلاد بين أثيوبيا والسودان . قضى غضون عام ١٩٤٣ ، قام سير دوجلاس نيوبولد Douglas Newbold السكرتير المدنى للسودان بزيارة إريتريا ، وترتب على هذه الزيارة أن صار يدعو الى ضم القبائل الإسلامية فى غرب إريتريا الى السودان ، وضم « المقاطعات المسيحية » فى إريتريا والتى يتكلم سكانها لغة التيجرينيا (٢٨) Tigrinya الى أثيوبيا (٢٩) .

وفى عام ١٩٤٥ كتب البريجادير لونجريج الحاكم البريطانى لإريتريا ( ١٩٤٢ - ١٩٤٤ ) يقول أن مناطق القبائل الإريتريّة الإسلامية المجاورة للسودان المصرى الانجليزى يجب أن تدخل فى نطاق هذه البلاد أى السودان ، وأن مرتفعات إريتريا المسيحية الوسطى وممها ميناء مصوع و قبائل السهر Samhar والساو Sano : يجب أن تؤلف جزءا من دولة أو إقليم متحد تيجرنى اللغة ، يوضع تحت السيادة الأسمية : لامباطور أثيوبيا ، وتتولى دولة أوربية إدارته لمدة محدودة أو غير محدودة : كما يجب أن تغطى بلاد الدناكل Danakils أو العفر Afar وميناء عصب للامبراطور دون أية شروط (٣٠) .

وقد عبر آخرون من الانجليز عن آراء من هذا النوع ، واقترح كذلك رسميا تقسيم إريتريا من قبل ممثلى بريطانيا فى المؤتمرات التى عقدت فى لندن وباريس خلال عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ .

ولكن حتى أكتوبر ١٩٤٧ لم يكن مجلس وزراء الخارجية قد وصل الى حل بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة ، فلم ينفذ شيء من الوعود التى قطعتها

(٢٨) لغة سامية حية مكتوبة ، تمثل مزيجا من اللغة السامية القديمة المعروفة بالجمزية Geez ولغة الأجاو Agau أو الحاميين من سكان المرتفعات الشمالية .

(٢٩) Henderson, K.D.D. : The Making of Modern Sudan, p. 335, (٢٩) quoted by Trevaskis, G. K. N. : Op. Cit, p 69.

(٣٠) Longrigg, S. : A Short History of Eritrea (Oxirtrea (Oxford 1946), (٣٠) pp. 174-175.

الولايات المتحدة الأمريكية على نفسها لاطاليا ، أو من الرغبات التي أبدتها فرنسا خصوصا من حيث وضع المستعمرات السابقة تحت الوصاية الإيطالية .

### لجنة التحقيق الرباعية :

وازاء تضارب آراء ووجهات نظر الدول الأربع بشأن مصير اريتريا ، وتفيذا لما جاء في معاهدة الصلح مع ايطاليا في ١٠ فبراير ١٩٤٧ ، والتصريح الملحق بهذه المعاهدة في التاريخ نفسه بأن لنواب وزراء خارجية الدول الأربع أن يرسلوا لجانا الى أية مستعمرة من المستعمرات الإيطالية السابقة لتزويدهم بالمعلومات التي يريدونها عنها وللوقوف على رغبات سكان هذه المستعمرات في مصيرهم ، فقد شكل نواب وزراء الخارجية لهذا الغرض في ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ لجنة تحقيق رباعية ، أى تضم وفودا من الدول الأربع التي يشلها مجلس نواب وزراء خارجية هذه الدول .

وكان رئيس الوفد الأمريكي جون ارلنجتون أتر John Erlington Uter ورئيس الوفد السوفيتي أرتيمي فيودوروفيتش فيودوروف

Artemy Feodorovitch Feodorof

ورئيس الوفد البريطاني فرانك ادموند ستافورد Frank Edmond Stafford ورئيس الوفد الفرنسي إيتين بوران دي روزيه Etienne Burin des Roziers

ومما يجدر الاشارة اليه أنه باستثناء ستافورد رئيس الوفد البريطاني الذي عمل في افريقيا بوصفه مستشارا في الحكومة الأثيوبية ، لم يكن رؤساء الوفود الأخرى على خبرة أو معرفة بالأقاليم الافريقية مثل اريتريا . فقد كان أتر رئيس الوفد الأمريكي من رجال البنوك وقضى بضعة شهور فقط في شمال افريقيا ، كما كان دي روزيه رئيس الوفد الفرنسي دبلوماسيا محترفا وعمل فقط في البلاد الغربية . أما فيودوروف رئيس الوفد السوفيتي فكان عسكريا ، وجاء مؤخرا من منشوريا (٢١) .

وحسب التعليمات الصادرة الى اللجنة ، كانت مهمتها هي جمع المعلومات اللازمة عن مسألة ما يجري بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة وتزويد نواب



وزراء الخارجية بهذه المعلومات ، والوقوف على آراء السكان المحليين ؛ على أن يشمل ما يجمعه من معلومات الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل مستعمرة . وكذلك رغبات السكان . وما يحقق رفاهيتهم ويحفظ صالح السلام والأمن . ولتأدية هذا الغرض تزور اللجنة كل واحدة من المستعمرات الإيطالية السابقة . وتقوم بتحقيقاتها في المكان الذي تزوره . ولها الحق في المداولة مع الادارة والموظفين والهيئات المنظمة والسكان في المستعمرات دون نظر الى جنسياتهم : كما أن لها أن تستقى معلومات من أى مصدر في المستعمرات ترى أنه ضرورى لتزويدها بالبيانات المتصلة بتحقيقها . على أنه يجب بأوسع قدرة ممكنة اعطاء كل أقسام السكان المحليين الفرصة ليعبروا عن آرائهم . وحتى تتأكد اللجنة من ذلك عليها أن تزور المراكز التي يسئل كثيرا تجمع الناس فيها عن غيرها . وتقوم بالتعاون مع السلطات المحلية بإعداد جدول مواعيد الانتقال وخط للسير المحلي والترتيبات الثنية . وعلى اللجنة أن تنتهى أعمالها — بما في ذلك تقديم تقاريرها الى نواب وزراء الخارجية — في مدة لا تقل عن ستة شهور ولا تزيد على سبعة . وذلك من وقت مغادرة اللجنة لندون .

وفي ٢١ أكتوبر ١٩٤٧ عقدت لجنة التحقيق أول اجتماعاتها في لندن لدراسة المهمة المكلفة بها ، ثم غادرت لندن في ٨ نوفمبر بطريق الجو الى اريتريا وأتخذت مقرها في أسرة منذ ١٢ نوفمبر : وأنشأت لجنة سياسية واجتماعية تتألف من ممثلين عن كل وفد من الوفود الأربعة . لجمع المعلومات عن الأحوال السياسية والاجتماعية في اريتريا وتقديم تقرير عنها الى لجنة التحقيق . وكان بفضل الوثائق التي قدمت الى أعضاء اللجنة السياسية والاجتماعية أن حصلت لجنة التحقيق على المعلومات التي تفسنها تقريرها عن اريتريا : كما حصلت على معلوماتها من البيانات التي قدمتها اليها المنظمات والهيئات المختلفة ( الأحزاب ) والأفراد كذلك ، ثم من اجابات الادارة — العسكرية البريطانية على قائمة الأسئلة التي قدمت اليها ، ومن مقابلات مع الموظفين البريطانيين وأفراد غيرهم للاستماع الى ما لديهم من معلومات . وفي ٣ يناير ١٩٤٨ غادرت لجنة التحقيق أسرة بطريق الجو ، ووصلت في ٦ يناير الى مقديشو في الصومال حيث جملت

مقرها ، وكان في مقدسيو أن أتمت تقريرها عن ارتريا (٣) .

والجدير بالذكر أنه منذ أن تشكلت لجنة التحقيق وتبين أنها تعترض زيارة المستعمرات الإيطالية السابقة لمعرفة رغبات الأهالي قبل تقرير مصيرهم ، بذلت كل من الحكومة الأثيوبية والإدارة البريطانية العسكرية في ارتريا ، كما بذل الإيطاليون الموجودون بها ( حوالي ٣٠٠٠٠ ) نشاطا عظيما من أجل التأثير على الرأي العام في ارتريا وتوجيهه بسختلف الوسائل والطرق نحو الانضمام الى أثيوبيا أو طلب الوصاية البريطانية أو الوصاية الإيطالية ، وذلك حتى في الحالات التي تسك فيها فريق من الشعب الارتري بالاستقلال . وقد تحدثت لجنة التحقيق الرابعة بإسهاب عن هذا النشاط في ملحق رقم ٢٠ المرفق بتقريرها ، كما ورد ذكر شيء من ذلك في صلب التقرير نفسه (٣) .

ولقد عكس تقرير اللجنة خلافا حادا في وجهات النظر بين الوفدين البريطاني والأمريكي من جهة وبين الوفدين السوفيتي والفرنسي من جهة أخرى بشأن مصير ارتريا . وفيما يتعلق بتقييم قوة الأحزاب ومدى تأييد السكان لها . أعد الوفدان البريطاني والأمريكي إحصائية تعبر عن وجهة نظرهما . وحسب الإحصائية الأنطو أمريكية . فإن ٤٤.٨٪ من السكان يؤيدون الحزب الاتحادي . مقابل ٤٠.٥٪ للعصبة الإسلامية و ٤.٤٪ للحزب التقدمي الحر و ٩.٢٪ للحزب الموالي لإيطاليا و ١.١٪ للحزب الوطني الإسلامي الذي يؤيد قيام إدارة بريطانية بالبلاد . أما الإحصائية الفرنسية السوفيتية فانها تحدد النسبة المئوية لتأييد السكان للأحزاب في ارتريا على النحو التالي : الحزب الاتحادي ٤٧.٨٪ ، والعصبة الإسلامية ٣٠.٩٪ ، والحزب التقدمي الحر ٩.٣٪ ، والحزب الموالي لإيطاليا ١.٠٧٪ ، والحزب الوطني الإسلامي حوالي ١٪ (٣) .

وفضلا عن ذلك ، فقد دلت التحقيقات التي قامت بها لجنة التحقيق على أنه باستثناء العصبة الإسلامية والحزب الاتحادي ، لم يكن لأي تنظيم سياسي سند

(٢٢) محمد فؤاد شكرى : ليبيا الحديثة ، الجزء الأول ( ١٩٤٥ - ١٩٤٧ )  
المجلد الأول . ص ٢٤٥ - ٢٥٠ .

{٢٢} Four Power Commission of Investigation for the Former Italian Colonies, vol 1, Report on Eritrea, section II (Politics); Appendix No. 20.  
Pankhurst, E. S. & Pankhurst R.K.P. : Op. cit, p. 158. (٢٤)

كاف ، وأن الشعب كان تأييده للفرقتين منبعثا من الاعتبارات الجغرافية والدينية (٢٥) .

وأعقب زيارة لجنة التحقيق الرباعية لارتريا ( ١٢ نوفمبر ١٩٤٧ - ٣ يناير ١٩٤٨ ) ظهور حركة سرية أرهاية في البلاد . هي حركة الثفتا Shifta أو الانديت Andinet ( ومعناها الوحدة ) . وهي تعبير عن نشاط سرى لأنصار الوحدة الارترية الأثيوبية ووسيلتهم في هذا التعبير هي الاغتيالات والتهديد والحرائق (٢٦) . ويقول تريفاسكيس أنه لم يمض أسبوعان على مغادرة لجنة التحقيق الرباعية لارتريا حتى شرعت عصابات مسلحة من الأبحاش المسيحيين - أو الثفتا كما يعرفون عادة - بشن سلسلة من الهجمات على حياة الايطاليين والمسلحين وممتلكاتهم . واستمرت هذه الهجمات حتى اجتماع مجلس وزراء خارجية الدول الأربع في سبتمبر ١٩٤٩ . وأدت الى اغتيال ستة من الايطاليين وخمسة عشر من المسلمين . وقد قيد خمسة من الآخرين وقطعت رؤوسهم بالسيوف في وجود نساءهم وأطفالهم . وقامت هذه العصابات بالاغارة على مزارع الايطاليين ومناجم الذهب واقتلواها . بالإضافة الى سلب أعداد كبيرة من دواب القبائل الاسلامية بغرب ارتريا . وكان الضحايا اما من المعارضين للوحدة مع أثيوبيا أو من المتصلين بهم . وكان الثفتا يتركزون في أماكن عملياتهم خطابات يطنون فيها عن ولائهم للإمبراطور هيلاسلاسي ويهددون أعداءهم بالموت . وفي الوقت نفسه كانت الصحف الأثيوبية مثل « نيوتيز » New Times و « اثيوبيان نيوز » Ethiopian News تصف الثفتا « بالوطنيين » Patriots . كما أن السلطات الأثيوبية كانت تمنحهم علنا حق اللجوء الى مقاطعة عدى أبو Addi Abo في تجراي (٢٧) .

وتقول سيلفيا بانكرست والدكتور ريتشارد بانكرست المؤيدان لوجهة النظر الأثيوبية ، أن الادارة البريطانية حاولت أن تقمع حركة « الانديت » ، الا أنها فشلت في ذلك ، وأستمر نشاط الحركة الارهابي دون توقف . ويفسر

Treaskis, G.K.N. : Op. cit., p. 89.

(٢٥)

وانظر كذلك رايشد البراوي : الحشة بين الإقطاع والعصر الحديث ص ٨٢

(٢٦) عبد الملك عودة : السياسة والحكم في أفريقيا ص ٢٦ .

Trevaskis, G.K.N. : Op. cit., pp 91-92.

(٢٧)

هذين الكاتبان الفارق بين هذه الحركة الارهابية وبين نشاط الحزب الاتحادي ،  
 بأن الحزب الأخير كان يعمل في حدود القانون بوسائل شرعية ، على حين أن  
 حركة « الانديت » لم تكن ترتبط بالقانون ، وأتخذت مثلها الأعلى من نجاح  
 الحركة السرية الارهابية اليهودية في فلسطين أواخر عهد الانتداب البريطاني ،  
 إذ كان شباب « الانديت » قد راقبوا باهتمام بالغ خروج البريطانيين من  
 فلسطين وتأسيس دولة اسرائيل ، وكان كذلك لنمو حركة النضال التحرري  
 في أندونيسيا تأثيراته عليهم . كما أنهم قد صمموا على أن يحدوا حذو الوطنيين  
 اللاتفيين الذين كانوا قد حاربوا في أثيوبيا بعد الغزو الايطالي لها ، والذين  
 لم يستسلموا أبدا (٢٨) .

وبعزو ترفاسكيس تلك الحركة الارهابية الى الرغبة في جذب انتباه الدول  
 الأربع والتأثير على مداولاتها . إذ أن نتائج استقصاء لجنة التحقيق الرباعية  
 قد صدمت دون شك زعماء الاتحاديين . الذين كانوا حتى هذا الوقت يعتقدون  
 أنهم لا يلقون مقاومة الا من حقنة من الرؤساء « الأجاش » ذوى الطموح  
 ومجموعة حائرة من المسلمين . وصدمتهم كذلك حقيقة أن لاطاليا وزن في  
 العالم يفوق بكثير ما لاثيوبيا فحاولوا الآن التأثير على الدول الأربع والرأى  
 انه المعنى بإظهار قوة الاتحاديين وتصميمهم على تحقيق أغراضهم ، ولكنهم  
 بدلا من ذلك أظهروا ضعيفة بدأت تفرق بين الاريتري وأخيه الاريتري (٢٩) .

### احالة قضية المستعمرات الإيطالية الى الأمم المتحدة :

وعرض تقريرا للجنة الرباعية على مؤتمر وزراء الخارجية يباريس في سبتمبر  
 ١٩٤٨ ، وعكست مناقشات المجلس الخلافات بين الدول الأربع بصدد مصير  
 المستعمرات الإيطالية (٣٠) ، وهي الخلافات التي مهد لها تقرير اللجنة نفسه .  
 وفيما يتعلق باريتريا ، فقد أتضحت من خلال المناقشات مواقف الوفود الأربعة  
 على النحو التالي :

Trevaskist, E. S. Q Pankhurst, R. I. P. : Op. cit., p. 181 (٢٨)

Trevaskis, G.K.N. : Op. cit., p. 32 (٢٩)

United Nations, Department of Public Information, Press and  
 Public Bureau, Press Release GA/454, Rev. 1 (٣٠)

١ - وضع الوفد البريطاني مقترحاته السابقة (١١) على الرف ، واقتراح الآن وضع اريتريا تحت ادارة اثيوبيا لمدة عشر سنوات . على أن يشكل مجلس استشاري لمساعدة تلك الادارة ، ويضم ممثلين عن إيطاليا واحدى الدول الاسلامية ودول أخرى غير استعمارية . وذلك ليث الطمأنينة في قوس المسلمين والإقالية الإيطالية هناك .

٢ - اقترح الوفد الأمريكى ضم جنوب اريتريا ( أى دنكاليا Dankalia وسراى Serai واكلى قوزاى (Akelli Guzai) الى اثيوبيا فوراً ، على أن يبت فى مصير بقية المستعمرة بعد عام واحد .

٣ - ايد الوفد الفرنسى الاقتراح الأمريكى بضم جنوب اريتريا الى اثيوبيا ، ليصبح لاثيوبيا منفذ الى البحر الأحمر عن طريق عصب . ولكنه جذا إقامة وصاية ايطالية على شمال اريتريا . بشرط ضم روكاتا Rukata الى الصومال الفرنسى .

٤ - أما الوفد السوفيتى فبعد أن جدد فى بادىء الأمر اقتراحه السابق بوضع اريتريا تحت الوصاية الإيطالية ، عاد فأيد اقتراح الولايات المتحدة الأصلى بشأن وضع المستعمرات الإيطالية السابقة تحت الوصاية الجبائية للأمم المتحدة (١٢) .

وزاء تعذر التوصل الى اتفاق بشأن مصير المستعمرات الإيطالية السابقة ومنها اريتريا ، فقد قرر مجلس وزراء الخارجية فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ إحالة الموضوع الى هيئة الأمم المتحدة .

---

(١١) كان جوهر هذه المقترحات هو تقسيم اريتريا بين اثيوبيا والسودان ، فيضم القسم الشرقى الى اثيوبيا والقسم الغربى الى السودان . ويقال ان حزب الأمة فى السودان الموالى للطائفة المهدية قد اعترض على ضم أجزاء من اريتريا الى شرق السودان ، بحجة أن اضافة قبائل غرب اريتريا الموالية للطائفة الختمية سيجعل كفة الختمية فى السودان ، ولذا ضغط حزب الأمة على بريطانيا لاعاء مشروع التقسيم المقترح .

United Nations, General Assembly, First Committee, Third (١٢)

Session, part II, Summary Record of the two hundred and fortieth meeting held at Lake Success, New York, Gromyko's speech on 9 April 1949; A/C.1/SR. 240; Trevaskis, G.K.N. : Op. cit., pp 90-91.

### تجدد الاهتمام بمشكلة المستعمرات الإيطالية :

وما كاد يحل شهر أبريل عام ١٩٤٩ حتى تجدد الاهتمام بمشكلة المستعمرات الإيطالية السابقة ، فأرسلت الحكومة الإيطالية الى هيئة الأمم المتحدة مذكرة أشارت فيها الى أن ارتيريا لم تكن في يوم من الأيام ملكا لأثيوبيا ، وأنه لم يسكنها أثيوبيون من قبل ، وقالت ان ٧٠ ألف ايطالى كانوا يقيمون في ارتيريا عام ١٩٣٩ ، ويرجع اليهم الفضل في كثير من المنشآت التي تمت في مصوع وأسرة وأغردات وكرن حتى أصبحت هذه البلاد مدنا أوروبية تماما ، ثم تحدثت المذكرة عن خطر تقسيم ارتيريا ، وخلصت الى القول بأن اخضاع هذه المستعمرة لأثيوبيا التي تقل عنها في المدنية وأسباب التقدم يعتبر رجوعا الى الوراء وقضاء على ما قدمته المدينة من أعمال في تلك البلاد (٤٣) .

وصرح الكونت كارلو سفورتزا Carlo Sforza وزير خارجية ايطاليا في مؤتمر صحفي عقده في واشنطن بأن من الخطر منح أثيوبيا الوصاية على جزء من ارتيريا لأن مثل هذه الوصاية عبء قد تنوء به اكتافها ومستولية أكبر من أن تحمّلها ، فضلا عن أنه ليس من العدل أن يحرم الايطاليون من أسسرة ومصوع ، وهم الذين بنوها ، في سبيل ارضاء أثيوبيا ، ثم قال : « لقد اعترفت مرة بأن لامبراطور أثيوبيا حقوقا أدبية تزيد على حقوق حاكم ارتيريا . ولكنى لا أعتقد أن من صالح أثيوبيا أن تحمل على كتفها عبئا قد لا تستطيع أن تحمله ، كما لا أعتقد أن ارضاء أثيوبيا يجب أن يكون على حساب أبناء الايطاليين وأحفادهم . الذين يتمتعون الآن لافريقيا تماما كما ينتمى اليها سكان رأس الرجاء الصالح والترنفال (٤٤) » .

غير أن الرأس أمرو Ameru وزير أثيوبيا المفوض في واشنطن لم يلبث أن أدلى بتصريح أكد فيه أن بسط الوصاية الإيطالية على أى جزء من أريتريا سيكون بمثابة « خطر مباشر على السلم في الشرق الأوسط » تضرر أثيوبيا من جرائه الى اتخاذ التدابير الفورية لدفع « الغزو الايطالى الذى لا مفر منه » . وحمل على ايطاليا لمطالبها بالهيمنة على ارتيريا ، كما حمل على الكونت

(٤٣) المصرى في ١٩٤٩/٤/٥ .

(٤٤) المصرى ١٩٤٩/٤/٣ .

كارلو سفورتزا لقوله ان الايطاليين أقدر من الاثيوبيين على اقامة حكومة  
رشيطة في اريتريا ، وأنه لا يستبعد أن ينوء الاثيوبيون بحمل ثمة الحكم في  
اريتريا (٢١) .

وفي الوقت نفسه كانت الأحزاب الارترية المعارضة للوحدة مع أثيوبيا  
أو المؤيدة لها قد رأت أن تسمع صوتها للامم المتحدة . فقررت الرابطة  
الاسلامية والحزب الارترى الموالي لاطاليا والحزب الاتحادى والرابطة  
الاطالية الارترية أن ترسل كل منها لهذا الغرض وفدا الى الامم المتحدة .

وكان وفد الرابطة الاسلامية مؤلفا من سكرتيرها العام الشيخ ابراهيم  
سلطان على رئيسا والشيخ السيد محمد عثمان الحيونى والحاج ابراهيم محمد  
على . وعندما وصل هذا الوفد الى القاهرة بالطائرة في طريقه الى نيويورك .  
اجتمع بعد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية . وطلب اليه تعيين «ضابط  
اتصال » لينقل الى الجامعة أنباء اريتريا ويكون خير دليل على رغبتها في تظييفها  
من المصير الذى يراد بها . وقد رحب أمين الجامعة بهذا الاقتراح ووعده  
بتحقيقه في الوقت المناسب . كما أبلغ وفد الرابطة الاسلامية أن الجامعة  
العربية أرسلت تعليماتها الى الوفود العربية في هيئة الامم ليقفوا الى جانب  
شعب اريتريا في تحقيق أمانه .

وقد انتهز وفد الرابطة الاسلامية فرصة وجوده بالقاهرة . فصرح رئيسه  
بأن حزب الرابطة ينطق بلسان أغلبية السكان . وهم مسلمون . يثابون  
باستقلال اريتريا الناجز ويعارضون الاندماج في أثيوبيا أو الانضمام اليها .  
وأشار الى ان اريتريا صيف «رابطة الاسلامية» انى تصدر بالعربية  
أسبوعية . وصحيفة أسبوعية حكومية تصدر بالعربية والانجليزية . وصحيفتين  
أسبوعيتين أخريين احدهما للدعاية الايطالية بالعربية والاطالية ، والأخرى  
للدعاية لاثيوبيا بالعربية والأمهرية ، ثم قال : « انهم يرجون ان تؤيد الجامعة  
العربية والأقطار الاسلامية مطالب أغلبية سكان اريتريا المسلمون ، وانهم  
يذهبون الى الأمم المتحدة ليكونوا على مقربة منها ، ويطلعوا أعضائها على

حقيقة الأحوال في بلادهم ، ويعربوا عن رغبات أهلها في الوقت الذي تترجم فيه هذه المؤسسة الدولية أن تبت في مصير المستعمرات الإيطالية (٤٧) .

### اللجنة السياسية ومشكلة المستعمرات الإيطالية :

والواقع أن مشكلة المستعمرات الإيطالية السابقة كانت وقتئذ موضع مناقشات اللجنة السياسية بالجمعية العامة للأمم المتحدة ، حيث أخذت وفود الدول تعرض وجهات نظرها المختلفة بشأن مصير تلك المستعمرات .

وقد اتفقت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على إعادة الحكم الإيطالي إلى طرابلس والصومال وشرق أريتريا ، وطالبت بريطانيا بأن تنفصل برقة عن طرابلس .

وفي ٩ أبريل ١٩٤٩ ألقى جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي خطابا أمام اللجنة السياسية استعرض فيه موقف الاتحاد السوفيتي من مشكلة المستعمرات الإيطالية السابقة منذ سبتمبر ١٩٤٥ ، ثم راح يهاجم الدول الغربية الثلاث بأنها دول استعمارية تسعى إلى إنشاء قواعد عسكرية في شأن افريقية للاعتداء على الاتحاد السوفيتي ، وأنها اتفقت على تقسيم المستعمرات الإيطالية السابقة فيما بينها ، واستشهد على ذلك بأن مستر هكتور مكينيل Hektor McNeil وزير الدولة والمندوب البريطاني في اللجنة السياسية قد أعلن بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٤٩ في مجلس العموم بأن إدارة طرابلس وبرقة سوف تنتقل من وزارة الحرية إلى وزارة الخارجية .

واقترح جروميكو أن توضع ليبيا وأريتريا والصومال الإيطالي تحت وصاية الأمم المتحدة ، ويقوم مجلس الوصاية بتعيين حاكم أو مدير Administrator لكل مستعمرة على حدة ، بحيث يكون مسئولا أمامه ، وأن يشكل مجلس استشاري لمساعدته ، ويضم ممثلين لبريطانيا والاتحاد السوفيتي وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية . وفيما يتعلق بأريتريا ، طالب بضرورة حصول تنازلات اقليمية لصالح اثيوبيا ، ما



يمكنها من أن يكون لها منفذ الى البحر عن طريق عصب . وقد رد هكتور  
مكنيل على خطاب جروميكو بأنه يتطوى على هجوم دعائى غيف (١٧) .

وأصدرت اللجنة السياسية فى ١١ أبريل ١٩٤٩ قرارا باحالة مطالب ممثلى  
الأحزاب السياسية والمنظمات فى المستعمرات الايطالية السابقة لبحثها  
فى لجنة فرعية من البرازيل ومصر وفرنسا وهائى والهند ونيوزيلنده  
والنرويج وبولندا والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.  
على أن يقدم ممثلو الأحزاب السياسية مطالبهم فى موعد لايتجاوز ٢٣ أبريل  
١٩٤٩ (١٨) .

واجتمعت اللجنة الفرعية فى أيام ١٢ - ١٣ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦ أبريل ،  
وشكلت فى اجتماعها بتاريخ ١٢ أبريل « مجموعة عمل » « Working group »  
من النرويج والبرازيل وهائى . لمحض أوراق اعتماد ممثلى الأحزاب  
والمنظمات ، والحصول منهم على معلومات جديدة لتضاف الى ما ورد بتقرير  
لجنة التحقيق الرباعية . ومن ثم سألت « مجموعة العمل » كل وفد من  
الوفود التى التقت بها عددا من الأسئلة تتعلق بعضوية المنظمة التى يمثلها  
ونشاطها وتقييم أهميتها بالنسبة للأحزاب الأخرى . وعرض تقرير « مجموعة  
العمل » المبدئى (١٩) على اللجنة الفرعية فى ١٩ أبريل . مما كان من نتيجة  
أن أوصت اللجنة الفرعية بأن تستمع اللجنة السياسية لوفدى الرابطة الاسلامية  
الاريترية والحزب الاريتري الموالى لاطاليا .

### بيانات الاحزاب الاريترية امام اللجنة السياسية :

وفى ٢٠ أبريل ١٩٤٩ أدلى رئيسا وفدى الرابطة الاسلامية والحزب  
الاريتري الموالى لاطاليا ببيانهما امام اللجنة السياسية ، فقال ابراهيم سلطان  
على رئيس وفد الرابطة الاسلامية وسكرتيرها العام أن المنظمة السياسية التى  
يمثلها تدافع عن مصالح المسلمين ، أى عن أغلبية الارترين ، اذ أن سكان  
ارتريا يبلغون مليوناً ومائتى وخمسين ألف نسمة ، وأن خمسة وسبعين فى

United Nations, A/C.1/SR. 240.

(١٧)

United Nations, A/C.1/435.

(١٨)

United Nations, A/C.1/SC. 14/6.

(١٩)

المائة منهم مسلمون . وقال ان سكان اريتريا غير المسلمين ليسوا متجانسين عرقيا ولغويا أو دينيا ، ولو أن الأقباط المسيحيين أنفسهم مختلطون بالمسلمين .

واستطرد ابراهيم سلطان قائلا : وفيما يختص بتاريخ اريتريا ، فمع ان البلاد قد حكمتها دول مختلفة لقرون ، الا أنها لم تكن على الاطلاق جزءا من اثيوبيا . واذا هذا اقتراح ضم اريتريا الى اثيوبيا ، فان ذلك سيكون دون شك منافيا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، الذى يضمن حق الشعوب فى اختيار حكوماتها . ان اريتريا ليست لها مصالح اقتصادية كبيرة مع اثيوبيا . ومن الناحية الجغرافية ، فان ميناءى مصوع وعصب لن يمنحا اثيوبيا منفذا الى البحر ، بسبب النفقات الباهظة التى يتكلفها النقل عبر الطرق الممتدة اليهما . وذلك عكس المزايا التى يمكن أن تجنيها التجارة الاثيوبية من ميناء جيبوتى بالصومال الفرنسى . و نظرا لعدم وجود أية روابط عرقية ودينية وتاريخية أو اقتصادية مع اثيوبيا ، فان المسلمين الارثريين يعارضون بشدة ضم اريتريا الى اثيوبيا ، ويناشدون الأمم المتحدة أن تمنح بلادهم الاستقلال . اذ أن ضم اريتريا الى اثيوبيا سيؤدى الى صراعات دامية . ولسوف تتبع اثيوبيا سياسة القمع هناك وترتكب أعمال العنف ضد أعضاء الرابطة الاسلامية ، ينهض دليلا على ذلك اغتيال الشيخ عبد القادر محمد صالح كبرى ، وهو على أهبة السفر الى الجمعية العامة للأمم المتحدة بوصفه عضوا فى الرابطة الاسلامية باريتريا .

ثم ألقى ممثل الرابطة الاسلامية ملخصا للأحوال العامة فى اريتريا من النواحي الاقتصادية والجغرافية والعرقية ، وهى - فى رأيه - تبرر المطالبة بالاستقلال ورفض السماح بضم اريتريا الى اثيوبيا . ذلك الرفض الذى طالب به وأكدته أربعة أو خمسة من الأحزاب السياسية الاريترية . وقال أن اريتريا تتألف من ٢٩٣ قبيلة ، منها ١٩٧ قبيلة اسلامية صرفة ، على حين أن ٩٥ قبيلة أخرى تقيم بالهضبة المرتفعة تضم مسلمين ومسيحيين . وعلى عكس ما يقال عادة أن أغلبية سكان اريتريا مسيحيون ، فان الجزء الشرقى من اريتريا لا يوجد فيه حقيقة مسيحي واحد ، كما أن أحدا من السكان لن يقبل الاندماج مع اثيوبيا . ان تسعة أعشار اريتريا يقطنها مسلمون كما يبدو من الخريطة التى سوف توزع فيما بعد ، بل ان المسيحيين الأقباط الذى ينزلون

بالحضبة المرشحة المتاخمة لاثيوبيا يرفضون فكرة ضم ارتريا الى هذه البلاد .  
والحقيقة أن الرغبة في الاستقلال قد أعرب عنها ثمانون في المائة من السكان :  
الذين يعارضون أيضا أى تقسيم لارتريا . وبمجرد أن تمنح ارتريا  
الاستقلال ، فإن الرابطة الاسلامية تحدها الرغبة في السلام واقامة علاقات  
ودية مع جيرانها ، سوف تكون على استعداد لمنح كل الضمانات الضرورية  
للجاليات الأخرى المقيمة بالبلاد : ومنها الجالية الايطالية (\*) .

وسأل ميدهين Medhen ( اثيوبيا ) ممثل الرابطة الاسلامية :  
على أى أساس يقدر عدد سكان ارتريا بليون ومائتى وخمسين ألف نسمة ،  
وان خسة وسبعين في المائة منهم مسلمون ؟ واذا كانت هذه الاحصائية  
صحيحة ، فما هي النسبة المئوية التى يضعها لكل مقاطعة من مقاطعات ارتريا :  
وبخاصة أكلى قوزاى وسراى والحماسين ومصوع والمقاطعة الغربية ؟ فأجاب  
ابراهيم سلطان أن رقم المليون ومائتى وخمسين ألف نسمة قد ذكرته لجنة  
التحقيق الرباعية . وأن تقرير اللجنة اشار الى أن ثلاثمائة وخمسين ألف  
ارتري مسيحي يرغبون في الاندماج مع اثيوبيا . والحقيقة أن أقلية ضئيلة فقط  
من المسيحيين الارتريين هي التى أعربت عن مثل هذه الرغبة . وقال ان معظم  
سكان مقاطعات الحماسين وسراى وأكلى قوزاى ليسوا من المسلمين . أما  
أعداد أعضاء الرابطة الاسلامية في ارتريا ، فهي كالتالى : كرن : ١٨٨٦٤٠ .  
أغردات : ٨٧٠٥٧٥ ، تسنى : ٤٦٤٠٤٤٥ . برتو : ٤٦٠٠٠٠ . عدى وقرى :  
٢٧٠٨٥٠ ، عدى قوالا : ١٦٠٥٢٠ . مصوع والقسم الشمالى من دنكاليا  
١١٠٠٠٠ ، جنوب دنكاليا : ٢٨٠٠٠٠ ، أسرة والمنافى المجاورة لها :  
٦٧٠٣٧٠ . وذكر أن هذه المعلومات قد استندت من لجنة التحقيق الرباعية .  
ولما سأل ريكمانز Ryckmans ( بلجيكا ) ابراهيم سلطان عما  
يفضله سكان ارتريا اذا اتخذت الجمعية العامة قرارا بوضع ارتريا تحت  
الوصاية بدلا من منحها الاستقلال فورا ، أجابه بأن الرابطة الاسلامية في هذه  
الحالة سوف تؤيد وصاية الأمم المتحدة (\*) .

وأدلى بعد ذلك ببلاته محمد عبد الله ممثل الحزب الارتري الموالى لاطاليا

بيانه أمام اللجنة السياسية ، واستله بقوله : ان حزبه يرغب في منح اريتريا الاستقلال بعد فترة معقولة من الوصاية الإيطالية ، و نظرا للأحوال العامة في اريتريا ، فان هذه البلاد لا تستطيع بعد أن تمارس الاستقلال ، ولذا يجب أن تحصل خلال فترة الانتقال على مساعدة دولة أوروبية ، وأن إيطاليا في رأيه هي الدولة المؤهلة للقيام بهذه المهمة الصعبة . وبني اختياره لإيطاليا على الأسباب التالية .

١ - ان اللغة الإيطالية - كما تأكدت لجنة التحقيق الرباعية - هي اللغة الأوروبية الوحيدة المستخدمة حتى الآن في اريتريا . الأمر الذي سوف يسر تدريس هذه اللغة واستخدامها من جانب السكان .

٢ - ان الامام باللغة الإيطالية سوف يمكن الشعب الاريتري تحت الوصاية الإيطالية من أن يتولى قسما كبيرا من ادارة البلاد . على حين أن الاريتريين تحت الادارة البريطانية لا يمكنهم أن يشاركوا الا في الوظائف الادارية الصغيرة فقط .

٣ - ان الشعب الإيطالي قد يسر الى حد كبير تطور اريتريا ، وان خروجهم منها سوف يعيق نموها الاقتصادي .

ثم قال ان مشروعات ضم اريتريا الى اثيوبيا غير مقبولة بسبب الخصومات العنصرية العتيقة التي تفصل الشعبين الاريتري والاثيوبي عن بعضهم بعضا . ان مثل هذا الحل سوف يكون أمرا مؤسفا ، لأن الاثيوبيين ينظرون الى الاريتريين باعتبارهم عنصرا وضعا وغير جدير بتولى الوظائف العامة الهامة . كما أن فكرة تقسيم اريتريا يجب أن ترفض ، لأن تطور اريتريا خلال ستين عاما من الحكم الإيطالي . قد جعل لها كيانا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . مما يؤهلها للسير في طريق الاستقلال . وأشار الى أن شعورا بالتعاطف مع إيطاليا: منتشرين جميع قطاعات السكان ، وان نتائج استقصاء لجنة التحقيق الرباعية نفسها لم تضعف هذا الرأي . وفضلا عن ذلك ، فان تقرير اللجنة لم يكن واضحا بالنسبة لاتجاه السكان ، لأن وسائل اللجنة في الاستقصاء كانت قاصرة .

وأضاف بلاه محمد عبد الله ان تأسيس الحزب الاريتري الموالي لإيطاليا

لم يسمح به الا قبل وصول لجنة التحقيق الرابعة بأربعين يوما فقط . كما أنه أبلغ اللجنة بالتأجيل المؤسفة للدعاية الرسمية ضد النفوذ الإيطالي في البلاد ، وقد اشار تقرير لجنة التحقيق الى ميل السكان للتأثر بالزعماء السياسيين والدينيين الذين استخدمتهم سلطات الاحتلال . واستطرد يقول : وفي أثناء قيام لجنة التحقيق بعملها في أريتريا ، أوضحت الرابطة الاسلامية تفضيلها للصاية البريطانية ، ولكن في ٢٠ سبتمبر ١٩٤٨ غيرت موقفها وقالت انه اذا لم تمنح اريتريا الاستقلال ، فانها سوف تؤيد وضع اريتريا تحت وصاية الأمم المتحدة . وعلى ذلك ، فان الرابطة الاسلامية قد اتخذت بادية ذي بدء موقفا سياسيا معينا بسبب الضغط الواقع عليها من الادارة البريطانية : ثم قامت بعد ذلك بتعديل موقفها حين استعادت قسرا من حرية التعبير . وخلص من ذلك كله الى القول بأن الحزب الاريتري الموالي لاطاليا يرى أن وضع اريتريا تحت الصاية الإيطالية سوف يخدم قضية العدل والحضارة .

ووجه توفيق السويدي ( العراق ) اليه سؤالا عن النسبة المئوية التي يمثلها الحزب الاريتري الموالي لاطاليا بالنسبة لسكان اريتريا . فأجاب بلاته محمد عبد الله أن حزبه يمثل جميع السكان المسيحيين والمسلمين على السواء . وسأله السويدي مرة أخرى عن تهيئه للتناقص بين ما يقوله وما جاء في تقرير « مجموعة العمل » بأن حزبه لا يمثل الا ٥٪ فقط من السكان . فأجاب أن حزبه قد شكل فقط قبل وصول لجنة التحقيق بأربعين يوما ، ولكن منذ هذا الوقت بلغ عدد أعضائه رقما يزيد على أربعائة ألف عضو .

وسأله كوير Cooper ( ليريا ) عن عدد الايطاليين في الحزب . فأجاب أنه لا يوجد ايطالي واحد في حزبه ، وأن أعضائه جميعا من الاريتريين . وعندئذ علق كوير قائلا : ان اجابته هذه لا تتفق مع قوله أن حزبه يمثل سكان اريتريا ، وسأله من جديد : هل لا يوجد ايطاليون في اريتريا ؟ فأجاب ان حزبه لا يضم في الحقيقة الا اريتريين فقط : فطرا لاهتمامه بمستقبل اريتريا ، ولكنه مع ذلك يؤيد الصاية الإيطالية .

وسأله لاتونج Lannung ( الدانرك ) عن الحل الآخر الذي يفضلته حزبه اذا لم تقرر الأمم المتحدة اقامة وصاية ايطالية على اريتريا : فرد قائلا انه لا يستطيع الاجابة على هذا السؤال ، وانه يعول بهذا الشأن على

حكمة الأمم المتحدة ، وأضاف : ان حزبه يؤيد الوصاية الإيطالية ولا يعتبر نفسه مؤهلا لصياغة أية رغبة أخرى .

وسأله سنت لوت Saint - Lot ( هايتى ) : ما هو رد فعل أعضاء الحزب الارترى الموالى لاطاليا اذا حصلت البلاد على الاستقلال ؟ . فقال ان الارترين لا يزالوا بحاجة الى التعليم وأنهم غير مستعدين لممارسة الاستقلال التام ، ولذلك فلا بد أن يحصلوا على مساعدة من بعض الدول الأوروبية ، وهذا هو السبب الذى يجعل حزبه يؤيد الوصاية الإيطالية . ولت مندوب هايتى ظره الى أنه لم يجب على سؤاله ، فهل يرفض حزبه الاستقلال أم يقبله ؟ فأجاب أن ارتريا ليست مستعدة للاستقلال التام . ومع أن حزبه يدعو الى استقلال البلاد مستقبلا ، الا أنه يطالب بمساعدة دولة أوروبية في الفترة السابقة على الاستقلال (٥٢) .

وفي ٢٥ أبريل ١٩٤٩ درست اللجنة الفرعية تقريرا ثانيا مقدما من « مجموعة العمل » (٥٣) ، وأصدرت في اليوم نفسه توصية بأن تستمع اللجنة السياسية لبيانات الحزب الاتحادى فى ارتريا (٥٤) .

وأدلى آتوتدلا بايرو سكرتير عام الحزب الاتحادى ورئيس وفد الحزب ببيانه فى ٢٦ أبريل أمام اللجنة السياسية : فذكر أن حزبه قد قدم فى نوفمبر ١٩٤٧ الى لجنة التحقيق الرباعية جميع الوثائق المتعلقة بمطالب الحزب ورغباته . وبمطالب الشعب الارترى بوجه عام ، وأن حركة الوحدة الارترية الاثيوبية قد قامت قبل فترة طويلة من تحرير البلاد عام ١٩٤١ ، وأنها تؤلف أقدم حركة سياسية فى ارتريا . وقال انه مها كانت خلفية الارترين . فانهم مثل شعوب جميع المستعمرات الإيطالية السابقة فى افريقية ، يعارضون بشدة عودة الحكم الايطالى تحت أية صورة الى بلادهم ، وأن الحزب الاتحادى قد تشكل فى ٥ مايو ١٩٤١ لتحقيق أمانى الشعب الارترى ، وأنه يضم حاليا زهاء ٧٠٠.٠٠٠ عضو ، ويصدر مجلته الأسبوعية بأسم « اثيوبيا » .

United Nations, A/C.1/SR. 247.

(٥٢)

United Nations, A/C.1/SC. 14/10.

(٥٣)

United Nations, A/C.1/442.

(٥٤)

وبعد أن وصف الروابط العرقية واللغوية والدينية التي تربط إريتريا بإثيوبيا ، أضاف بايرو أن إريتريا كانت تؤلف أهم جزء في إثيوبيا لآلاف السنين ، وأن المقاطعات الثلاث الوسطى : ألكلي قوزاي وسراي والحماسين تشتمل على ٥٦٪ من كل سكان إريتريا ، وأن نسبة كبيرة من سكان هذه المقاطعات الثلاث قد أعلنت تأييدها للوحدة مع إثيوبيا ، وقال إن الحزب الاتحادي ليس مقصورا على المسيحيين : وعدد أسماء المسلمين البارزين الذين يشكلون عنصرا هاما مؤيدا للوحدة مع إثيوبيا ، واستطرد قائلاً : إن الرابطة الإسلامية التي تقتصر عضويتها على المسلمين ولا تمثل رغبات أغلبية الشعب الإريتري ، قد بالغت كثيرا فيما يتعلق بعدد أنصارها . إن المتحدث باسم الرابطة الإسلامية كان من أبرز زعماء الحزب الاتحادي حتى أواخر عام ١٩٤٦ ، إلا أنه غير ولاءه ، لأسباب شخصية ، وادعى بايرو أن الاتهامات التي وجهها إبراهيم سلطان إلى الحزب الاتحادي عن أعمال الإرهاب والاعتقالات لا أساس لها من الصحة ، ثم قال : إن رئيس ما يسمى بالحزب الموالي لإيطاليا قد قضى ستة شهور في روما قبل أن يمثل أمام اللجنة السياسية ويدلى ببيانه . وأن عضوا آخر بوفد هذا الحزب قد استخدمه الإيطاليون في ليبيا ثم بعد ذلك في إريتريا .

وبالإضافة إلى الروابط العرقية واللغوية والدينية التي تحدث عنها من قبل ، أشار بايرو إلى أن إريتريا ترتبط بإثيوبيا اقتصاديا : إذ تصدر إثيوبيا إليها الحبوب ، كما أن الإريتريين ينزحون إلى مناطق في تيجراي وغوتدار لاستخدامها كمراعى لمواشيهم خلال شهور عديدة من العام . وخلص من ذلك إلى القول بأن الحركة التي يمثلها حزبه إنما تعبر تلقائيا عن جميع قطاعات المجتمع الإريتري .

وفي رده على سؤال لكوير ( ليبريا ) ذكر بايرو أن المسلمين يؤلفون ثلث أعضاء الحزب الاتحادي ، الذي يلقى تأييدا من جميع جهات إريتريا ومن كل قطاعات السكان (٢٢) .

وفي ٣ مايو ١٩٤٩ استمعت اللجنة السياسية إلى بيان فلبو كشياني

Filippo Casciani مثل الرابطة الإيطالية الارتية ، والذي قدم مشروع الرابطة من أجل « حرية ارتريا واستقلالها » ، فقال ان الأحزاب السياسية في ارتريا قد أجمعت رأيا على دعم تكامل ارتريا الاقليمي داخل الحدود الجغرافية القائمة في أول يناير ١٩٣٥ . وأيد وضع ارتريا تحت الوصاية الإيطالية كخطوة على طريق الاستقلال وأساس لتعاون نشيط ووثيق مع أثيوبيا الجديدة الخالية من المطامح القومية (٥٦) .

#### مشروع اتفاقية ييفن - سفورتزا :

وكانت بريطانيا وإيطاليا قد توصلتا حينئذ الى ما يعرف باسم اتفاقية ييفن - سفورتزا Bevin-Sforza Agreement ، نسبة الى مستر ارنست ييفن وزير خارجية بريطانيا والكونت كارلو سفورتزا وزير خارجية إيطاليا . وتقضى الاتفاقية بوضع الصومال الإيطالي وطرابلس تحت وصاية إيطاليا ، وبوضع فزان تحت وصاية فرنسا ، وبرقة تحت وصاية بريطانيا ، وأن تقسم ارتريا بين اثيوبيا والسودان ، فيضم القسم الشرقي من ارتريا الى اثيوبيا ، ويضم القسم الغربي منها الى السودان . وفي ٣ مايو ١٩٤٩ - وهو اليوم الذي أدلى فيه فلبو كشياني ممثل الرابطة الإيطالية الارتية ببيانه الذي سبقت الإشارة اليه - تقدم الوفد البريطاني الى اللجنة السياسية بالجمعية العامة للأمم المتحدة باتفاقية ييفن - سفورتزا في صورة مشروع قرار (٥٧) .

وهاجت عدد من الدول هذا المشروع ، ووصف الدكتور جوزي أرشي Jose Arce (الارجنتيني) ما جاء به بصدد ارتيريا بأنه « رجعي » . وقال : ان كل شخص يميل الى الاعتراف بحقوق اثيوبيا واحترامها ، ولكن ذلك لا يعني الموافقة على أن توضع تحت السيادة الاثيوبية أراض وسكان يقاومون مثل هذا الضم . وأكثر من ذلك صعوبة أن نبتلع دون احتجاج اقتراح ضم غرب ارتريا الى السودان ، اذ لا تنسى أن السودان ليس « سودانا مصرعا » ، ولكنه في الحقيقة « سودان انجليزى مصرى » . ومن ثم ، فان ما جاء بمشروع القرار البريطاني بخصوص المقاطعة الغربية بارتريا



ليس الا محاولة لضم « اقليم اريتري واسع الأرجاء » الى « مستعمرة تحكمها بريطانيا العظمى » (٥٨) . ومع ذلك ، فقد أيدت الكتلة اللاتينية مشروع القرار البريطاني في جلته عندما تقدمت ثمانى عشرة دولة لاتينية بشروع قرار مشترك بهذا المعنى في ٤ مايو (٥٩) .

وقدمت وفود الهند والاتحاد السوفيتى والباكستان والعراق ومصر وكوستاريكا وكوبا والدومنيكان مشروعات قرارات تبغى منها اما تخفيف وطأة المقترحات البريطانية واما ازالة أثرها والقضاء عليها . ولكن دون جدوى . وكان مشروعا القرارين الهندى (٦٠) والسوفيتى (٦١) يدعوان الى وضع المستعمرات الايطالية السابقة تحت الوصاية الجبائية للأمم المتحدة . على حين دعا مشروع القرار الباكستانى (٦٢) الى تعيين لجنة خاصة لدراسة المشكلة وتقديم تقرير عنها الى الدورة التالية للجمعية العامة ، ومشروع القرار العراقى (٦٣) الى ارسال لجنة دولية خماسية للتحقق من الرغبات الحقيقية لسكان اريتريا ازاء مستقبل بلادهم السياسى . ومشروع القرار المصرى (٦٤) الى اقامة وصاية مشتركة من قبل خمس دول على ليبيا الموحدة . واقامة وصاية مشتركة من قبل سبع دول على الصومال . وادماج اقليم غرب اريتريا فى السودان . أما مشروع القرار المشترك الذى تقدمت به كوستاريكا وكوبا والدومنيكان (٦٥) فكان يدعو الى وضع غرب اريتريا تحت الوصاية البريطانية المصرية المشتركة .

وفى ٩ مايو أحالت اللجنة السياسية موضوع المستعمرات الايطالية

United Nations, Press Release GA/PS/207

(٥٨)

United Nations, A/C.1/449

(٥٩)

والدول اللاتينية الثمانى عشرة هى : الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل وشيلى وكولبيا وكوستاريكا وكوبا والدومنيكان واكوادور وجواتيمالا وهندوراس والمكسيك ونيكارجوا وبنما وبرجواى وبيرو واورجواى فنزويلا .

United Nations, A/C.1/448.

(٦٠)

United Nations, A/881.

(٦١)

United Nations, A/889.

(٦٢)

United Nations, A/C.1/457.

(٦٣)

United Nations, A/886.

(٦٤)

United Nations, A/C.1/47/..

(٦٥)

السابقة لبحثه على لجنة فرعية من مندوبي ست عشرة دولة (٣١) . وبعد أن عقدت اللجنة الفرعية اربعة اجتماعات فقط في يومى ١٠ و ١١ مايو ١٩٤٩ ، ما لبثت حتى وصلت الى قرار سريع في مساء ١١ مايو ، يتناول البت في مصير المستعمرات الايطالية السابقة على أساس اتفاقية ييفن - سفورتزا (٣٢) . وأبرق الامبراطور هيلاملاسى في ١٤ مايو الى السكرتير العام للأمم المتحدة مطالباً بأن « يعاد الى اثيوبيا اقليم ارتريا ، الذى كان يشكل لآلاف السنين جزءاً لا يتجزأ من بلادنا » ، وقال « ان اثيوبيا بطلبتها باعادة ارتريا اليها . لا تسعى لضم شعوب وأراض لا تخصها ، ولا تفعل أكثر مما فعلته فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى ، حينما طالبت باعادة الألزاس واللورين اليها ، أو اليونان حينما طالبت بأن تعاد اليها جزر الدوديكانيز » (٣٣) .

واتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدتها للاقتراع على مشروع القرار البريطانى القائم على اتفاقية ييفن - سفورتزا ، وتحدد يوم ١٧ مايو لذلك . ولكن المظاهرات الصاخبة العنيفة المعادية لاطاليا التى اندلعت في طرابلس (٣٤) ، والتي نقلت الصحف الأمريكية وصحف العالم أجمع أنباءها . كان لها اثرها على الموقف في نيويورك . وعندما عرض مشروع القرار البريطانى للاقتراع في ١٧ مايو ، وافقت الجمعية العامة على المشروع في فقرته الخاصة ببرقة بأغلبية ٣٦ صوتاً ضد ١٧ وامتناع ٦ من الاقتراع ، وفي فقرته الخاصة بطرابلس بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٧ وامتناع ٨ عن الاقتراع ، وفي فقرته الخاصة بالصومال بأغلبية ٣٥ صوتاً ضد ١٩ وامتناع أربعة عن الاقتراع . وفي فقرته

United Nations, A/C.1/459

(٦٦)

والدول الست عشرة هي : الأرجنتين وأستراليا والبرازيل وشيلى والدانمرك ومصر واثيوبيا وفرنسا والهند والعراق والمكسيك وبولندا وجنوب افريقية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

United Nations, A/C.1/466.

(٦٧)

United Nations, A/C.1/459.

(٦٨)

(٦٩) كانت هذه المظاهرات بتدبير هيئة تحرير ليبيا ، وذلك كما يستنتج مما كتبه الدكتور محمد فؤاد شكرى ( مستشار الهيئة والوفد الليبى في الأمم المتحدة ) في مذكراته غير المنشورة بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤٩ ، حيث يقول : « ووصلنا تلفراف من الطاهر الربيض ( عضو هيئة تحرير ليبيا ) باشعال الثورة وحوادث في سوق الجمعة . وقد نشرت الهيرالد تريبيون والنيويورك تايمز هذه الاخبار » .

الخاصة ببارتريا ( باستثناء المقاطعة الغربية ) بأغلبية ٣٧ صوتا ضد ١١ وامتناع ١٠ عن الاقتراع . ولكن المشروع كله ما لبث أن سقط بأغلبية ٣٧ صوتا مقابل ١٤ في جانبه وامتناع سبعة أصوات عن الاقتراع (٣) . وفي ١٨ مايو صدر قرار الجمعية العامة رقم ٢٨٧ بتأجيل النظر في مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة حتى دورة الانعقاد الرابعة (٣) .

وأعلن ارنست ييفن في ٦ يولية ١٩٤٩ في مجلس العموم أن الحكومة البريطانية قد تخطت عن مشروع سفورتزا - ييفن للمستعمرات الإيطالية . وكانت هذه أول مرة تعلن فيها الحكومة البريطانية هذا التحول في سياستها منذ أن خرج المشروع المذكور الى حيز الوجود . وقد قال ييفن ان الحكومة البريطانية تدرس في الوقت الحاضر سياسة جديدة بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة على ضوء المناقشات التي جرت في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في دورتها الأخيرة . وأضاف « ان تأييد الحكومة البريطانية للاهاقية الانجليزية الإيطالية المعروفة باسم مشروع سفورتزا - ييفن قد انتهى ومات » (٣) .

ومن جهة أخرى : فقد كتب جفرى هور مراسل صحيفة « نيوزكرونيكل » في ١٨ يولية ١٩٤٩ يتول : « ان جلالة الامبراطور هيلاسلاسى امبراطور اثيوبيا قد صرح له في حديث خاص بأن اثيوبيا ستعارض معارضة شديدة في

(٧٠) يذكر مجيد خدوري ان على العنيزي عضو الوفد الليبي قد نجح في حث اميل سنت لوت مندوب هايتي على التصويت ضد مشروع ييفن سفورتزا ( انظر Khadduri. M.: Modern Libya, p. 132, f. n.35 ) والواقع ان خدوري قد نسب الى العنيزي شيئا لم يتم به ، فقد سجل الدكتور شكرى في مذكراته غير المنشورة بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٩ ما يلي : « تكلمت مع سفير ليبيا حتى اقنعه بان يصوت ضد الفقرة المتعلقة بطرابلس .. وتكلمت مع مندوب هايتي : والعرب يائسون منه . واخيرا طلب هو من منصور قداره ٢٠ دولارا ثمن مكالة تليفونية مع رئيس الجمهورية . وكان قد قال لى انه سيتصل به تليفونيا ، فدفعها منصور . وقال الرجل انه حذف اسمه من قائمة الخطباء وسيصوت ضد المشروع في الفقرة المتعلقة بطرابلس . وفعلا هذا حدث .. وقد وعدناه بزيارة مصر والاحتفاء به . ومما يجدر ذكره ان هذه المناورة ( اى اسقاط مشروع ييفن سفورتزا ) هى من عمل الروس ، واطهروا في الجلسة نشاطا عظيما . وصار العرب يجلسون معهم والتفاهم كامل بينهم . اما الانجليز والامريكان ، فهم في شدة المضايقة » .

United Nations, Press Release GA/511 ; Official Records of the (٧١)  
Third Session of the General Assembly, part II, 5 April-18 May 1949, p. 36.

(٧٢) المصرى في ١٩٤٩/٧/٧

أى اقتراح يقرر مصير المستعمرات الإيطالية السابقة دون أن ينص على عودة إريتريا إلى إثيوبيا . واستطرد الامبراطور قائلا : « أن من الواضح أن المضي في فصل شعب إثيوبيا عن شعب إريتريا فصلا غير طبيعي لن يكون في مصلحة السلام ولا في مصلحة الشعب الإريتري من الناحية الاقتصادية » . وأضاف هور إلى ذلك قوله : « أن إثيوبيا تنفق الآن مليئا كبيرا من ميزانيتها الصغيرة على تعليم شبابها الذين سيكلفون لا بإدارة الامبراطورية الإثيوبية العاصرة فحسب : بل المناطق الأخرى كإريتريا والصومال الإيطالي وكل المناطق التي ينتظر من هيئة الأمم المتحدة أن تفسها إلى إثيوبيا وتنتهى الإدارة البريطانية المؤقتة فيها » (٣) .

#### تشكيل الجبهة المستقلة وانشقاق الرابطة الإسلامية :

وكان فشل مشروع يفن - سفورتزا مؤذنا بتغير موقف إيطاليا إزاء القضية الإريتريّة لمحاولة كسب التأييد الدولي ، فصارت تدعو منذ هذا الوقت إلى استقلال إريتريا فوراً . ويقول ترفا سكيس أن هذا الاقتراح قد تقدمت به الرابطة الإيطالية الإريتريّة ، التي كانت فكرة أقطابها أنه في حالة منح إريتريا الاستقلال ، فإن إيطاليا تستطيع أن تطورها تحت جناحها ، بأن تقدم إليها المساعدات المالية والاقتصادية ، وأن تمنحها الحماية العسكرية إذا كان ذلك ضروريا . ومن الناحية السياسية ، أعتقد زعماء الرابطة أن بوسعهم التحكم في التوازن بين الطوائف والأحزاب الإسلامية والمسيحية ، وأنه بسبب مؤهلاتهم المتفوقة يستطيعون السيطرة على جهاز الحكومة (٤) .

ولقد كان بعد هزيمة مشروع يفن - سفورتزا أن اجتمعت في نيويورك وفود حزب الرابطة الإسلامية والرابطة الإيطالية الإريتريّة والحزب الموالي لإيطاليا ، وطلبوا باستقلال إريتريا فوراً . وبعد عودتهم إلى إريتريا ، علواً على التقرب من الحزب التقدمي الحليف الرابطة الإسلامية القديم ، وسرعان ما اتحدت رسمياً الأحزاب السياسية الإريتريّة الثلاثة المعارضة للوحدة مع إثيوبيا ، حزب الرابطة الإسلامية ، والحزب الموالي لإيطاليا ، والحزب التقدمي الحر ، وكونت «كتلة الاستقلال» Independence Bloc أو «الجبهة المستقلة» Independent Front

(٧٢) المصري في ١٩٤٩/٧/١٩ .

Trevaskis, G.K.N. : Op. cit, pp 93-94.

(٧٤)

غير أنه لم تفض فترة وجيزة على تشكيل الجبهة المستقلة حتى حدث انشقاق في صفوف الرابطة الاسلامية والحزب التقدمي الحر ، بسبب الخلافات والاحقاد الشخصية من جهة ، ولأن الأجنحة المتطرفة والمادية لاطاليا في هذين الحزبين كانت ساخطة على صلات الجبهة المستقلة بايطاليا من جهة أخرى .

وفي داخل الرابطة الاسلامية ، قاد الجناح المترد الشيخ على موسى راضى ، وهو أحد أقطاب الرابطة وزعيم غير رسمى لمجموعة من القبائل كانت تنظر بعين الشك الى صلات ابراهيم سلطان سكرتير عام الجبهة المستقلة بايطاليا وتعارض مطامحه القبلية : كما كانت تعارض الادعاءات الايطالية والاثيوبية ، وتطالب بمنح غرب ارتريا الاستقلال بعد فترة من الوصاية البريطانية (٧٥) . ويرى بعض الباحثين أن الادارة البريطانية والأموال الاثيوبية قد لعبت دورا في احداث الشقاق بين صفوف الاستقلالين (٧٦) . وأيا ما كان الأمر ، فقد نجم عن هذا الشقاق أن انسلخ من الرابطة الاسلامية بعض أقطابها المعارضين لابراهيم سلطان : وعلى رأسهم الشيخان راضى وحمودى ، وكونوا الرابطة الاسلامية المستقلة Independent Moslem League أو الحزب الاسلامى المستقل لمصوع Independent Moslem Party of Massawa

قرار ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ :

وافتحت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة انعقادها الرابعة في ٢٠ سبتمبر ١٩٤٩ ، وأعلن كوف دى مرفيل Couve de Murville ( فرنسا ) في أول أكتوبر أمام اللجنة السياسية أن التركيب الديموجرافى لارتريا واقتصادها غير المتوازن يثيران مشكلة معقدة : الا أن من الممكن ايجاد حل لهذه المشكلة يأخذ بعين الاعتبار مطالب اثيوبيا الاقليمية ورغبات سكان ارتريا ، ومن بينهم الأقلية الايطالية ، ثم قال : « ان أى قرار بناء لا بد أن يحصل على موافقة كل من الحكومتين الاثيوبية والايطالية » . وأعلن الكونت سفورتزا ( ايطاليا ) أن حكومته تقترح منح ارتريا الاستقلال ، وترى ان استقلال ارتريا هو فى صالح اثيوبيا نفسها . وأيد السير ظفر الله خان

Trevaskis, G. K. N. : Op. cit, p. 97:

(٧٥)

(٧٦) راشد البراوى : الحبشة بين الاقطاع والعصر الحديث ص ٨٥ .

( الباكستان ) منح اريتريا الاستقلال ، وقال ان ضم اريتريا الى اثيوبيا قد يهدد بالخطر اثيوبيا ذاتها ، وأضاف : انه قد يبدو مما وصفت به اريتريا - أنها بلاد ميتوس منها اقتصاديا ، وتساءل : وفي هذه الحالة ، أليس من غير العدل أن تحمل اثيوبيا بمثل هذا العبء الثقيل ؟ (٣) . وفي ٦ أكتوبر أعلن شارل مالك ( لبنان ) أن حكومته تؤيد منح اريتريا الاستقلال ، على أن تعطى اثيوبيا منفذا الى البحر (٣٨) .

وأعلن ميدهين ( اثيوبيا ) في اليوم التالي أن اقتراح عودة إيطاليا الى الصومال ورفض حق اثيوبيا في المطالبة باريتريا ، لا يأخذان بعين الاعتبار رغبات السكان ومصالحهم فحسب ، بل أيضا صالح السلام والأمن ، ويوجهان تهديدا مباشرا لاستقلال اثيوبيا . واستطرد قائلا : « ان اثيوبيا لن تسمح بأن يضحي بها على مذبح الأمم المتحدة لأرضاء إيطاليا كما فعلت عصبة الأمم . ولكنها سوف تتخذ كل الوسائل الشرعية للدفاع عن النفس المتصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة » (٣٩) .

وفي ١٠ أكتوبر أدلى بايرو ممثل الحزب الاتحادي ( اريتريا ) ببيانه أمام اللجنة السياسية ، فذكر أن الارترين - المسيحيين والمسلمين - قد شكلوا في ٥ مايو ١٩٤١ أول منظماتهم السياسية الرسمية ، وهي التي عرفت باسم الحزب الاتحادي ، وأن هذا الحزب يعبر عن الرأي الغالب لسكان الهضبة الوسطى ، ويلقى تأييد ٥٦٪ من كل الشعب الارترى طبقا لتقرير لجنة التحقيق الرباعية ، وقال : « ان سكان الهضبة الوسطى قد قرروا الاتحاد مع اثيوبيا . ويؤيد هذا القرار نسبة كبيرة من السكان تصل الى ٩٦٪ في أسيرة العاصمة . والى جانب ذلك ، فإن الحزب الاتحادي يلقي مساندة هامة من أهل المقاطعة النربية ومقاطعة مصوع وساحل الدناكل » .

وأكد بايرو أن اريتريا كانت دائما تشكل جزءا من اثيوبيا ، ثم راح يهاجم الأحزاب والجبايات المعارضة للوحدة مع اثيوبيا . فقال ان رابطة المثقفين

الارترين  
Association of Eritrean Intellectuals

United Nations, A/C.1/SR. 279.

(٧٧)

United Nations, Press Release GA/PS/243.

(٧٨)

United Nations, A/C.1/SR. 286.

(٧٩)

لا يتجاوز عدد أعضائها ١٤٥ شخصا ، وأن أحدا منهم لم يحصل على أية دبلومات . فضلا عن ذلك ، فإن الحزب الاريتري الموالي لاطاليا ورابطة المحاربين القدماء والرابطة الايطالية الاريترية قد ادعت في الدورة السابقة للجمعية العامة أنها تمثل ١٠٠٪ من السكان ، وبخصوص الحزب الوطني الاسلامي لمصوع ، فمن الواضح أن دعاوية لا يمكن أن تمر دون اعتراض . لسبب بسيط ، وهو أن وفد الحزب الاسلامي المستقل لمصوع ( الرابطة الاسلامية المستقلة ) يوجد في الوقت الحاضر بليك سكس لتقديم وجهات نظره . ولا يمثل الحزب التقدمي الحر الا مجموعة ذات أهمية ضئيلة نسبيا من سكان الهضبة ، كما أن هذا الحزب قد هُلك في أعقاب أحداث مايو الماضي (٨٠) : ولم يعد يؤيده سوى ٢٠.٠٠٠ شخص فقط . وأما حزب الرابطة الاسلامية ، فإن أعضاءه طبقا لتقرير لجنة التحقيق الرباعية يمثلون ٤٠٪ من السكان . كما أن عددا من رؤساء القبائل المهمين وذو النفوذ قد انفصلوا مؤخرا مع أتباعهم عن هذا الحزب .

وأضاف بايرو : أن كتلة الاستقلال قد تشكلت فجأة في مايو الماضي عندما تحققت ايطاليا من أن وضع اريتريا تحت الوصاية سوف يصيب الضمير العالمي بالغيثان ، كما أن ايطاليا تمد الحركة الاستقلالية بالأموال والنصائح . حيث أن المثقفين الايطاليين الذين يعيشون في اريتريا سوف يسيطرون على ادارة الدولة المستقلة المقترحة انشاؤها ، ويسحبون بالهجرة الايطالية الى اريتريا على نطاق واسع ، ثم قال : ان رئيس الكتلة الاستقلالية عند عودته من ليك سكس في الربيع الماضي قد مر بروما للتشاور مع السنيور دي جاسبري de Gospi وخلص بايرو من ذلك كله الى الاعراب عن أمله في التوصل الى حل صائب ، حيث أن التأخير من جانب الأمم المتحدة سوف يفسر بأنه محاولة لاعاقة تسوية المشكلة .

وعندما سأل كوبر ( ليبريا ) ممثل الحزب الاتحادي عما اذا كان بعض أعضاء الحزب قد هجروه وانضموا الى الكتلة الاستقلالية بعد تكوينها ، رد

---

(٨٠) يقصد الشقاق الذي حدث في صفوف الرابطة الاسلامية والحزب الحر في أعقاب تشكيل الجبهة الاستقلالية .

بايرو بالايجاب . ولما كرر ميدهين ( أثيوبيا ) سؤال كوبر السابق ، رد بايرو بالايجاب مرة أخرى . وفي رده على سؤال للسير ظفر الله خان ( الباكستان ) عما اذا كان الحزب الاتحادى سيتترك سكان السهل الساحلى أحرارا فى تقرير مستقبلهم بمعزل عن سكان انهضة الوسطى ، قال بايرو ان وفدا يمثل السهل الساحلى موجود فى ليك سكس ، وأنه بالتاكيد سوف يطلب الوحدة مع أثيوبيا (٨١) .

ثم أدلى الشيخ حمودى ( ممثل الرابطة الاسلامية المستقلة ) ببيانه أمام اللجنة السياسية . واستهله بقوله : « ان الظروف السياسية والأحوال الاقتصادية الناتجة من الحرب الأخيرة ومن احتلال القوات العسكرية انبريطانية لارتريا بعد الاعتداء اذيطالى على أثيوبيا وهزيمة الفاشست . قد حفزت الاثريين على أن يشكلوا فى ٥ مايو ١٩٤١ حزبا سياسيا واجتماعيا يهدف الى وحدة ارتريا مع أثيوبيا . وقد اعترفت قوات الاحتلال العسكرية بالحزب على الفور . مما كان من نتيجته أن تعاون الحزب مع الادارة البريطانية لصالح البلاد العام . وعند نهاية الحرب . اجتمع زعماء ارتريا ورؤسائها فى أسمره وكتبوا مذكرة مفصلة اتمسوا فيها من صاحب الجلالة امبراطور أثيوبيا أن يدافع عن أمانى ارتريا الوثنية بدماج هذه البلاد فى أثيوبيا » . ثم قال « وعندما علم الاثريون فى ١٠ فبراير ١٩٤٦ بموافقة ايطاليا على التنازل عن حقوقها فى المستعمرات الايطالية السابقة . أصبح واضحا للشعب الاثري أنه سوف يتحرر تماما من السيطرة الأجنبية . ومن ثم ، فقد قرر زعماء ارتريا أن يعبروا عن آمالهم الوثنية فى مذكرة أرسلوها الى سلطات الاحتلال ، وناشدوها فيها أن تؤيد وحدة ارتريا مع أثيوبيا ، وأن تيسر التبادل الاقتصادى بين البلدين . ومنذ ٣٠ مارس ١٩٤٦ عقد زعماء ارتريا ورؤسائها — بالتعاون مع ممثلى الأقاليم — سلسلة من المؤتمرات ، فوقشت فيها مشكلات البلاد ، وأتتهت بارسال ملمتس الى الحكومة الاثيوبية لتأييد مطلب وحدة ارتريا مع أثيوبيا وحماية الحقوق الانسانية والتقاليد الاسلامية لشعب ارتريا » .

واستطرد الشيخ حمودى قائلا : « غير أن القطاع المسيحى من الشعب الاثري لم يوافق على هذه الشروط وأصر على الوحدة غير المشروطة مع أثيوبيا . وكان هذا هو السبب الرئيسى لعدم التوصل الى اتفاق موحد بشأن



خطة العمل مستقبلا . وفي أثناء ذلك : قرر القطاع الاسلامى من الشعب الارترى أن يشكل جبهة اسلامية لتحقيق آماني المسلمين الوطنية . وتولى رئاسة المنظمة الاسلامية الشيخ ابراهيم سلطان الذى يرأس حاليا الكتلة الاستقلالية . وفي ٢١ يناير ١٩٤٧ عقد مؤتمر اسلامى عام وقرر تشكيل الرابطة الاسلامية لارتريا . بهدف التعبير عن رغبات السكان المسلمين أمام لجنة التحقيق الدولية الرابعة » .

وذكر الشيخ حودى اللجنة السياسية بأن وفدا يمثل الرابطة الاسلامية قد أدلى ببيانه خلال دورز الجعية العامة السابقة . وقال : « أنه تلافى الأمم المتحدة في اتخاذ قرار بصدد المشكلة الارترية أن اجتمع ممثلو الرابطة الاسلامية في ليك سكس بالفوفود الارترية الأخرى . التي سبق أن أبدت الوصاية الابطالية . واتفقوا على برنامج يطالب باستقلال ارتريا ووحديتها . وقد قدمت هذه الآراء ووجهات النظر الى اللجنة السياسية في أعقاب نبد إيطاليا المفاجيء لمطالبها بالوصاية على ارتريا ائنية على أساس مشروع يفن - سفورتزا . ولقد كان من الواضح حيثئذ أن إيطاليا ستؤكد الحركة الاستقلالية في مقابل حصول المهاجرين الايطاليين على المواطنة الارترية . وتلا ذلك أن تشكلت منظمة جديدة باسم الرابطة الاسلامية المستقلة تميزا لها عن الرابطة الأم التي اندمجت مع الأحزاب الموالية لإيطاليا » . وحدد أهداف حزبه . أى الرابطة الاسلامية المستقلة . بأنها : الوحدة مع أثيوبيا على أساس المساواة في الحقوق والواجبات . والاعتراف باللغة العربية ، والحقوق الشخصية للمسلمين مع الضمانات الملائمة لحمايتهم . وقال « ان مثل هذا الحل يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة وعلان حقوق الانسان » .

وفي رده على أسئلة المبر فقر الله خان ( اباكستان ) قال الشيخ راضى ( الرابطة الاسلامية المستقلة ) أن حزبه قد أسس في مصوع في سبتمبر ١٩٤٩ . وأنه ليس حزبا جديدا . لأن معظم أعضائه انفصلوا عن الرابطة الاسلامية المؤسسة بالند ذلك في ٢١ يناير ١٩٤٧ . وأنه يعتقد أن معظم الشعب الارترى يريد الوحدة مع أثيوبيا ، وأن المنظمة التي ينتميها قد حصلت من وزير الخارجية الأثيوبية على تأكيدات بأن الحكومة الأثيوبية ستضمن حقوق المسلمين .

ولما أنه يبلر Bebler ( يوغوسلافيا ) عما اذا كانت المشاعر التي أعرب

عنها وفد الرابطة الاسلامية المستقلة أكثر انتشارا في الأقاليم القريبة أم في أقليم مصوع أم أقليم عصب ، أجاب الشيخ راضى بأنه ولو أن حربه قد أسس في مصوع ، الا أن له أنصارا في أقاليم أسرة وأكلى قوزاى وفي مقاطعة الدناكل ، وأنه يعتبر أن الآراء التى عبر عنها وفده يشاركه فيها غالبية المسلمين في هذه المناطق (٨٢) .

وتنوعت وتعددت مشروعات القرارات التى قدمتها الوفود المختلفة منذ ٢٠ سبتمبر ١٩٤٩ من أجل التوصل الى حل مقبول لمسألة المستعمرات الإيطالية السابقة (٨٣) وفي ١١ أكتوبر بلغ عدد مشروعات القرارات ستة ، وكانت مقدمة من الهند (٨٤) والعراق (٨٥) ، وليبيريا (٨٦) والباكستان (٨٧) والاتحاد السوفيتى (٨٨) والولايات المتحدة الأمريكية (٨٩) ، وتضمنت ثلاثة مشروعات منها توصيات معينة بشأن مستقبل ارتريا :

١ - مشروع القرار الباكستانى ويقضى بمنح ارتريا استقلالها بعد ثلاث سنوات مع اعطاء أثيوبيا منفذا الى البحر عن طريق عصب .  
٢ - مشروع القرار السوفيتى ويقضى بمنح ارتريا استقلالها بعد خمس سنوات تكون خلالها تحت وصاية الأمم المتحدة . وأن تمنح أثيوبيا منفذا الى البحر عن طريق عصب .

٣ - مشروع القرار الأمريكى ويقضى بضم ارتريا - فيما عدا المقاطعة القريبة - الى أثيوبيا ، وضم المقاطعة القريبة الى السودان .

وفي ١١ أكتوبر تألقت لجنة فرعية ( رقم ١٧ ) للجنة السياسية من احدى وعشرين دولة (٩٠) ، لكى تبحث المشروعات المقدمة أو التى تقدم ، وأن تقترح

United Nations, A/C.1/SR. 289.	(٨٢)
United Nations, A/C.1/487	(٨٣)
United Nations, A/C.1/491	(٨٤)
United Nations, A/C.1/489.	(٨٥)
United Nations, A/C.1/490.	(٨٦)
United Nations, A/C.1/49	(٨٧)
...United Nations, A/C.1/487/Rev. 1.	(٨٨)
United Nations, A/C.1/497.	(٨٩)

(٩٠) من الأرجنتين واستراليا والبرازيل وشيلي والصين وتشيكوسلوفاكيا والدانمرك ومصر وأثيوبيا وفرنسا وجواتيمالا والهند والعراق وليبيريا والمكسيك والباكستان وبولندا واتحاد جنوب افريقيا والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

مشروع قرار أو مشروعات قرارات - تسوية مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة في أفريقيا (٩١) . وعقدت اللجنة الفرعية ١٢٩ اجتماعا ، ثم تقدمت في أول نوفمبر ١٩٤٦ بمشروع قرارها الى اللجنة السياسية ، والذي أوصى فيها بتعلق باريتريا « بتأليف لجنة لا يزيد أعضاؤها على خمسة من الدول ( دون تحديد ) لتتبع بصورة أوسع من رغبات سكان اريتريا وللتحقق من أفضل الطرق لترقية مصالحهم : ودرس مسألة تقرير مصرهم ، ثم اعداد تقرير للجمعية العامة يتضمن توصيات قد تراها اللجنة ملائمة لحل مشكلة اريتريا » (٩٢) .

وفي ٥ نوفمبر أعلن الدكتور أرتشي ( الارجنتين ) أمام اللجنة السياسية ان وفد بلاده يؤيد استقلال اريتريا . وأنه قدم اقتراحا بهذا المعنى الى اللجنة الفرعية رقم (١٧) وقال أنه لما كانت هناك بعض الشكوك ازاء الرغبات الحقيقية للشعب الاريتري . فان الوفد الأرجنتيني يؤيد ارسال لجنة استقصاء الى اريتريا . وأعرب جوست Jooste ( جنوب أفريقيا ) عن اعتقاده بأن مشكلة اريتريا تحتاج الى مزيد من الدراسة . وأشار أكليلو Aklilou ( أثيوبيا ) الى أن التوصل الى حل للمسألة الاريترية أمر جوهري بالنسبة للسلام والأمن في هذا الجزء من افريقيا . وقال ان من الحقائق المعروفة أن ٨٠٪ على الأقل من الشعب الاريتري . وبخاصة سكان القسم الشرقي من اريتريا . يؤيدون الوحدة مع أثيوبيا .

وذكر الدكتور فلادمير هوديك Houdek ( تشيكوسلوفاكيا ) أن حكومته لم تغير رأيها الذي أعلنته في الدورة السابقة للجمعية العامة . وهو أن المستعمرات الإيطالية السابقة الثلاث : ليبيا و اريتريا والصومال يجب أن تحصل على استقلالها اما فورا أو بأسرع ما يمكن (٩٣) .

وفي ٧ نوفمبر أعلن الدكتور محمود فوزي ( مصر ) أنه لما كان من غير المحتمل أن يحصل أى حل من الحلول المقترحة بشأن اريتريا على ثلثي الأصوات لاقراره ، فان الوفد المصري يرى أن الحل المقترح من قبل اللجنة الفرعية رقم (١٧) يقدم تسوية مقبولة . وذكر تسون شي يو Tsune-chi-Yu

United Nations, A/C.1/493.

(٩١)

United Nations, A/C.1/522

(٩٢)

United Nations, A/C.1/SR. 315.

(٩٣)

( الصين ) أن الوفد الصيني يؤيد مطالب أثيوبيا في الحصول على منفذ الى البحر ، ولكنه يعارض ضم أى جزء من اريتريا الى أثيوبيا اذا كان هذا الضم متعارضا مع رغبة السكان (٩٤) .

وأشار تاركينانى ( ايطاليا ) في ٩ نوفمبر الى أن حكومته اقترحت منح اريتريا الاستقلال كخطوة أولية نحو اقامة علاقات تسم بالود والتعاون بين الشعب الأثيوبى والايطالى ، وقال ان الحكومة الايطالية قد وافقت على اقتراح تشكيل لجنة استقصاء من الأمم المتحدة للتثبت من رغبات الشعب الارترى ولاعداد تقرير يتضمن توصياتها الى الجمعية العامة . وان ايطاليا ستقبل القرار النهائى للجمعية العامة ، ويجب أن تكون أثيوبيا مستعدة لكى تسبل الشئ نفسه (٩٥) .

وطالب فيربولوفسكى Warblowski ( بولندا ) في نوفمبر بمنح اريتريا الاستقلال فورا . وقال أنه اذا تعذر لبعض الأسباب منح اريتريا الاستقلال الفورى ، فلا بد من تحديد فترة زمنية معينة تحصل اريتريا بعدها على الاستقلال (٩٦) .

وتقدمت اللجنة السياسية في ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ بمشروع قرارها النهائى الى الجمعية العامة . وجاء في ديباجته « ان الجمعية العامة بناء على الفترة الثالثة من الملحق الحادى عشر من معاهدة الصلح المبرمة مع ايطاليا فى عام ١٩٤٧ والتي بموجبها أنهت الدول ذات الشأن على قبول توصيات الجمعية العامة بصدد مصير مستعمرات ايطاليا السابقة وعلى اتخاذ التدابير المناسبة لتنفيذها . ولما كانت قد وقتت على تقرير لجنة التحقيق الرباعية ، واستعت الى الناطقين باسم هيئات تسل جزءا لا يستهان به من الرأى العام فى الأراضى التى يدور بشأنها البحث وبعد أن أخذت بعين الاعتبار مصالح سكان هذه الأقاليم ورغباتها ومصالحة السلم والأمن وآراء الحكومات التى يعينها الأمر والأحكام المختصة الواردة فى الميثاق » . ثم أوصى مشروع القرار بأن تكون ليبيا المشتلة على برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة ، ويصبح هذا الاستقلال

نافذاً بعد عشر سنوات من تاريخ موافقة الجمعية العامة على اتفاقية الوصاية .  
أما فيما يتعلق بارتريا ، فقد نص مشروع القرار على ما يلي :

١ - تتألف لجنة لا يزيد أعضاؤها على خمسة من الدول - هي بورما وجواتيمالا والنرويج والباكستان واتحاد جنوب افريقيا - وذلك للثبوت بصورة أوسع من رغبات سكان ارتريا وللتحقق من أفضل الطرق لترقية مصالحهم ، ودرس مسألة تقرير مصيرهم ، ثم اعداد تقرير للجمعية العامة يتضمن توصيات قد تراها اللجنة ملائمة لحل مشكلة ارتريا .

٢ - تثبت اللجنة عند قيامها بأعباء مسؤولياتها من جميع الحقائق المتعلقة بالموضوع بما في ذلك المعلومات الخفية والشفوية ، من السلطة الحالية القائمة بالادارة ومن مثلى سكان الأقليم بما فيهم الأقليات ومن الحكومات والهيئات والأفراد اذا رأت الضرورة لذلك .

وعلى اللجنة أن تأخذ بعين الاعتبار :

( أ ) رغبات سكان ارتريا ومصلحتهم - بما في ذلك وجهات نظر الفئات الجنسية والمذهبية والسياسية المختلفة في جميع قطاعات الأقليم وأهلية الشعب للحكم الذاتي .

(ب) مصالحة السلم والأمن في شرق افريقيا .

(ج) حقوق أثيوبيا ومطابقتها المبنية على أسس جغرافية وتاريخية وعنصرية واقتصادية بما في ذلك حاجة أثيوبيا الشرعية الى منفذ الى البحر .

٣ - تأخذ اللجنة بعين الاعتبار عندما تضع توصياتها جميع الاقتراحات التي قدمت الدورة الرابعة للجمعية العامة عند بحث قضية ارتريا .

٤ - تجتمع اللجنة في المركز الرئيسي للأمم المتحدة بأسرع ما يمكن . ومن ثم عليها أن تسافر الى ارتريا ، ولعلها أن تزور أماكن أخرى قد تراها ضرورة لاداء مهتها .

وتضع اللجنة لائحة اجراءاتها وتقدم تقريرها ومقترحاتها الى السكرتير العام في مدة لا تتجاوز اليوم الخامس عشر من شهر يوليوس عام ١٩٥٠ ليصير توزيعها على الدول الأعضاء ، ليستطاع النظر فيها نهائيا أثناء الدورة الخامسة للجمعية العامة (١٧) .

وفي ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ وافقت الجمعية العامة على مشروع قرار اللجنة السياسية بأغلبية ٤٨ صوتا ضد صوت واحد وامتناع تسعة أصوات عن الاقتراع (٨) .

#### لجنة التحقيق الخماسية :

ولم تلبث أن تكونت لجنة التحقيق الخماسية المقترحة من ممثلي بورما وجواتيمالا والنرويج والباكستان واتحاد جنوب افريقيا . واجتمع أعضاؤها في ليك سكس في ١٠ يناير ١٩٥٠ لوضع برنامج عملها (٩) .

وكان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ والذي قضى باستقلال ليبيا والصومال قد سبب ازعاجا لدعاة الاتحاد مع أثيوبيا ، فعمد هؤلاء الى التكتيل بأنصار الاستقلال ، ويقول تريفيا سكيس أنه بمجرد انتهاء الدورة الرابعة للجمعية العامة ، شنت حملة منظمة من الإرهاب والتهديد ضد الكتلة الاستقلالية . وفيما بين أكتوبر ١٩٤٩ ووصول لجنة الأمم المتحدة في فبراير ١٩٥٠ : اغتيل ثمانية عشر شخصا من المعارضين للوحدة مع أثيوبيا ( تسعة ايطاليين وهندي وبوتاني وثلاثة مسيحيين من أنصار الكتلة الاستقلالية وأربعة مسلمين من رجال القبائل ) وكانت المقاهي الايطالية في أسيرة وعدي وقرى تهاجم بالأسلحة النارية والقنابل اليدوية ، كما كانت القنابل اليدوية تلقى على الايطاليين والارترين من أنصار الاستقلال في أسيرة ومضوع وديكامري Decamere ، وشن هجوم على قرية أحد الرؤساء في ألكي قوزاي من مؤيدي الكتلة الاستقلالية . ووصلت حملة الارهاب الى ذروتها في فبراير بوصول لجنة الأمم المتحدة ، اذ اندلع قتال عنيف في أسيرة بين المسلمين والمسيحيين وأستمر خمسة أيام وأدى الى مقتل الكثيرين وأصابة العديدين بجراح .

وأضاف تريفيا سكيس أن هذا الارهاب والعنف قد صاحبه حملة تهديد ضد الايطاليين والارترين من أنصار كتلة الاستقلال . وفي حالات كثيرة كانت عصابات الشفتا ترك خطابات في مواقع عملياتها تهدد فيها الايطاليين بالموت اذا

United Nations, A/1251; Official Records of the Fourth Session of the General Assembly, Resolution 269 (iv), p. 11. (١٨)

Ponkhurst, E. E. & Pankhurst, P.K.P. : Op. cit, p. 226. (١٩)

أبدوا كتلة الاستقلال ، وتحذر الارترين وعائلاتهم من سوء المصير الذي ينتظرهم اذا لم يتركوا تلك الكتلة .

وعلاوة على ذلك ، فان الكنيسة القبطية الارثوذكسية ( بضغط من الحكومة الاثيوبية على ما يبدو ) قد نشرت في صحيفة « أثيوبيا » انذارا بأنها لن تجرى مراسيم التعميد أو الزواج أو الدفن أو القفران لأي من أعضاء كتلة الاستقلال أو لأفراد عائلاتهم . وخلص تريفيا سكييس من ذلك الى القول بأن حملة التهديد العنيفة والمباشرة هذه كانت لها تأثيراتها العميقة على أولئك الذين كانوا قد تركوا بالفعل الحزب الاتحادي وانضموا الى صفوف الاستقلاليين أو الذين كانوا يعتمرون ترك الحزب الاتحادي . فقد وجد الارثوريون أنفسهم الآن أمام أحد خيارين : أما الاحتفاظ بمعضوتهم في الكتلة الاستقلالية بما يتطوّر عليه ذلك من مخاطرة أو العودة بسلام الى صفوف الاتحاديين (١٠٠) .

ولم يكن ذلك هو الضربة الوحيدة التي وجهت للكتلة الاستقلالية، فبعد بضعة أيام من وصول لجنة التحقيق الخماسية الى ارتريا . تسوّقت أوصال الكتلة الاستقلالية وفقدت أكثر من نصف أعضائها كنتيجة للاشتباكات الخطيرة التي حدثت في صفوف الرابطة الاسلامية والحزب التقدمي الحر ، مما أدى الى ظهور « الرابطة الاسلامية للمقاطعة الغربية »

Moslem League of the Western Province ويقول تريفيا سكييس أن زعماء هذه الرابطة الجديدة كانوا يرون أن مبعث الاعتراض على الوحدة مع أثيوبيا ، هو تسلط شوا على مقدرات أثيوبيا . فاذا أمكن التوصل الى شئ من شأن الوحدة مع أثيوبيا ، بحيث تترك شؤون ارتريا في أيدي الارثوريين . ويتم الحفاظ على لغات ارتريا وعاداتها ، فان الوحدة بين البلدين في هذه الحالة ستكون أكثر انغراء من استقلال ارتريا الممول من جانب إيطاليا . واستطاع الحزب الاتحادي أن يعقد مع الرابطة الاسلامية للمقاطعة الغربية « اتفاقية جنتلمان » Gentleman's agreement فحواها أن يستمع كلاهما عن مهاجمة الآخر ، وأن يتعاونوا سويا في معارضة الكتلة الاستقلالية . ووافق الاتحاديون كذلك على عدم الاصرار على تأييد ادعاءات أثيوبيا بالنسبة للمقاطعة الغربية ، وذلك « اذا أبدى أغلبية سكان غرب ارتريا الرغبة في عدم

## الوحدة مع أثيوبيا « (١١) » .

تلك اذن كانت الحالة العامة في ارتريا عندما وصلت اليها لجنة التحقيق الخامسة . وقد بقيت هذه اللجنة هناك من ١٤ فبراير الى ٦ أبريل ١٩٥٠ ، واستقت خلال هذه المدة معلوماتها من الادارة البريطانية كما فعلت اللجنة الرابعة السابقة ، وقابلت مثلى الأحزاب السياسية والمنظمات والهيئات الثقافية والتجارية والمهنية ، وأستعت الى وجهات نظرهم . وغادرت اللجنة أسدرة لزارة بعض المراكز الهامة في البلاد ، وبعد أن تشاورت مع الحكومات المهتمة بالقضية ( أثيوبيا ومصر وإيطاليا وبريطانيا ) كتبت تقريرها ورفعته الى السكرتير العام للأمم المتحدة في يونيو ١٩٥٠ (١٢) .

وكما حدث بالنسبة للجنة الرابعة السابقة ، فقد اختلفت آراء أعضاء اللجنة الخامسة ، مما استلزم تقديم مذكرتين منفصلتين وما لا يقل عن ثلاث مجموعات من الاقتراحات . فقد ذكر مندوبو النرويج وجنوب افريقيا وبورما أن أقلية من السكان تطلب الاستقلال ، وفي رأيها أن امكانيات ارتريا الاقتصادية لا تؤهلها للاستقلال ، على حين قال مندوبو الباكستان وجواتيالا أن الارهاب وسوء استخدام الكنيسة القبطية الارثوذكسية لنفوذها وسلطانها قد حال دون أن يعبر الشعب الارترى عن رأيه تعبيرا حرا . ومع ذلك ، فلم يتطرق اليهما أدنى شك في أن أغلبية الارترين تريد الاستقلال .

ومع أن مندوبى النرويج وجنوب افريقيا وبورما قد اتفقوا على أن استقلال ارتريا ليس اجراءا عليا أو مرغوبا فيه من جانب غالبية الارترين ، فقد اختلفت مقترحاتهم بصدد حل المشكلة الارترية . اذ أصر مندوب النرويج على أن الاتحاد مع أثيوبيا هو الحل العلى الوحيد . ولو أنه أوصى بأن تظل المقاطعة الغربية تحت الادارة البريطانية الحالية لفترة محدودة ، يقرر بعدها سكان المقاطعة الاتحاد مع أثيوبيا أو السدان . واقترح مندوبو جنوب افريقيا وبورما أن تصبح ارتريا وحدة ذات استقلال ذاتى في نطاق اتحاد فيدرالى مع أثيوبيا تحت سيادة التاج الأثيوبى ، وأن يكون لكل وحدة في هذا الاتحاد الفيدرالى

Trevaskis, G. K. N. : Op. cit., pp 97 - 98.

(١٠١)

United Nations, A/1285, Report of the United Nations Commission

(١٠٢)

for Eritrea; Trevaskis, G. K. N. : Op. cit., pp99-100; Pankhurst, E.S. & Pankhurst, R.K.P. : Op. cit., pp 231 - 235.



استقلال تشريعي وتنفيذي محلي ، وتركز في أيدي الحكومة الفيدرالية سلطات شئون الدفاع والخارجية والمالية والمواصلات وحماية حقوق الأقليات ، وأن يقوم اتحاد جبركي بين وحدتي الاتحاد ، وأن تكون هناك مواطنة مشتركة للاتحاد .

غير أن مندوبي الباكستان وجواتيمالا ذكرا أنه من غير المتوقع أن قبل الأغلبية الاسلامية والأقلية الايطالية هذه المقترحات ، ورفضاً فصل المقاطعة الفرية عن بقية اريتريا ، على أساس أن هذا الفصل سيؤدي الى تقطيع أوصال المسلمين الارترين . وأكدوا أنه ولو أن هناك بعض الصلات بين سكان الهضبة الارترية وبين سكان إقليم تجراي الأثيوبي . الا أنه ليست هناك صلات عامة أو مهمة بين اريتريا وأثيوبيا ، بل على العكس فإن الارترين يضررون الكراهية والبغضاء - وحتى العداء - لجيرانهم الأثيوبيين . ورغم أن الاقتراح الخاص بإقامة اتحاد فيدرالي جدير بالنظر . الا أنها لا يجدان سبباً يدعوها الى تأييده . ويفضلان منح اريتريا الاستقلال أولاً . ولما بعد ذلك أن تظل كذلك . أو تتحد مع أثيوبيا . أو تنضم معها في اتحاد فيدرالي . وأبدوا استعدادهما للموافقة على منح اريتريا الاستقلال بعد عشر سنوات من الوصاية الدولية . يتولى الادارة خلالها مجلس يضم ممثلين للولايات المتحدة الأمريكية وأثيوبيا وإيطاليا واحدى الدول الاسلامية واحدى دول أمريكا اللاتينية .

#### قرار ٢ ديسمبر ١٩٥٠ :

ولما أفتحت الدورة الخامسة للجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر ١٩٥٠ . أبرق الامبراطور هيلسلاسى الى السكرتير العام معرباً عن أمل بلاده في التوصل الى « تسوية سريعة وعادلة » بالنسبة للوضع « على حدود أثيوبيا الشمالية » أى اريتريا . وفي الخطب الافتتاحية التي ألقى بالجمعية العامة ، طالب المندوب الأثيوبي بتسوية عاجلة « لنسائج حرب واعتداءات استمرت نصف قرن » على أثيوبيا ، بينما أصر المندوب البريطاني على مشروع بلاده القديم بصلد تقسيم اريتريا ، فتنضم الى أثيوبيا أقاليم الهضبة الارترية الثلاثة ، بالإضافة الى إقليم البحر الأحمر ، وينضم غرب اريتريا الى السودان . أما المندوب الايطالي ، فقد أعلن أن حكومته تؤيد استقلال اريتريا (١٠) .

ولم يلبث أن عرض تقرير لجنة التحقيق الخماسية على اللجنة السياسية بالجمعية العامة للأمم المتحدة ، واستغرقت مناقشته عدة جلسات ما بين ٨ و ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ ، وقدمت الوفود المختلفة مشروعات قرارات ، أهمها ما يلي :

١. - مشروع قرار سوفيتي ويقضى بمنح اريتريا الاستقلال فوراً ، وأن تسحب القوات البريطانية من اريتريا في خلال ثلاثة شهور من اقرار الجمعية العامة لمشروع القرار هذا ، وأن تتنازل اريتريا عن جزء من أراضيها أر « مر » ليكون بمثابة منفذ لاثيوبيا الى البحر عن طريق عصب (١٠٤) .

٢ - مشروع قرار بولندي ويوصى بأن تمنح اريتريا الاستقلال بعد ثلاث سنوات ، تحكم خلالها بواسطة مجلس من ستة أعضاء : عضو اثيوبي ، وعضوين اثنين من الدول العربية ، وثلاث أعضاء من الارترين ، بحيث يكون اثنان منهم من الوطنيين ، والثالث من المستوطنين الأوروبيين في أريتريا (١٠٥) .

٣ - مشروع قرار عراقي ويوصى بأن تطرح للبت على جمعية وثنية اريترية مسألة ما اذا كانت اريتريا يجب أن تدخل في شكل من أشكال الاتحاد الفيدرالي مع اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبي ، أو تصبح دولة مستقلة ذات سيادة ، مع منح أثيوبيا منفذاً مناسباً الى البحر : وعلى ألا يتجاوز البت في هذه المسألة أول يولية ١٩٥١ . وفضلاً عن ذلك ، تقوم الأمم المتحدة بتعيين مندوب لها في أريتريا ، بالإضافة الى مجلس يتولى مساعدته وارشاده . وذلك من أجل معاونة شعب اريتريا على اتخاذ قرار بصدد المسألة السالفة الذكر (١٠٦) .

٤ - مشروع قرار باكستاني ويوصى بأن تكون اريتريا دولة مستقلة ذات سيادة في موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٣ . وأن تدعى جمعية وطنية اريترية في موعد لا يتجاوز أول أكتوبر ١٩٥١ . لتضع دستوراً للبلاد وتقيم حكومة مؤقتة ، تنتقل اليها تدريجياً سلطات الادارة البريطانية الحالية ، على أن يتم انتقال هذه السلطات في موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٣ . ويوصى مشروع القرار الباكستاني كذلك بتعيين مندوب من قبل الأمم المتحدة ، لكي

United Nations, A/C. 38/L. 47.

(١٠٤)

United Nations, A/C. 38/L. 31.

(١٠٥)

United Nations, A/C. 38/L. 32/Rev. 1.

(١٠٦)

يساعد شعب ارتريا في تكوين جمعية وطنية وصياغة دستور واقامة حكومة ارترية مستقلة . ويؤلف مجلس من ممثلين عن خمس دول وثلاثة ممثلين عن الشعب الارترى ، ليتولى هذا المجلس نصح وارشاد مندوب الأمم المتحدة في تأدية وظيفته (١٧) .

٥ - مشروع قرار مشترك من بوليفيا والبرازيل وبورما وكندا والدانمرك واكوادور واليونان وليبيريا والمكسيك وبنما وبيرجواي وبيرو وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية ، ويوصى بإقامة اتحاد فيدرالى بين ارتريا واثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى ، على أن تسبق ذلك فترة انتقال لا تتجاوز ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ ، تنظم خلالها الحكومة الارترية وبعد الدستور الارترى ويوضع موضع التنفيذ . وعلاوة على ذلك ، تعين الجمعية العامة مندوبا يمثل الأمم المتحدة في ارتريا : على أن يعاونه خبراء يتولى السكرتير العام للأمم المتحدة تعيينهم (١٨) .

وفى ٢٤ نوفمبر بدأت اللجنة السياسية التصويت على مشروعات القرارات المقدمة ، ورفضت جميعها باستثناء مشروع القرار المشترك المقدم من الأربع عشرة دولة السالفة الذكر . والذي تم اقراره بأغلبية ٣٨ صوتا مقابل ١٤ صوتا ، وامتناع ثمانية أصوات عن الاقتراع . وكان مشروع القرار هذا هو الأساس الذى قام عليه مشروع قرار الأمم المتحدة بشأن ارتريا الصادر فى ٣ ديسمبر ١٩٥٠ ، والذي تم اقراره بأغلبية ٤٦ صوتا مقابل عشرة اصوات . ونص هذا القرار الأخير على ما يلى (١٩) :

- ١ - تؤلف ارتريا وحدة تتمتع بحكم ذاتى فى اتحاد فيدرالى مع اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى .
- ٢ - يكون للحكومة الارترية سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية فى ميدان الشؤون الداخلية .

٣ - يمتد اختصاص الحكومة الفيدرالية الى شؤون الدفاع والشئون

United Nations, A/C. 38/L.48

(١٠٧)

United Nations, A/C.38/L. 37 & Corr. 1.

(١٠٨)

Pankhurst, E. S. & Pankhurst, R. K. P. : Op. cit., pp 254-256; (١٠٩)

Trevaaskie, G.K.N. : Op. cit., p. 101; Greenfield, R. : Op. cit., p. 299.

الخارجية والعملة والمالية والتجارة الخارجية والتجارة بين الاقليمين والمواصلات الخارجية والمواصلات بين الاقليمين بما في ذلك الموانئ . ويمتد اختصاص حكومة اريتريا الى جميع المسائل غير الداخلة في اختصاص الحكومة الفيدرالية ، بما في ذلك سلطة الاحتفاظ بيوليس محلي وجمع الضرائب لمواجهة نفقات الوظائف والخدمات المحلية واتخاذ ميزانية خاصة بها .

٤ - يتكون اتحاد جيمركي بين الوحدتين الفيدراليتين .

٥ - يقام مجلس فيدرالى امبراطورى من عدد متساو من الأعضاء عن كل من اثيوبيا واريتريا ، ويجتمع على الأقل مرة واحدة كل عام ، وعليه أن يسدى النصح في الشؤون المشتركة للاتحاد .

٦ - تكون هناك جنسية واحدة في الاتحاد كله : ( أ ) - فيكون جميع سكان اريتريا - باستثناء الأشخاص الذين يحملون جنسية أجنبية - مواطنين في الاتحاد . ( ب ) - ويكون جميع الأشخاص المولودون في اريتريا - وبهم أب أو أم أو جد أريتري ، مواطنين في الاتحاد . أما الأشخاص الذين يحملون جنسية أجنبية ، فلمهم الحرية في غضون ستة شهور - من وقت أن يصبح الدستور الاريتري نافذ المفعول - في أن يختاروا بين جنسية الاتحاد أو الاحتفاظ بجنسيتهم . وفي حالة عدم اختيارهم ، يفقدون جنسيتهم الأجنبية . ( ج ) - يكون لجميع الأشخاص الحاملين لجنسية أجنبية ، والذين أقاموا في اريتريا لمدة عشر سنوات قبل تاريخ اقرار مشروع القرار هذا : الحق في التقدم بطلب للحصول على جنسية الاتحاد طبقا للقوانين الاتحادية دون حاجة الى أية مستلزمات أخرى للإقامة ، ويسمح للأشخاص الذين لا يحصلون على جنسية الاتحاد بالإقامة في اريتريا وممارسة نشاطهم المهني في ظل الأمن والقانون .

٧ - تكفل الحكومة الفيدرالية ، وكذلك الحكومة الاريترية ، للمقيمين في اريتريا ، دون تمييز من حيث الجنسية والعنصر والجنس واللغة أو الدين . التمتع بالحقوق الانسانية والحريات الأساسية ، بما في ذلك : ( أ ) حق المساواة أمام القانون ( ب ) الحق في الحياة والحرية والأمن الشخصى ( ج ) حق تملك الأراضى والتصرف فيها ( د ) الحق في حرية الرأى والتعبير

وحق اعتناق أى دين أو ملة وممارستها • ( هـ ) الحق فى التعليم ( و ) الحق فى حرية التجمع السلمى ( ز ) الحق فى صيانة حرية المراسلات وأماكن السكن ، الا فى الحالات التى يقرها القانون ( ح ) حق ممارسة أى مهنة فى حدود القانون ( ط ) عدم اعتقال أو احتجاز أى فرد بدون أمر صادر من سلطة مختصة ، الا فى حالة حدوث خرق صارخ للقانون المعمول به • ولا يجوز أبعاد أى شخص الا طبقا للقانون ( ي ) الحق فى محاكمة عادلة ، والحق فى تقديم الالتماسات للامبراطور والاستئناف اليه من أجل تخفيف أحكام الاعدام •

٨ - تؤلف الفقرات من ١ الى ٧ من مشروع القرار هذا ، القانون الفيدرالى الذى يقدم للامبراطور للتصديق عليه •

٩ - تكون هناك فترة انتقال لا تتجاوز ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ • ويتم خلالها تنظيم الحكومة الارترية واعداد الدستور الارترى ووضع موضع التنفيذ •

١٠ - يكون هناك مندوب للأمم المتحدة فى ارتريا : تعينه الجمعية العامة ، ويساعده خبراء : يعينهم السكرتير العام للأمم المتحدة •

١١ - فى خلال فترة الانتقال : تواصل السلطة القائمة ادارة شؤون ارتريا : وعليها أن تعد - بالتشاور مع مندوب الأمم المتحدة : وبأسرع وقت ممكن - تنظيم الادارة الارترية ، وتهيئة واعداد الارترين لتقلد المناصب على جميع مستويات الادارة ، وتتخذ الترتيبات لتشكيل جمعية تشريعية يتولى الشعب الارترى انتخاب أعضائها ، ثم تدعوها للانعقاد • ويجوز لهذه الجمعية ، بالاتفاق مع مندوب الأمم المتحدة ، وبالنيابة عن الارترين ، أن تتفاوض من أجل اقامة اتحاد جمركى مؤقت مع اثيوبيا ووضع موضع التنفيذ ، طالما يكون ذلك عليا •

١٢ - على مندوب الأمم المتحدة أن يقوم ، بعد استشارة السلطة القائمة بالادارة وحكومة اثيوبيا وسكان ارتريا ، بأعداد مشروع الدستور الارترى وعرضه على الجمعية التشريعية الارترية للنظر فيه ، وعليه أن يسدى النصح والمشورة لهذه الجمعية ويساعدها فى بحث الدستور • ويجب أن يقوم الدستور الارترى على أسس ديمقراطية ، ويحتوى على الضمانات المنصوص

عليها في الفقرة السابعة من القانون الفيدرالى .

١٣ - يصبح القانون الفيدرالى ودستور اريتريا نافذى المفعول فور التصديق عليهما من الامبراطور بالنسبة للقانون الفيدرالى ومن الجمعية التشريعية الارترية بالنسبة للدستور .

١٤ - على حكومة المملكة المتحدة بوصفها السلطة القائمة بالادارة أن تتخذ الترتيبات لنقل السلطة الى السلطات المناسبة ، على أن يتم نقل السلطة حالما يصبح الدستور الارترى والقانون الفيدرالى نافذى المفعول طبقا لشروط الفقرة الثالثة عشرة الآتية الذكر .

١٥ - يحتفظ مندوب الأمم المتحدة بمقره في اريتريا الى أن يتم نقل السلطة ، وعليه أن يضع التقارير المناسبة ويرفعها للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن التصرف في وظائفه في ضوء التطورات وفي اطار شروط مشروع القرار الحالى . وعندما يتم تحويل السلطة ، عليه أن يرفع تقريرا بذلك الى الجمعية ويقدم لها نص مشروع الدستور الارترى .

#### تنفيذ قرار الأمم المتحدة :

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٥٠ عين السنيور ادواردو أنزى ماتينزو Eduardo Anze Matienzo من بوليفيا مندوبا للأمم المتحدة في اريتريا ولتنفيذ قرارها بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٥٠ ، ولكنه لم يصل الى أسرة الا في ٩ فبراير ١٩٥١ ، حيث بدأ عمله باصدار بيان ، أعلن فيه أن قرار الأمم المتحدة الخاص باريتريا هو قرار وسط أرضى هؤلاء الذين يرغبون في الاتحاد مع أثيوبيا ، وأولئك الذين يطلبون للاستقلال ، فضلا عن أن هذا القرار أرضى أثيوبيا باعترافه بحاجتها الى منفذ للبحر (١١) .

وكان زعماء الكتلة الاستقلالية الذين قبلوا قرار الأمم المتحدة وقرروا تأييد مندوبها ومعاونته في تنفيذ مهمته ، قد دعوا الى اجتماع لمثلئ جميع الأحزاب السياسية وقتذاك لدراسة الموقف الجديد الذى نشأ نتيجة لقرار الأمم المتحدة . وقلم لهذا الغرض اجتماع عام ، عقد في أسرة في أواخر ديسمبر ١٩٥٠ ، وقرر زعماء الكتلة الاستقلالية تغيير اسم حزبهم الى

« الجبهة الديمقراطية » Democratic Front ، التي أصبح  
 ابراهيم سلطان سكرتيرها العام ، وبذلك قلموا الدليل على استعدادهم  
 للالتزام بمشروع قرار الأمم المتحدة الفيدرالي . أما زعماء الحزب الاتحادي  
 فقد استمروا في التمسك بموقفهم القديم وطلبوا « بالاتحاد غير المشروط  
 مع اثيوبيا » .

وبدأ مندوب الأمم المتحدة في أبريل ١٩٥١ يجري مشاوراته مع الزعماء  
 الارترين ، الا أنه ما لبث أن اضطر الى تأجيل هذه المشاورات بسبب نشاط  
 عصابات الشفا ، والذي كان قد توقف بعض الوقت على أثر مغادرة لجنة  
 التحقيق الخماسية البلاد ، ثم عادت هذه العصابات تمارس الارهاب السياسي  
 بصورة أشد عنفا وضروا ، لدرجة أن ما تينزو عقد في أول مايو ١٩٥١ مؤتمرا  
 صحفيا قال فيه : « أنني لا أعتقد بأن من الصواب أن أبدأ هذه المشاورات  
 في وقت يتعرض فيه الشعب الارترى للخطر ، وهو شعب يرغب في السلام  
 والأمن قبل أى شيء آخر . وأكثر من ذلك ، فأننى أعتقد بأنه ليس من  
 المناسب أن أجول في البلاد ، عبر طرق مخضبة بدماء ضحايا الارهابين ، راقما  
 علم الأمم المتحدة (١١١) » .

ولقد كان من أجل انتهاء نشاط الشفا الارهابي ، أن أصدرت الادارة  
 البريطانية بموافقة مندوب الأمم المتحدة - عفوا عاما عنهم في ١٩ يونية  
 ١٩٥١ ، ولم تحل نهاية أغسطس حتى كان ما لا يقل عن ٩٠٪ من الشفا قد  
 استسلموا ، مما مكن مندوب الأمم المتحدة من اجراء مشاوراته مع زعماء  
 الأحزاب الارترية ، ثم مع الادارة البريطانية والحكومة الاثيوبية ، حول  
 انتقال السلطة واصدار الدستور .

وفي ١٦ نوفمبر ١٩٥١ وقع مندوب الأمم المتحدة تقريرا الى الجمعية  
 في دورة انعقادها السادسة (١١٢) . وذكر فيه أنه خلال الشهور الثلاثة الأولى  
 من تواجده في أرتريا تجول في أنحاء البلاد ، وقابل السكان لكي يشرح  
 ويشرح لهم قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢ ديسمبر ١٩٥٠ من جهة ، ولكي

Trevaskis. G. K. N. : Op. cit., p 103.

(١١١)

United Nations, A/1960, Progress Report of the United Nations  
 Commissioner, dated 16 November 1961.

(١١٢)

يتعرف من جهة أخرى على آرائهم ووجهات نظرهم بصدد الاتحاد الفيدرالى مع أثيوبيا . وقال أن هذه الجولة قد أبانت له أن الأغلبية الساحقة من سكان أريتريا يقبلون الاتحاد الفيدرالى مع أثيوبيا ، بشرط أن تتمتع أريتريا باستقلال ذاتي ، وأنهم على استعداد للتعاون معه ومع الادارة البريطانية في تنفيذ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة . ومع ذلك ، فانه يشعر بأن عددا من الارترين لا يعتقدون تماما بجدوى الحل الفيدرالى أو بإمكانية تطبيقه . وأشار ماتيئزو الى الخلافات العديدة التى نشبت بينه وبين الحكومة الأثيوبية بشأن صياغة الدستور الارترى ، ومحاولات الحكومة الأثيوبية المستمرة لتوسيع سلطاتها وحقوقها على حساب القانون الفيدرالى والدستور والشعب الارترى .

وفى ٢٩ يناير ١٩٥٢ صدر اعلان بإجراء الانتخابات للجمعية التشريعية وشغل مقاعدها الثانية والستين خلال شهر مارس ، وهى أول انتخابات من نوعها فى تاريخ اريتريا . وكانت هذه الانتخابات على مرحلتين ، الأولى اقتراع سرى مباشر ، والثانية اقتراع سرى غير مباشر . وجرت المرحلة الأولى للانتخابات فى المناطق الريفية فى أوائل شهر مارس ، ثم المرحلة الثانية فى أواخره ، وتمت خلال هذه المرحلة الثانية كذلك الانتخابات بالمدن ، وكانت انتخابات مباشرة على درجتين . أما فى مدينتى أسمرة ومصوع وحدهما ، فقد جرت الانتخابات بهما قبل ذلك خلال شهر فبراير ، وكانت على مرحلة واحدة مباشرة .

وطبقا لما جاء فى تقرير مندوب الأمم المتحدة الى الجمعية العامة فى دورة انعقادها السابعة ، كانت نتائج الانتخابات على النحو التالى :

حصل الحزب الاتحادى على ٣٢ مقعدا ، وحصلت الجبهة الديمقراطية على ١٨ مقعدا ، على حين حصلت العصبة الاسلامية للمقاطعة الغرية على ١٥ مقعدا . أما المقاعد الثلاثة المتبقية فقد تقاسمتها الرابطة الاسلامية المستقلة . والحزب الوطنى ، ومرشح مستقل (١٣) .



ويلاحظ تريفاسكيس أن الحزب الاتحادي قد حصل على معظم مقاعد الهضبة الأرتيرية ، كما حصلت العصبة الإسلامية للمقاطعة الغربية على غالبية مقاعد غرب ارتيريا ، بينما حصلت الجبهة الديمقراطية على بضعة مقاعد في المقاطعة الغربية ، إلا أنها استمدت قوتها بصفة رئيسية من قبائل الساحل والساو ، الى جانب السكان المسلمين في أسرة ومصوع (١١٤) .

وأجريت انتخابات رئاسة الجمعية التشريعية ، فتم انتخاب أوتيدلا بابرو السكرتير العام للحزب الاتحادي رئيسا للجمعية والشيخ على موسى راضي نائبا للرئيس .

### المستور الأرتيري :

وبدأت الجمعية التشريعية في مناقشة مشروع الدستور الايتري ، وأدخلت بعض التعديلات عليه ، وتمت موافقة الجمعية على الدستور المعدل في ١٠ يولييه ١٩٥٢ ، ووقعه مندوب الأمم المتحدة في ٦ أغسطس ، ثم صادق الامبراطور عليه في ١١ أغسطس ، أي قبل أن يصادق على القانون الفيدرالي في ١١ سبتمبر (١١٥) . ويحتوي الدستور الأرتيري على ٩٩ مادة ، وفيما يلي أهم ما اشتمل عليه (١١٦) .

١ - حدد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لحكومة ارتيريا ، بأنها المسائل التي ليست من اختصاص الحكومة الفيدرالية ، ومن هذه السلطات الاحتفاظ بقوات الأمن الداخلي وجباية الضرائب لسد النفقات المحلية وأن تكون للأقليم ميزانيته الخاصة به .

٢ - يتكون المجلس الفيدرالي الامبراطوري Imperial Federal Council من عدد متساو من الأثيوبيين والأرتيريين ، والآخرين يعينهم رئيس السلطة التنفيذية Chief Executive ، وتصادق الجمعية التشريعية الأرتيرية Assembly على تعيينهم .

Trevaskis, G. K. N. : Op. cit., p. 120.

(١١٤)

Greenfield, R. : Op. cit., p. 303; Trevaskis, G.K.N. : Op. cit., (١١٥)

Pankhurst, E.S. & Pankhurst, R.K.P. : Op. cit., pp 330-347. (١١٦)

وانظر كذلك عبد الملك عودة : السياسة والحكم في افريقيا ص ٢٠ - ٢٣ .

٣ - للامبراطور ممثل Representative في ايرتريا ، يحاط علما باختيار رئيس السلطة التنفيذية ، والآخر مسئول أمام الجمعية التشريعية .

٤ - يقوم دستور ايرتريا على مبادئ الحكم الديمقراطي ، وللجميع التمتع بالحقوق الانسانية والحريات الأساسية الواردة في الفقرة السابعة من القانون الفيدرالي ، وهي جزء متمم للدستور .

٥ - لاريتريا علم خاص وخاتم وشارات .

٦ - اللغتان الرسميتان هما التيجرينيا والعربية .

٧ - عندما تصدر الجمعية التشريعية قانونا يقدم الى ممثل الامبراطور ، الذي له أن يطلب في غضون عشرين يوما اعادة النظر فيه اذا تعدى الاختصاصات الفيدرالية .

٨ - تكون الجمعية التشريعية من عدد لا يقل عن خمسين عضوا ولا يزيد على سبعين عضوا . وتختص بالاقتراع على القوانين والميزانية واختيار رئيس السلطة التنفيذية والاشراف على أعمال السلطة الأخيرة .

٩ - تكون السلطة التنفيذية من رئيس Chief Executive يعاونه وزراء Secretaries مسئولون أمامه ، وله حق اقالتهم .

١٠ - تتولى السلطة القضائية محكمة عليا Supreme Court وعدد من المحاكم الأخرى . وتختص المحكمة العليا بالنظر في طلبات النقض والاستئناف والمنازعات بشأن دستورية أعمال الحكومة والقضايا المرفوعة ضدها أو ضد الهيئات العامة .

وفي مساء ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ أُنزل العلم البريطاني من فوق قصر الحاكم بأسسرة ، ورفع مكانه العلم الأثيوبي ، الذي أُعتبر وقتئذ العلم الفيدرالي . وفي ١٦ سبتمبر وقع سير دنكان كمينج Duncan Cumming - آخر حاكم بريطاني لاريتريا - على الاعلان الرسمي بانتهاء الحكم البريطاني في ايرتريا ، والذي استمر من عام ١٩٤١ الى ١٩٥٢ . وبذلك بدأت ايرتريا مرحلة جديدة في تاريخها المعاصر .

## المحافظة التسلطية

تقرير من واقع البحوث التي أنجزت من ١٩٦٨ : ١٩٧٢

الدكتور عبد الستار إبراهيم

مدرس علم النفس بكلية الآداب - جامعة القاهرة

لعل أول المحاولات العلمية المنظمة في دراسة السلوك التسلطى قد نشأت مرتبطة ببحوث علم النفس الاجتماعى فى الثلاثينات • ويبدو أن اهتمام كيرت ليفين Lewin وليبيت Lippitt وهوايت white بدراسة المناخ الاجتماعى على سلوك الأطفال من أولى المبادرات العلمية التى وجهت البحث فى السلوك التسلطى • ففى هذه التجارب اتجه الاهتمام لدراسة تأثير ثلاثة أنماط من القيادة فى توجيه عملية التفاعل الاجتماعى هى : النمط الديمقراطي ، والنمط القوضوى ، والنمط الفردى ( أو التسلطى ) • وفى جزء من هذه التجارب اتجه اهتمام « ليفين » وزملائه الى تدبير كل نمط من الأنماط الثلاثة • ويعتبر تعريفهم لنمط التسلطى من الارهاصات المبكرة التى ساعدت على وضع تصور دقيق لابعاد الشخصية التسلطية ففى النمط التسلطى من القيادة يتركز الدور الأساسى فيما يرى ليفين وزملائه فى شخصية القائد • فهو الذى يقوم بوضع سياسة المجموعة ، وهو الذى يوجه نشاط أهدافها ، ويحدد الاجراءات المطلوبة لتحقيق الهدف ، أو مجموعة الأهداف التى يتوسمها لأعضاء الجماعة (٢٨) •

ولم تنتقل بحوث التسلطية من مجال عملية التفاعل بين الفرد والجماعة الى مجال الشخصية الا فى فترة متأخرة نسبيا (١) ، عندما تصور أدورنو Adorno وزملائه أن هناك ميلا متسقا لدى بعض الأفراد للتصرف وفق مفاهيم السيطرة والخضوع ، أو القوة والضعف • وقد وضع أدورنو وزملائه عام ١٩٥٠ مقياس الميول التسلطية Fascism Scale فى محاولة لملوحه لتحديد نظام الشخصية المسؤول عن التعصب القومى ، والتعصب ضد الأقليات وقد تبناوا اقتراضا رئيسيا مؤداه

أن التعصب جزء من ميول عامة لها أصول متأسكة في الشخصية تبدى أكثر ما تبدى في مجارة المعايير التي تتبع من أصحاب القوة أى معايير السلطة بشكل عام (١٢) .

وفي منتصف الخمسينات قدم ميلتون روكش R. R. R. في معالجة جديدة للتسلطية قامت على موقف تقدي من بحث الشخصية التسلطية لأدورنو وزملائه . فقد رأى « روكش » (٢٦) أن مفهوم « أدورنو » وزملائه يقوم على تصور جزئى للتسلطية ، يركز على الاهتمام بالمضمون الايديولوجى ، وبزاوية محددة من ذلك المضمون وهى الايديولوجية الفاشية لخبرة الاعتماد على السلطة دون الاهتمام بالبناء المعرفى . والفكرة وراء هذا الرأى أن مضمون أى أيديولوجية ، أو أى مجموعة من المعتقدات انما يتوقف على طريقة الشخص المعرفية في تعامله معها من حيث - مثلاً - مروته أو تصلبه العقلى في هذا التناول . وبناء على هذا التصور فإن الايديولوجية الواحدة قد تكتسب دلالات مختلفة بحسب الأسلوب المعرفى الذى يبرز عند شخص ولا يبرز عند الشخص الآخر . وبهذا المعنى أيضا قد تشابه بعض الايديولوجيات التي قد تبدو متافرة اذا ما تشابه البناء المعرفى للأشخاص . فأكثر الايديولوجيات تفتحا قد تحول الى نظام متصلب مغلق اذا كان الشخص يتناولها بطريقة متصلة مغلقة . وقد افترض « روكش » مفهوم « الدجماطيقية » (١) ( الجمود العقائدى ) ، للإشارة بها الى الأسلوب المعرفى الذى تحول بمقتضاه أى مجموعة من المعتقدات الى معتقدات ايديولوجية مغلقة أو تسلطية . ويعرف « روكش » الجمود العقائدى بأنه نظام من المعتقدات ينتظم في ميول سلوكية ، أو اتجاهات ثابتة تتميز بالعناصر الثلاثة الآتية :

١ - انغلاق معرفى في نظام المعتقدات .

٢ - الاعتقاد في السلطة المطلقة .

٣ - النفور العام (٢) من الاختلاف (١٣ ، ١٤) .

وقد وضع « روكش » مقياسه المعروف باسم مقياس D. scale بهدف تقدير الفروق الفردية في الخصائص السابقة . وضمنه ستة وستين عبارة لتقدير الجوانب المختلفة من الجمود العقائدى (١١) .

ويتوازي مع هذا النشاط وضعنا لمقياس المحافظة السلطانية سنة ١٩٦٨ (١، ٢، ٣) . وقد تم وضع هذا المقياس بناء على ملاحظاته عند تطبيق مقياس الميول السلطانية لأدورنو وزملائه من عيوب نظرية وموضوعية طلبت أن نعيد النظر في المفهوم الذي تبناه أدورنو وزملائه (٣) . فلقد بنى أدورنو وزملائه مفهوما للسلطانية لا يساعد على إبراز الفروق الحضارية في المجتمعات التي لا تشكو من التعصب ، أو التي تشكو من التعصب ولكن لأسباب ايديولوجية واجتماعية مختلفة . وبهذا فقد ترتفع درجات بعض المجتمعات ( من غير المجتمعات الانجلو أمريكية ) أو تنخفض على مقياس الميول السلطانية دون أن يعكس هذا ارتفاعا أو انخفاضاً حقيقياً في السلطانية .

ومن الطرف أن البحوث الحضارية المقارنة قد بينت أن بعض المجتمعات قد تشابه في درجة التعصب واتجاهاته . ففى دراسة مقارنة بين أربع مجموعات من الطلاب في جنوب افريقيا ، والولايات الشمالية في أمريكا والولايات الجنوبية ، لم يتبين بوجود فروق تذكر في مقياس السلطانية ، ولكن الطلاب في جنوب افريقيا والولايات الجنوبية كشفوا عن درجات مرتفعة على مقياس التعصب ضد الزوج اذا قورنوا بالطلاب في الولايات الشمالية . مما يدل على أن التعصب يعتبر وظيفة لمعايير المجتمع وبناء الشخصية كليهما . وأن شكل التعبير السلوكي الظاهري عن السلطانية يتوقف على معايير المجتمع (٢٤) .

وبناء على هذا ، قمنا بوضع مقياس المحافظة السلطانية في ضوء التصور بأن السلطانية مفهوم افتراضي يجمع بين عناصر من السلوك، والآراء والأحكام الاعتقادية التي تقوم على التعلق بالموروث ، والتقليدي ، ولا يقوم على صحتها أى دليل منطقي وتأخذ وجهه تعبيرية قوامها التصلب والانغلاق ، والتبعية . وتسمى هذه العناصر سلطانية لأنها تعبر عن قوة الخضوع للجوانب الايديولوجية والمعرفية التي تنشأ من مصادر غير ذاتية أو عقلية أى السلطة بشكل عام .

ويلاحظ أن هذا التعريف الذي تبيناه يجمع بين خصائص التصور العام لدى كل من « أدورنو » و « روكش » أى الاهتمام بالبناء والمضمون معا . وهذا يعني أن مضمون أى ايديولوجية أو خبرة دائماً ما ينتهي الى اطار معرفي ما هو الذي يعطيه شكله ويوجهه في المواقف العملية والعامة . كما يعني أن العناصر الرئيسية للبناء المعرفي المغلق تتراجع من اطارها الى نوع من المعتقدات أو الأفكار الايديولوجية الملائمة .

ويمبر التعلق بالموروث والمحافظة في النظرة للواقع والحياة عن أهم جوانب الاعتقاد في مجتمعنا التي يراجع إليها تفكير ذوى الأساليب المعرفية المغلقة .

ويشير التعلق بالموروث والمحافظة التسلطية بهذا المعنى الى الفلسفة الاعتقادية العامة ، ومجموعة التصورات والأفكار التي يعتنقها الملقون والمتصلبون لتبرير موقفهم من الواقع . ولهذا فإن أى محاولة لوضع مقياس للتسلطية يجب - في تصورا - أن تتضمن تقديرا للفروق الفردية في تبني آراء ، وأفكار تصفية ترسم للشخص خطوطا من التوجيهات الثابتة التي لا يستطيع تغييرها . وهذا ما تضمنه مقياس المحافظة التسلطية .

وقد تكون المقياس في صورته النهائية من ٣٨ عبارة ، يجاب على كل عبارة منها وفق مقياس لشدة الموافقة أو المعارضة يبدأ من ( + ٣ ) في حالات شدة الموافقة وينتهى الى ( - ٣ ) في حالة شدة المعارضة . وتوزع عبارات المقياس على جزئين : أحدهما يختص بالمضمون ( أى المحافظة ) التسلطية والتعلق بالموروث ، وللآخر بالبناء المعرفي المتعلق ( أى التصلب ، والقطع والتطرف ، والتسميط ) . وقد بدأت الكتابة للمقياس منذ سنة ١٩٦٨ ضمن مقتضيات الحصول على الماجستير . ومنذ هذه الفترة قام الكاتب بسلسلة من البحوث يلخصها هذا المقال .

ويمكن بشكل عام أن تقسم مجموعة البحوث في هذا المجال الى ثلاثة أطر هي :

١ - بحوث في مجال تحليل الخصائص العامة للسلوك التسلطى (أى بحوث في العملية (١) التسلطية ذاتها ) .

٢ - بحوث في مجال الشخصية .

٣ - بحوث في مجال التفاعل الاجتماعى (٢) .

#### أولا : العملية التسلطية

اعتمدت الدراسة الوحيدة في هذا الموضوع على التحليل العاملى (٣) لبنود مقياس المحافظة التسلطية لتحديد ما اذا كانت التسلطية ذات بعد واحد أم

- 
- (1) Process.
  - (2) Social interaction.
  - (3) Factor analysis.

أنها ذات أبعاد متعددة . فالمطلع على بحوث « أدورنو » وزملائه « وروكيتش » يدرك أن هناك ميلا لديهم لتبني الرأي الأخير وهو أن التسلطية ذات أبعاد متعددة . ومن الجلي أن تتأجج هذا الرأي قد انعكست في وضعهم لمقياس الميول التسلطية والجمود العقائدي . وقد أيدت الدراسات التي اعتمدت على التحليل العامل لبنود مقياس التسلطية أن هناك ثلاثة عوامل قية تمتوع بها وهي : المحافظة الدينية ، والخضوع التسلطي ، والتظاهر بقوة الذكورة (٢٣) . وفي دراسة أخرى أجرى تحليل عاملى لبنود مقياس الميول التسلطية « لأدورنو » ، ومقياس الجمود العقائدي « لروكيتش » معافتين وجود عامل مشترك بين المقياسين لكنه تبين بالرغم من اشتراك المقياسين في التعبير عن عامل عام — أن كليهما تميز ببناء مستقل . وعلى سبيل المثال فقد تبين أن مقياس الجمود العقائدي قد انتظمه عامل للتسلطية العامة، يستقل في نفس الوقت عن أى مضمون ايديولوجي (٢٤) . وقد أجريت الدراسة الحالية على ١٣١ طالب جامعى طبق عليهم جميعا مقياس المحافظة التسلطية ، وعدد آخر من مقياس الشخصية أجرى عليها جميعا التحليل العاملى بطريقة « هوتلنج » Hotelling حيث تم استخلاص خمسة عشر عاملا ، استوعب حوالى ٧٨٧ و ٦٦ من نسبة تباين المصفوفة الارتباطية . وأجرى بعد هذا تدوير متعامد للمحاور بطريقة « الفارماكس » لكايزر Kaiser ، بهدف الوصول الى شكل أكثر بساطة ، وانتظاما للعوامل المستخلصة . وقد أمكن في هذه الدراسة تفسير أربعة عوامل أمكن تحديدها على الوجه الآتى :

١ — عامل عام للميل للمحافظة والتعلق بالموروث ، وقد تشبعت عليه كل البنود تشبعا ايجابيا وقد وصلت هذه التشبعت درجة الدلالة في حالة ٣٣ بندا من الاختبار ، فضلا عن التشبعت الايجابية للدرجة الكلية على المقياس ، والميل الى التبسيط والتطرف .

٢ — عامل للنفور التسلطي من الواقع ، وتشبعت عليه مجموعة من العبارات تشير الى رفض الواقع والحاضر ، وانكاره ، مع التحمس للتغيير التسلطي بالعودة الى طاعة كبار السن ، وأساليب السلف ، والتقليد . وتعكس التشبعت المتناقضة على هذا المقياس جزءا من التناقض السلوكي نفسه لدى التسلطين من حيث تقبل الواقع ورفضه . فهم يتقبلون جوانب من الواقع هي الجوانب التسلطية كطاعة كبار السن ، وضرورة العودة — الى أساليب السلف لمعالجة الانهيارات الخلقية ،

وتبنى التقاليد الاجتماعية في السلوك اليومي ، وعدم التحمس الجديد ، ومناهضة أفكار الأجيال الصغيرة ، وضرورة الخضوع للقوى الطبيعية والكونية . ولكنهم في نفس الوقت يرفضون الواقع ، ومن مظاهر هذا الرفض دعوتهم للتغيير ، والمجازفة وضرورة اتخاذ موقف معارض ، وانكار التقاليد ، ومناهضة القوانين السائدة . ويبدو أن عملية التقبل والرفض سواء في دلالة كل منهما لدى التسليطين فهم لا يقبلون من الواقع الا الجوانب التي تتسق مع تصوراتهم وأفكارهم ورفضون الواقع بمقدار ما تختلف مظاهر الواقع عن هذه التصورات والافكار المتصلبة .

وتوضع بعض التشبعتات الايجابية المشتركة على العاملين الاول والثاني بأن التقبل والرفض التسليطين ما هما الا مظهرين لوظيفية واحدة هي التصلب (٧) .  
٣ - عامل الميل للخشونة (١) والصرامة ، وهو يجمع بين مظاهر السلوك التي تتعلق بتأييد التمسك بحرفية القوانين ، وتفضيل العلوم الطبيعية على الانسانية ، ووضع الحدود حادة بين الشخص والآخرين .

٤ - الادانة والعدوان (٢) : في هذا العامل تتبلور مظاهر من السلوك تتعلق بأداة الحاضر ، وأداة المختلفين عن النظام القائدي ، وأداة التعلق بالآراء الجديدة لعدم جداولها . ويبدو أن شيوع الميل للأداة والعدوان لدى التسليطين هو الذي يجعل من صورة الحاضر هدفا لعدوانهم ، فضلا عن عدائهم للآخرين بتصورهم أنهم على درجة ضعيفة من فهم الأمور والجدية .

ومن مظاهر التعبير عن ذلك استهانتهم أيضا بالأفكار الجديدة ، وتصورها على أنها مجهود ضائع . ولاشك أن هذا الميل العام للأداة والعدوان لدى التسليطين يتمشى مع منطقهم في بناء تصوراتهم ، وأفكارهم . كما يفسر جزءا كبيرا من متنوعات السلوك التسليطي . فالشخص الذي يعيش بنظام عقلي متصلب من المحظورات ، والقواعد الخارجية تزججه أى بادرة من بوادر الخروج عن هذا النظام ، كما تزججه أى صورة مخالفة له .

#### ثانيا : الشخصية التسليطية

لقت بحوث هذا الجزء قدرا وافرا من نشاط الباحث . فمنذ عام ١٩٦٨ وهناك اهتمام موسع بتحديد الأسس الشخصية الفعالة في نمو الخلق التسليطي .

(1) Tough-mindedness.

(2) aggression.



وقد تبانت الأساليب المستخدمة في استخلاص النتائج • وقد اعتمدت بعض هذه الأساليب على معاملات الارتباط والتحليل العاملي ، والبعض الآخر على أساليب تقدير الفروق باستخدام اختبارات الدلالة ، وتوسعت كذلك أساليب الاستجابة •

وقد توزعت دراسات هذا الجزء على المجالات الآتية :

- ١ - دراسات عن قوة الأنا •
- ٢ - تصلب الشخصية والتطرف •
- ٣ - الابداع والتفتح العقلي •
- ٤ - أسلوب الشخصية •

#### ١ - التسليطة وقوة الأنا :

تبين بعض البحوث (٢٢) أن التسليطة تعبر عن التدهور في ادراك الواقع ، ويزداد هذا التدهور بزيادة أوجه النقص عند الشخص وضعف الأنا • وبميل أدورنو وزملائه (١٢) - لتبنى نفس الرأي عندما يقولون بأن المنخفضين في التسليطة يميلون غالبا الى التوفيق الناجح بين مختلف مستويات الشخصية، ويظهرون فضلا أكثر، وبعدا عن النزعات الطفلية لهذا فهم أقدر على التحمل وتأجيل اللذة والتكفل بالمسؤولية والنضج الوجداني • وغياب أو ظهور هذه السمات هو ما يمكن التعبير عنه بضعف الأنا ، أو قوته •

ويرى «لغسون» Levinson (٢٢) أنه بالرغم من مظاهر الضعف والتشوش ، وعدم التنظيم التي قد تظهر عند بعض المنخفضين جدا في التسليطة ، فإن الانطباع العام يوحي بأن المنخفضين يتميزون عموما بقدر أكبر من قوة الأنا بالمقارنة بالتسلطين وهناك من الدلائل ما يبين أن ازدياد ضعف الأنا لدى التسلطين إنما هو تعبير عن طريقة تفكيرهم بالمقارنة بغيرهم فهم أميل للتفكير الاعمالي (١) دون المنطقي (٢) (الرجع السابق) •

وبناء على هذه الفروض العامة قمنا بدراسة (١ ، ٢) على ١٥٠ طالبا جامعا

(1) emotional.

(2) rational.

للتحقق من العلاقة بين ارتفاع التسليطة ومظاهر ضعف الأنا • وقد أمكن تحديد مظاهر ضعف الأنا في ضوء المفاهيم الآتية :

١ - القلب الوجداني وضعف ضبط الذات ، والعجز عن التحكم في التقلبات الانفعالية •

٢ - تضخيم الذات •

٣ - الدقة في ادراك الدلالات المعقولة للأشياء في المواقف الخارجية وقد اتخذنا لكل متغير مقياسا من مقياس الشخصية لتقديره وهي :

( ١ ) مقياس « ك » المستخرج من مقياس الشخصية المتعدد الأوجه (١) لقياس القدرة على ضبط النفس والتحكم في التقلبات الوجدانية •

( ٢ ) مقياس للتقدير الذاتي من اعداد الباحث لقياس القدرة على تقدير الذات تقديرا موضوعيا ، كما يتكشف ذلك في عدم الميل الى المبالغة في تقدير الذات أو تضخيمها •

( ٣ ) مقياس التقدير الواقعي ، لقياس القدرة على تحديد الجوانب المعقولة ، واللامعقولة في موقف خارجي وهو من اعداد الباحث أيضا •

وقد آكدت النتائج بعد تطبيق هذه المقاييس الثلاثة لقوة الأنا مع مقياس المحافظة التسلطية أن هناك ما يشير الى وجود علاقة ارتباطية سلبية بين المحافظة التسلطية وقوة الأنا • ومن مظاهر هذا وجود علاقة إيجابية دالة جوهريا بين التسلطية ، والعجز عن التحكم في التقلبات الوجدانية ، مما يؤكد بالفعل ميل التسليطين الى التصرف انفعاليا وليس منطقيا • ومن مظاهر هذا التعبير أيضا أنه تبين وجود علاقة إيجابية دالة بين مقياس المحافظة التسلطية ، ومقياس التقدير الذاتي ما يشير الى ارتباط التسلطية بتضخيم الذات • ويبدو أن هذا المظهر اما جزء من الوظيفة العامة من سيطرة الأحكام والتصرفات الانفعالية على التسليطين واما انعكاس لارتفاع المركز الاجتماعي الذي يحصل عليه التسليطون في الجماعة التسلطية • وقد تأكد هذا الترجيع عندما تبيننا في أحد أجزاء هذه الدراسة أن أصحاب الدرجات المرتفعة في التسلطية ( فوق المتوسط ) يحصلون

على اختبارات تفصيل أكثر من بين الزملاء بالمقارنة بأصحاب الدرجات المنخفضة في نفس الجماعة . وعلى أية حال فإن الأخذ بأحد التفسيرين دون الآخر يرتفع بمستقبل البحث في هذه النقطة .

ولكن لم تظهر علاقة ذات دلالة بين مقياس المحافظة السلطوية والتقدير الواقعي ويبدو أن الجوانب القيمية ، أو الخلقية للمحافظة السلطوية ( كما تنعكس في بنود المقياس ) تقترب من المعايير التي تتبناها مجموعة البحث . ومن ثم فإن ارتفاع الاداء على المقياس لا يعبر عن تشوية ما في ادراك الجوانب المعقولة من الأشياء ، وتقديرها تقديرًا واقعيًا .

## ٢ - تصلب الشخصية والتطرف :

أجرى الباحث في هذا الإطار بحثين الأول سنة ١٩٧٠ ونشرت نتائجه سنة ١٩٧٢ والثاني سنة ١٩٧٣ ( ٤ ) . وقد تكونت عينة البحث في الدراسة الأولى من ١٣١ طالب جامعي ( ٧١ طالبًا و ٦٠ طالبة ) ، وتكونت عينة البحث الثاني من ٤٠٥ شخص ( ٢١٠ اناث و ١٩٥ ذكور ) . وطرأ تشابه النتائج في البحثين فسنسلك على نتائجها مجتمعين معًا .

يقصد بتصلب الشخصية عجز الشخصية عن التشكل ، والتكيف للمواقف الجديدة أي العجز عن القيام بالسلوك الملائم . ويستخدم باحثون آخرون للإشارة به إلى ضيق، وقر الاستجابات العقلية التوافقية، فيواجه الشخص للمواقف المختلفة بأسلوب عقلي أو سلوكي محدد . ويبدو لنا بالفعل أن تصلب الشخصية Dimension «بعد» عام من أبعادها، وأنه يلعب دورًا نشطًا في تحديد أنماط الاستجابة، وأساليب التكيف في المواقف المختلفة سواء كان ذلك في ميدان حل المشكلات العقلية أو المعتقدات الايديولوجية والاتجاهات ، أو عند تفاعل الشخصية في المواقف الاجتماعية .

وفي الدراستين الحاليتين محاولة للتثبت من بعض الحقائق الخاصة بنظام الشخصية السلطوية ، والتصلب . فهل السلطوية دالة على تصلب الشخص في مواقف التفاعل الاجتماعي ؟

(1) M.M.P.I.

(2) Rigidity.

(3) Extremeness.

ويتضح من الدراسات السابقة أن الباحثين يجمعون على أن التسليطين يعجزون عن تغيير أنماط تفكيرهم بتغيير الموقف وأنهم يميلون الى مواجهة التنوع في المواقف الاجتماعية بضيق في مقدار القوالب العقلية الملائمة للتكيف (١٣ ، ١٤ ، ٢٦) . ويتضح من دراسة أجراها هارولد اندرسون H. Anderson أن السيطرة في مواقف التفاعل بين سلوك المدرس وبين سلوك الطفل في مواقف التدريس تعبر عن درجة كبيرة من التصلب من حيث أنها تحاول أن تضيق فطاق الخبرة التي على أساسها تتحدد نتيجة التفاعل بين شخصين أو أكثر ، فبدلاً من أن أسعى الى تحديد النتيجة على أساس أن أدخل في حسابي أكبر عدد من مميزات السلوك والشخصية عندي وعند الطرف الآخر في التفاعل ، أجدني مندفعاً الى تقليل عدد العناصر الداخلة في تحديدها (٨) . ويتبين القارئ من وصف « هارولد اندرسون » للسلوك المسيطر أنه لا فرق بينه وبين السلوك التسليطي ، وأن التسليط ما هي الا ترجمة لعناصر السيطرة في مجال التفاعل الاجتماعي الى بعد من أبعاد الشخصية . ولعل من أهم المحاولات التي تكشف عن طبيعة العلاقة بين التسليطية، وتصلب الشخصية هي محاولة روكيتش التي نظرياً تقتضاه التسليطية على أنها شكل من أشكال الجمود العقيدى ، أى العجز عن التعامل مع النظم العقلية الجديدة ، والعجز عن تنظيم معتقدات جديدة لمواجهة المواقف أو المشكلات الاجتماعية المتغيرة (٢٦) . وللتحقق من أمر هذه العلاقة استخدمنا مقياس المحافظة التسليطية ومجموعة من مقاييس الشخصية من بينها :

مقاييس التصلب Ridity ، والنفور من الغموض (١) لكاولتر Coulter (١٦) فضلاً عن بعض المقاييس لقياس متغيرات من الشخصية ثبت أنها ترتبط بالتصلب وذلك مثل الميل للتبسيط (٢) (٣) ، والتطرف (٨) ، وقد أجريت معاملات الارتباط بين المقاييس السابقة بالنسبة للمينة الكلية في كلتا الدراستين ، والمذكور والأثاث كل على حده . كما استخدمت مقاييس الدلالة الاحصائية للمقارنة بين المذكور والأثاث على مجموعة المقاييس المستخدمة .

وهنا من نتائج الدراستين ما يتعلق بالارتباط بين مقياس المحافظة التسليطية من ناحية والتصلب والتطرف من ناحية أخرى . ومن أهم النتائج في هذه الزاوية

(1) Intolerance of ambiguity.

(2) Simplicity.

الثبت من وجود نسق من الشخصية ينظم المحافظة التسلطية اذ تبين وجود معاملات ارتباط مرهقة بالتصلب والنفور من التموض ، والميل الى التطرف في الاستجابة على مقياس المحافظة التسلطية ( مجموع استجابات ( + ٣ ) على المقياس ) . وهذه النتيجة يجب اضافتها كدليل على الحقائق - المرتبطة بصدق المقياس ، وبأن هناك نسق من الشخصية تنظم من خلاله المحافظة التسلطية وأن هذا النسق يتفق مع التوقعات النظرية لتنظيم هذه السمة من حيث تعبيرها عن التصلب »

## ٣ - الابداع والاصالة (١):

يمكن القول كعرض عام أن علاقة المحافظة التسلطية بالاصالة والابداع علاقة سلبية ، أي أن الشخصية التسلطية يصحبها دائما انخفاض في القدرات الابداعية والاصالة ، أو العكس بالعكس ، وهناك من النتائج ما يبرر هذا فالبحثن اللذان أشرنا اليهما في الفقرة السابقة واللذان كشفنا عن وجود نسق من التصلب ينظم انشخصية التسلطية ، يمكن اتخاذهما كدليل على ارتباط التسلطية ارتباطا سلبيا بالابداع والاصالة، أي أن كل عملية منها تسير في اتجاه معارض العملية الأخرى . ومن الجدير بالذكر هنا أن تشير الى وجود عدد كاف من الدلائل على أن الابداع والاصالة يعبران عن الخلو من التصلب والجمود ( ١٩٠٥ ، ٣٣ ، ٣٥ ) .

ومن ناحية أخرى فإذا نظرنا الى الشخصية المحافظة تسلطيا في ضوء مفاهيم كالقدرة على التعلم ، واكتساب الخبرة فاقنا نجد أنها أيضا تعبر عن عملية معارضة للاصالة والابداع اذا تناولناها بنفس المفاهيم . فالمحافظة التسلطية كشكل ايديولوجي تشير الى عزز الفرد عن التعامل مع الخبرات العقلية ، أو الاجتماعية الجديدة ، وعجزه عن تكوين اتجاهات جديدة لمعالجة مواقف ومشكلات متغيرة . وتؤيد بحوث « روكيتش » وغيره ( ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٣ ) هذه الحقيقة في مقارنة بين المرتفعين والمنخفضين على مقياس الجمود المعائدي من حيث أداء بعض المشكلات العقلية اذ تفوق المنخفضون عن المرتفعين ( ٣٣ ) . كما تبين بحوث أخرى أن المرتفعين في الجمود المعائدي تقل قدرتهم على تنظيم وتكامل المعتقدات الجديدة وادماجها في المعتقدات الراهنة عند القيام بعمل مشكلة عقلية (Ibid) . لكتنا اذا

(1) Creativity & originality.

نظرنا الى الأصالة والابداع بنفس الضوء أى القدرة على التعلم واكتساب الخبرة فالتا تبين من خلال المعطيات الجزئية ، والتحليلات النظرية أنهما يشكلان بالفعل عملية معارضة للتسلطية . فالمرتفعون في الابداع والاصالة من أكثر الاشخاص قدرة على التفكير في نسق مفتوح ( ١٨ ، ١٩ ) وتشكيل المعطيات في أشكال جديدة ، والاتصال عن الحلول التقليدية التى قد تعوق حل المشكلات العقلية الجديدة ، والارتباط تبعاً لهذا بواقع - المشكلة ، وما تتطلبه وغنى عن الذكر افتقار التسليطين الواضح لهذه الخصائص .

وقد أوحى لنا هذه النتائج القيام بدراسة ( ٤٥ ) أجريت سنة ١٩٧٢ على عينة مكونة من ٤٠٥ طالب جامعي ( أناث = ٢١٠ ذكور = ١٩٥ ) . وقد أولينا فيها اهتماما خاصا لعلاقة التسلطية لجانب واحد من العملية الابداعية . وهو الاصالة بصفتها من أكثر - الجوانب تعبيراً عن الخصائص التى ينبغى التنبه لها عند تناول العملية الابداعية بالوصف والتحليل . وقد استخدمنا الاصالة في هذا البحث للإشارة بها الى جوانب السلوك العقلى المتصفة بالتميز ، والمهارة ، والجدّة (١) ، والطرافة وعدم الشيوع ، والتى تظهر في سلوك فرد من الأفراد عند القيام بعمليات من التفكير في نسق مفتوح ( أى اختبارات الابداع ) .

وقد طبق مقياس المحافظة التسلطية على عينة البحث مع عدد من مقاييس الاصالة الابداعية والتي منها :

( ١ ) استنتاج الأشياء : وهو من المقاييس التى قام باعدادها الكاتب لتقدير الفروق الفردية في سرعة التأليف بين مجموعة من العناصر المتنافرة تأليفا صحيحا وجديدا ، بصفتها مقياس للاصالة وفق كثير من التطورات التى ترى أن الاصالة ما هى الا قدرة على استيعاب الجديد اعتمادا على العناصر الراهنة أو القديمة (١٠) والمقياس مكون من عدد من الاستعمالات لأشياء غير معلومة موزعة على خمسة عشر بندا ، في كل بند ثلاثة استعمالات .

ويطلب من الشخص أن يقرأ الاستعمالات الموجودة في كل بند وأن يستنتج اسم الشيء الذى يصلح للاستخدام في هذه الاستعمالات الثلاثة مجتمعة (مثال : ما هو الشيء ( أو الأشياء ) التى تصلح للاستخدام في هذه الاستعمالات الثلاثة

مجتمعة : لطرد الذباب - للضرب - للوضع على الورق لحمايته من التطاير )  
ودرجات الفرد على هذا الاختبار هي مجموعة الأشياء الصحيحة التي يذكرها في  
كل بند في الوحدة الزمنية المحددة لأداء الاختبار وهي سبع دقائق .

(ب) النتائج البعيدة (١) : وهو من الاختبارات التي وصفها « جيلفورد »

Guilford لتقدير الإصالة بصفتها قدرة على الداعي البعيد . وفي هذا الاختبار  
يطلب من الشخص أن يكتب النتائج التي يمكن أن تحدث إذا حدثت بعض المواقف غير  
العادية في مكان أو زمان معين ( مثال ماذا يحدث لو استطاع الانسان فهم لغة  
الطيور والحيوان ) ودرجات الفرد على هذا الاختبار هي مجموع النتائج التي  
يصفها عندما يحدث أى - موقف غير عادي من تلك المواقف .

(ج) عناوين القصص (٢) : وهو من الاختبارات التي وضعها جيلفورد وفيه

تعطى للفرد قصة قصيرة طرفة ويطلب منه أن يكتب أكبر قدر من العناوين التي  
تصلح لهذه القصة . ودرجة الفرد هي عبارة عن مجموع العناوين الطرفة التي  
يضعها لكل قصة :

(د) الاستعمالات غير المعتادة (٣) : وهو مأخوذ من اختبارات « جيلفورد » ،

ويتكون من مجموعة من الأشياء العادية ، ويطلب من الشخص أن يذكر في وحدة  
زمنية محددة الاستعمالات المختلفة التي يمكن أن يصلح لها أى شيء من تلك  
الأشياء ( مثال : اذكر أهم الاستعمالات للجريدة اليومية غير قراءتها ) .

(هـ) تكميل الأشكال (٤) : وهو مأخوذ عن « تورانس » E. P. Torrance

ويحتوى الشكل الذى استخدم في البحث الراهن على جزئين ا ، ب . ويتكون  
كل جزء من ستة من أشكال ناقصة التكوين . ويطلب من الشخص اضافة أكبر  
قدر ممكن من التفاصيل بحيث تصبح هذه الأشكال الناقصة أشكالا لها معنى .  
ودرجة الفرد في هذا الاختبار هي عبارة عن مجموع الأشكال التي ينجح في  
تكوينها بحيث لا تكون من الأشكال الشائعة في داخل مجموعته . وتحدد  
درجة الشيوع من خلال احصاء الأشكال التي ينتجها الأفراد جميعهم . وتصحح

(1) Consequences.

(2) Plot titles.

(3) Unusual Uses.

(4) incomplete figures.

استجابة الفرد للأصالة اذ بعثت استجابته التكميلية عن الاستجابات الشائعة .

وقد تضمنت مجموعة الاختبارات فضلا عن مقياس الأصالة الابداعية والمحافظة التسلطية عددا آخر من مقياس الشخصية ، وأساليب الاستجابة .

ومن مقياس الشخصية التي استخدمت : مقياس التصلب لكاولتر ، والميل الى التبسيط والتغور من الغموض . وقد سبق الإشارة الى تلك المقياس عند الحديث عن تصلب الشخصية والتطرف . أما مقياس أساليب الاستجابة فهي عبارة عن الأساليب التي يستخدمها بعض الأشخاص في الاجابات عن استخبارات الشخصية أو الاتجاهات مستقلة عن المضمون . ومن تلك الأساليب التي وجد أنها ذات دلالة فارقة أساليب الاستجابة المتطرفة على مقياس الصداقة لسوف ( ٧ ) .

وأساليب الاستجابة على نفس مقياس المحافظة التسلطية وذلك مثل عدد مرات الاجابة بـ + ٣ ( أى أؤيد تأييدا كاملا ) كمقياس لتطرف التأيد التسلطى ، وعدد مرات الاجابة بـ - ٣ ( أى أعارض معارضة شديدة ) كمقياس لتطرف المعارضة .

وقد أجرى التحليل عن مصفوفة الارتباطات بين المتغيرات المختلفة للبحث بما فيها مقياس المحافظة التسلطية . وقد استخدمت طريقة «هوتلنج» Hotelling للتحليل العاملى . كما أجرى على الصفوفة العاملية تدوير بطريقة الفارماكس Varimax لكايوزر Kaiser في عينة الذكور والاناث كل على حدة .

وقد أيدت نتائج البحث في مجموعة الذكور أن المحافظة التسلطية تشبع تشبعا دالا في اتجاه مختلف لتشبعات اختبارات الأصالة ، وفي نفس اتجاه تشبعات تطرف التأيد التسلطى ، واستجابتى التطرف الايجابى والسلبى على مقياس سوف ، ودرجة التصلب على مقياس التصلب لكاولتر .

ومن الطريف أن هذه النتيجة لم تظهر في عينة الاناث ، مما يدل على عدم وجود علاقة مستقيمة من أى نوع بين المحافظة التسلطية والقدرات الابداعية لدى الاناث .

وقد أمكن تمييز نمط تشبعات اختبار المحافظة التسلطية واختبارات الأصالة



الابداعية بالشكل السابق في عينة الذكور على أساس وجود عامل يمتد من الاصلة الى الانفلاق الذهني ، هو المسئول عن هذا النمط من التشبع .

ومعنى هذا أن هناك خاصية مشتركة تجمع بين التفرغ والتصلب ، والمحافظة التسلطية هي الانفلاق على الخبرة ( ٦ ) وهذه الخاصية هي المسئولة فيما يبدو عن ارتباط تلك الخصائص سلبيا باختبارات الاصلة الابداعية .

ولأن الانفلاق على الخبرة - فيما توضح تصورات كارل روجرز K. Rogers ( ٢٥ ) - يعتبر دافعا أساسيا من دوافع السلوك الانساني ، فإن هذا يلقي ضوءا آخر على أسباب التعارض ما بين عمليتي الاصلة الابداعية والمحافظة التسلطية .

فعلى ضوء هذه النتيجة وعلى ضوء التحليلات النظرية التي يقدمها « روجرز » للشخصية الابداعية نجد أن من أهم دوافع الشخصية الابداعية : الدافع للاستماع والامتداد ، والنمو ، والنضوج والميل الى التعبير عن الامكانيات ، واثارتها . ودوافع من هذا النوع تتعارض تماما مع الانفلاق على الخبرة الذي يبدو أنه يقوم بدور أساسي في تشكيل الخلق التسلطى القائم على الانفلاق العقيدى ، والاجتماعى وتبنى اتجاهات «عبادية» لمجموعة من التصورات والقواعد الموروثة دون تشيلها في عالم الخبرة .

ومن الأسباب التي يبدو أيضا أنها مسئولة عن ضيق الخبرة ، وانفلاقها لدى التسلطيين : اعتماد الأحكام لديهم على المصادر الخارجية . فهم يستمدون مصادر حكمهم من خلال الاعتماد غير الواعى على أشكال الثواب والعقاب الخارجية .

بل أن هذا الاعتماد يبرز في تعريف كل الباحثين والطلءاء من أمثال «أدورنو» وزملائه و «روكيتش» للشخصية التسلطية . فبالرغم من جوانب الاختلاف المتعددة في تناول الشخصية التسلطية فانه لم يحدث خلاف ما في أن التسلطية هي في أساسها مظهر من مظاهر اعتماد الأحكام والآراء على المعايير الخارجية ( السلطة ) في مواقف الحياة المختلفة . والمتغيرات المختلفة التي تبين أنها تميز التسلطيين ما هي الا تعبير عن هذا المظهر من الانصياع لمعايير السلطة الخارجية ، والقواعد التي تساهم في تحديدها القوى الاجتماعية الخارجية . من ذلك مثلا :

الاعجاب الشكلى ، والمخز بالآباء ، وتبنى مفهوم تقليدى عن الأدوار الجنسية وادانة الحاضر .... وغيرها .

أما بالنسبة للإبداع ، فإن من أهم شروط الإبداع : اعتماد الحكم على المصادر الداخلية . لأن قيمة الفعل الإبداعى لا تحددها المصادر الخارجية كتقريب الآخرين ، أو تقديمهم ، ولكن تحددها المصادر الذاتية الداخلية أى رضا الشخص عن العمل : وإحساسه بقدرة هذا العمل على التعبير عن أجزاء من نفسه كشعوره أو تفكيره ، أله أو لذته ( ٢٥ ) .

#### ٤ - أسلوب الشخصية : (١)

يشير مفهوم أسلوب الشخصية الى أنماط الإدراك والاستجابة التى تظهر فى سلوك الفرد : مستقلة عن ادراكاته الخاصة واستجاباته النوعية ( ٢٩ ) . ويمكن تقدير أساليب الشخصية فى علم النفس الحديث من خلال ثلاث طرق هى :  
( ١ ) الحركات التعبيرية (٢) : كطريقة المشى أو الكلام ، أو الخط أو الصوت . ومن المثير أن تشير الى أن الحركات أو السلوك التعبيرى يختلف عن التركيب التكنيى . فالسلوك الأخير هو السلوك الذى يعبر عن استجابات الفرد فى المواقف الخاصة . حيث يتجه الاهتمام الى ما يفكر الفرد ولماذا يفعله . أى أهدافه وآماله . أما فى حالة السلوك التعبيرى فإن الاهتمام يتجه الى كيفية الاستجابة ، دون النظر الى محتوى هذا السلوك ومضمونه . ومن الطبيعى أن السلوك التعبيرى والسلوك التكنيى يتداخلان ويتبادلان التأثير ، وأنتا نحتاج عند الحكم على الشخصية الى أن نعلم على محتوى السلوك والأسلوب ولكن ليس من العسير فيما يرى «فيرنون» P. Vernon أن تفصل بينهما من أجل تيسير البحث فحسب ( ٣٦ ) .

(ب) الأنماط الإدراكية (٣) : وهى عبارة عن الأساليب الشائعة فى التعامل مع الأشكال الإدراكية كالميل الى التسطيع (٤) أو التحديد (٥) فى الشكل

(1) Personality style.

(2) expressive movements.

(3) Perceptual styles.

(4) Levelling.

(5) Sharpening

الادراكي ، أو النفور من عدم الثبات والغموض أو الاستقلال عن المجال في مقابل الاعتماد على المجال .

(ج) أساليب الاستجابة (١) : وهي تظهر في الطريقة التي يجب بها الشخص على استجابات الشخصية دون النظر الى مضمون الاختبار ، أى الأساليب التي تظهر مستقلة عن المضمون . فقد وجد مثلا أن هناك ميلا متسا لدى بعض الأشخاص للاستجابة على استجابات الشخصية بطريقة محددة دون النظر الى مضمون العبارات . ومن أكثر هذه الأساليب شيوعا الميل الى استخدام الاستجابات المتطرفة في الاجابة ، أو استجابات عدم الجسم ( لا أعرف ) ، أو المداومة على أسلوب معين في الاجابة . . الى غير ذلك . وقد وجد من خلال البحوث أن شيوع هذه الأساليب يرتبط ببناء محدد من الشخصية . فالميل الى الاستجابات المتطرفة يرتبط بالتصلب والنفور من الغموض ، ( ٨ ) والميل الى الاجابة بلا أعرف يرتبط بعدم الجسم والتشكك (١٠) والمداومة ترتبط بالقصور الذاتي والتسلطية ( ١ ) وهكذا .

ومن الحقائق الهامة في دراسة الشخصية التسلطية ، ما تبينه بحوث « الزابروثيفيك » (١٣) من أن التسلطين لهم أساليبهم الادراكية والمعرفية الخاصة والتي تميزهم عن غيرهم وتميل تلك البحوث الى تأكيد أن التسلطية (من حيث هي اشارة الى الاعتماد المطلق على قيم السلطة ، وايدولوجياتها ) تكون لدى البعض تعبيرا عن شيوع هذه الأساليب . وتبنت « برونشفيك » في هذا الصدد مفهوم النفور من الغموض الادراكي للاشارة به الى الأسلوب - الأساسي للشخصية التسلطية . ويعبر مفهوم النفور من الغموض عن العجز عن ادراك التغير في الأشكال الادراكية . وهناك عدة أساليب لقياس النفور من الغموض الادراكي منها الأسلوب الذي استخدمه « كاولتر » وهو عبارة عن اختبار يتكون من ثمانية أشكال لصورة كلب يتحول بالتدرج من كلب كامل ابتداء من الصورة الأولى الى قط كامل في الصورة الأخيرة ويطلب من الشخص أن يقرر اللحظة التي يتحول فيها الكلب الى قط . والافتراض الكامن في ذلك أن المرتفعين في النفور من الغموض يتعلقون بالرسم الاصلى للكلب ولا يستطيعون ادراك التحول الا في الرسوم الاخيرة (١٦) .

وترى « بروتشيك » أن هذا الأسلوب الإدراكي يشيع بين التسليطين والمتعصين كعبير عن العجز عن التعامل مع المواقف ذات الدرجة الكبيرة من التنوع والتعقيد . وهى ترى أن كثيرا من وظائف الشخصية التسلطية كالمجاراة والجمود ، والبحث عن اليقين التام والاتصاق ببعض المنبهات الإدراكية ، أو الاجتماعية ، والميل الى التكرارات الآلية والتمسك بمجموعة من الآراء الشخصية المفرطة فى التعميم ، والعيانية ، والقصور الذاتى .. كلها مظاهر تعبيرية لهذا الأسلوب : النفور من الفوض الادراكي (١٤) .

وتوضح دراسة أخرى قام بها الكاتب أن المحافظة التسلطية ترتبط بأسلوب آخر من أساليب الشخصية وهو التطرف ( ٤ ، ٢٠ ) . وقد استخدم مقياسا للتطرف هو شيوع استجابات التأييد أو المعارضة التامة على مقياس المحافظة فتبين وجود علاقة ايجابية مرتفعة بين الدرجة على مقياس المحافظة التسلطية وشيوع استجابات التطرف ، ولو أن ارتباط المحافظة التسلطية بتطرف التأييد كان أكبر بكثير من ارتباطها بتطرف المعارضة ( ٤ ) .

ويهتم البحث الذى سنشير الى نتائجه باستخلاص أساليب الشخصية المختلفة التى تشيع بين التسليطين باستخدام أساليب الاستجابة . وهذه الدراسة جزء من البحث السابق الذى أشرنا الى نتائجه عند الحديث عن الاصاله والابداع . والجزء الذى سنتناقشه هنا يتركز على مناقشة نتائج العلاقة بين المحافظة التسلطية وأساليب الاستجابة .

تضمن البحث ما يقرب من ٢٥ أسلوبا مختلفا من أساليب الاستجابة على عدد من مقاييس الشخصية لتقدير الوظائف الشخصية الآتية :

( ١ ) المجاراة فى مقابل المخالفة : ولتقدير هذا الأسلوب ، وضع الباحث استخبارا مكونا من ٤٠ فعلا تحتوى مجموعة من القيم ، والاهتمامات وبعض التصرفات اليومية مثل : تدخين السجائر ، الاستماع للموسيقى ، الحديث بصوت عال - مشاهدة المباريات الرياضية ... الخ ويطلب من المتطوع التعبير عن راحته أو عدم راحته فى حالة اختلافه مع الناس فى هذه الأفعال أو التصرفات ، ومقتضيات مواجهة هذا الاختلاف بمجاراة الناس ، أو تأكيد الاختلاف . وذلك بوضع إحدى العلامات الآتية أمام كل تصرف أو فعل :

+ ٢ إذا كان الشعور هو عدم الراحة في حالة الاختلاف مع الناس في هذا الفعل ، وأنه قد توقف عن القيام بهذا الفعل مجارة الناس .

+ ١ إذا كان الشعور هو القليل من عدم الراحة في حالة الاختلاف مع الناس في هذا الفعل ، لكن دون أن أتوقف عن القيام به .

- ١ إذا كان الشعور هو عدم الاهتمام بالاختلاف أو الاتحاق مع الناس في هذا الفعل .

- ٢ إذا كان الشعور هو الراحة لذلك ، وأنتى قد اندفع نحو الاكثار من القيام بهذا الفعل للتعبير عن راحتي في مخالفة الناس .

وتعبر الاجابة + ٢ و + ١ عن ازدياد مجارة الضغط الاجتماعى ، لأن - شيوع الاستجابة بهما يعبر بشكل ما عن الاحساس بالتوتر نتيجة الشعور بالاختلاف عن الناس . أما شيوع الاستجابة ب- ١ فيعبر عن الرغبة في الاستقلال . ويعبر شيوع الاستجابة ب- ٢ عن الميل الى المخالفة .

(ب) التطرف والاعتدال : ولتقدير هذا الاسلوب استخدمنا العدد الكلى للاستجابات المتطرفة الايجابية ( + ٢ ) والعدد الكلى للاستجابات المتطرفة السلبية ( - ٢ ) على مقياس الصداقة لسوف . وهو عبارة عن ٧٠ صفة يمكن أن تتوافر في بعض الناس ويطلب من الأشخاص المتطوعين أن يعبروا عن شدة رغبتهم أو عدم رغبتهم في وجود هذه الصفات لدى أصدقائهم . وتعبر شيوع الأحكام بأن هناك صفات لا بد من توافرها لقيام الصداقة بحيث لا يمكن قيام انصداقة بذكرها تعبر عن التطرف الايجابى . أما شيوع الاحكام بأن هناك صفات يجب ألا توجد ، وإذا وجدت فلا يمكن قيام الصداقة فيعبر عن التطرف السلبى . أما استجابات الاعتدال فيعبر عنها شيوع الأحكام بتحمل الصفات التى لا نرغب في وجودها بين أصدقائنا . وتدل بحوث « سوف » وتلامذته والباحثين في الخارج على أن هذا المقياس مقياس جيد للتطرف من حيث المواصفات السيكومترية من ثبات وصدق ( ٨ ، ٩ ) .

ومن الاستجابات المتطرفة التى استخدمت استجاباتها طرف التأيد ( + ٣ ) وتطرف المعارضة ( - ٣ ) على مقياس المحافظة التسلطية وتدلنا بحوثنا على أن

هناك قدر لا بأس به من الاتساق في شيوع الاستجابة بهذين الأسلوبين ، كما تشير الى وجود نسق معتدل من الشخصية ينظم هاتين الاستجابتين (٤) . كذلك استخدمت استجابتا + ٢ و - ٢ على نفس المقياس كاستجابتين للاعتدال الإيجابي والاعتدال السلبي على التوالي .

( ج ) عدم الحسم : ولقياس أسلوب الميل الى عدم الحسم استخدمنا عدد المرات التي يجب بها الشخص على مجموعة من مقاييس الشخصية بلا أعرف . وتشير النتائج الى وجود اتساق في الاجابة بلا أعرف على مقاييس الشخصية لدى البعض كعلامة على عدم الحسم ( ١ ) .

( د ) طرف الحكم وطرف الثقة في الحكم : لتقدير التطرف في الحكم استخدم الباحث مقياس « الاحتمالات » لبريم ( ٢١ ) ويتكون - المقياس من ٥٠ عبارة تتضمن كل عبارة حكما غامضا ويطلب من الشخص أن يقدر احتمال حدوث هذا الحكم بنسبة مئوية تتراوح من صفر / ١٠٠ الى ١٠٠ / ١٠٠ . وكلما ازدادت النسبة التي يتصورها الشخص كلما كان ذلك دليلا على تطرف الحكم .

وفيما يلي مثال من احد عبارات المقياس :

— ان الاحتمالات أن يسكن اشتغال النساء في القضاء في فترة قريية في مصر هي بنسبة .....٪

ويطلب من الشخص بعد وضع الاستجابة الملائمة كما يتصورها أن يحدد مدى ثقته في حكمه على أساس الثقة الآتية :

— متأكد جدا من هذا الحكم — متأكد — بين بين — غير متأكد — غير متأكد بالمرّة .

وتعتبر الاستجابة « بمتأكد جدا » عن طرف الثقة في الحكم ، أما استجابة « غير متأكد بالمرّة » فتعبر عن التطرف السلبي في الثقة . وقد استخدمت استجابة « بين بين » كتميراعن الاعتدال . وتوضح معاملات ثبات هذا الأساليب عن وجود درجة لا بأس بها من الاتساق في استخدام هذه الاستجابات بشكل يساعد على القيام بالمقارنات الواعية الملائمة لأغراض البحث .

(هـ) اتساع مدى الحكم : يوضح يتيجرو أن هناك ميلا متسقا بين وجوده لدى بعض الأشخاص في استخدام مدى متسع من الحكم في مقابل البعض الآخر ممن يميل مدى حكمهم الى الضيق والاقتراب من المتوسط . وقد وضع « يتيجرو » (د) مقياس اتساع فئة الحكم Category width (C.W.) لتحديد الفروق الترددية في هذا الأسلوب . وهو يتكون من عشرين عبارة ، كل عبارة منها تبدأ بمتوسط عام لعدد أو مجموعة من الظواهر أو الأشياء ، ويطلب من الشخص أن يختار من بين مجموعة من الأحكام ، أكبر قدر ممكن أن ترد به الحالات الترددية التي يجمعها هذا المتوسط . وأقل قدر ممكن أن ترد به هذه الحالات .

مثال :

يقدر علماء الطيور سرعة طيران الطيور ١٧ مترا في الساعة فما هو في تقديرك:

(أ) سرعة أسرع طائر ( بالتر في الساعة ) :

٢٥ — ١٠٥ — ٧٣ — ٣٤

(ب) سرعة أبطأ طائر ( بالتر في الساعة ) :

١٠ — ٢ — ١٢ — ٥

ويعطى المقياس درجتين : الأولى لتقدير اتساع الفئة ويكون بتحويل الأحكام في الجزء ( أ ) من كل عبارة الى درجات موزونة تبدأ من (٤) وتنتهي الى (١) فيحصل الحكم الأكثر اتساعا على ٤ درجات . وهكذا بالتدرج التنازلي حتى ١ بحيث يشير ارتفاع الدرجة الى اتساع مدى الحكم . أما الدرجة الثانية فتقدير ضيق مدى الحكم وتكون بتحويل الأحكام في الجزء « ب » من كل عبارة الى درجات موزونة أيضا من ٤ : ١ فيحصل الحكم القليل جدا على ٤ درجات وتتناقص الدرجة الموزونة تدريجيا بزيادة مدى الحكم بحيث يشير ارتفاع الدرجة الى ضيق مدى الحكم .

وتوضح الدراسات أن الميل الى استخدام مدى واسع من الحكم ( اتساع الفئة ) أو استخدام مدى ضيق ( ضيق الفئة ) كلاهما يعبر عن وظيفة واحدة هي المجازفة ( بالاستبعاد في حالة ضيق الفئة ، وبالتضمن في حالة اتساع الفئة )

وذلك في بحثي « كوجان » و « والاش » Kogan & Wallach عن السلوك المجازف<sup>(١)</sup> (٢١) . وقد وضع جانب من دراستنا للشخصية الابداعية (٥) أن استجابتي ضيق الفئة ، واتساع الفئة يرتبطان معا ارتباطا ايجابيا فضلا عن تشبيهما معا وفي اتجاه واحد على عامل للمجازفة بالحكم . وتتفق هذه النتيجة مع نفس التصور الذي وضعه كل من « كوجان » و « والاش » ، وتتفق كذلك مع تصور « يتيجرو » من أن كلا السلوكين يعبر عن المجازفة بالتسامح مع أخطاء الحكم (Ibid) . لهذا يبدو لنا معقولا أن اتساع الفئة أو ضيقها يعبران عن المجازفة في تقدير الفرد لتسامحه الخاص مع موقف غير يقيني ( أى موقف لا يوجد فيه من اليقين ما يساعد على اتخاذ قرار خاص ) .

( و ) أسلوب للأصالة الظاهرة<sup>(٢)</sup> : وضع الباحث مقياس الأصالة الظاهرة وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة يجاب عنها بـ « نعم » أو « لا » ، وتعتبر الدرجة المرفقة لمضمون هذا المقياس عن اتجاه السلوك الابداعي الظاهري للفرد في الميل الى التحرر من التقليدى ، والشائع وتأكيد الذات والاختلاف والتميز والبعد عن المحاكاة ، والنفور من الخضوع للضغط الاجتماعي ، وتقديره بين الآخرين ... الخ .

هذا عن درجة المضمون ، وهناك درجة أخرى يمكن الحصول عليها من هذا المقياس وهى التى تمثنا بصدد الحديث عن أسلوب الاستجابة فبعد اجابة كل بند من الاستخبار ، يطلب من الشخص أن يحدد النسبة المئوية ( من نفس جماعته ) ممن يعتقد أنهم سيجيبون بنفس اجابته على العبارة ، وذلك بأن يختار نسبة من النسب الموضوعة تحت كل عبارة يعتقد أنها أقرب ما تكون تميرا عن هذا الاتفاق :

مثال :

إذا كنت رأيا عن شيء من الأشياء ... فانه لا يزعجنى أن أجد أن الغالبية العظمى من الناس على رأى مختلف .

لا أعرف

لا

نعم

• (1) Maderator analyses

(2) Risk behavior.



بعد الاجابة على العبارة يطلب من الشخص أن يقدر النسبة المتوقعة المتوقعة  
للأشخاص الذين سيجيئون نفس اجابته باختيار نسبة من النسب الآتية :

١ - من صفر :  $\frac{1}{20}$

٢ - ٢٠ :  $\frac{1}{40}$

٣ - ٤٠ :  $\frac{1}{60}$

٤ - ٦٠ :  $\frac{1}{80}$

٥ - ٨٠ :  $\frac{1}{100}$

وبالطبع لا يتجه اهتمامنا بالنسبة للجزء الأخير من التقدير الفعلي للنسبة  
المتوقعة لمن سيتقنون معه في الاجابة ، بل يتجه الى أسلوب الشخص في تصور  
هذا الاتفاق . اذ يبدو أن هناك ميلا متسقا لدى بعض الأشخاص للبحث عن  
تأييد الآخرين ، أو عن احتوائهم ، أو الرغبة في الانتماء اليهم ، ويبدو أن هذا  
الميل ينعكس في تصور أن نسبة كبيرة من الأشخاص يتقنون معنا في أحكامنا .

ولتصحيح هذا الجزء تحول اجابة الشخص باختيار احدى فئات النسب  
السابقة الى درجة موزونة تتراوح من ١ : ٥ فيحصل الشخص على درجة واحدة  
اذا اختار الفئة الخامسة (  $\frac{1}{100}$  ) وعلى ٢ اذا اختار الفئة الثانية (  $\frac{1}{80}$  )  
وعلى ٣ اذا اختار الفئة الثالثة (  $\frac{1}{60}$  ) وعلى ٤ اذا اختار الفئة الثانية  
(  $\frac{1}{40}$  ) وعلى ٥ اذا اختار الفئة الأولى ( صفر :  $\frac{1}{20}$  ) ومن الواضح  
أن زيادة الدرجة في هذا الأسلوب تعبر عن تحمل اختلاف الآخرين ، أو تحمل  
عدم اتفاقهم معنا . وتوضح التبعات العاملة لهذا الأسلوب أن شيوع الميل  
بتصور وجود نسب ضئيلة من الناس تتفق معنا يعتبر أكثر تعبيرا عن الاستعداد  
للأصالة في اتجاه تحمل الاختلاف ، استقلال الآخرين دون تضمينهم في الذات .

نعود فنوجز انقول بعدد اختيارنا لمقاييس أساليب الاستجابة . فلقد اخترنا  
تلك المقاييس بهدف تحديد أساليب التفاعل الشخصية الأساسية لدى التسليطين  
كما تتكشف في أساليب الاستجابة السابقة . وسرى ما اذا كان شيوع هذه  
الأساليب له منطق عام يتنظمه . وللتحقق من ذلك اخضعت البطارية الكلية في  
البحث للتحليل العاملي بهدف الوصول الى العوامل التي تنظم العلاقات المستقيمة

بين المقياس ومقاييس أساليب الاستجابة • وكذلك أجريت تحليلات أخرى بهدف تتبع العلاقة فيما بعد العلاقات المستقيمة • فهل تحتفظ التسلبية بعلاقاتها بأساليب محددة من الاستجابات مهما تغيرت الشروط ، أم أن أساليبها تختلف باختلاف تلك الشروط • لهذا قمنا بعدد من التحليلات الصغية *Moderator analyses* ويقصد بالتحليلات الصغية في هذا السياق دراسة العلاقات الارتباطية المستقيمة في ضوء عدد من الشروط المختلفة للملاحظة جوانب التشابه أو الاختلاف التي تطرأ على تلك الارتباطات • وبالطبع فإن التغيرات التي قد تطرأ ستكون وظيفة لتلك الشروط الجديدة التي تم في ضوءها التحليل • وتسمى تلك الشروط الجديدة شروطاً صغية للإشارة إلى جوانب التأثير التي تطرأ على العلاقات المستقيمة نتيجة لاقامة تلك الشروط •

وقد أوضحت نتائج التحليل العاملي أن مقياس المحافظة التسلبية قد تشبع في عينة الذكور (  $N = 195$  ) على عامل تشبعت عليه أيضاً الأساليب الآتية في نفس الاتجاه :

- ١ - أسلوب طرف التأييد على مقياس المحافظة ( + ٣ ) •
- ٢ - التطرف الايجابي على مقياس الصداقة ( + ٢ ) •
- ٣ - التطرف السلبي على نفس مقياس الصداقة ( - ٢ ) •

وتشبع - في اتجاه مختلف للمقياس - على هذا العامل ، الأساليب الآتية :

- ١ - الاعتدال المنبئ على مقياس الصداقة ( - ١ ) وشيوع هذه الاستجابة يعبر فيما يبدو عن قبل صفات وخصائص موجودة لدى الأصدقاء بالرغم من رفضنا لها ) •

- ٢ - استجابات عدم الحسم ( أى شيوع الاستجابة بلا أعرف على عدد من استجابات الشخصية ) •

- ٣ - أسلوب الاستجابة على مقياس الأصالة الظاهرة كمقياس لتحمل اختلاف الآخرين •

ويشير المنطق العام لهذه التشبعات - فيما هو واضح - إلى تأكيد شيوع عدد من أساليب الاستجابة بصورة متسقة لدى التسليطين • وإذا ما أعدنا النظر

الى نمط - تشبعت تلك الاستجابات لكي نحاول أن نتبين ما اذا كان هناك منطق خاص ينتظمها ، فانا من اليسر أن نلاحظ أن الأساليب التي تشبعت في اتجاه مقياس المحافظة التسلطية تتضمن التعبير عن شدة مقاومه التغيير ، والعجز عن ادراك التغير ، أو التعامل معه بينما تعبر الأساليب التي تشبعت في اتجاه مختلف عن غياب نسبي لهذه الوظائف . وتتفق هذه التسمية مع ما تصورته «برونشفيك» من شيوع بعض الأساليب المحددة لدى التسلطين ، ومن أهمها النفور من الغموض الادراكي كتعبير عن العجز في ادراك - التغير في الأشكال الادراكية .

أما كيف تبدو استجابات الاعتدال ، وعدم الحسم ، وأسلوب الاستجابة على مقياس الاصاله الظاهرة معبرة عن عملية معارضة للأسلوب التسلطي القائم على مقاومة التغيير والعجز عن ادراكه أو التعامل معه فيحتاج لقدر من امعان النظر . فارتفاع الدرجة في الاعتدال السلبى على مقياس الصداقة يشير ظاهريا الى أن - الشخص لا يستحسن وجود بعض الصفات أو الخصائص فيمن يعاشره ، ولكنه يستطيع في نفس الوقت تحملها فيهم : أى أنه شخص قادر على التعايش مع الاختلاف ، واحتماله دون الانفلاق على مجموعة خبراته أو تصوراته .

ومن المرجح أن أساليب عدم الحسم تعبر في جزء من أجزائها عن نفس التصور ولكن في تصور الذات . أى قدرة الشخص على مواجهة بعض خصائصه الشخصية بنوقف من الشك وعدم اليقين ، وتحمل أجزاء كبيرة من الذات بشكلها الغامض ، دون غلق (١) قهرى . هذا الغلق الذى توضح بحوث «برونشفيك» أنه أساس في وصف العملية التسلطية بما يتركه من آثار تحد من التعقد المطلوب للتكيف .

أما ارتفاع أسلوب الاستجابة على مقياس الاصاله الظاهرة فهو يعبر أيضا عن نفس الوظيفة المعارضة للتسلط . ذلك لأن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تعنى - بحسب التصور الذى وضعت له - ان الشخص يبذل الى تصور ان نسبة ضئيلة من الناس هي التي تتفق معه في الرأي ، وأن النسبة الكبيرة لاتتفق . وإذا صحت الوظيفة السيكلوجية التي نسبناها لهذا الأسلوب فان ارتفاع هذه الدرجة يعبر بالفعل عن تحمل الاختلاف في الآخرين والتشجيع عليه . . . . وهي عملية

---

(1) Closure.

تعارض مع التصور التسلطي للواقع • ولعل هذا ما يبرر التشبع المختلف لهذه الدرجة على هذا العامل •

أما بالنسبة للآفات ( ن = ٢١٠ ) فقد بين التحليل العامل أن مقياس المحافظة التسلطية يتشبع على عاملين :

العامل الأول : يتشبع فيه المقياس تشبعا ايجابيا في اتجاه الأساليب الآتية :

- ١ - اعتدال التأيد التسلطي •
  - ٢ - التطرف الايجابي على مقياس الصداقة •
  - ٣ - تطرف التأيد على مقياس التسلطية •
  - ٤ - استجابة المجارة على مقياس المجارة •
- ويتشبع في اتجاه معارض للاستجابات الآتية :
- ١ - اعتدال المعارضة على مقياس المحافظة •
  - ٢ - استجابة عدم الاهتمام على مقياس المجارة •
  - ٣ - استجابة الاعتدال الايجابي على مقياس الصداقة •
  - ٤ - استجابة عدم الاهتمام على مقياس الصداقة أيضا •
- وقد أطلقنا على هذا العامل : عامل تأكيد الجمود الاجتماعي •

أما بالنسبة للعامل الثاني ، فإن تشبع الدرجة على المقياس يسير في نفس اتجاه تشبع الأساليب الآتية :

- ١ - تطرف التأيد •
  - ٢ - تطرف الثقة في الحكم ( على مقياس الاحتمالات ) • وفي اتجاه معارض للاستجابات الآتية :
- ١ - الاعتدال السلبي على مقياس الصداقة •
  - ٢ - بين بين ( على مقياس الاحتمالات ) •
  - ٣ - استجابة المجارة على مقياس المجارة •

وعلى أية حال ، فمن الجلي أن نمط التشبعات على العاملين الأول والثاني يشير الى أن هناك أسلوبا من الشخصية تنظم المحافظة السلطية من خلاله لدى الاثالث وهو يختلف جزئيا عن الذكور وهو تطرف المحافظة . أى التطرف في المواقف الخضوعية ، ومواقف الضغط الاجتماعي . أما تقيض هذا الأسلوب فهو الاتجاه للاعتدال . فأساليب اعتدال الشخصية لدى الاثالث بهذا المعنى تشكل عملية معارضة للخلق التسلطى .

### ثالثا : التفاعل الاجتماعي والشخصية

من أحد المنظورات التي يمكن بها النظر الى المحافظة السلطية أنها تنظيم معقد من تنظيمات الشخصية ساعدت على تشكيله مواقف من التفاعل الاجتماعي بيئة لها خصائصها المميزة . وبالرغم من عدم وجود ما يشير الى تحديد تلك الخصائص أو أنماط التفاعل التي تساعد على تشكيل الخلق التسلطى ، فإن الدراسات القليلة التي قام بها الباحث في هذا المجال يميل الى تأكيد تلك الحقيقة بشكل عام .

وقد بدأ تنبهنا لتأثير التفاعل الاجتماعي في بحث عام ١٩٦٨ ( ١ ) عندما لاحظنا وجود علاقة ايجابية بين المحافظة السلطية ، وتضخيم الذات . وكان الفرض الذي قدم لتفسير ذلك أن المبالغة في تقدير الذات تكون نتيجة لارتفاع المركز الاجتماعي الذي تقيمه الجماعة السلطية لأفرادها خاصة عندما يزداد تمسكهم الايجابي بالقيم السلطية للجماعة . وقد تأكد هذا الفرض بدراسة تجريبية ( ١ ) تمت من خلالها المقارنة بين الجماعة السلطية ( أى الجماعة التي يرتفع متوسط درجات أفرادها في المقياس ) والجماعة غير السلطية من حيث تقبلهم أو رفضهم للأفراد التسلطين فيهما . فقارنا بين مجموعة من طلاب إحدى الفرق الدراسية في جامعة الأزهر ممن يرتفع متوسط درجاتهم على مقياس المحافظة السلطية ومجموعة مماثلة من طلاب كلية الآداب ، من حيث خضوعهم للاختبارات الايجابية كأصدقاء من بين زملائهم ( باستخدام مقياس سوسيومترى ) . فبين أن ذوى الدرجات المرتفعة قد حصلوا على اختبارات ايجابية أكثر من أصحاب الدرجات المنخفضة في البيئة السلطية . وبهذا أمكن تفسير ميل التسلطين في الجماعات السلطية لتضخيم الذات بأنه وظيفة المركز الاجتماعي الذي تضفيه الجماعة السلطية على أفرادها .

ويمكن ربط هذه النتيجة باطار عام آخر من النتائج التى ظهرت فى الولايات المتحدة عن العلاقة بين التسلطية والتوافق (٢٣) •

فقد تضاربت النتائج فى اتجاه يكشف عن غموض العلاقة بين التسلطية والتوافق • بصورة جلت «ماكلاند» ينصح بأنه يحسن لعالم النفس الا يستخدم مفاهيم كعدم التوافق ، أو المرض فى وصف قيم الاشخاص من هذا النمط • أى أن الأشخاص فى جماعة دينية مثلا عندما يتبنون اتجاهها دينيا محافظا فانهم متركزين - حول الواقع •

وفى هذا الاطار أجرى الباحث دراسة للتحقق من الفرض بأن الدرجة على مقياس المحافظة التسلطية تزداد فى الجماعات المتخصصة فى الدراسات الدينية ، وتقل أو تعادل فى الجماعات الأخرى ( ١ ) ، وعلى هذا فقد قمنا بالمقارنة بين درجات خمسين طالبا من طلاب إحدى الفرق الدراسية بجامعة الأزهر ، وعينه ضابطة مساوية من طلبة إحدى الفرق الدراسية المشابهة فى كلية الآداب بجامعة القاهرة • وقد روعى التكافؤ بين الجماعتين من حيث التفرقة الدراسية والعمر ، والجنس •• فتأيد الفرض فى اتجاه يشير الى ارتفاع طلاب الأزهر بدرجة دالة احصائيا عند مستوى ٠.٠٠١ • ولو أن - الجماعتين كانتا ترتفعان معا عن المتوسط المطلق للاختيار • وقد لوحظ أيضا ان الانحراف المعيارى لعينة الآداب يرتفع عن عينة الأزهر • وقد امكن تفسير هذا فى ضوء ديناميات الجماعة التسلطية • فالجماعة التسلطية لاتسمح فيما يبدو بتطرفات كثيرة فى للرأى • أى أنها تقوم بدور ضاغط فى تحديد اتجاهات افرادها لكى يتبوا قيما تدور حول الانتاج العام للجماعة فى وهو مالا يمكن ملاحظة فى مجموعة منخفضة كمجموعة الآداب حيث لاتوجد اتجاهات شائعة لها ندفعها الى تأكيد اتجانس : أو الضغط • وبهذا يرتفع التشتت الاحصائى فى جماعة من هذا النوع •

وزداد ارتفاع طلاب الأزهر فى المضمرن الايديولوجى ، ولا يرتفعون الا ارتفاعا ضئيلا فى البناء المعرفى ، ربما لأن المضمرن الايديولوجى اقرب تعبيرا عن المعايير الدينية لطلبة الأزهر •

ويشكل العامل الجنسى عنصرا آخر يجب التنبه له فى بحوث الاتجاهات

والشخصية لهذا احتلت الفروق الجنسية في المحافظة التسلطية اهتمام الباحث  
بناء على الفرض الآتي :

« ان الموقف الاجتماعي ، أو الظروف الاجتماعية لأي من الجنسين في  
مجتمعتنا تؤدي الى تشكيل نمط مختلف من أنماط التفاعل الاجتماعي » يؤدي  
بدوره الى فروق عامة في السمات الشخصية واتجاهات كل من الجنسين . ومن  
أحد مظاهر هذا الاختلاف الفروق في الشخصية التسلطية . ومن المرجح أنه  
تكون عمليات التطبيع الاجتماعي هي المسئولة عن الفروق الأساسية بين الذكور  
والإناث في مقاييس الشخصية أو الاتجاهات . أما الحديث عن أسباب بيولوجية  
فنفترض أنه أمر سابق على أوانه ، طالما أنه لم يمكن بعد ضبط عامل التطبيع  
الاجتماعي . ولما كانت أصاليب التطبيع الاجتماعي تشجع الذكور على الاختلاف  
والتميز ، ولا تشجعها لدى الإناث (٢٧) ، فانتا تتوقع ارتفاع الإناث عن الذكور  
في المحافظة التسلطية . ومن إحدى الدلائل على هذا ما تبينه بعض البحوث المطية  
من أن الإناث في مجتمعتنا يرتفعن عن الذكور في بعض المتغيرات المماثلة كالتوتر  
وتطرف الشخصية ( ٨ ، ٩ ) ويبدو لنا بالرغم من عدم وجود دلائل مباشرة  
سابقة لتفسير الفرق بين الذكور والإناث في مجتمعاتنا في المحافظة للتسلطية يبدو  
لنا أن مجتمعاتنا الشرقية تقدم فرصا أكبر للذكور من الإناث لتنمية الاستقلال،  
وتأكيد الذات ، وتشجيع الاختلاف ويمكن أن ينعكس هذا في الأداء على اختبارات  
المحافظة التسلطية .

وقد أجرينا بهذا الصدد بحثين ، بهدف المقارنة بين الذكور والإناث على  
مقياس المحافظة التسلطية ، من ناحية والفروق بينهما في تنظيم الشخصية التسلطية .  
وقد تبين بالفعل في إحدى هذه الدراسات أن متوسط الإناث أعلى دائما  
من الذكور على مقاييس المحافظة التسلطية ، والتصلب ، والنفور من الفموض .  
وقد بلغ الفرق بين الجنسين في إحدى الدراسات (٢٠) درجة الدلالة الاحصائية  
عند مستوى ٠.٠٥ أو أقل على مقياس المحافظة التسلطية .

كما لوحظ بالنظر الى نتائج الدراستين أن المحافظة التسلطية تختلف دلالاتها  
الشخصية بين الذكور عن دلالاتها بين الإناث . ففي مجموعة الإناث وجدنا  
أن المقياس يرتبط ارتباطا ايجابيا دالا عند مستوى ٠.٠١ مع مقاييس التصلب ،

والنفور من الفموض ، والتطرف التسلمى ( تطرف التأيد باستخدام + ٣ ) ،  
وسلبيا بتطرف المعارضة ( باستخدام - ٣ ) • أما في عينة الذكور ، فإن هذه  
الخصائص النموذجية للمحافظة التسلمية قد أخذت شكلا مختلفا فظهرت  
العلاقة بالتصلب عند درجة دلالة أقل ( عند مستوى ٠.٠٥ فقط ) في الدراسة  
الأولى ( ٤ ) واختفت العلاقة بالتصلب في الدراسة الثانية ( ٢٠ ) ، وكذلك اختفت  
العلاقة الدالة بالنفور من الفموض •

وتكشف هذه الحقيقة عن أن الوظيفة السيكولوجية للمحافظة تختلف  
بأختلاف الجنسين فهي عند الاناث تكون تأكيداً أكثر لعوامل التصلب ، والنفور  
من الفموض ، ولا تكون لها هذه الدلالة بنفس القوة في عينة الذكور •

وقد تدعمت هذه الحقيقة في دراسة ثالثة ( ٢٠ ) • ويبدو أن ارتباط المحافظة  
بالتسلمية يتصلب الشخصية لدى الاناث له ما يبرره في ضوء التوقعات ،  
والتصورات الاجتماعية عن دور المرأة في مجتمعا • فالمحافظة والتصلب كليهما  
يتسق مع التصورات عن دور المرأة لهذا يكون ارتباطهما مرتعا • أما بالنسبة  
للذكور فإن تصلب الشخصية يتبلور كوظيفة مستقلة عن المحافظة •

وقد أدت هذه الحقيقة بنا الى استنتاج عدد من التصورات عن طبيعة الفروق  
بين الجنسين ومنشؤها • وقد خضعت هذه التصورات للبحث التجريبي • من  
هذه التصورات أن المحافظة التسلمية وتصلب الشخصية عند الاناث ما هما الا  
مسايرة للدور الاجتماعي ، والتوقعات التي يرسمها المجتمع لتصرفات المرأة ،  
لهذا فمن المتوقع أن تكون التسلمية لدى المرأة ذات منشأ اجتماعي • أما بين  
الذكور ، فإن الدور الاجتماعي لا يكون ضاعطا في اتجاه التسلمية والتصلب  
بل أن عمليات التطبيع الاجتماعي للذكور - كما أوضحنا - تشجع على  
الاستقلال النسبي ، وتشجعهم أيضا على الاختلاف والتميز ، لهذا فإن من  
المتوقع أن تكون تسلمية الذكور أكثر تميزا عن دور العوامل السيكولوجية ،  
أي أنها تكون ذات منشأ نفسي •

ومن الدلائل التجريبية الاضافية على هذا أن بعض نتائج بحث لنا عن  
الفروق الجنسية في علاقة المحافظة التسلمية بالشخصية والابداع ( ٥ ) قد بينت



أن المحافظة التسلطية ترتبط ارتباطا سلبيا بعدد من اختبارات الأصالة ، وتصل الارتباطات الى درجة الدلالة الاحصائية في بعضها ، أما بين الاناث فان هذه العلاقة قد اختفت أى ان الابداع يمكن أن يظهر لدى الاناث مستقلا عن عوامل التصلب والمحافظة ، بينما تشكل المحافظة التسلطية لدى الذكور عملية معارضة للابداع . ومثل هذه النتيجة تعتبر برهانا غير مباشر على المنشأ الاجتماعى للتسلطية لدى الاناث . فاختفاء عامل الشخصية ( كما يظهر في غياب العلاقة الارتباطية بالابداع ) يشير الى زيادة في وزن العوامل الاجتماعية .

ومن جهة أخرى تبين في جزء من نفس الدراسة ، أن المحافظة التسلطية لدى الاناث لا ترتبط بالتوتر « كما يعكس في مقدار الاستجابات المتطرفة » وذلك بعكس ما هو وارد بين الذكور أى أن ظهور المحافظة التسلطية لدى الاناث يستقل عن المتغيرات الشخصية الحاسمة في تشكيل الخلق التسلطى لدى الذكور ، ولا تكون الا تعبيرا عن مساهمة الدور الاجتماعى الذى تحكمه التوقعات الاجتماعية الضاغطة .

وتساعد هذه النتيجة على تفسير بعض الظواهر المتناقضة التى لاحظناها عند تطبيق مقاييس الأصالة الابداعية والتصلب والمحافظة لدى الذكور ولدى الاناث . ولقد كان من المنطقى مع توقعاتنا النظرية ونتائج البحوث السابقة أن نجد تعارضا بين الأصالة الابداعية والمحافظة . فقد وجدنا أن هذا التعارض يظهر بين الذكور ولا يظهر بين الاناث . وقد بدا لنا عدم ظهور هذا بين الاناث في البداية نوع من التناقض ، غير أن من المنطقى بناء على التوسم السابق أن يستقل ظهور المحافظة التسلطية لدى الاناث عن العوامل الشخصية ، طالما أنها تعبر عن مساهمة الدور الاجتماعى .

## خلاصة بالنتائج العامة

تم وضع مقياس المحافظة السلطية لتقدير الفروق الفردية في اتجاهات التعلق المتصلب بالموث ، والفروق في قوة هذه الاتجاهات . ويمبر شيوع هذا النوع من الاتجاهات عن ارتفاع المظاهر الايديولوجية والمعرفة والميابة المختلفة لبعض المعايير العامة المتصلة للمجتمع أى السلطة الاجتماعية بشكل عام .

وقد بين التحليل العاملى ان هناك أربعة عوامل تنظم الاتجاهات السلطية هى : الميل العام للمحافظة ، والرفض السلطى للواقع ، والخشونة ، والميل للادانة والمدوان .

أما دراسة المتعلقات الشخصية للاتجاهات السلطية فقد كشفت عن وجود منطق من الشخصية ينظم الاتجاهات . وقد أمكن تحديد ثلاثة جوانب من الشخصية تساعد على تحليل الفروق في الاتجاهات السلطية هى :

١ - جوانب مزاجية واقعية تشير الى الوظيفة الانفعالية للسلطية .

٢ - جوانب معرفية تشير الى الأساليب الخاصة بنظم الادراك والمعرفة ، والحكم ، والتفكير المميزة للسلطين .

٣ - جوانب أسلوبية تشير الى الطريقة التى يتم بها التعبير عن الجوانب المزاجية والمعرفية .

وقد بينت نتائج البحوث فى النقاط السابقة عن وجود مظاهر من السلوك تنظم الخلق السلطى من أهمها :

١ - من الناحية المزاجية الدافعية ارتبطت السلطية بالتصلب الوجدانى ، وتضخيم الذات ، والعجز عن التحكم فى التقلبات الوجدانية .

٢ - من الناحية المعرفية ارتبطت السلطية بكثير من عناصر التصلب كتمير عن عجز السلطين عن التشكل ، والتكيف للمواقف العقلية الجديدة . كذلك

تثبتت التسليطة تشبهاً سلبياً على عدد من العوامل الخاصة بالاصالة والتفتح الابداعي . وقد أضافت هذه النتيجة بعداً آخر من أبعاد تحليلنا للبناء المعرفي التسليطي فقد بينت لنا أن التسليطين يعجزون عن التعامل مع المواقف العقلية الجديدة كما أنهم يعجزون عن تنظيم عناصر المعرفة المتاحة، لمواجهة المواقف العقلية بشئ من الكفاءة والنجاح .

٣ - من ناحية الأسلوب ، تبين شيوع كثير من أساليب الاستجابة لدى التسليطين من أهمها التطرف ، وعدم تحمل الاختلاف في الآخرين ، وقد كشف أسلوب التطرف بشكل خاص عن أهميته في فهم أسلوب الشخصية لدى التسليطين فقد تبين أن هناك نوعاً من التطرف هو الذي يسود لدى التسليطين دون غيره من أنواع التطرف الأخرى وهو تطرف التأييد كميّاس للتقبل الشديد للأشكال التسليطية من السلوك ، وكذلك استجابات التطرف على مقياس الصداقة كميّاس لتوتر الشخصية ولم تبين أى نتائج دالة فيما يتعلق بأسلوب تطرف الرفض ، أو تطرف الحكم .

وقد عبر شيوع الأساليب السابقة لدى التسليطين ، عبر مرة أخرى عن عجزهم في ادراك التغير ، أو تقبله .

ويهتم الجزء الأخير من التقرير ببعض النتائج الخاصة بتأثير التفاعل الاجتماعي على السلوك التسليطي ، وتبين بصدد هذه النقطة أن هناك بعض أنماط التفاعل تساعد على زيادة السلوك التسليطي . فالجماعات الدينية تزداد فيها الميول التسليطية عن الجماعات غير الدينية ، كما أنها تضيّق مركزاً اجتماعياً على أفرادها التسليطين أكثر من غير التسليطين ، مما يؤدي إلى زيادة تضخم الذات لدى الأفراد التسليطين في الجماعة التسليطية : كما تبين أن الجماعة التسليطية تقوم بدور ضاغط في تحديد اتجاهات أفرادها ، أى أنها لا تسمح بتطرفات كبيرة في الرأي .

ويؤثر التفاعل الاجتماعي على السلوك التسليطي بطريقة أخرى تبدى في القروق الجنسية في التسليطية . فقد تبين أن الاناث يرتفعن عن الذكور في المحافظة التسليطية ، وقد اتخذنا هذه النتيجة كعلامة على أن التوقعات الاجتماعية عن الدور الانثوي ، والظروف الحضارية العامة تساعد على تشكيل نمط من التفاعل يؤدي

بموره الى تلك الفروق العامة في الشخصية . وتبين كذلك أن السلطة لدى  
الاناث يزداد ارتباطها بالتصلب والنفور من القموض كتعبير أيضا عن دور العوامل  
الاجتماعية لا في الارتضاع أو الانخفاض العام على مقياس المحافظة السلطوية بل  
وأيضا في الوظيفة التي تقوم بأشباعها .

ويوحى مستقبل البحث في هذا المجال بإمكانيات ثرية على المستويين النظري  
والتطبيقي . ولا تزال بعض الجوانب تحتاج لمزيد من الدراسة قبل القيام بوضع نظرية  
متكاملة عن الشخصية المحافظة ، دينامياتها وتشكلها . ولعل أهم الجوانب التي  
تحتاج لمزيد من البحث : أساليب التنشئة ، والآثار العامة التي يتركها شيوع  
السلطوية على أنماط التفاعل الاجتماعي . ويبدو هذان الجانبان على أهمية خاصة  
بالرغم من أنه قد تكشف جوانب أخرى كثيرة .

## الراجع

### أولا : المراجع العربية

- ١ - إبراهيم ، عبد البتار ، **ديناميات العلاقة بين التسلطية وقوة الإناء** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ غير منشورة .
- ٢ - \_\_\_\_\_ ، **التسلطية وقوة الإناء** . في قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ، إشراف لويس كامل مليكة ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، المجلد الثاني ١٩٦٨ .
- ٣ - \_\_\_\_\_ ، **البناء المعرفي والمضمون الابدولوجي للتسلطية** : نحو مقياس جديد للتسلطية ، **المجلة الاجتماعية القومية** ، ١٩٧٢ ، مجلد ٩ ، ص ٦٧ : ٩٤ .
- ٤ - \_\_\_\_\_ ، **بعض متعلقات الجود المعنادي** ، **مجلة الصحة النفسية** ، مجلد ١٣ ، عدد ٧ ، المدة السنوى ١٩٧٢ .
- ٥ - \_\_\_\_\_ ، **الأصالة وعلاقتها بأسلوب الشخصية** : كما يتكشف في عدد من أساليب الاستجابة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .
- ٦ - \_\_\_\_\_ ، **الدوافع الشخصية للإبداع** ، في **السلوك الإنساني** : نظرة علمية ، تأليف عبد البتار إبراهيم وآخرين ، القاهرة : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٤ .
- ٧ - \_\_\_\_\_ ، **البناء المعرفي لمقياس التسلطية** ( غير منشور ) .
- ٨ - سويف ، مصطفى ، **أطار أساس للشخصية** : دراسة حضارية مقارنة على نتائج التحليل المعامل ، **المجلة البحثية القومية** ، مجلد ٥ عدد ١ ، ١٩٧٢ .
- ٩ - \_\_\_\_\_ ، **التطرف كأسلوب للاستجابة** : القاهرة : الأنجلو ، ١٩٦٧ .
- ١٠ - فرغلي ، محمد ، **سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب الاستجابة** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ١١ - ماكوي ، اليانورا ، **القدرة العقلية للمرأة ومتطلبات العلم** ، ترجمة ملاك جرجس ، **مجلة العلم والمجتمع** ، الطبعة العربية اليونسكو ، العدد الخامس ١٩٧٢ .

## (ب) الراجع الانجليزية

12. Adorno, T.W. et al., *The Authoritarian Personality*, New York : Harper, 1950.
13. Brunswik, E.F., Dynamic and Cognitive Personality organisation as seen through the interviews, In T.W. Andorno et al *The Authoritarian Personality*, New York : Harper, 1950.
14. ———, Further Explorations by a contributor to the "authoritarian Personality", In R. Christie et al. (eds). *Studies in the scope and Method of the "Authoritarian Personality"*, Illinois : Free Press, 1954.
15. Cattll, R.B., *The Scientific Analysis of Personality*. London : Penguin, 1970.
16. Eysenck, H.J., *The Psychology of Politics*, London : Kegan Paul, 1968.
17. Festinger, L. The Motivating Effect of Cognitive dissonance, In R.J.C. Harper et al. (eds.) *The Cognitive Processes*, New Jersey : Prentice Hall, 1964.
18. Guilford, J.P., Traits of creativity, in H.H. Anderson (ed.) *creativity and its cultivation*, New York : Harper, 1959.
19. ——— ; Creative ability in the arts, in M.T. Mednick and S. Mednick (eds.), *Research in Personality*, New York : Holt, 1963.
20. Ibrahim A., Some Personality Correlates of Authoritarian Conservatism, *The National Jour. of Social Science*, 1973, 10, 489-498.
21. Kogan, N., and Wallach, M., *Risk Taking*, New York : Holt, 1964.
22. Levinson, M.H., Psychological Ill Health in Relation to Potential Fascism in T.W. Adorno et al. *The Authoritarian Personality*, New York : Harper, 1950.

23. McClelland, D.C., Personality, in P.R. Fransworth *et al.* (Eds.) *The Annual Review of Psychology*, Annual Review Inc. Vol. 7, 1956.
24. McKeachie, W.J., & Doyle, C.L., *Psychology*, Palo Alto : addison-Wesley, 1966.
25. Rogers C.R., Towards a theory of creativity in H.H. Anderson (Ed.) *Creativity and its cultivation*, New York : Harper, 1959.
26. Rakeach, M. *The open and closed mind*. New York : Basic Books, 1960.
27. Soliman, A.,
28. Sherif M. & Sherif, *An outline of social psychology*, New York : Harper, 1956.
29. Stagner, R., *Psychology of Personality*, New York ; McGraw Hill, 1961.
30. Torrance, E.P., The Minnesota Studies of creative thinking, in C.W. Taylor (Ed.) *Widening Horizons in creativity* New York : Jhon Wiely, 1964
31. ——— ; *Torrance Tests of creative Thinking*, New Jersey : Personal Press, 1966..
32. Uhes, M.J. & Schafer, J.P., Dogmatism and Divergent Convergent Abilities, *The Journal of Psychology*, 1970, 75.
33. Vacchiano, R.B., Strauss, P.S., & Schiffman, D.C., Personality correlates of Dogmatism, *Journal of Consulting and clinical Psychology*, 1968, 32, 83-85.
34. ——— ; Factor Structure of the dogmatism scale, *Psychological Reports*, 1967, 20, 847-852.
35. Vacchiano, R.B., Strauss, P.S., & Hochman L., The open and closed Mind : a review of dogmatism, *Psychological Bulletin* 71 4, 1969.
36. Vernon P.E., *Prsonality Tests and Assessment*, London : Methuen, 1962.

\*\*\*\*\*





## مصر وبريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية

للدكتور محمد جمال الدين على السدي

### أولاً - الموقف الدولي حتى قيام الحرب :

حين أطلقت شرارت الحرب العالمية الثانية في أول سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان ذلك بداية لفترة عاصفة في تاريخ البشرية ، كما كان نهاية لفترة أخذت تتجمع فيها تيارات الرياح وتتدافع السحب السوداء المكونة للعاصفة .

بدأت تلك الفترة بعام ١٩٣٥ حين أخذت ألمانيا النازية تتحلل علنا من القيود التي كبلها بها المنتصرون في معاهدة فرساي ، عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى . ففي مارس ١٩٣٥ أعلنت عن إنشاء سلاح الجو الألماني ، كما أخذت تستعد لزيادة عدد جيشها بفرض التجنيد الإجباري في هس الثغر ، وشرعت في نفس الوقت في بناء قوتها البحرية بتعدى الحد المسموح لها به في المعاهدة لبناء المدمرات والبوارج الحربية ، ولم تلبث بريطانيا أن اضطرت في نفس العام الى أن تعقد معها معاهدة تعطيها الحق في بناء الغوصات ، وفي زيادة قوة الأسطول الألماني ليصل الى ثلث قوة الأسطول البريطاني .

وفي أواخر عام ١٩٣٥ افتتحت كلية أركان الحرب الألمانية من جديد ، فاكتمل بعث العسكرية الألمانية . وفي أغسطس ١٩٣٦ رفعت مدة الخدمة العسكرية في ألمانيا الى مستتين حتى يتمكن هتلر ، الذي أصبح القائد الأعلى للجيش ، من زيادة عدده (١) .

في فترة المستتين التاليتين، حتى استولت ألمانيا على النمسا في أغسطس ١٩٣٨ ، استولى هتلر على منطقة الراين المنزوعة السلاح بمقتضى المعاهدة وحصنها ، وبذلك أقام على حدوده الغربية ما عرف بالجدار الغربي ( خط سيغريد ) وعمل

---

(١) ونستون تشرشل ، مذكرات تشرشل ، تعريب خيرى حماد ، القسم

الأول ١٩٦١ ، ص ١٢٠ - ١٢٤ .

على زياد ققوة المانيا الحرية ، وبدأ مشروعا للسنوات الخمس لتقوية الاقتصاد الالماني وتنظيمه واعدادة لمرحلة الاكتفاء الذاتى فى حالة قيام الحرب (١) . يضاف الى ذلك أن ايطاليا قامت بغزو الحبشة فى أكتوبر ١٩٣٥ وتصدت بريطانيا لقيادة عصبة الامم ضد العدوان الايطالى بما ادى فى النهاية الى فرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، ولم تحل تلك العقوبات المترخية دون نجاح ايطاليا فى القضاء على مقاومة الاحباش وضم الحبشة فى أبريل ١٩٣٦ الى الامبراطورية الايطالية لكن تلك العقوبات ، والدور الذى قامت به بريطانيا ، نجحا على أية حال فى دفع ايطاليا الى انتاج سياسة جديدة قامت على مقاطعة العصبة والانسحاب منها نهائيا عام ١٩٣٧ ، واتسمت بالجفاء تجاه بريطانيا والانحياز الى جانب ألمانيا وتكوين المحور ١٩٣٦ (٢) .

وهكذا شهدت فترة ١٩٣٥ - ١٩٣٦، صحوة العسكرية الألمانية وعملها على التحلل من قيود معاهدة فرساي وبداية بناء قوة ألمانيا العسكرية والاقتصادية فى اتجاه الحرب ، واقامة الجدار الغربى بينها وبين أعداء الأمم ، وقيام المحور ليضم ألمانيا وإيطاليا فى مواجهة كل من بريطانيا وفرنسا ، أو جبهة الدكتاتوريات فى مواجهة جبهة الديمقراطيات . لذلك فإن تلك الفترة تعتبر بداية لمرحلة جديدة تنطوى على مقدمات الحرب العالمية الثانية .

وفى الفترة بين سنتى ١٩٣٦ و ١٩٣٨ عملت كل من ألمانيا وإيطاليا على زيادة قواتهما العسكرية والاستعداد للحرب رغبة فى تحقيق سياسة المجال الحيوى لكل منهما . وكان ذلك واضحا للديمقراطيتين الغربيتين ، فكانت بريطانيا على سبيل المثال تدرك فى عام ١٩٣٦ أن ألمانيا تنفق ألف مليون جنيه استرلى على أمور الحرب سنويا ، وكانت تدرك فى العام التالى أطماع ألمانيا فى جعل شرق أوروبا مجالا حيوا لها (٣) . ومع ذلك تراخت الدولتان ولم تتبعا فى التسلح سياسة تكفل لهما هوقا يحول دون قيام الدولتين الدكتاتوريتين

- 
- (١) المرجع السابق من ١٦٨ ، ١٦٩ .  
(٢) المرجع السابق من ١٣٥ ، ١٤٩ . دكتور صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ١٩٦٣ ، من ٧٦ - ٨١ .  
(٣) مذكرات تشرشل ، من ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ . صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، من ٩٠ .

بمغامرات عسكرية اتضح منذ ١٩٣٦ استعدادها للقيام بها . ويرجع هذا التراخي الى أسباب داخلية ، كما يرجع الى سيطرة فكرة نزع السلاح في أوائل الثلاثينات (١) ، لذلك فحين بدأ هتلر يتحرك في عام ١٩٣٨ كان عدواؤه مدعما بالقوة ، وحين بدأت الدولتان تدركان التحول الذي تم في ميزان القوة كان عليهما أن تتبعا سياسة التهدة والتنازلات بهدف كسب فسحة من الوقت للاستعداد للصراع المحتوم .

ذلك أن هتلر من أحكام معاهدة فرساي الخاصة بتسليح ألمانيا وبمنطقة الراين لم يكن منطقيا ليكون هدفا في حد ذاته ، بل كان وسيلة لتحدي الدول المنتصرة التي فرضت تلك المعاهدة بنقض أحكامها وإعادة رسم خريطة أوروبا من جديد بما يحقق مصالح ألمانيا وأطماعها .

كان استيلاء ألمانيا على النمسا في ١٢ مارس ١٩٣٨ وضماها نقضا لمعاهدة فرساي لكن سياسة التهدة جلت بريطانيا وفرنسا نقضا الطرف عن ذلك حين أجرى هتلر - بعد الاحتلال - استفتاء وافق فيه النمساويون على الانضمام الى ألمانيا (٢) .

وتشيكوسلوفاكيا دولة جديدة أقامتها معاهدة فرساي ، وارتبطت مع كل من فرنسا والاتحاد السوفيتي بمعاهدة تحالف ، ومع ذلك فحين قامت في سبتمبر سنة ١٩٣٨ أزمة الألمان الذين يكونون أغلبية في أراضي السويد في تشيكوسلوفاكيا ، وانعقد في ٢٩ سبتمبر مؤتمر ميونيخ لايجاد حل سلمى لهذه الأزمة تحت التهديد الألماني ، سادت سياسة التهدة وتقرر أن تضم ألمانيا منطقة السويد بأغليتها الألمانية ، وأن يجري استفتاء على الانضمام الى ألمانيا في مناطق أخرى . وهكذا بدأ تطبيع أوصال تشيكوسلوفاكيا (٣) .

لكن عندما انتهز هتلر فرصة مشاكل تعدد الجنسيات التي ثارت فيما بقي من تشيكوسلوفاكيا وأجهزة عليها ، بوضعها تحت حماية الرايخ الألماني في ١٥

(١) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ٨٤ - ٨٨ . مذكرات تشرشل ص ٧٤ ، ٧٧ ، ٩١ .

(٢) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ٩٨ - ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١١٧ .

مارس ١٩٣٩ كان الأمر يختلف • لقد كان يمكن تبرير التساهل مع الألمان فيما يخص بالنمسا واقليم السوديت بحجة احترام رغبات القوميات وحق تقرير المصير • لكن ضم بوهيميا ومورافيا كان عدوانا وتطبيقا لسياسة المجال الحيوى لا يخفف منه عذر أو شبهه عذر (١) •

لذلك فان بريطانيا ، وهى التى قادت سياسة التساهل تجاه ألمانيا ، بدأت سياسة التشدد أزاءها بعد ضم بوهيميا ومورافيا • وقد يكون من العوامل الأخرى التى ساعدت على ذلك أن سياسة التسليح التى بدأتها بريطانيا عام ١٩٣٦ أيام وزارة بولدوين قد أوصلتها فى مارس ١٩٣٩ الى قدر من القوة تلمنن اليه ، خاصة فى سلاح الطيران الذى كانت قد أخذت تتضح أهميته الكبرى فى الحروب ، اذ كانت بريطانيا قد بدأت عملية استبدال طائراتها القديمة بطائرات أخرى أحدث منذ عام ١٩٣٨ فتحسن الوضع فى هذا السلاح عام ١٩٣٩ (٢) •

يضاف الى ذلك أنه فى مارس وابريل ١٩٣٩ تأكد بما لا يدع مجالا للشك تصميم دولتى المحور على العدوان والتوسع • تأكد ذلك بالنسبة لألمانيا بضم بوهيميا ومورافيا ، وتأكد بالنسبة لاطاليا فى فشل سياسة نيفل تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا فى العمل على استرضاء ايطاليا والتفريق بينها وبين ألمانيا • تمثلت تلك السياسة فى اتفاقية روما بين ايطاليا وبريطانيا التى عقدت فى ١٦ أبريل ١٩٣٨ ، تلك الاتفاقية التى سوت الخلافات بين البلدين فى الشرق الأوسط على أساس اعتراف بريطانيا بضم ايطاليا للحبشة فى مقابل تعهد ايطاليا بعدم انشاء تحصينات جديدة فى ليبيا ، وسحب قواتها على مراحل من أسبانيا • ثم قام تشمبرلين بزيارة لروما فى أوائل ١٩٣٩ • ومع ذلك ففى آخر ١٩٣٨ جدد موسوليني حملاته على فرنسا واثار خلافات ايطاليا القديمة معها بشأن تونس وكوزيسكا وجيوتى ، وقامت المظاهرات فى ايطاليا تطالب بالاستيلاء عليها ، ثم ألغى الاتفاقية المقودة مع فرنسا عام ١٩٣٥ ، التى تناولت موضوعات وسط أوروبا والمستعمرات الافريقية • ثم لم يلبث موسوليني أن قام بعدوانه

(١) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٢٢ •

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ • مذكرات تشرشل ، ص ٢٤٤ •

على ألبانيا في ٧ أبريل ١٩٣٩ . وقد أخل ذلك بالتوازن في البحر المتوسط ، ذلك التوازن الذي حاولت بريطانيا أن توفره باتفاقية روما ١٩٣٨ .

لذلك ، فبعد أن كانت سياسة بريطانيا اجتذاب إيطاليا الى نطاق الصداقة معها ومع فرنسا ، أصبح هدفها مجرد ابقاء إيطاليا على الحياد في حالة قيام الصراع مع ألمانيا ، وذلك بالبقاء على اتفاقية روما (١) .

تشجع هتلر بنجاحه في ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا فتأبعت مطالبة ، من لتوانيا طلب ميناء ممل وحصل عليه ، ثم تقدم في ٢٦ مارس ١٩٣٩ الى بولندا بطلباته فيما يختص بميناء دانزج والممر البولندي ، وحين رفضتها ألغى في ٢٨ أبريل ميثاق عدم الاعتداء الذي عقد معها عام ١٩٣٤ ، كما ألغى الاتفاقية البحرية التي عقلت مع بريطانيا عام ١٩٣٥ . وبذلك أصبح في حل من زيادة أسطوله كما يشاء . وفي ٢٢ مايو عقد حلفا عسكريا مع إيطاليا عرف بميثاق الفولاذ (٢) ، ثم عقد في ٢٣ أغسطس ميثاق عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفيتي . وقد قصد بذلك الميثاق من جهة تحقيق أطباعه في بولندا ودويلات البلطيق دون معارضة من الاتحاد السوفيتي . ومن جهة أخرى تأمين حدوده الشرقية حتى يتسرع لجهته الغربية (٣) .

وتبعا لسياسة التشدد الجديدة مع ألمانيا لم تتوان بريطانيا عن الرد على السياسة الألمانية ، ففي آخر مارس ١٩٣٩ أعطت بولندا ضمانا بتقديم المساعدة لها ضد أي عدوان خارجي دون تحفظ ، وشاركتها فرنسا في هذا الضمان ، ثم أعلنت التجنيد الإجباري في ٢٦ أبريل . وحين علمت بالميثاق الألماني السوفيتي تحررت تعبئة الأسطول وعقدت مع بولندا حلفا يؤكد تعهداتها السابق لها على أن تشمل ضماناتها دانزج والممر البولندي (٤) .

(١) وقد اعتذر موسوليني في ٢٥ أغسطس عن تنفيذ تعهداته في هذا الميثاق بحجة عدم استكمال استعداداته العسكرية ، وقد أحله هتلر من التزامه على ألا يعلن حياده إلا حين تقع الحرب فعلا . صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٨٢ ، ١٨٤ .

(٢) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٢٢ ، ١٤٥ - ١٤٧ . مذكرات تشرشل ، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٣) صلاح العقاد المرجع المذكور ، ص ١٢٥ و ١٢٦ و ١٤٩ . مذكرات تشرشل ، ص ٢٥٢ ، ٢٧٩ .

(٤) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

كان طبيعيا أيضا ، وقد أخذت حدة الصراع تتصاعد بتشدد بريطانيا أن يصبح البلقان ميدانا للتسابق بين المعسكرين ، فانطازت بلغاريا والمجر الى جانب المحور ، بينما دخلت تركيا في تحالف مع كل من بريطانيا وفرنسا ، وقد مالت يوغوسلافيا الى صداقة إيطاليا ، أما رومانيا فمع ميلها الى استرضاء المحور كانت تحاول أيضا ارضاء بريطانيا (١) .

تلك كانت الأوضاع حين أشعلت ألمانيا النازية نيران الحرب العالمية الثانية بهجومها على بولندا في أول سبتمبر عام ١٩٣٩ ، وردت كل من بريطانيا وفرنسا على ذلك بإعلان الحرب على ألمانيا في الثالث من سبتمبر .

### ثانيا - الموقف الدولي وتسوية العلاقات المصرية البريطانية :

كان لابد من هذا الاستعراض السريع للتطورات التي سبقت قيام الحرب وأدت إليها ، فالموقف الدولي - وبخاصة في ظروف الحرب - له أثره البالغ في العلاقات المصرية البريطانية ، وبالتالي في تطور الأحوال في مصر .

لم يكن البريطانيون وحدهم هم الذين أصابهم القلق لما استجد على الموقف الدولي عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٥ نتيجة سياسة هتلر الجديدة والغزو الإيطالي للحبشة ، فقد شعر المصريون بالقلق أيضا . كانوا يدركون أن مصر ، بحكم مركزها الجغرافي ، معرضة الى أن تساق أو تنساق الى الاشتراك من قريب أو من بعيد في كل نزاع مسلح بين دول أوروبا (٢) وهذا هو ما حدث فعلا في الحرب العالمية الأولى . يزيد من خطورة الوضع الأزمة الإيطالية الحبشية ، وأطماع إيطاليا المروعة في المناطق المجاورة لمستعمراتها القائمة في ليبيا والصومال وأرتريا .

وكان المصريون لا يريدون أن يعانوا في حرب قادمة ما عانوه في الحرب العالمية الأولى نتيجة عدم حسم موضوع العلاقات المصرية البريطانية ، وزاد من

---

(٢) محمد حسين هيكل مذكرات في السياسة المصرية ، الجزء الأول ص ٤١٤ .  
(٣) المرجع السابق ، الجزء الأول ص ٤١٤ .

تقييد الوضع أن مصر كانت تحكم ، بعد انهيار نظام اسماعيل صدقي ، دون دستور من أواخر ١٩٣٤ وطوال عام ١٩٣٥ .

وكان علاج هذا الوضع في رأى زعماء مصر العودة الى طريق المفاوضات الذى أوصلهم مع بريطانيا الى مشروع ١٩٣٠ في مفاوضات النحاس - هندرسن وذلك بالاتفاق على نقاط الخلاف التى عاقت توقيع ذلك للمشروع . وكان هدفهم من ذلك ، كما قالوا كجبهة وطنية في المذكرة التى قدموا بها الى السفير البريطانى في ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ لاستئناف المفاوضات ، تسوية العلاقات المصرية البريطانية باجابه أمانى مصر الوطنية ، واستقرار الأوضاع في مصر لتزول العقبات من طريق تقديمها ورقيا ، وتنسيق التعاون بين مصر وبريطانيا على أساس من التحالف في الأزمات الدولية ، وبخاصة في ظروف الأزمة الإيطالية الحبشية القائمة (١) . وكذلك في ظروف ضعف مصر العسكرية الواضح حينئذ من جهة أخرى (٢) .

أما على الجانب البريطانى فمع أهمية مصر وقتل السويس للإمبراطورية البريطانية ومع تطور الوضع الأوروبى نحو الأزمة في عامي ١٩٣٤ - ١٩٣٥ ، والأزمة الإيطالية الحبشية وما صاحبها من استعدادات إيطالية عسكرية في ليبيا وشرق افريقية مما هدد مصر والملاحة في قناة السويس ، أصبح من اللازم الاعداد لما قد تحمله السنوات القادمة من مخاطر وذلك بالعمل على أن يسود الهدوء والاستقرار في مصر وكسب صداقة المصريين وتعاونهم ، فصداقة مصر - كما كتب محرر الشؤون الخارجية لجريدة التايمس حينئذ « أعظم هما للقيادة البريطانية من أوطر عديدة في حالة حدوث حرب في البحر المتوسط » (٣) .

كان ذلك يعنى وضع حد للتأثر المتبادل بين الأوضاع الداخلية في مصر والعلاقات المصرية البريطانية، ذلك التأثير الذى تحدث عنه المندوب السامى البريطانى في مصر سير بيرسي لورين في خطابه السري رقم ١١٢٨ بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٣٢.

(١) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، الجزء الأول ، ص ٢٦٦ - ٢٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ . هيكيل ، المرجع المذكور ، ص ٣٦٨ ،

٤١٠ ، ٤١٢ .

الى وزير الخارجية البريطانية سيو جون سيمون واصفا اياه بأنه حلقة مفرغة « لا معاهدة افن لا استقرار داخلي ، ولا استقرار داخلي اذن لا معاهدة » (!) ويكون كسر هذه الحلقة المفرغة بالعمل على اقامة حكم مستقر في مصر وتوقيع معاهدة توافق عليها مختلف القوى السياسية القائمة فيها ، معاهدة تحقق للمصريين ما يمكن أن تقيله بريطانيا من أمانهم ، وتحفظ فيها بريطانيا بكل ما يمكنها أن تسميها من مزايا وسيطرة . وهكذا تم التخلص من نظام السماعيل ضدقوى وجماعت وزارة محمد توفيق نسيم كوزارة انتقال معايمة ، وتكونت الجبهة الوطنية من زعماء الأحزاب ، وأعيد دستور ١٩٢٣ الذي جاء كما كان متوقعا بوزارة وفدية يقبلها الشعب ، ثم دارت المفاوضات ووقعت معاهدة ١٩٣٦ مع تلك الجبهة الوطنية .

### ثالثا - علاقات الطيفين وانعاشها من التحالف :

هكذا كانت الأخطار الكامنة في الموقف الدولي هي العامل الأساسي في دفع الطرفين الى الاتفاق ، ولهذا كانت للنيود العسكرية أهميتها في المعاهدة . وقد رفض الجانب البريطاني التقليد بالنيود العسكرية في مشروع ١٩٣٠ محتجا بالتطورات الدولية التي حدثت بعد ذلك التاريخ ، فطلب في بداية المفاوضات أن تبقى القوات البريطانية في القطر المصري كما هي دون تحديد لكان أو لوقت باعتبارها قوات حليفية ، واحتج بحالة الطرق في مصر مما يعوق تنقلاتها وحدد مكانها ، بأن الله طالب أيضا بوجود تلك القوات في منطقة القناة بصفة دائمة حتى بعد اكتمال استعداد الجيش المصري ، على أن يحدد عددها حينئذ ، وذلك لمساعدة الجيش في الدفاع عن القناة ، أي أن يكون لبريطانيا حق دائم في مشاركة الجيش المصري في الدفاع عن القناة . لكن الجانب البريطاني وافق في النهاية على تحديد عدد القوات البريطانية بعشرة آلاف جندي في وقت السلم ، وهو عدد يزيد عن العدد الذي تم الاتفاق عليه في مشروع ١٩٣٠ ( ٨ آلاف ) ، وأن تنتقل تلك القوات الى منطقة تقع غربي قناة السويس أكبر مساحة من تلك التي تم تحديدها في ذلك المشروع . وفي مقابل هذا تمهدت



الحكومة المصرية بأن تبني على قفقتها ، مع مساهمة مالية بسيطة من الحكومة البريطانية ، ثكنات للقوات البريطانية في منطقة القناة ، وأن تمد طرقا تصلح للأغراض العسكرية معظمها بين تلك المنطقة وبين كل من الدلتا والاسكندرية والحدود الغربية ، وأن تقوم بتحسين وسائل المواصلات بالسكة الحديدية مع تلك الجهات . وعلق الجانب البريطاني نقل قواته الى منطقة القناة باكمال تلك المشروعات ، على أن تسحب تلك القوات من مصر حين يصبح الجيش المصرى قادرا وحده على الدفاع عن القناة .

وقد نصت المعاهدة أيضا على قيام تحالف بين الطرفين ، فيسرع أى من الطرفين الى نجدة حليفه في حالة اشتباكه في حرب مع طرف ثالث ، على أن تنحصر مساعدة مصر لبريطانيا في حالة الحرب ، أو خطر الحرب ، أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها ، في أن تقدم الى حليفها داخل الأراضي المصرية ، ومع مراعاة النظام المصرى للإدارة والتشريع ، جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعها ، بما فى ذلك استخدام موانئها ومطاراتها وطرق مواصلاتها (١) .

بهذا النص الأخير تحددت التزامات الطرفين المتحالفين ، ففى حالة اشتباك بريطانيا في حرب تقدم لها مصر كل ما يمكنها من مساعدات وتسهيلات داخل أراضيها فقط . أما فى حالة اشتباك مصر في حرب مع طرف ثالث - وهذا فى حالتها لن يكون الا اذا هوجمت - فتجدها بريطانيا بقواتها ، وتقوم مصر بواجب الدفاع عن نفسها (٢) وكذلك فقد نصت المعاهدة أيضا على أن تساعد بريطانيا على بناء قواتها العسكرية عن طريق بعثة عسكرية بريطانية لتدريب الجيش المصرى ، وأن تساعد فى امداد مصر بالأسلحة والمهمات اللازمة التى يشترط ألا تختلف عن تلك التى تستعملها القوات البريطانية ، كما تقبل للتدريب فى بريطانيا من ترسلهم مصر لهذا الغرض من أفراد قواتها المسلحة ، وألا يرسل هؤلاء الأفراد الى بلاد أخرى لأغراض التدريب . وتلك

(١) شفيق غريال ، المرجع المذكور ، ص ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، للنص الكامل للمعاهدة وملحقاتها . انظر Mahmoud Y. Zayid, Egypt's struggle for independence, pp. 189-228. (٢) هذا هو تفسير مصطفى النحاس رئيس وفد المفاوضات لنصوص المعاهدة . انظر شفيق غريال ، المرجع المذكور ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

نقاط ، بطبيعة الحال ، لها أهميتها نظرا لاحتفال قيام تعاون بين قوات البلدين في عمل مشترك نتيجة التحالف (١) لكنها يمكن أيضا أن تكون ضوابط في يد بريطانيا تسيطر بها على نمو وكفاءة الجيش المصري .

هذا يسوقنا الى أن تتساءل عن الأهداف الحقيقية التي كان يتفهمها كل من الطرفين من التحالف والتزاماته في المعاهدة ، ومن النصوص العسكرية حينئذ .

لا شك أن الأخطار الكامنة في الموقف الدولي ، والتهديد الإيطالي في شرق البحر المتوسط والبحر الأحمر ، الذي بدا محيطا بمصر والسودان من كل جانب ، قد جعل بريطانيا تتجه الى اتخاذ مصر قاعدة عسكرية لها في الشرق الأدنى . هذا واضح من اصرار الجانب البريطاني في بداية المفاوضات على عدم تحديد مكان أو عدد للقوات البريطانية في مصر ، وعدم تحديد مدة زمنية لوجودها ، وأن يكون لتلك القوات حق أبدي في الدفاع عن مصر والقناة بمعاونة بمصر . وحين ترحلوا عن تلك المطالب أصرروا على البقاء في منطقة القناة والاسكندرية والصحراء الغربية وذا تكون لهم قاعدة بحرية في مصر . ولم يتزحزحوا عن تلك المطالب الا بعد أن سافر السفير البريطاني (رئيس وفد المفاوضات) الى لندن لاقناع الحكومة البريطانية وللحصول على تعليمات جديدة .

وكان البديل في النهاية هو زيادة عدد القوات البريطانية في وقت السلم وزيادة مساحة القاعدة البريطانية في منطقة القناة عما كان محددًا في مشروع ١٩٣٠ ، وانشاء طرق المعاهدة التي تربط تلك القاعدة بنقط الارتكاز التي طلبوها في الاسكندرية والقاهرة والحدود الغربية والوجه القبلي في اتجاه سفاجة والقصر (٢) . بل أن مركز قيادة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط تحول خلال الأزمة الإيطالية الحشية - قبل المعاهدة - من مالطة الى الاسكندرية التي أصبحت بذلك قاعدة ذلك الأسطول حينئذ وطوال سنين الحرب (٣) .

Zayid, op. cit., pp. 223, 224.

(١)

(٢) شفيق غريبال ، المرجع المذكور ، ص ٢٨٤ - ٢٨٧ ، ٢٩٥ .

R.I.I.A., Great Britain and Egypt 1914- 1951, p. 34;

(٣)

Wilson, H. M. Eight years overseas, p. 17.

ويطلب أن بريطانيا لم تكن تعترم سرعة سحب قواتها الى منطقة القناة كما تنص المعاهدة ، وهذا هو اتجاهها الأصيل . ذلك أنه كان واضحا أن اطلاق يد مصر في شئونها بعد المعاهدة سيضع على كاهلها أعباء يستعجزها إعادة تنظيم شئونها الداخلية ، ومن أهم هذه الأعباء إعادة بناء القوات المسلحة المصرية . وقد أضافت المعاهدة الى ذلك بناء ثكنات ومنشآت للقوات البريطانية في منطقة القناة ، وتنفيذ طرق المواصلات التي نصت عليها ، سواء أكانت طرقا أو خطوطا للسكك الحديدية . وأثناء المفاوضات قدرت تكاليف تلك للثكنات بخمسة ملايين من الجنيهات تدفع مصر ثلاثة أرباعها . تلك كلها أعباء تبطل ميزانية كانت حينئذ حوالي ٣٥ مليون جنيه . لذلك ثار في مصر كثير من النقاش حول ضخامة تكاليف بناء الثكنات ، وبخاصة بعد أن اتضح أن التكاليف الفعلية ستصل الى حوالي ١٢ مليون جنيه ، وبعد أن عقد محمد محمود باشا رئيس الوزراء اتفاقا مع بريطانيا في صيف ١٩٣٨ بتقسيم تلك التكاليف مناصفة بين مصر وبريطانيا . كان طبيعيا ، ومنظورا ، لذلك أن يتأجل انشاء الثكنات ويتأخر تنفيذ برنامج الطرق . وأخيرا عندما اقترب خطر الحرب بعد ضم ألمانيا ما تبقى من تشيكوسلوفاكيا في مارس ١٩٣٩ طلبت الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية العدول مؤقتا عن انشاء ثكنات قرب السويس ، لأن تجمع القوات فيها يجعلها هدفا للغارات الجوية . وهكذا احتفظت بريطانيا لقواتها بحرية الحركة في مصر ، وهذا ما يحتاجه أي جيش في قاعدته العسكرية .

أما الجيش المصري فحقيقة الدور الذي قدرته بريطانيا له حينئذ داخل نطاق التحالف المصري البريطاني غير واضحة تماما . لقد ضمنت بعض السيطرة على الجيش المصري عن طريق البعثة العسكرية واحتكار تسليحه وتدريبه . كما أنها ضنت عليه بالطائرات والسلاح المناسب حين طلب منها ، فسوف وأرسلت أنواعا قديمة بطل استعمالها ويريد الجيش البريطاني التخلص منها لظهور ما هو أحدث وأفضل (١) . يضاف الى ذلك أن معاهدة ١٩٣٦ اشترطت لجلاء القوات البريطانية عن مصر مقدرة الجيش المصري على الدفاع بمفرده

---

(١) البلاغ ١٩٣٨/١/٢٦ مقال بعنوان « درس لبريطانيا في مصر » انظر: ايضا : عبد العظيم رمضان ، الحركة الوطنية في مصر بين ١٩٣٦ - ١٩٤٥ رسائله للدكتوراه غير منشورة ص ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣٠٣ .

عن القناة • تلك كلها عوامل تجعل الرأي يميل الى اتهام بريطانيا بمرقلة نمو قدرة مصر العسكرية كمبرر لتأجيل الجلاء • لكن ينبغي أن تأخذ في الاعتبار أيضا أن فترة ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ هي الفترة التي كانت بريطانيا فيها مشغولة بتجديد تسليح قواتها وبخاصة سلاح الطيران حتى تتمكن من مواجهة تهديد ألمانيا بقواتها ذات التسليح المتفوق (١) ومن الطبيعي أن تلقى مصر تسويقا ولا تحصل في تلك الظروف الا على القديم المستغنى عنه من السلاح والطائرات • وقد اعتذرت بريطانيا بذلك فعلا عن عدم استجابتها لمطالب الجيش المصرى • كما كانت الحكومة المصرية تتنبهى (٢) ومع ذلك فيغلب أن الدور الذى قدرته بريطانيا للجيش المصرى حينئذ لا يعدو المحافظة على الجبهة الداخلية وهو من وجهة النظر البريطانية الدور الأنسب له على ضوء عدم وجود خطر دولى داهم قبل سبتمبر ١٩٣٨ ووجود حركة وطنية قوية في مصر • واتخاذ مصر قاعدة عسكرية بريطانية •

وقد كان وضع الجبهة الداخلية مبعث قلق دائم للسلطات البريطانية (٣) ، يقابل هذا على الجانب المصرى أن حكومة الوفد حينئذ كانت جادة في تنفيذ بنود المعاهدة وفي بناء الجيش المصرى • ففى برقية مايلز لامبسون الى مستر ايدن رقم ١٥٨ بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ عن مقابله للنحاس باشا بعد استقالته يقول أن دولته قد اتهم الوائزرة الجديدة بأنها مصطبغة بصبغة ايطالية شديدة وأن دولته قال أنها خيانة للبلاد أن تصبح الآن كل تنظيمات دفاع البريطانيين السرية المقودة معه والتي تمت بناء على الحاحه الشديد مكشوفة لأمثال وزير الحرية الجديدة الذى كان أداة في يد القصر ويصبح كل شئ معروفا لاطاليا، وأن دولته يرى في ذلك خطرا وطنيا حقيقيا للغاية (٤) •

(١) مذكرات تشرشل القسم الاول ، ص ١٤٧ - ١٤٩ ، ٢٤٤ •

(٢) البلاغ ١٩٣٨/١/٢٦ •

W. Smart's memo, enclosed in Killy to Eden,

No. 1227, 28 October 1937, F.O. 407 221/Lompson to Eden. (٣)

No. 209 secret, 16 February 1937, F.O. 407/221.

Lampson to Eden, telegram No. 158, 31 December 1937, (٤)  
F.O. 407/222.

وزير الحرية والبحرية المشار اليه هو حسين رفقى باشا • انظر كتاب النظرات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ٣٦٥ •

وأضح من هذه البرقية أن النحاس باشا هو الذي ألحج في الاتفاق مع بريطانيا على خطط الدفاع عن مصر ، بينما لم تكن بريطانيا متحمسة لهذا ، وهذا يعني أن بريطانيا كانت تفضل أن يستمر الوضع كما كان وأن تبقى عليها منفردة بشئون الدفاع عن مصر ، وأن يبقى دور الجيش المصرى كما هو أى المحافظة على الجبهة الداخلية ، بينما أصدر النحاس باشا على تنفيذ نصوص المعاهدة بقيام مصر بالدفاع عن أراضيها تعاونه في ذلك بريطانيا .

وكان هذا رأيه عندما عقدة المعاهدة كما سبق أن أشرنا .

كانت حكومة الوفد جادة في بناء الجيش المصرى ليصل عدده الى حوالى ٢٠ ألفا مستعينة في ذلك ببعثة عسكرية قليلة العدد وبخبرة الضباط القدامى ( فرقة واحدة جيدة التسليح ) بعد أن كان يزيد قليلا عن نصف هذا العدد ، ويقتصر سلاحه على البنادق و٢٦ مدفع هاوتزر (١) . كان هذا المشروع المتواضع يناسب اتجاهات بريطانيا وفرضته — فيما يختص بالجانب المصرى — ما هناك من التزامات أخرى خاصة بالمعاهدة وحالة مصر المالية قبل توقيع اتفاق مونترو عام ١٩٣٧ واطلاق يدها في فرض الضرائب .

لكن هذا الوضع فيما يختص بالجيش وبالتحالف لم يلبث أن تغير في عام ١٩٣٨ بسبب الموقف الدولى الذى أخذت خطورته تتزايد حتى بلغت الذروة في أزمة سبتمبر من ذلك العام وبسبب الموقف الداخلى . ذلك أن أزمة سبتمبر حسمت خطر الحرب وجعلته في حيز الممكن العاجل أو القريب . فقد تآرجح العالم على حافة الحرب لمدة أسبوع من انذار هتلر في ٢٢ سبتمبر بالتدخل المسلح في تشيكوسلوفاكيا حتى تم الوصول الى تسوية في مؤتمر ميونيخ في ٢٩ سبتمبر بفضل سياسة التهدئة التى اتبعتها بريطانيا وفرنسا (٢) .

في تلك الظروف اتجه الجانب البريطانى الى الحصول على تعاون أكثر مع مصر واستجاب الجانب المصرى الى ذلك بحذر كما يتضح من رسالة سير مايلز

(١) من حديث الجنرال ماكريدى رئيس البعثة العسكرية البريطانية لندوب الأهرام ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩ — انظر أيضا عبد العظيم رمضان ، الحركة الوطنية ، ص ٣٠٢ .

(٢) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١١٠ .

لامبسون الى فيكوفت هاليفاكس رقم ١١٩٧ في ٧ نوفمبر ١٩٣٨. حيث يقول « كان موقف كل من القصر والحكومة تجاه التعاون الانجليزي المصري نحو متطلبات الحرب كما نرتجيه ، ولو أنه في نهاية الأزمة أدى الخوف من التورط في الحرب الى شيء من التردد بشأن ما تقتضيه المعاهدة من مصر بدخولها الحرب . وكما أبلغتكم في برقيتي رقم ٤٩٨ بتاريخ ٢٩ سبتمبر فان رئيس الوزراء أكد لي عندما استوضحته أن هذا التردد لم تساور حكومته . وحقيقة الموقف هو أن تجدد مثل هذا الاتجاه لتجنب الوفاء بالتزامات المعاهدة انما يتوقف الى حد كبير على قواتنا الجوية ، فاذا شعر المصريون أننا في وضع يمكننا من حمايتهم بشكل فعال تضاعل ميلهم الى أن يلعب الخيال بعقولهم في امكان التباعد عن حرب تورط فيها بريطانيا العظمى ، وأن ضعفتا في جهة شرق البحر الأبيض المتوسط هو الذي يشجع على مثل هذه الميول .

ومنذ نهاية الأزمة فان موقف الحكومة ، وكذلك موقف الملك فاروق تجاه بريطانيا العظمى ، ظل وديا وسليما سواء في المجال الدولي العام أو في التدابير المحلية الخاصة بتعاوننا كحلفاء » (١) .

يتضح من تلك الرسالة ان الجانب البريطاني حاول تفسير التزامات مصر كحليف بمقتضى المعاهدة بأنها تقتضيها في حالة قيام الحرب ان تدخلها الى جانب بريطانيا ضد ألمانيا، وان الجانب المصري تردد في قبول هذا التفسير . وهذا واضح أيضا في تصريح رئيس الوزراء في مجلس النواب أثناء أزمة سبتمبر حيث ركز على موضوع دفاع مصر عن نفسها فقال أنه « اذا دعت الظروف مصر الى القيام بعملياتها العنيفة فستقوم بها ، ولن يتردد الشعب المصري في اجابة داعي الوطن للدفاع عن سلامته ، بما عرف عنه من صدق العزم وقوة الايمان . » وعبر عباس محمود العقاد عن رأى السعديين المشاركين في الحكم بطرح وجهة نظر مماثلة وان كانت أكثر وضوحا حيث قال ان على المصريين أن يستعدوا على اعتبار واحد هو أنهم اصحاب النصيب الاول في حماية بلادهم والدفاع عن حدودهم داخل أراضيهم وعلى الحليفة أو الحلفاء بعد ذلك بقية الجهود (٢)

Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938,  
F.O. 407/222.

(١)

(٢) الدستور ٢٣ و ٢٧ سبتمبر ١٩٣٨ - الدكتور عيد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٩٩ .

وتبع أزمة سبتمبر نقاش على صفحات الجرائد وفي البرلمان في موضوع التزامات مصر بمقتضى المعاهدة أظهر عددا من الاتجاهات المختلفة .

ويرجع ذلك الى أن معاهدة ١٩٣٦ وقعت في ظل خطر ايطالى مائل أيام غزو الحبشة . حيثئذ كان مفهوم التحالف لعدى المصريين مرتبطا بتهديد ايطالى محتمل . لكن أزمة سبتمبر ١٩٣٨ واجهت المصريين بواقع مختلف ، اذ تراجع الخطر الايطالى وبرز الخطر الالمانى ، وأصبحت مصر معرضة للتورط في حرب لا ترى لها مصلحة مباشرة فيها وتحمل أعباء لم تخطر للمصريين على بال عام ١٩٣٦<sup>(١)</sup> . وكان المصريون قد أخذوا يشعرون بثقل العبء الذى يتحملونه نتيجة التزامات المعاهدة وسوء الحالة المالية ، واخذ يتضح لهم استمرار تدخل بريطانيا في شئون مصر رغم المعاهدة ، مما سبب العداء التقليدى القديم . وفي نفس الوقت بدا لهم نجاح سياسة المحور في ضم المانيا للنمسا وأراضى السودان واستيلاء ايطاليا على الحبشة وتوقيع بريطانيا معاهدة روما معها في أبريل ١٩٣٨ . يضاف الى ذلك أن المعاهدة قصرت مساعدة مصر لعلقتها على أن تكون داخل الاراضى المصرية ، ولم تنص صراحة على دخولها الحرب الى جانب بريطانيا .

ترتب على هذا كله ان ظهرت فكرة ان المعاهدة تلزم مصر بتقديم المساعدات الى بريطانيا لكنها لا تلزم بإعلان الحرب الى جانبها . وبين طرفى هذه الفكرة تناقض ظاهر يؤدى الى موقف صعب ، فالمدول المشبكة في حرب مع بريطانيا لن تقبل هذا الموقف من مصر ، وستعتبر مساعداتها لبريطانيا عملا عداويا رغم عدم اعلانها الحرب . وقد اختلفت الاتجاهات لمواجهة هذا الموقف ، والتوفيق بين ذلك وبين التزامات المعاهدة .

بلور صدقى باشا اتجاهها منها في خطاب القاء في مجلس النواب في ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ بمناسبة الرد على خطاب العرش ، اثار فيه النقاط الأساسية التالية :

(١) او كما قال وهيب دوس بك في مجلس الشيوخ بجلسة ٢٠ أبريل ١٩٣٩ ، ان مصر مطالبة « بتحمل اعباء ما كانت تخطر لنا على بال سنة ١٩٣٦ ولا في أى صفة من صفى المفاوضات » . . . انظر مجموعة مضابط دور الانقصاد المالى الخامس عشر لمجلس الشيوخ ، مضبطة جلسة ٢٠ أبريل ١٩٣٩ ، ص ٢١١ . عهد العظيم ومضان ، المرجع المذكور ، ص ٢١١ .

١ - المعاهدة لا تلزم مصر بدخول حرب لا مصلحة لها فيها الى جانبها  
بريطانيا لكنها تلزمها في حالة اشتباك بريطانيا في حرب وفي حالة خطر قيام حرب  
أو حالة دولية مفاجئة أن تضع مواردها تحت تصرف بريطانيا ، ولهذا خطورته  
على مصر لأن الدول التي تشتبك معها بريطانيا في حرب ستعتبر مصر دولة  
محاربة .

٢ - سرعة تطبيق النص الخاص بالحالة الدولية المفاجئة لا يترك لمصر  
الوقت الكافي لتبين حقيقة وضعها من النزاع القائم مما يحرمها فرصة العمل  
لدرء الخطر عن نفسها .

٣ - التزامات المخالفة يجب ألا تعارض مع أى مسعى سياسى تبذله مصر  
أو موقف تقفه ويكون مقصودا به استتباب السلام وتأمين حدود البلاد من كل  
عدوان .

٤ - حث على التخلي عن بناء الثكنات في منطقة القناة واقتراح ان تخلى  
القوات البريطانية ثكنات قصر النيل والقلعة وتقيم في معسكرات البعاسية المدة  
الباقية من المعاهدة .

بهذا دعا صدقي باشا الى عدم بناء الثكنات والحد من التزامات مصر  
بمقتضى المعاهدة وعدم الدخول في حرب لا صالح لمصر فيها ، بل ودعا الى  
عدم التقيد بالتحالف اذا تعارض مع صالح مصر . وهكذا عبر عن اتجاه الحياد  
في الصراع الدولي . ويرى سير ما يلز لا ميسون حينئذ ان هذا الاتجاه منتشر  
بين المصريين (١) .

وقد اقر رئيس الوزراء محمد محمود باشا ان حديث صدقي باشا يتضمن  
كثيرا من الصدق وعبر عن موافقته التامة على ما قاله بشأن الحالة الدولية.  
المفاجئة ، لكنه قال انه ما دامت المعاهدة قد وقعت فيجب على أية حكومة مصرية  
أن تنفذ التزاماتها بولاء واخلاص حتى يتم تعديل المعاهدة بالاتفاق مع الحكومة.

Lampson to Hadifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223. (١)

Same to same, No. 1351, 22 Detember 1938, F.O. 407/223. (٢)

الأهرام في ١٩٣٨/١٢/٢١ - القلم ١٩٣٨/١٢/٢٠ .



البريطانية • وأشار الى أنه من مصلحة مصر ان تبقى الى جانب حليفها في هذه الظروف الحرجة حتى يتم للمصريين تقوية أنفسهم •

تضمن هذا التصريح عدم استبعاد تعديل المعاهدة وحين سئل رئيس الوزراء في ذلك قال أنه ليست هناك نية لذلك « الان » وظهرت في الصحف تصريحات بأنه سيجاول مفاوضة الحكومة البريطانية لتعديل المادة السابعة من المعاهدة خلال الزيارة التي يشاع أنه سيقوم بها للندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة الخاص بفلسطين • وحين أثار السفير البريطاني هذا الموضوع معه وعرفه أن الحكومة البريطانية لا توافق على أى تعديل لالتزامات المعاهدة ففى رئيس الوزراء تلك الاجبار بطريقة توحى بأنها صحيحة (٣) • لذلك يمكن أن نقول أن اتجاه محمد محمود حينئذ كان الوفاء بالتزامات المعاهدة دون زيادة والتفكير في التفاوض لتعديل تلك الالتزامات •

وتوال ردود الفعل لخطاب صدقى باشا : فجريدة البلاغ وهى حينئذ موالية للقصر وتناصر الوزارة كتب صاحبها عبد القادر حزمة يقول ان التحالف بين مصر وبريطانيا قائم على أساس ان تعاون بريطانيا مصر في الدفاع عن نفسها وان تعاون مصر بريطانيا في كل حرب تشترك فيها ، وان المفاوضة لتحديد الحالات التى تقدم فيها مصر مساعدتها سينصب على أساس هذا التحالف ، بينما لاغنى لنا عن هذا التحالف حتى نستكمل وسائل الدفاع عن أنفسنا ، وهو لا يرى كيف يمكن لمصر ان تجتنب الدخول في حرب تدخل فيها بريطانيا ما دام للاخيرة جيش في مصر (١) •

وقد زاد الدكتور هيكل - وكان حينئذ وزيرا للمعارف - وجهة النظر تلك ايضا فقال ان المعاهدة المصرية البريطانية « تلقى على مصر ان تسارع الى معاونة جليفتها انجلترا اذا وقعت الحرب ولم يكن احد في مصر يتردد يومئذ في القول بأن هذه المحافظة تدفعنا الى اعلان الحرب في صف انجلترا • واذا نحن أعلننا الحرب أصبح حتما ان نحمل اعباءها وان نتعرض لكل ويلاتها • وقد تعرضنا في الحرب العالمية الاولى - حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ - لغارات جوية قليلة لان الطيران الحربى كان لا يزال في طفولته ولا تبا كنا محايدين لم نشترك في

الحرب ولم نعلمها • ما يسألك وقد تقدم الطيران الحربى وأصبح يضارع قوات البر وقوات البحر • ثم ما بالك ومصر معرضة لأن تعلن الحرب • طبعى أن تشغل أنباء الأزمات بال كل مصرى» (١) •

وهكذا انقسم الأحرار الدستوريون فى موضوع التزامات مصر فى حالة الحرب • وحدث انقسام مائل فى حزب السعدين الذى يشاركهم الحكم • لقد أشرنا الى رأى العقاد ، اما الدكتور أحمد ماهر فكان فى صف وفاء مصر بالتزامها لبريطانيا (٢) •

وقد عارض حزب الاتحاد الشعبى على لسان سكرتيره العام عبد الرحمن اليليك اقتراحات صدقى باشا فى مجلس النواب ، مؤكدا ضرورة محافظة مصر على التزاماتها بمقتضى المعاهدة •

أما الوفد فقد هاجمت صحفه خطاب صدقى باشا وفندته واتهمت صدقى باشا بأنه يريد تحقيق هدفين أحدهما هدم المحالفة بتقويض أساسها وركنها الركين وهو المادة السابعة التى وضعت لفائدة الطرفين • اما الهدف الثانى فهو « الاتفاق مع الطليان على تأمين الحدود ومساعداتنا فى مقابل التخلي عن انجاد انجلترا ومساعدتها عندما تتأزم احدى الازمات طبقا للمادة السابعة » وأوضحت ذلك بأن صدقى باشا كان قد كتب الى النحاس باشا فى أغسطس ١٩٣٧ أثناء وزارة الوفد يلفت نظره الى أن الفرصة سانحة للمفاوضة فى عقد معاهدة عدم اعتداء بين مصر وايطاليا • وان المحالفة مع بريطانيا لا تحول دون ذلك لانها أبرمت للدفاع لا للهجوم • وقالت ان المادة السابعة صريحة فى أن على مصر أن تبادر الى نجدة حليفها فى أية حرب تشتبك فيها مع دولة أخرى ولو كانت ايطاليا • وترى المصرى أن على مصر ان تقدم تلك المساعدة سواء دخلت بريطانيا الحرب مدافعة أو مهاجمة • ولما كانت معاهدة عدم الاعتداء التى يقول بها صدقى باشا تقضى بالا تساعد مصر اية دولة تعتدى على الطاليا فى مقابل عدم مساعدة ايطاليا اية دولة تعتدى على مصر فهى بذلك تتعارض مع التزامات مصر بمقتضى المادة السابعة من معاهدتها مع بريطانيا ، وقد نصت المادة

(١) هيكى ، المرجع المذكور ، ج ٢ ، ص ١٤٥ و ١٤٦ •

Lampson to Ha'ifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 401/223. (٢)

الخامسة من تلك المعاهدة على تعهد كل من الطرفين بالا يرم معاهدات سياسية تتعارض معها . ونعت الجريدة على صدقي باشا تزاميه على أقدام الدول اندكتاتورية (١) وهكذا يمكن أن نقول ان اتجاه الوفد ، طبقا لما ظهر في جرائده ، كان الوفاء بالتزامات المعاهدة بتقديم المساعدات للخليفة داخل حدود مصر .

وهكذا اظهرت المناقشة وجود اتجاه عام هو قيام مصر بالدفاع عن نفسها لو وقع اعتداء على أراضيها مع قبول مساعدة حليفتها . وفيما عدا هذا اختلفت الاتجاهات فيما تختص بالتزامات مصر تجاه حليفتها ، وظهر من ذلك ثلاثة اتجاهات : اتجاه يرمى الى التزام الحياد في الصراع الدولي الذي لا يمس مصر مع الحد من التزامات المعاهدة . واتجاه يرى أن تقي مصر بالتزاماتها بالكامل وأن يشمل ذلك دخولها الحرب الى جانب بريطانيا . واتجاه ثالث يدعو الى أن تقي مصر بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة ولا تزيد على ذلك .

كان الاتجاه الاخير يمثل رأى الكثيرين من المصريين وهو الذى استقر عليه رأى الاخوان المسلمون وأعلنوه عند قيام الحرب (٢) ولكن ما جد من تطورات دولية بعد أزمة سبتمبر ١٩٣٨ جعل الاتجاه الثانى يظلى بتأييد أكثر من ذى قبل .

ذلك ان الاخبار أخفت تردد منذ أوائل ديسمبر عن اطماع لاطاليا في الحصول على مصر عبر السودان يصل ليبيا بالحشة ، ورغبتها في تخفيض الرسوم في قناة السويس وتعديل نظام ادارتها بما يكفل لها نصيبا من الاشراف على هذا الثرىان الحيوى الذى يصلها بمستعمراتها في شرق افريقيا . ونشرت الجرائد أخبار الحشود العسكرية الايطالية في ليبيا وأشارت الى أنها بلغت مائة ألف جندي ، وأخبار طائرتين حريتين هبطتا في مكانين مختلفين في الصحراء الغربية وأدعى الطيارون أنهم هبطوا بطريق الخطأ (٣) . وفي مارس ١٩٣٩ أجهزت

(١) المصرى ٢٣/١٢/٢٨ و ١٩٣٩/١/٢ . د. عبد العظيم رمضان ، ص ٢٩٦

٢٩٧ .

(٢) د. عبد العظيم رمضان ، ص ٢٩٨ و ٢٩٩ . وكان في مفهومهم يتضمن تقديم المساعدات دون دخول الحرب وكانوا بالإضافة الى ذلك يرون السعى الى تخليص مصر من القيود المفروضة على حريتها واستقلالها .

(٣) المصرى ١٩ و ٢٣ ديسمبر ١٩٣٨ . الاهرام ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ .

ألمانيا على باقى تشيكوسلوفاكيا ، وبدأت مطالبتها الجادة فى داتزج والمرب  
البولندى ، وفى ٧ أبريل غزت إيطاليا اسبانيا •

وهكذا الخطر الإيطالى من جديد الى جانب الخطر الألمانى ، فعاد  
الى اذهان المربين المفهوم القديم للتخالف مع بريطانيا بظهور الحاجة الى  
الاعتماد عليها فى مواجهة اطماع إيطاليا ، وكما قال السفير البريطانى تزايد  
تحقق المربين من « الخطر الذى قد يلحق بدولتهم من تقوية محور برلين -  
روما العدوانى • وقد أدت الصدمات المتتابعة بسبب مأسى تشيكوسلوفاكيا  
وألمانيا وبخاصة الأخيرة ، الى ادراك المربين لما عسى أن يبلغه موقفهم من خطورة  
دون مساعدة كافية من حليفهم بريطانيا • وقد عبر المربون بكل حرية على  
المستوى الرسمى وغير الرسمى عن الرغبة فى وجود عدد أكبر من القوات  
البريطانية فى مصر • أن الخوف من ألمانيا وإيطاليا والاشتمزاز مما صوته  
الأخيرة فى البانيا قد جعل سكان مصر أكثر ميلا إلينا كما زاد المربين ادراكا  
لحاجة مصر الى انجلترا • لقد كان لهذا العامل أثره فى تسهيل التعاون العسكرى  
المصرى الانجليزى ، لقد أصبحت الحكومة المصرية أخيرا أكثر استجابة لنا فيما  
يتعلق بطلباتنا العسكرية » (١) •

وهكذا تحول بعض المربين الى فكرة الوفاء بالتزامات مصر تجاه بريطانيا  
كاملة بما فى ذلك دخول الحرب الى جانبها ، ومن هؤلاء رئيس الوزراء نفسه  
الذى أعلن فى مجلس النواب بمناسبة أزمة مارس ١٩٣٩ أنه يقبل توحيد قيادة  
الجيش الانجليزى والمصرى فى حالة الحرب وأن تكون القيادة لاقوى  
الدولتين (٢) • كما أنه مع الدكتور احمد ماهر وبعض الوزراء من كلا الحزبين  
الحاكمين كانوا يميلون الى قبول الانضمام الى ميثاق سعد اباد فى الاساييس  
الأولى من عام ١٩٣٩ ، رغم ما يؤدى اليه ذلك من دفع تحالف مصر مع انجلترا  
الى خارج حدود مصر ، ودفع القوات المصرية بعيدا مئات الاميال الى تركيا والعراق

Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223. (١)

(٢) الأهرام ٢٩ مارس ١٩٣٩ • دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ،

وايران (١) لكن ذلك لا يعنى ان هذا الاتجاه قد أصبح هو الغالب فقد يرجع موقف هؤلاء ، بالإضافة الى العوامل التي أشرفا اليها، الى وضعهم الرسمي والصراع القائم بين الوزارة والقصر ، وتطلع الدكتور احمد ماهر لتولى الوزارة خلفا لـ محمد محمود باشا (٢) . فاذا ابتعدنا عن الاشخاص المسؤولين نجد الأمر يختلف . نجده كما يقول السفير البريطانى فى خطابه الى وزير الخارجية البريطانية فى ١٣ يوليو ١٩٣٩ « لا يزال هناك شعور كبير فى البلاد بأن مصر ينبغي أن يسمح لها بأن تظل بعيدة عن نزاع عالمي لا يصبها بشكل مباشر لكن موقف المسئولين المصريين لا يزال سليما » (٣) ، وهذا يدفعنا الى محاولة تبين موقف الوفد كتنظيم شعبى مفروض أنه أكثر تمعيرا عن اتجاهات الجماهير .

كان الوفد يحكم نشأته ومبادئه كحزب شعبى ضد النازية والفاشية وفى جانب الديمقراطية . وكان حريصا وهو فى الحكم على تأكيد التزام مصر بالدفاع عن نفسها وتمكينها من ذلك (٤) . اما فى فترة وجوده خارج الحكم فلم تصدر عن زعيمه أو صحفه تصريحات مباشرة توضح موقفه أو تضيف جديدا الى ، فيما عدا هجوم المصرى على خطاب صدقى باشا ، ذلك الهجوم الذى أوضح - كما أشرفا - تأييد الوفد للديمقراطيات ولفكرة التزام مصر بمساعدة بريطانيا داخل الاراضى المصرية . يقابل هذا هجوم الوفد المستمر بعد ذلك على بريطانيا التى اعتبرها مستولة عن مساندة الحكم غير الديمقراطى القائم . وقد وصل هذا الهجوم الى حد التهديد بعدم التقيد بالمعاهدة .

لكن الملاحظ ان هجوم الوفد على بريطانيا كان أقرب الى الضغط العنيف أو العتاب الشديد منه الى الجفاء والتعطية وعدم الالتزام بالمعاهدة .

وهذا واضح مما كتبه المصرى بعد أزمة مارس ١٩٣٩ ، حيث تقول الصحيفة ان المصريين مرتبطون بمعاهدة المحافظة عليها ، لكن كيف يمكن أن نخلل الحرب اذا كان حلفاؤنا يتقضون العهد نقضا ويستخفون بالمعاهدة بنا بنا .

(١) هيكى ، المرجع المذكور ، ج ٢ ، ص ١٤٧ - ١٥٠ تكون ميثاق سعد اباد فى عام ١٩٣٧ وكان يضم تركيا والعراق وايران وافغانستان ، وتقوم تلك الدول بالدفاع عن اى منها اذا وقع عليها عدوان .

(٢) Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223. (٢)

Same to same, No. 871, 13 July 1939, F.O. 407/223. (٣)

(٤) انظر اعلاه . ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

أنحارب للدفاع عن الديمقراطية التي يحارب حلفاؤنا من أجلها ، والديمقراطية في بلادنا شوهت وجنى عليها . (١) وكان السفير البريطاني يدرك رغم تقديره الكامل لخطورة هجوم الوفد أنه قد لا يكون سوى جزء من اللعبة السياسية يضط به الوفد للعودة الى الحكم . وكان يأمل ويرجح ان الاحزاب جميعها اذا قامت الحرب ستمود الى الائتلاف حول بريطانيا تنشد الحماية (٢) .

أما اتجاه الوفد الحقيقي حينئذ ، بالإضافة الى الدفاع عن مصر ، فيطلب أنه كان الوقوف الى جانب بريطانيا وتقديم المساعدات اللازمة لها في مقابل سيادة الديمقراطية في مصر . وهذا يعني عودة الوفد الى الحكم بالإضافة الى اجابة مطالب تقرب من تلك التي تقدم بها الى السفير البريطاني في ابريل ١٩٤٠ . وهذا قريب من موقف الاخوان المسلمين عند قيام الحرب وقد أشرنا اليه، ويختلف عن موقف احمد حسين الذي رأى حينئذ دخول الحرب فعليا دون أن يضع شروطا لذلك (٣) .

تناولنا التطورات التي طرأت على الموقف الذي اتخذته كل من الجانبين المصري والبريطاني من مفهوم التحالف والتزاماته منذ أزمة سبتمبر ١٩٣٨ حتى قيل قيام الحرب . وكان من الطبيعي أن يكون لذلك أثره على الموقف من الجيش المصري والدور الذي أريد له . فعلى الجانب البريطاني أدى تزايد خطورة الموقف الدولي عام ١٩٣٨ مع النقص الواضح في القوات البريطانية في شرق البحر المتوسط في مواجهة الحشود الايطالية ، الى اتجاه الجانب البريطاني الى زيادة الاعتماد على الجيش المصري والقاء عبء أكبر عليه . واستمر هذا الاتجاه سياسة للحكومة البريطانية رغم ما استجد من عوامل مشجعة واخرى مثبطة حتى يونيو ١٩٤٠ . من العوامل المشجعة تصريحات محمد محمود باشا أيام أزمة سبتمبر ١٩٣٨ بتأكيد قيام مصر بالدفاع عن نفسها . ورغم أن خطاب صدقي باشا في ديسمبر ١٩٣٨ وما بدا حينئذ من اتجاه رئيس الوزراء الى طلب تعديل

(١) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٠١ .

(٢) Lampson to Halifax, No. 871, 13 July 1939, F.O. 407/223. (٢)

(٣) كان موقف احمد حسين اثناء أزمة سبتمبر ٢٨ دخول الحرب الى جانب بريطانيا مقابل تحقيق المطالب الوطنية ، ثم تغير عند اعلان الحرب الى دخول الحرب دون مقابل . دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢١٧ و ٢١٦ .

التزامات مصر بمقتضى المعاهدة كانت عوامل مشبّطة ، الا أن موقف الوفد والرّعاء الآخرين وتغير موقف رئيس الوزراء بعد ذلك — كما أشرنا — كانت عوامل مشجّعة ازالّت ذلك الأثر السيء .

وقد عبر السفير البريطاني عن هذا الاتجاه في رسالة الى وزير الخارجية يستعرض فيها الموقف في مصر في شهري مايو ويونيو ١٩٣٩ اذ يقول : « ان التقدم الذى تم في الاستعداد للحرب بصفة عامة وتبديرات الجيش المصرى بصفة خاصة كانت بوجود عام ادعى الى الرضاء خلال هذه الفترة التى نستعرضها . رغم ما كان يعترض البعثة العسكرية البريطانية من عقبات كان بثريها حينئذى سرى باشا بخصوص بعض النقاط . ومما يبعث على الرضاء أن نلاحظ على سبيل المثال ان رجال المدفعية المصريين قد اظهروا مقدرة ملحوظة في المدفعية المضادة للطائرات . لكن المشكلة الأساسية بالنسبة للجيش المصرى لا تزال هي مشكلة الروح المعنوية . بمعنى هل تصبّد أو لا تصبّد القوات المصرية في خط النار . يبدو من غير المحتمل الاعتماد على أن الضابط أو الجندي المصرى سيتواجه اشكال الحرب الحديثة القوية ما لم يضمهم اطار واحد مع القوات البريطانية أو التركية ويقودها ضابط انجليزى أو اتركى . هذا الضعف هو الذى يجعل الموقف في مصر خطيرا زائدة على ما هو عليه ، اذ ينبغي أن يكون فى الاعتبار ان الهجوم الايطالى الالمانى — اذا وقع — لا يحتمل ان يكون زحفا عسكريا خالصا على نقطة واحدة بل يتطلب أن يقرن الهجوم الرئيسى للعدو بمجموعة متباينة من الإجراءات الهجومية الصغيرة من الخارج ومن الداخل ، بقصد تحويل الانتباه واضعاف الروح المعنوية بين الأهالى في المؤخرة ، وبذلك تضعف قوى المقاومة ضد الهجوم الرئيسى .

ولما كانت قواتنا العسكرية الحالية صغيرة لسيا لسنحتاج اليها كلها تقريبا لمواجهة الهجوم الرئيسى . وربما يعجز الجيش المصرى عن الاحتفاظ بالجهة الداخلية لو لم تسانده قوات بريطانية » (١) .

وكان الجنرال سير هنرى ميتلاند ويلسن قد جاء الى مصر في ٢١ يونيو ١٩٣٩ ليتولى قيادة القوات البريطانية فيها ومعها تعليمات بسرعة اتخاذ

---

Lampson to Halifax, No. 871, 13 July 1939, F.O. 407/223. (١)

الاستعدادات للحرب. ويقول ويلسن أن مهمة قواته كانت الدفاع عن الاسكندرية التي أصبحت قاعدة للإسطول في البحر المتوسط بدلا من مالطة ، والدفاع عن السويس وبورسعيد والصحراء الغربية ، بالإضافة الى حفظ الأمن داخل مصر . كما يقول أنه قد لفت قلعه عند وصوله ضالة القوات التي لديه بالنسبة للمهمة المسندة اليها . ويقول أيضا أنه في حالة قيام الحرب كانت بريطانيا تنتظر أن تنضم مصر اليها كحليف وأن تعلن الحرب على دول المحور وكانت متوقع أن تنضم إيطاليا الى ألمانيا في أي حرب عداوية . وأضاف الى ذلك أنه طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ كان من المنتظر ان الجيش المصرى سيحارب كحليف تحت القيادة البريطانية ، ويبدى في موضع آخر أسفه لاستقالة محمد محمود في وقت غير مناسب لان يده هي التي قادت مصر في سبيل الاستعداد لمواجهة الحرب الحديثة (١) .

وحين سأل محمد محمود لاسون في أواخر ابريل ١٩٣٩ عن عدد القوات البريطانية في مصر أخبره أنها في مجموعها تبلغ ١٣ ألفا (٢) وهو ما يقرب من عدد القوات المصرية عند توقيع المعاهدة . أما القوات الإيطالية في ليبيا فكانت حوالي ١٠٠ ألف كما أشرنا ، جهودها موزعة بين جبهتي تونس ومصر .

يتبين من تلك الوثائق ومما كتبه ويلسن ان القوات البريطانية في مصر كانت قليلة العدد لا تكفى للدفاع عن مصر ، بينما كان مطلوباً منها الى جانب ذلك حفظ الأمن أو المحافظة على الجبهة الداخلية . ولما كان المتوقع في حالة قيام الحرب أن تدخلها إيطاليا الى جانب ألمانيا لذلك رأى الجانب البريطانى أن تقتصر مهمة القوات البريطانية على مواجهة الهجوم الرئيسى المتوقع وان تتسع مهمة الجيش المصرى في حفظ الجبهة الداخلية بحيث تعدى مجرد حفظ الأمن في الداخل - وهي المهمة التي رسموها له منذ معاهدة ١٩٣٦ كما أشرنا - الى مواجهة أي هجوم فوعى يشنه العدو لتحويل الاطار عن الهجوم الرئيسى واضعاف المقاومة التي تواجهه .

كان هذا يعنى في النهاية اشترك الجيش المصرى في الصرب الى جانب

Wilson, op. cit., pp. 16, 17, 19, 23, 34.

(١)

Lampson to Halifax, te'egram No. 117 saving, 27 April 1939, (٢)

F.O. 407/223.



الجيش البريطاني لصند أى هجوم على مصر ومتابته خارجها . لهذا جاء ويلسن الى مصر وهو ينتظر ان يعارب الجيش المصرى كحليف تحت قيادته طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، وهذا ينطبق على مفهوم بريطانيا للتحالف الذى اتضح فى سبتمبر ١٩٣٨ كما أشرفا . وكان هذا يعنى من ناحية التطبيق أن تتخلى بريطانيا عن سياسة التلكؤ والتسوف التى اتبعتها وتبذل جهودا جادة فى تسليح الجيش المصرى وفى تدريبه .

ولما كانت هناك شكوك لدى الجانب البريطانى فى قوة الروح المعنوية بالجيش المصرى مما يعجزه عن مواجهة وسائل الحرب الحديثة العنيفة فقد اتجه الى اجراء تدريبات ومناورات مشتركة بين الجيش المصرى والقوات البريطانية ووضعه تحت القيادة البريطانية فى حالة الحرب لضمان رفع روحه المعنوية وحسن قيادته .

صادف هذا الاتجاه فيما يختص بتسليح الجيش المصرى وتدريبه استعداد لدى الجانب المصرى حينئذ ، فأموال اللازمة لتنفيذ ما تريده مصر من قوة حرية قوة حديثة التسليح أصبحت قرية المنال بعد توقيع اتفاق مونترو واطلاق يد مصر فى فرض الضرائب المباشرة على الأجانب وبالتالي على المصريين ، وتقديم مشروعات قوانين جديدة للضرائب الى البرلمان كضريبة التمتع وضريبة التركات .

وضح التحول نحو السياسة الجديدة فى صيف ١٩٣٨ حين زار محمد محمود بريطانيا للتفاوض فى موضوع نصيب كل من مصر وبريطانيا فى تكاليف الثكنات اذ تقول كل الشواهد على أن المفاوضات شملت أيضا موضوع الجيش المصرى وتسليحه وتدريبه فقد تم الاتفاق بين محمد محمود والحكومة البريطانية على أن تكون للحكومة المصرية حرية استيراد الاسلحة للجيش المصرى من غير المصانع الانجليزية تجبا للإبطاء فتحررت مصر بذلك من القيد الذى وضعت المعاهدة فى يد بريطانيا على تسليح الجيش المصرى ، ومن عقد بتوريد مدافع النورتر اللازمة للجيش المصرى لمشغولية المصانع البريطانية لمدة ثلاث سنوات . وسافر وزير الحربية حسن باشا صبرى الى أوروبا حيث اتفق مع المصانع الفرنسية على توريد ١٢٠ مدفع مورتر ، وبحث فى بريطانيا موضوع انشاء مصنع

للخبرة (١) ، وفي نفس الوقت تقدمت البعثة العسكرية البريطانية بمذكرات تضمن مقترحاتها لتوفير العدد اللازم من الضباط لتوسعات الجيش وذلك بزيادة عدد الضباط الجدد عن طريق توسيع الكلية الحربية وزيادة عدد طلبتها وتخفيض مدة الدراسة بها والاكتثار من ارسال البعثات الي افجلترا بدلا من المشروع القديم الذي يقوم على الاستفادة من الضباط القدامى . وكانت الحكومة المصرية حينئذ مشغولة بدراسة نظام جديد للتجنيد يستهدف تحسين وسائل التجنيد وتكوين احتياطي وتوفير العدد اللازم للجيش ويقوم على جعل مدة الخدمة العسكرية ثلاث سنوات بدلا من خمس والغاء البذل العسكري (٢) وكانت بالإضافة الى ذلك قد تبلور لديها مشروع لتدريب طلبة الجامعة واعدادهم لمناصب الضباط الاحتياطيين وشرعت فعلا في تنفيذه ، وتلك بداية نظام ضباط الاحتياط ، كما كانت تدرس مشروعا لانشاء جيش اقليمي يكون بمثابة الصف الثاني اذا دعت الظروف ، وتلك بداية مشروع الجيش المرباط . لكن مشاكل توفير الضباط والمدربين عاقت تنفيذ المشروع حتى صدر به مرسوم في أول سبتمبر ١٩٣٩ (٣) ، وقد أوضح عبد الرحمن عزام وزير الأوقاف وقائد الجيش المرباط أن الهدف من انشائه اعداد اكبر عدد من الشعب لحمل السلاح في الاوقات العصيبة وتكوين نواة قوة يستطيع الجيش العامل الاعتماد عليها (٤) .

والحقيقة ان حكومة محمد محمود كانت حينئذ تقوم بجهود كبيرة لزيادة عدد القوات المسلحة واعادة تنظيمها على القواعد العسكرية الحديثة ، وكان موضوع الضباط والجنود جانبا من مشروعات للدفاع الوطني على مدى خمس سنوات طرحت على مجلس الدفاع الأعلى في أكتوبر ١٩٣٨ ورؤى حينئذ أنها تتجاوز قدرة البلاد المالية (٥) ويشير السفير البريطاني الى تلك المشروعات في رسالته الى وزير الخارجية البريطانية في نوفمبر ١٩٣٨ بقوله ان الحكومة المصرية قد بدأت في وضع الخطط للاسراع في زيادة عدد أفراد الجيش وقوة

(١) الدستور ٢٢ اغسطس ١٩٢٨ - الأهرام ٢٩ ديسمبر ١٩٢٨ .

(٢) الدستور والأهرام ٢٠ اغسطس ١٩٢٨ .

(٣) البلاغ ٣١ اغسطس ١٩٢٨ - الأهرام ٢ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٤) المقلم ٥ نوفمبر ١٩٣٩ .

(٥) الأهرام ٢٢ ديسمبر ١٩٢٨ .

الطيران بل وفي انشاء بحرية مصرية ولست اعتقد ان هناك تقديرات مائية وان هناك ميزانية قد وضعت للموازنة بين المصروفات المتزايدة وبين هذه المشروعات الطموحة في حدود الموارد الاقتصادية للبلاد (١) .

لذلك رؤى إعادة النظر في تلك المشروعات على ضوء قدرة البلاد المالية وعرض المشروع المعدل على مجلس الدفاع الاعلى فاقره وتناوله الصحف في ديسمبر ١٩٣٨ . ويقضى المشروع بزيادة عدد الجيش الى حوالي ٥٠ ألفا وأن يتكون سلاح الطيران من ٨٢٠ طائرة حربية و ٤٧ طائرة تدريب . أما الاسطول فتقرر البدء بنواة من تسع قطع منها باخرة حراسة واحدة واربع قاذفات طوربيد واربع لاقطات ألغام ، كما تقرر انشاء مصنعين احدهما للذخيرة والآخر للأسلحة الصغيرة وتبلغ تكاليف هتقات الدفاع طبقا لهذا المشروع ٤٨ مليون جنيه موزعة على خمس سنوات منها ١٤ مليون المصروفات العادية قبل تنفيذ المشروع ، ١٤ مليون مصروفات زائدة نتيجة لزيادة القوات المسلحة والباقي للزيادات والانشاءات الجديدة (٢) وقد استدعى تنفيذ هذه التوسعات زيادة البعثة العسكرية البريطانية في مايو ١٩٣٩ من ٩٢ عضوا الى ١١٩ (٣) .

ادى ذلك كله في النهاية الى زيادة عدد الجيش وزيادة تدريبه وتسليحه ففى الاسبوع الاول من ابريل ١٩٣٩ كتبت النيويورك تايمز تقول ان مصر قد أصبح لديها ثلاثون ألف جندي وفرقة من الدبابات مجهزة احسن تجهيز ووحدات ميكانيكية وقوة جوية وان هذه القوات تزيد شهرا بعد شهر (٤) . وفى آخر أغسطس ١٩٣٩ كتبت السبكتاتور أن الجيش المصرى زاد عدده زيادة كبيرة واعيد تنظيمه وتجهيزه (٥) .

وحين وصل الجنرال ويلسن الى مصر فى يونيو ١٩٣٩ وجد الجيش المصرى كما يقول يتضمن فرقة من الدبابات والسيارات الخفيفة ويملك مدافع مضادة

Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222. (1)

(٢) البلاغ ١٧ ديسمبر ١٩٣٨ . الأهرام ٢٢ ديسمبر ١٩٣٨ .

(٣) الأهرام ٢ مايو ١٩٣٩ - انظر ايضا دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع

المذكور ص ٢٠٤ .

(٤) الأهرام ٧ ابريل ١٩٣٩ . دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور

ص ٢٠٤

(٥) الأهرام اول سبتمبر ١٩٣٩ .

للدبابات ومدافع مضادة للطائرات ووحدات للمدافع الرشاشة، واضاف ان معدات الجيش المصرى تفضل تلك التى سلحت بها القوات البريطانية التى يقودها (١) ، يضاف الى ذلك انه فى سبتمبر ١٩٣٨ تم تعيين ضابط مصرى واخر بريطانى ليعملا كحلقة اتصال بين الجيشين (٢) وهكذا بدأ الاتصال الذى أخذتوثق ليصل الى المشاركة فى التدريبات والمناورات وخطط الدفاع .

#### رابعاً - اتخاذ مصر قاعدة عسكرية وتأمين الجبهة الداخلية

رأينا تطور موقف كل من الجانبين المصرى والبريطانى فى موضوعين أساسيين يرتبطان بتطبيق معاهدة ١٩٣٦ وهما تسليح الجيش المصرى والمهام التى يرجى من ذلك الجيش القيام بها من ناحية والتزامات مصر بمقتضى التحالف من ناحية أخرى .

وكان الجانب البريطانى يرى هذا كله فى اطار هدفه الاساسى وهو اتخاذ مصر قاعدة عسكرية رئيسية لبريطانيا .

وكان اتخاذ مصر قاعدة عسكرية يستلزم ايضا العمل على تأمين الجبهة الداخلية فيها ، وهذا يستدعى العمل على استقرار الأحوال واستتباب الأمن والنظام فيها ، وضمان ولاء وتعاون المصريين بوجه عام والقوى السياسية الفعالة فى مصر بوجه خاص فى تنفيذ المعاهدة والقيام بالتزامات مصر فيها .

وقد أشار مستر اتونى ايدن وزير الخارجية الى تلك النقاط وهو يذكر الاحوال التى تهدد المصالح البريطانية وتستدعى تدخل حكومة صاحب الجلالة فى مصر بقوله انها :

أ - اغتال تنفيذ نصوص المعاهدة أو روحها .

ب - السعى من جانب الحكومة المصرية لتأمين نفسها بالتفاوض مع دولة أخرى لعقد معاهدة عدم اعتداء أو نحوها مما يعتبر متعارضا مع نصوص معاهدة التحالف .

Wilson, op. cit., p. 19.

(١)

(٢) الأهرام ٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ .

ج - امتناع الحكومة المصرية عن اتخاذ الاجراءات الضرورية لتحسين وسائل الدفاع عن مصر أو رفضها الوعد بالتعاون لهذا الغرض .

د - تدهور النظام والامن العام في مصر الى الحد الذي يؤثر على حياة الاجانب وممتلكاتهم أو يمرضها للخطر .

هـ - خطر تدهور الوضع المالى على نحو يترتب عليه أن تصبح الحكومة المصرية عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها الدولية وعلى وجه الخصوص تنفيذ النصوص المتعلقة بالنواحى المالية فى معاهدة التحالف .

و - مساندة الحكومة أو الملك فاروق للعناصر العربية المعادية لحكومة صاحب الجلالة أو الدخول فى مشروعات غير مرغوب فيها خاصة بالجامعة العربية أو الجامعة الاسلامية (١) .

كما أشار الجنرال ويلسن الى أنه حين وصل مصر فى يونيو ١٩٣٩ ليتولى قيادة القوات البريطانية فيها لفت نظره ضآلة القوات التى يتولى قيادتها بالنسبة للهمة المسندة اليها وهى الدفاع عن مصر والسودان من جهة والمحافظة على الأمن فى الداخل من جهة أخرى . وأشار الى الاعتبارات التى تجعل تلك المهمة صعبة وهى ماضى مصر التاريخى ( وهو يعنى بهذا قوة الحركة الوطنية المعادية للاستعمار البريطانى ) والجالية الإيطالية الكبيرة فيها وسوء العلاقات بين السراى والحزب القائم بالمعارضة ( الوفد ) وبين السفارة البريطانية . وكان مما يدعو الى قلقه ان ملك مصر هو القائد الاعلى للجيش وعلى الانجليز ان يعتمدوا عليه كحليف لاتخاذ اجراءات معينة للدفاع مما يجعل لتلك العلاقات السيئة أهمية عسكرية كبيرة (٢) .

بذلك وضع كل من ايدن وويلسن - أى السياسيون والعسكريون - أصابعهم على العناصر الاساسية التى تعوق تعاون الجانب المصرى تعاوناً مخلصاً مع بريطانيا وهى : العداء التقليدى لبريطانيا - وجود جالية إيطالية كبيرة لها اتصالات واسعة فى مصر بالإضافة الى قوة الدعاية الألمانية الإيطالية - سياسة مصر الاسلامية والقضية الفلسطينية - الحالة المالية والاقتصادية والإدارية .

Eden to Lampson, No. 166, 20 February 1938, F.O. 407/222. (١)

Wilson, op. cit., p. 16.

(٢)

كان تعاون الجيش المصري وولاؤه أمرا أساسيا فيما يختص بالجبهة الداخلية بقيامه بتأمينها بكفاءة ضد أي اضطرابات داخلية يوزع على القوات البريطانية القليلة الموجودة الحاجة الى التدخل في وقت قد تكون فيه مشغولة بمواجهة هجوم للعدو . كما أن تعاونه في الدفاع عن مصر أصبح مطلوبا كما أشرنا . أما القضاة الجيش المصري على الانجليز فكان أمرا بالغ الخطورة لو حدث قبل الحرب أو بعد اندلاعها ، نظرا لقلّة عدد القوات البريطانية في مصر قبيل الحرب وحسن تسليح الجيش المصري .

وكان الجانب البريطاني يقدر أهمية تعاون الجيش المصري وولاؤه ويراقب الأوضاع داخله في يقظة واهتمام . وكانت أداته في ذلك البعثة العسكرية البريطانية التي كانت أيضا من وسائله في محاولة توجيه أمور الجيش بما يصبون المصالح البريطانية ،

ففي يناير ١٩٣٩ على سبيل المثال قامت أزمة وزارية حين حاول وزير المالية تطبيق كادر الموظفين الجديد بما يتضمنه من تخفيض المرتبات على ضباط الجيش مما أدى الى استياء الضباط واستقالة وزير الحربية . انتهزت السراى الفرصة لتكتيل الجيش خلفها والايحاء بانها تتخذ جانب الجيش مما هدد بجر الجيش الى مجال السياسة .

حينئذ - كما يقول لامبسون لهاليفاكس - ابدى الجنرال ماكريدى رئيس البعثة العسكرية للسفير مخاوفة من أن « الزمام قد يفلت وعرض على أن اقترح على رئيس الوزراء اصدار ثلاث كادرات واحد خاص بالجيش ، والثاني خاص بالبوليس والثالث يعامل بمقتضاه موظفوا الحكومة المدنيون » (١) .

وكان الجانب البريطاني يبدى اهتماما خاصا بشاغلي المنصبين المسيطرين على الجيش : منصب وزير الدفاع من الناحية السياسية ومنصب رئيس أركان حرب الجيش من الناحية الفنية . لذلك فعندما طرح اسم اللواء صالح حرب باشا كمرشح لوزارة الدفاع عند تشكيل وزارة على ماهر في أغسطس ١٩٣٩ : أو شك مستر بتمان القائم بعمل السفير البريطاني أن يصدر على ماهر ضد

---

Lampson to Halifax, telegrams No. 24 saving, 25 January (١)  
1939, and No. 109, 6 February 1939, F.O. 407/223.

تعيينه وزيرا لولا ان الاميرال ويلزياشا مدير عام مصلحة الموانئ والمنائر الذي عمل مع صالح حرب أبدى رأيا طيا فيه . وكان اتجاه مستر بتمان الأول يرجع الى تخوفه من ماضى صالح حرب لانه حرب من عمله في مصلحة الحدود وافضم الى السنوسى خلال الحرب ، ولأن تعيينه وزيرا للدفاع كان يستتبعه — كما يقول بتمان — تعيين « عزيز المصرى باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى » . ولو أن عزيز المصرى باشا مصرى الجنسية الا أنه قضى معظم مدة عمله العسكرية فى الجيش التركى والمعروف عنه أنه كثير الاطلاع فى المسائل العسكرية ، لكنى منذ بضعة أشهر أصبحت اميل الى الارتياح فى قيمة ارائه ( اذا لم أقل فى سلامة عقله ) حين حاول جاهدا أن يثبت لى أن الألمان لم يهزموا فى موقعة المارن . وعلاوة على ذلك فلدى أسباب قوية تدعونى الى الاعتقاد ان تعيينه لن يكون موضع رضاء الجيش المصرى أو البعثة العسكرية البريطانية .

ان اجتماع هارب سابق من الخدمة صالح حرب ومعجب بالمان عزيز المصرى فى وزارة الدفاع الوطنى ليس امرا مثاليا » .

لهذا ففى مقابلته الاولى لرئيس الوزراء ذكر مستر بتمان مخاوفه من تعيين عزيز المصرى فاكده على ماهر أنه سيعزله لو ثارت متاعب نتيجة تعيينه رئيسا للاركان (٢) . ولم يكمل عزيز المصرى خمسة أشهر فى منصبه قبل أن يتخلى عنه تحت الضغط البريطانى .

ولا شك أن مخاوف الجانب البريطانى من تعيين عزيز المصرى كانت ترجع الى ما هو معروف من وطنيته وكرهيته للاحتلال بالإضافة الى اعجابه بالعسكرة الألمانية .

وقد حرص الجنرال ويلسن على اقامة علاقات طيبة مع الجيش المصرى وتجنب قيام أى خلاف مع القوة العسكرية المقاتلة على الجانب المصرى . ولذلك فعندما قامت الحرب فى سبتمبر ١٩٣٩ وأصبح من الضرورى أن توضع مصر فى حالة الاستعداد لها بأسرع ما يمكن اتبع ويلسن طريقة عقد مؤتمر يومى يحضره

---

Bateman to Halifax, No. 1066, 25 August 1930, F.O. 407/223. (٢)  
لا شك أن بتمان يقصد بالجيش المصرى هنا كبار ضباطه الذين كان عزيز المصرى يعتبر دخيلا عليهم .

هو أو أحد كبار مساعديه وماكرينى مع كبار الضباط المصريين للاتفاق على الإجراءات اللازمة . وبهذه الطريقة امكنه أن ينجز الكثير دون حدوث خلاف (١) . وكان اشتراك الجيش المصرى منذ خريف ١٩٣٩ فى التدريبات مع القوات البريطانية وقيامها بمناورات مشتركة عاملا آخر قصد به توثيق صلات التعاون والتفاهم بين الجيشين ، خاصة وقد كان بعض الضباط المصريين اعضاء فخريون فى ميس الضباط الانجليز (٢) .

ولا شك ان الجنرال ويلسن كان يشير الى تلك الجهود كما أنه يوضح تقديره لاهمية موقف الجيش المصرى على الجبهة الداخلية حين يقول تعليقا على حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى علم به وهو فى سوريا « لقد ذهلت وفزعته لهذه الانباء لانى شعرت بأن كافة الجهود التى بذلت فى الايام الاولى للحرب لاقامة علاقات طيبة مع المصريين وضمان تعاونهم قد تبددت . وكان من الممكن أن يكون لهذا العمل رد فعل فى الجيش المصرى له ضرره البالغ على مجهودنا الحربي ، وكانت جهود عطا الله باشا رئيس الاركان فى معالجة الحالة هى وحدها التى حالت دون وقوع احداث (٣) » .

ويتضح أيضا تقدير أهمية موقف الجيش المصرى مما حدث فى عام ١٩٤٣ حين اراد فاروق أن يقبل وزارة النحاس بمناسبة ازمة الكتاب الأسود . ذلك أن لامبسون اراد أن يكرر حينئذ ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ من تدخل بريطانيا فعارض فى ذلك العسكريون . ويقول ويلسن أنه شعر أنها « ستكون كارثة أن نعيد المسلك المختلف حول تقديره والذى أقدمنا عليه فى ٤ فبراير ١٩٤٢ لان النتائج التى ستترتب عليه ستكون ابعد أثرا وتؤدى الى اشتباك البريطانيين فى حرب مسلحة مع الجيش المصرى أو على الاقل يواجه البريطانيون بنوع من الاضرار من بعض القوات المصرية وسوف يخلق — على كل حال — موقفا خطيرا فى الجيش المصرى .. » وكان الجيش المصرى فى ذلك الوقت يتولى المدفعية المضادة للطائرات وحراسة المناجم والمنشآت (٤) .

Wilson, op. cit., p. 26.

(١)

Ibid., p. 35.

(٢) الأهرام ٣ يناير ١٩٣٩ . المقطم اول يناير ١٩٣٩

Ibid., p. 129.

(٣)

Ibid. p. 130.

(٤)



هذا عن تعاون وولاء الجيش المصرى • اما العوامل التى تعوق تعاون وولاء المصريين بوجه عام فمنها كما أشرفا العداء التقليدى لبريطانيا نتيجة الكفاح الطويل المرير الذى خاضته الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى • فلم يكن مما يتفق مع طبيعة الاشياء ان تختفى بمجرد توقيع المعاهدة كل عوامل عدم الثقة والشعور بالظلم والمرارة والكراهية التى رسخت خلال احتلال قارب حيثئذ ستون عاما خاصة وان المصريين لم يشعروا بعد المعاهدة بان الاوضاع تغيرت كثيرا عما كانت عليه قبلها • فجيش الاحتلال استمر فى ثكناته فى القاهرة والاسكندرية ولا تزال بريطانيا تتدخل فى شئون مصر كما أكد الوفد بعد اقالة وزارة النحاس فى ديسمبر ١٩٣٧ • وزاد الطين بلة اعباء مالية ثقيلة تربت على التزامات المعاهدة واحتمال تورط مصر بمقتضى التحالف فى مشاكل وحروب بريطانيا التى لا تمس المصالح المصرية فى قليل أو كثير •

ذلك كان المحور الرئيسى الذى تدور حوله الدعاية الالمانية الايطالية الموجهة بالعربية الى مصر من محطة برلين ومحطة بارى فى ايطاليا • وكانت تساند تلك الدعاية وتقوى من أثرها جالية ايطالية كبيرة فى مصر ومفوضية ايطالية نشطة فى القاهرة (١) •

أما الجالية الايطالية فيقدر عددها بحوالى ٦٠ أو ٧٠ ألفا منتشرة فى الوجه البحرى مع تركيز فى القاهرة والاسكندرية والسويس وبورسعيد • وكان قهوها فى مصر يعتمد على كثرة عددها وانتشارها واتصالاتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بالمصريين • كما يرجع الى عاملين اخرين هامين أحدهما تأثيرها داخل القصر نتيجة وجود بعض الايطاليين ضمن الحاشية ، أو قيامهم ببعض الأعمال داخله منذ أيام فؤاد الذى تربى فى ايطاليا • ومن هؤلاء اطلون بوللى الذى كان كهربائيا ثم انضم الى الحاشية • وهارو الحلاق وكافوتشى مدرب الكلاب ،

(١) اعتمادنا فيما يختص بالجالية والمفوضية الايطالية على البحث الذى نشره الاستاذ الدكتور محمد احمد أنيس عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٧ وعلى  
Lugol, J., Egypt and world war II, pp. 61-64.

وعلى تقارير الامن الموجودة ضمن وثائق مكتبة عابدين وهى الآن فى مركز دراسات ووثائق تاريخ مصر المعاصر ، وتلك التقارير بعضها محرر بمعرفة البوليس المخصوص التابع للسرديات الملكية والبعض الآخر بمعرفة القلم المخصوص التابع لوزارة الداخلية • وسنشير الى هذه التقارير فى موضعها •

ومنهم شخصيات كان لها النفوذ في القصر هم ميلانيزي رئيس فرقة الموسيقى  
وفيروتشي كبير مهندسي القصر وانجلوسان ماركو المؤرخ .

العامل الآخر هو أن جانبا كبيرا من تلك الجالية كان يتعاطف مع الحركة  
الوطنية في مصر منذ سنة ١٩١٩ يمثل ذلك في نشاط جمعية الصداقة المصرية  
الاطيالية ونادى خريجي الجامعات والمدارس الايطالية وبعض الصحف التي  
تصدر في مصر بالاطيالية مثل جورنالي دي اورنتي - والمساجيرو - وروما -  
ومديتارينو - وكورير ديتاليا . لكن جانبا آخر من تلك الجالية كان يؤيد  
الاحتلال .

وقد انقسمت الجالية الايطالية أيضا في موقفها من الفاشية واختلفت المصادر  
في أي الفريقين أرجح ، المؤيدون أو غير المؤيدين للفاشية . فالجنرال  
ويلسن يرى أن الجالية الايطالية كانت قليلة التحس للفاشية أما جان ليول  
فيؤكد أنها كانت شديدة الحماس لقضية الفاشية .

والحق أن الجالية الايطالية من هذه الناحية كان يتجاذبها فريقان : المقوضية  
الاطيالية بنشاطها وتنظيماتها ممثلة للفاشية ، والعناصر المعادية للفاشية .

وتلقى تقارير الأمن في سنوات ١٩٤٠ و ١٩٤١ بعض الضوء على الفريق  
الثاني ، اذ توضح لنا أنه هناك تنظيمان هما :

« لجنة الايطاليين الأحرار في مصر »

Comitato D'Aizioni Degli Italiani Liberi in Egitto

و « الحزب المعادي للفاشية » Gruppo D'Azioni Antifascista.

وأن هذان التنظيمان قد انضمجا في مارس ١٩٤١ تحت أسم « الحزب الايطالي  
الحر المعادي للفاشية » .

Gruppo d'Azioni Antifascista el Italiani Liberi

ويشلة في القاهرة لجنة من ثمانية أعضاء هم :

Alceste Coli Antonio Indracollo, Sandro Rocca, Edmondo Jabes, Angelo

Tartgni, Ezio Vais.

والدكتور Maurizio Boccara والبرفيسور Vittorio Boccara, Paolo Lanza

التي تقوم بعمل السكرتارية

وكانت تلك الجماعات تلقى التأييد والمساعدة من اليهود والماسون والسلطات  
البريطانية والسلطات المصرية ، فلسان حالها جريدة "Corriere d'Italia"  
كان يكتب فيها شبان يهود تلقوا تعليمهم في إيطاليا ، ويساعدها ماليا أغنياء  
اليهود ومكتب الاستعلامات البريطاني . كما كانت الجماعات على اتصال  
بالقسم المخصص بوزارة الداخلية المصرية .

إذا أخذنا الصحافة كمقياس فأتانا نخرج من ذلك بنتيجة هي أن الجماعات  
المعادية للفاشية كانت هي الجانب الأضعف جريدة *Giornale d'Italia*  
لسان حال الفاشية كانت أمتشرا من جريدة كورير ديتاليا ، كما أن جريدة  
*Giornale d'Oriente* المعادية للفاشية لم تلبث أن احتجبت في مارس ١٩٤١ (١) .  
ورغم اندماج القوى المعادية للفاشية حينئذ كما رأينا ، ورغم فجاح القوات  
البريطانية في مصر في طرد الإيطاليين من برقة ، وهي عوامل كان مفروضا أن  
تقوى من وضع القوى المعادية للفاشية ، وبالتالي رواج الجرائد المعبرة عن  
آرائها .

ورغم حملة جان ليجون في كتابه على المفوضية الإيطالية وأفرادها وغضه  
من كفاءتهم ، وهو وضع طبيعي من صحفي فرنسي كان عليه أن يواجه دعاية  
المحور المعادية للحلفاء في مصر - فالأمر الواضح ، حتى من كلامه ، أن المفوضية  
الإيطالية كانت تملك ، رسائل ولديها الكفاءة ولها الاتصالات التي تجعل  
لدعايتها تأثيرا بين المصريين . فهناك : Gruppo d'Azione Antifascista  
"el Italiani Liberi" وهناك الجالية الإيطالية الكبيرة والكثير من أفرادها متحمس  
للفاشية ، وهناك المدارس الإيطالية في بعض المدن الهامة وبخاصة في القاهرة  
والأسكندرية بالإضافة إلى « مركز الفاشية » في المدرسة الإيطالية بالقاهرة ،

(١) كان من الشخصيات الرئيسية في جريدة الكورير ديتاليا Marco  
Orvieto الذي كان قبل ذلك يعمل في مكتب الصحافة والإعلام الذي يديره  
البروفيسور Aduino Albanese, Mario Rossi ومن الأسماء الأخرى في مجال  
الصحافة المعادية للفاشية ايرازاك تاكاموني وانجلو بروكاشيا . انظر  
Cairo City Police, Special Section, to Under Secretary of State, Public  
Security Dep.

Ministry of the Interior, No. s.s. 181/41 Confidential, 3 April 1941 ; No.  
11 May 1941 ; No. s. s. s/1. 62/41 Confidential, 26 May  
1941 ; No. 10 March 1941

وكان التعليم فيها بالمجان وتضم ٤٠٠ طالبا مصريا . وكان الحزب الفاشستي في روما هو الذي يعين السكرتير السياسي لذلك المركز . كما أن الوزير المفوض ، كونت مازوليني Mazzolini كان أحد منظمي الفاشية الأوائل عام ١٩١٩ وشارك في الزحف على روما ، كما كان سكرتيرا مساعدا للحزب . يضاف الى ذلك أن الكاتبين أوجو دادون Ugo Dadone رئيس مركز الاستعلامات الايطالي كان أيضا من كوادري الحزب الهامة ، وكان يتخذ مركز الاستعلامات وسيلة لتنظيم طابور خامس كبير النشاط ، ولجمع المعلومات .

من شخصيات المفوضية الهامة كان هناك ثلاثة لهم اتصالات اجتماعية واسعة ، هم مازوليني ودادون والملحق التجاري ديسوبافون Decio Buffoni كان دادون ذو صلات واسعة ، له كثير من المعارف والاصدقاء بل ويعرف كل انسان في القاهرة ، كما يقول ليجول ، وتفتح له الأبواب أينما ذهب . أما بافون فكان رساما له صلاته بالمجتمع الفني والأساط المثقفة في القاهرة .

كان يساند المفوضية الايطالية في نشاطها مفوضيات الدول الموالية للمحور ، وبخاصة المفوضية الألمانية ، فتدل تقارير الأمن على أنه تكونت في القاهرة هيئة Ausland Nazi Frauensch تضم النساء الألمانيات المتزوجات من غير آرين ومن أغراضها الدعاية للمبادئ النازية ونشر الأشاعات وأعمال التجسس (١) .

تلك هي ركائز النفوذ والدعاية الايطالية الألمانية التي كانت مصدر قلق دائم لسير مايلز لامبسون ، خوفا منه على الجبهة الداخلية . فمنذ وقت مبكر ، وفاروق لا يزال يحكم عن طريق مجلس الوصاية ، وجهود لامبسون متصلة للتخلص من العاشية الايطالية في القصر ، وعلى الأخص فيروتشي Verucci كبير المهندسين . حاول ذلك في مايو ١٩٣٦ (٢) . ثم نصح فاروق ثانية في

---

(١) من القسم المخصوص بمحافظة القنال الى وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام ، رقم ٢٦٠٢ سري في ٢٠ أبريل ١٩٤١ .

2. Lampson to Eden, telegram No. 419, 12 Mgy 1936, F.O. 407/219 p. 95.

مارس ١٩٣٩ بأنه كملك دستورى لمصر المستقلة ينبغي الا تضم حاشيته عناصر غير مصرية (١) لكن مساعيه لم تصادف نجاحا قبل نشوب الحرب .

وقد توالى تقارير لامبسون تحمل شكواه من الدعاية الإيطالية الألمانية ومخاوفه من آثارها . قضى يناير ١٩٣٩ كتب يقول « الحق أنه يخشى أن عملاء إيطاليا وألمانيا قد يؤثرون بواسطة صنائعهم داخل القصر وخارجه على الملك فاروق بما يريده محور روما - برلين ، أى حيدة مصر فى حالة قيام الحرب . . . وليس هناك من شك فى أن الدعاية الألمانية والإيطالية تعمل على أن تتركى بين المصريين جميعا ، سواء أكانوا من الطبقات العليا أو الدنيا ، الشعور بأن مصر ينبغي أن تتجنب الانسياق الى حروب انجلترا اذا كانت تلك الحروب لأسباب لا تمس مصالح مصر بطريقة مباشرة . . . لقد توقفت الدعاية الإيطالية المفتوحة ضد بريطانيا توقفا تاما منذ أن صودق على اتفاقية روما ، لكن الدعاية الألمانية حلت محلها ، وهى تعمل لصالح طرفى محور روما - برلين . ولاشك أنه يوجد تهاهم وثيق بين تنظيمات الدعايتين الألمانية والإيطالية . . . وفيما يخص بمصالحنا لا يعنينا كثيرا أى الشريكين يدير الدعاية المضادة لنا .

الدعاية الإيطالية الألمانية شاملة ، لكن يبدو أن أحد مجالاتها المفضلة فى مصر هو ما يمثل الطبقة الأرستقراطية فى أوروبا أى البلاط ومن يدورون فى فلكه ، الأبرار والمصريون المتزكون والعناصر الراقية والأكثر تماليا فى المجتمع المصرى . فى هذا المجال يجد عملاء الدعاية الإيطالية الألمانية اذا ما أكثر اصحاء عما هو الحال فى الدوائر الأكثر بورجوازية وشعبية التى لاتزال على عدايتها لإيطاليا تحت لواء الوفد . وكل هذه الدعاية المقننة والمتباينة لها غاية واحدة هى تقويض مركز انجلترا فى مصر والشرقين الأدنى والأوسط لصالح محور روما - برلين ولا بد لها أن تضمف مركزا فى أى وقت وفى أى مكان تتعارض فيه مصالح بريطانيا الظمنى مع مصالح العالم المصرى - العربى » (٢) . لكن غزو البايى فى أبريل دفع إيطاليا الى تنشيط دعايتها فى مصر ، تبريرا للغزو وتلميحا الى ما عليه بريطانيا

1- Lampson to Eden, telegram No 75 saving, 29 March 1939, F.O. 407/223, P. 22.

2- Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939 F.O. 407/223, pp. 7-8.

من ضعف . ولما كان الجانب البريطاني ملتزماً بالاتفاقية الانجليزية الإيطالية ( معاهدة روما ) فقد وقف مظلوم الدين ، عاجزاً عن مواجهة تلك الدعاية ، مما أضعف موقف بريطانيا . وزاد من ضعفه زيارة دكتور جوبلز وزير الدعاية الألماني لمصر بعد ذلك مباشرة . لذلك لجأ لامبسون الى طريقة استعراض القوة بمرور بعض القوات البريطانية في عرض كبير في شوارع القاهرة ، ثم كتب يقترح بأصرار شديد أن يسمح له « بالقيام بحملة دعائية مضادة في الحال » . أنها لازمة من وجهة النظر العسكرية ( القائد العام ( البريطاني ) تحدث الى في ذلك عدة مرات بأصرار ) ، والأوضاع المحلية تتطلبها ، ولا أملك سوى أن أعرض وجهة النظر التي ترى أن الصمت المفروض علينا حالياً هو جنون مطبق ، حتى لو كان ذلك مني صراحة زائدة عن الحد . أن الوضع وصل الى حد يدفعني الى أن أقترح أن تبدأ حملتنا الدعائية المضادة من الأسبوع القادم اذا لم تصلني تعليمات تخالف هذا » (١) .

ومع ذلك فإن وزير الخارجية صرح له باستخدام ما لديه من وسائل لايضاح وجهة النظر البريطانية ووقوف بريطانيا ضد العدوان ، لكنه منعه من أن يتجاوز ذلك الى حملة تهاجم إيطاليا ، فذلك تقض للمعاهدة الانجليزية الإيطالية التي تعترف بريطانيا أن تلتزم بها لأن تقضها يعطى إيطاليا مبرراً للتدخل من الالتزامات التي تعيد بريطانيا فيما يختص بالشرق الأدنى وسحب القوات الإيطالية من ألبانيا (٢) .

وعاد لامبسون في مايو ١٩٣٩ يشكو من الدعاية الإيطالية الألمانية ويقترح علاجاً مباشراً لها بقوله « ساق القلق المصري ( نتيجة استيلاء ألمانيا على باقي تشيكوسلوفاكيا والغزو الإيطالي لألبانيا ) أيضاً الحكومة لأن تكون عوناً لنا في مسألة الدعاية الألمانية الإيطالية التي أصبحت منذ زيارة الدكتور جوبلز في الشهر الماضي أكثر وأشد قوة . وقد نوهت في مكاتباتي السابقة بخاطر هذه الدعاية ، وبعدم كفاية اجراءاتنا المضادة . أن الشرط الأساسي الذي ينبغي توافره

1- Lampson to Halifax, telegram No. 276, 20 April 1939, F.O. 407/223, pp. 24, 25.

2- Halifax to Lampson, telegram No. 328, 24 April 1939, F.O. 407/223, p. 25.

لكي تقوم بهجوم مضاد هو انشاء وزارة للاعلام في لندن واتخاذ القاهرة مركزا للدعاية في العالم المصري - العربي ، وهذا يماثل تماما التنظيم الايطالي والألماني « (١) » .

وقد أنشئت فعلا وزارة للاعلام في لندن تضم قسما خلاصا بالشرق الأسط . من العوامل الأخرى التي كانت تؤثر في موقف المصريين من بريطانيا وبالتالي مصدر قلق للاميسون على سلامة الجبهة الداخلية، سياسة مصر الإسلامية وموقفها من القضية الفلسطينية . ذلك إن مصر ، بعد معاهدة ١٩٣٦ ، أخذت تبحث لها عن دور في السياسة العالمية . ولم تبدأ مصر ذلك من فراغ فقد كانت تنازعها عدة اتجاهات منذ آخر القرن التاسع عشر ، فبالإضافة الى شعورها بشخصيتها المتميزة كان هناك اتجاه اسلامي قوى نحو الجامعة الإسلامية ، ذلك الاتجاه الذي كان يشجعه من الخارج سلاطين تركيا ، ويشجعه في الداخل الكثير من الهيئات والمفكرين ، منهم الحزب الوطني . كان هناك أيضا الاتجاه العربي ويدعو له مفكرون أمثال عبد الرحمن الكواكبي ويشجعه الخديو عباس حلمي الثاني نكاية في السلطان العثماني ولتحقيق مآرب سياسة .

وفي الفترة التي يتناولها البحث الآن كان الاتجاهان يسيران جنباً الى جنب على المستوى الشعبي ، أما على المستوى الرسمي فكان الاتجاه الإسلامي هو الأعلى نتيجة للسياسة الإسلامية التي اتبعها الملك فاروق لزيادة شعبيته بتوجيه من الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر وعلى ماهر باشا رئيس ديوانه ، تلك السياسة التي تضمنت أظهار الملك الشاب بظهر الصلاح والتقوى ، وأداءه صلاة الجمعة كل أسبوع في أحد المساجد ، والتهاف له بلقب الخليفة وأمير المؤمنين ، ومحاولة صنب حفل توليه العرش بالصيغة الدينية . وقد تضمنت هذه السياسة الإسلامية بحكم الضرورة انعكاسات عربية ، وبخاصة فيما يتصل بقضية فلسطين . وفي أكتوبر ١٩٣٨ عقد في القاهرة المؤتمر البرلماني العربي والإسلامي لنصرة قضية فلسطين ، وحين تألفت وزارة علي ماهر في أغسطس

1- Lampson Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223, p. 35.

١٩٣٩ ضمت ثلاثة من كبار المدافعين عن الإسلام والعزية وهم عبد الرحمن عزام وصالح حرب ومحمد علي علوبة (١) .

تلك السياسة الإسلامية العربية كانت — كما أشرفا — مصدر قلق للامبيسون على سلامة الجبهة الداخلية من وجهة النظر البريطانية ، فكتب في نوفمبر ١٩٣٨ عقب المؤتمر البرلماني لنصرة قضية فلسطين يقول هما كاد ينتهي القزغ الناشء عن فتر الحوب حتى أخذت المسألة الفلسطينية بوصفها من الشؤون الخارجية مكان الصدارة على السياسة الداخلية . وقد شجع القصر والحكومة الحركة الفلسطينية هنا كجزء من سياسة مصر الإسلامية المسيطرة في الشرق الأدنى والأوسط . واستجابة للمساعي التي بذلتها لدى القصر والحكومة أمكن توجيه مداولات المؤتمر العربي البرلماني الى أسس معتدلة نسبيا . وفي نفس الوقت فإن التجميعات الإسلامية المختلفة التي ازداد عددها في السنة الماضية ولها اتصال بالقصر قد اشتد عنفها في استنكارها للصهيونية والجبهة الامبريالية التي تساندها وهي بريطانيا العظمى . وهنا — مرة ثانية — استجابت الحكومة لتوسطاتي وأظهرت بعض السيطرة على عوامل الهياج . وقد أصبحت الجامعة المصرية أيضا مركزا لهذه الدكات المعادية لبريطانيا ويشارك فيها الطلاب من جميع الأحزاب . ولو أن الوفد قاطع المؤتمر البرلماني لأنه انعقد تحت رعاية النظام الحالي ، الا أنه استغل المسألة الفلسطينية ليظهر بريطانيا العظمى بظهر العدو الأكبر . ول يظهر فتور الحكومة نحو القضية العربية لأن الوزارة — كما يدعو الوفد — مدينة للدعم البريطاني بالاستمرار في الحكم .

وظرا لتعاطف المصريين الشديد مع عرب فلسطين فما لم تحل المشكلة الفلسطينية فانها ستظل مادة يستغلها المحرضون السياسيون — سواء في ذلك القصر أو الوفديون — لمهاجمة بريطانيا العظمى والحاق الضرر بالعلاقات المصرية الانجليزية . أن حل هذه المشكلة من شأنه أن يقلل من الصعوبات التي تلاقيها هنا . ولا يشأ رئيس الوزراء يردد هذا الرأي في أحاديثه معي . . . .

(١) مارسيل كولومب ، تطور مصر ١٩٢٤ — ١٩٥٠ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٧ .  
يلاحظ أن الاتجاه تحول بعد ذلك الى تفوق فكرة الجامعة العربية وتزعيم مصر للعالم العربي بحكم وضعها وامكانياتها .



لا يزال الملك فاروق — بأرشاد على ماهر باشا — يواصل السياسة الإسلامية التي كان والده يسير عليها دون أن تكون له بصيرته . . . أما في الخارج فانها ( هذه السياسة الإسلامية ) تبيل الى تعزيز نفوذ مصر في العالم الإسلامي تحت رعاية بريطانيا العظمى وفرنسا . وسواء أكان هذا الحلم الأخرق يؤدي الى قيام الخلافة في مصر أو كان الهدف العملي الوصول الى نوع من الرئاسة الدينية في الإسلام ، فان هذه السياسة الملكية تتطوى على خطر أثاره كراهية الأجانب في مصر ، كما أنها تؤدي الى توثيق التعاون بين الدول الإسلامية التي تناهض سياستها وسياسة الفرنسيين . وعمما قليل سوف يتضح الموقف في هذا الأمر الحيوى الهام ، فلو ما أن يواصل العالم الإسلامي صداقته التقليدية لنا ، وأما أن ينحاز الى الجانب الايطالى — الألمانى . لذلك فان السياسة الإسلامية التي ينتهجها ملك مصر يجب أن تكون موضع اهتمامنا الكبير ، وينبغى أن نراقب تطورها بعناية فائقة » (١) .

وفي يناير ١٩٣٩ ، كتب يقول أن المسألة الفلسطينية تعمل على استمرار تعقيد العلاقات المصرية البريطانية، وأن مصر «تطمع في استخدام استقلالها الذي حصلت عليه أخيرا في أن تلعب دورا قياديا في الشرق الأدنى والأوسط . أن اطماع الملكية في الخلافة تجعل عون مصر مؤكدا لأية قضية اسلامية داخل أو خارج الحدود المصرية .

. . . . هذا الحماس الإسلامى المثار قد نفس عن نفسه تنفيسا طبيعيا في حملة متصلة هدفها مساعدة جيرانها من مسلمى فلسطين الذين يتخذ جهادهم ضد البريطانيين واليهود صورة العرب المقدسة . وقد ألقى وصول المنفيين من سيشل مزيدا من الوقود على النار المشتعلة (٢) . وهم ضيوف جمعية الشبان

1- Lampson to Alalifax, No. 1197, 7 November 1933, F.O. 437/222.

(٢) على اثر اشتعال الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ قامت السلطات البريطانية في فلسطين في عام ١٩٣٧ بنفى خمسة من أعضاء اللجنة العربية العليا الى جزر سيشل . وحين دعت بريطانيا الى مؤتمر المائدة المستديرة في أوائل ١٩٣٩ لبحث القضية الفلسطينية قررت اطلاق سراح هؤلاء المنفيين حتى يتيسر اختيار ممثلين من عرب فلسطين في المؤتمر ، وكان وصول هؤلاء الى مصر مناسبة للتعبير عن تأييد المصريين القوي لحقوق الشعب الفلسطينى واستنكارهم الشديد للسياسة البريطانية في فلسطين .

المسلمين وقد أصبحوا مركزا لأعمال الهياج الإسلامي المعادي للبريطانيين • أن قسوة أعمال القمع العسكري التي كان يتعذر تجنبها في فلسطين قد أتاحَت الفرصة لاستغلال ما أسموه بالوحشية البريطانية • ومرة تلو الأخرى كان على السفارة أن تحتج على هذا الهياج لدى وزارة الداخلية ••••• من وقت لآخر كانت السلطات المصرية - نتيجة لطلباتها - تصدر بعض الكتيبات الجارحة المضادة للبريطانيين •••••

وعلى أية حال يجب ألا نقترض أن التعصب الديني هو وحده المسئول عن مساعدة المصريين لعرب فلسطين • فجميع المصريين يتعاطفون فعلا مع العرب في جهادهم • وأكثر الطبقات فهما يتوقعون أن يعتدى اليهود على شعوب الشرق الأدنى وعلى اقتصاده • ويخشى المصريون - وربما كان لخوفهم ما يبرره - أن جوار دولة يهودية قوية يؤثر جديا في حقوق مصر الاقتصادية في الشرق الأدنى •

يجب أن يكون في بالنا أنه توجد هنا جالية فلسطينية مهمة غالية افرادها من اللاجئين الا أن هؤلاء الفلسطينيين سيظلون مركزا دائمة الهياج مضاد للبريطانيين الى أن تتم تسوية المسألة الفلسطينية بما يرضى العرب • وهذه صورة من الموقف في فلسطين لها أهميتها الكبرى بالنسبة لوضع بريطانيا العظمى في مصر •

ولا ريب في أن متاعب بريطانيا العظمى مع العالم العربي بشأن فلسطين تضعف من موقعها في شرق البحر المتوسط بشكل محسوس ، وبذلك يكون لها أثر سييء على دورنا كحليف لمصر • وقد سبق أن أوضحت أن مصر لم تعد على ثقة كاملة من قدرتنا على توفير الحماية الكافية لها ضد العدوان • لذلك كان لا بد من الاسراع بتسوية المسألة الفلسطينية بطريقة تعيد لنا تأييد العالم العربي وبذلك يقوى موقعنا هنا « (١) •

وعاد لامبسون في مايو ١٩٣٩ يقول أنه «من الواضح أن عداء الوفد لاشارك مصر في حرب يمكن بسهولة تصورها للشعب الجاهل على أنها حرب بريطانيا العظمى وليست حرب مصر قد يعقد أعمالنا وأعمال الحكومة المصرية الى درجة

1- Lampson to Hla'ifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223, pp. 7, 8.

كبيرة ... وإذا لم تحل المسألة الفلسطينية سرعا حلا مرضيا فانها ستتمدد  
الوفد بالكثير من الذخيرة الفعالة (ضد بريطانيا) (١) .

ولاشك أن هذا الضغط الشديد من جانب لامبسون لزرعة تسوية المسألة  
الفلسطينية بما يرضى العرب من العوامل الهامة التي أدت تغير بريطانيا سياستها  
في فلسطين أواخر ١٩٣٨ وأوائل ١٩٣٩ . وقبل ذلك كانت المسألة البريطانية  
منذ يوليو ١٩٣٧ تقوم على أساس تقرير لجنة بيل Peel التي تضمن الاقتراح  
بتقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ومنطقة محايدة تشمل الأماكن  
المقدسة . ثم ارسلت في أبريل ١٩٣٨ لجنة التقسيم لتضع تفاصيل تنفيذه ، ونشر  
تقريرها في أكتوبر . في ذلك التقرير أوضحت اللجنة أن التقسيم غير عملي لكنهما في  
النهاية عرضت مشروعا معدلا للتقسيم يقوم على أساس تكوين اتحاد جبركي  
من الأقسام المختلفة . وفي نوفمبر ١٩٣٨ أعلنت الحكومة البريطانية عن عدوها  
عن سياسة التقسيم ، واعتزامها دعوة ممثلين لعرب فلسطين ولليهود وللدول  
العربية المجاورة الى مؤتمر يعقد في لندن للبحث عن حل للمسألة الفلسطينية (٢) .

لم يسفر مؤتمر المائدة المستديرة ( فبراير - مارس ١٩٣٩ ) عن حل ، لكن  
المقترحات التي تقدمت بها الحكومة البريطانية خلاله هي التي صدر بها الكتاب  
للأبيض في مايو ١٩٣٩ ، وتضمن إنهاء الانتداب واقامة دولة واحدة مستقلة  
خلال ١٠ سنوات ، وتحديد الهجرة ، وإيقاف الهجرة غير الشرعية وبيع أراضي  
العرب لليهود . تلك كلها مكاسب للعرب ، ويلاحظ أن فترة هذا التطور تتفق  
مع اجازة لامبسون في بريطانيا ، وهي تمتد عادة بين يوليو وأكتوبر ، وخطاباته  
المتوالية التي أشرنا اليها بين نوفمبر ١٩٣٨ ومايو ١٩٣٩ .

وكانت حالة البلاد الإدارية والاقتصادية بوجه عام ترعج لامبسون وتثير  
قلقة على الجبهة الداخلية .

ترتبت على معاهدة ١٩٣٦ عدة نتائج كان لها صداها في المجال الإداري

1- Lampson to Hlatifax, No 560, 21 May 1939, F.O. 406/223, pp. 34, 35.  
(٢) انظر : هيئة الاستعلامات ، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية  
ج ٣ ، ص ٣٩٩ - ٤٢١ . د . صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ٢١٢ .  
سيتون وليمز ، بريطانيا والدول العربية ، عرض للعلاقات الانجليزية العربية  
١٩٢٠ - ١٩٤٨ ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، ص ١٥٠ - ١٥٦ .

والاقتصادى • فقد ألغيت الامتيازات الأجنبية واستردت مصر حريتها فى التشريع للأجانب وفى فرض الضرائب المباشرة عليهم ، وقد أثار ذلك قلق الأجانب وتخوفهم من الطريقة التى ستزاول بها الحكومة المصرية سلطاتها التى استردتها ، وكان لهذه المخاوف أثرها فى المجال الاقتصادى • ومن العوامل التى كانت مصدر توجس وترقب أيضا تصفية القسم للأوربوى أو بوليس الأجانب فى وزارة الداخلية •

وقد ترتبت على استرداد مصر حريتها فيما يختص بفرض الضرائب أن سنت قوانين جديدة خاصة بضرائب الدخل والتبعة والتركات لتنمية موارد الدولة ، وذلك دون تطوير مبكر وسريع للإدارات الخاصة بجباية تلك الضرائب بالشكل الذى يرفع من كفاءتها ويمكنها من مجابهة تلك الاعباء الجديدة ، وكانت الحاجة ماسة الى هذا التطوير حتى تجنى الدولة أقصى فائدة من تلك القوانين الجديدة مما يمكنها من مواجهة الأعباء الباهظة التى فرضتها عليها المعاهدة ، ومن مواجهة أعباء التنمية فى مجتمع حديث عهد بالاستقلال • وبذلك يكون العجز الإدارى أساسا لعجز مالى واقتصادى يقع ضرره فى النهاية على المجتمع ويؤدى الى تدمير أفراد من السلطة الحاكمة •

يضاف الى ذلك انخفاض أسعار القطن فى نهاية عام ١٩٣٨ وأوائل ١٩٣٩ مع نقص محصوله نتيجة لظروف جوية ومهاجمة الآفات للمحصول ، مما أدى الى سوء الحال فى الريف والعجز عن تسديد الديون العقارية ومهاجمة الحكومة والضغط عليها لاييجاد حل حاسم لتسوية تلك الديون ، وقد أدى سوء حال البلاد المالية والاقتصادية الى نشى البطالة •

ولما كان الاعتقاد لا يزال حينئذ سائدا بأن بريطانيا مستمرة على التدخل فى شئون مصر بعد معاهدة ١٩٣٦ ، وأن تلك المعاهدة قد أثقلت مصر بالتزامات مالية فادحة ، فان جانبا كبيرا من استياء نتيجة سوء الحالة المالية والاقتصادية كثر ينصب على بريطانيا •

تلك هى الحالة التى كانت مبعث قلق السفير البريطانى وخوفه من أنها ستؤدى الى وجود شعور عدائى فى مصر ضد بريطانيا وضد المعاهدة • وقد عبر عن مخاوفه تلك ابتداء من نوفمبر ١٩٣٨ اذ كتب يقول « أن مصر مقبلة على

أوقلت عصية ولم يبرز من رجال السيادة فيها من هو كفء لرسم تخطيط سليم لمولجة الأخطار التي تهدد مستقبل البلاد .

للوقوف المالى والاقتصادى سئ ، فالمساحة المزروعة قطنا هذا العام أقل من مساحة العام الماضى ، كما أن المحصول قد انخفض بسبب العوامل المناخية وبسبب الخسائر القادحة التى أحدثتها دودة القطن : ولظروف الفيضان . ومع أن التقديرات تختلف فالاعتقاد السائد هو أن المحصول هذا لعام يقل عن محصول العام الماضى بمقدار الثلث ، مما يؤدى الى خسارة فى الدخل القومى تبلغ عشرة ملايين من الجنيهات . كما أن حصيلة الجمارك قد أظهرت اتجاهها الى الانخفاض . وقد أصبحت جباية ضريبة الاطيان الزراعية من الفلاحين الذين يعانون من النكبة أمرا شاقا يستلزم اتخاذ اجراءات مشددة ضد المتخطفين عن السداد . وقد بدأت الحكومة وضع مشروعات للاسراع فى زيادة عدد الجيش وقوة الطيران ، بل وفى انشاء بحرية مصرية ، ولا أعتقد أن هناك تقديرات سليمة ، أو أن ميزانية قد وضعت للموازنة بين المصروفات المتزايدة وبين هذه المشروعات الطموحة فى حدود موارد البلاد الاقتصادية .

وقد أشار الى مشروعات ضرائب الدخل والتمغة والتركات وأنها قدمت الى البرلمان فى سبتمبر وادخلت عليها بعض التعديلات وانها ستبحث خلال الدورة الجديدة ، وقال « وحتى اذا تمت الموافقة عليها فى صورتها المعدلة فانه لا يحتمل أن تكون مصدرا كبيرا للإيراد لفترة كبيرة . وكذلك فان الاجهزة اللازمة للإدارة الفعالة فى هذه الظروف المالية المعقدة لا تتوفر لها الخبرة الكافية ومن ثم فان الحكومة تواجه برنامجا عسكريا ضخما لا يمكن تمويله من اعتمادات الإيرادات الحالية اذا أريد تنفيذه ، ومن المفروض أن تلجأ الحكومة الى المبالغ الاحتياطية بالميزانية .....

ومن الصعب أن تتجنب التشاؤم تجاه مستقبل مصر الاقتصادى والمالى نظرا لالتزاماتها العسكرية الجديدة ولضعف الجهاز المتوط بمواجهة الابعاء الجديدة التى تثقل موارد البلاد الاقتصادية . ومن صور هذا التشاؤم الذى يشعر به المستثمرون - أجانب ووطنيون - نزول أسعار الأوراق المالية المصرية ، ولو أن هذا النزول يرجع أيضا الى عوامل اقتصادية عالمية ..... وسوف

تؤدي زيادة الأعباء المالية الى أن يزداد الناس كراهة للقصر ويقوى تدميرهم ضد نظام القصر الذى يعززون اليه متابعهم الاقتصادية .

ولما كان الناس يخشون أن يتعرضوا للمخاطر اذا ما أعربوا عن معارضتهم للملك ، فانهم ينحون باللائمة على انجلترا كما تعودوا ذلك من قبل . وقد بدأ الوفد بالفعل حملته على برنامج الاتفاقات العسكرية بدعوى أن هذه الأعباء فرضت على المصريين لخدمة مصالح الامبرالية البريطانية . والوفد يعتبرنا مسئولين عن كل اجراء حكومى يثير السخط لدى الشعب . ولا يزال المصريون يعيشون على المفاهيم القديمة التى مؤداها أن انجلترا فى حقيقة الأمر هى التى تمسك بخيوط الحكم وتحركها وراء ستار من الادعاء بعدم تدخلها . لذلك فان الدعاية الوفدية تلقى آذانا صاغية ليس بين الجماهير الجاهلة فحسب ، بل بين المتعلمين وأنصاف المتعلمين أيضا . وطالما استطاع الملك فاروق وحكومته أن يحولوا دون تدهور خطير فى الجهاز المالى والادارى فان ما يشبه الوفد من مشاعر التدمير لن يكون خطيرا ، لكنه قد يبلغ درجة الخطر اذا ما تعدت المشاكل الجديدة ( الادارية والمالية ) طاقة حكام مصر الحاليين . وقد يجد السخط الشعبى الناجم عن الخلل الاقتصادى منفذا فى قيام تحركات معادية للقصر ، بل ومعادية لبريطانيا وللمعاهدة بصفة خاصة ، ذلك أن الحقيقة تبقى دائما ماثلة فى أن مصير التعاون بين انجلترا ومصر مرتبط بصلاحية الاداة الحكومية المصرية وبمتطلبات السياسة الدولية » . (١)

وعاد لامبسون فى يناير ١٩٣٩ الى الكتابة عن سوء الحالة المالية وأشار أن هذه الصعوبات قد ازدادت « واستمر هبوط الدين الموحد بدرجة تدعو الى القلق . ومع أن هذا الهبوط يعزى من جهة الى عوامل خارجية ، ومن جهة أخرى الى ضعف اقتصاد البلاد بسبب الهبوط الكبير فى أسعار القطن ، الا أن انعدام الثقة فى مستقبل مصر الادارى قد لعب دورا كبيرا فى هبوط الاوراق المالية المصرية . فمشروع القانون المعروض الآن أمام البرلمان - على سبيل المثال - والذي مؤداه أن يخلص ملاك الأراضى من جزء كبير من رهنات

أراضيهم (١) ، قد آثار شعورا في الدوائر المالية التي تنظر اليه كدليل على عبث الفوضى بسمعة البلاد .

ان المصريين المستثمرين لأموالهم في السندات الحكومية معظمهم من الأجانب أو شبه الأجانب ( كاليهود والسوريين وغيرهم من المتجنسين بالجنسية المصرية ) وقد بدأوا يدركون حرج موقفهم باعتبارهم أقلية من الدائنين تواجه أغلبية ساحقة من المدينين المصريين الذين أصبحوا ، بعد استقلال مصر والناء الامتيازات ، يتمتعون بقوة يحتل أن يسيئوا استخدامها في مصالحهم المالية بغض عن سمعة البلاد » .

وأشار لامبسون الى أن الدكتور أحمد ماهر ، وزير المالية حينئذ ، قد بذل جهدا جبارا لضغط المصروفات ، وبخاصة اعتماد مرتبات الموظفين ، كما أنه اقترح كادرا جديدا يتضمن تخفيضات كبيرة في مرتبات الموظفين ، ويبدى تشككه في أن تمكن الحكومة من المضي في هذه السياسة لأن الموظفين في مصر قوة تخشاها جميع الحكومات . ثم أشار الى الصعوبات التي تواجهها مشروعات الضرائب الجديدة في البرلمان ، واستغلال الوفد للأزمة المالية وكادر الموظفين الجديد لاجراج الحكومة . وعرج على الاضطرابات التي يثيرها طلبة الأزهر ودار العلوم والجامعة والمدارس الفنية بقيامهم بالاضراب للضغط على الحكومة لتحقيق مطالبهم فيما يتعلق بتوظيف الخريجين ، وقال أن وراء حركة الاضرابات هذه « توجد مشكلة البطالة التي تشنت بين العمال والتي كان سببها التطور السريع للتعليم العالي وغير الفني في بلاد زراعية لا تتوافر فيها فرص العمالة التي تكفي لتوظيف آلاف الشبان الذين عدلوا عن الاشتغال بالزراعة ٠٠٠٠ ان خطر الثورة الكامن في هذا الوضع واضح جلي ٠٠٠٠ ان الحقائق المؤلمة للموقف المالي والاقتصادي معروفة ومن المتوقع أن تؤدي الى تدهور ذريع في بناء البلاد الاقتصادي ولكنهم ( المصريون ) لا يواجهونها بصراحة قلرا لانعدام روح التضحية والتضامن القومي » (٢) .

وعاد في مايو ١٩٣٩ يقول أن الموقف الاقتصادي السيء الذي يعزى الى

(١) يقصد بذلك قانون تسوية الديون العقارية الذي صدر برقم ٢ لعام

١٩٣٦  
Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223 (٢)  
PP. 10-12.

هبوط أسعار القطن يبدو أثره في الريف في تزايد عدم قدرة ملاك الأراضي على سداد أقساط الديون المرتفعة عليها أراضيهم ، وأنه لا يمكن تجنب أثر رد الفعل السيء لهذه الظروف على سعة مصر . « ومع ذلك فإن فقد الثقة لدى الأجانب في مصر يقوم بالأكثر على الاعتقاد بأن المظاهر الحالية المعتدلة نسبيا لكراهية المصريين للأجانب في المجال الاقتصادي المصري سوف تشتد على مرور الزمن . ويرداد عدم الثقة هذا نتيجة الاعتقاد في استمرار التدهور الإداري والقضائي في مصر .

إن الإدارة المصرية أصبحت عاجزة عن معالجة مشاكل اقتصادية واسعة كذلك التي ترتب على زيادة عدد السكان بالنسبة لموارد الانتاج ، وهبوط أسعار المحاصيل ووجود جاليات أجنبية كبيرة ، وعلاقات مصر الاقتصادية الواسعة مع أوروبا ، وضخامة مشكلتها العسكرية في ظروف الحروب الحديثة . إن الإدارة المصرية آلة أقامها الأوروبيون على النمط الأوروبي المعقد ، ولا يمكن أن تدار بأيدي مصرية وهي لا تزال تدور في الوقت الحاضر بقوة الدفع القديمة ، لكن من الواضح أن سرعتها تتلاشى ، وبعبارة أخرى فلا يوجد الآن عمل حقيقي كثير يتم انجازه (١) » .

وفي يوليو ١٩٣٩ عاد الى نفس الموضوع فكتب تقول أن الاحتفاظ بالجهة الداخلية « سيتأثر بشكل عكسي بالسياسة الحالية للحكومة المصرية التي ترمى الى التخلص من الموظفين الأجانب على نطاق واسع دون النظر بعين الاعتبار الى ما اذا كان هناك مصريون صالحون يحلون محلهم . وتنطوي هذه السياسة على ابعاد كثير من الموظفين البريطانيين الذين تعتبر خدماتهم في مؤخرة الحرب ذات أهمية أساسية » (٢) .

لم يقدم لامبسون اقتراحات لمعالجة سوء الحالة الاقتصادية والمالية والإدارية حينئذ ، لكن حين عاد الى الكتابة في هذا الموضوع في نوفمبر ١٩٣٩ اقترح أن تتدخل الحكومة البريطانية لشراء محصول القطن المصري بسعر يعلو قليلا عن سعره حينئذ . (٣)

Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223, p.35. (١)

Same to same, No. 871 13 July 1939, F.O. 407/223, p.5. (٢)

Same to same, No. 1362, 8 November 1939, FO. 407/223, p. 124. (٣)



حين كان لامبسون يكتب الى الخارجية بأرائه عن الادارة المصرية كان اللواء رسل باشا حكامدارا لبوليس العاصمة وكان وكيله الأميرالاي فيتر باتريك بك ، وكان اللواء ييكر باشا حكامدار البوليس بالاسكندرية ووكيله الأميرالاي جيز بك ، كما كان اللواء ويلز باشا مديرا لمصلحة المواني والمناشر ، وكان الأميرالاي أبلت بك حكامدارا لبوليس القناة . أما مصلحة التلغرافات والتليفونات فكانت على رأسها مستر وب . وكان بالجيش المصري بعثة عسكرية بريطانية كبيرة العدد على رأسها الجنرال ماكريدي وكانت تشرف على تدريب الجيش وتسليحه . أى أنه كان لبرطانيا رجالها القابضون على السلطة في المصالح الحساسة ، البوليس ، المواني ، والمواصلات السلكية واللاسلكية ، والمشرفون على الجيش .

يبدو من هذا أن لامبسون كان يرى أن تأمين الجبهة الداخلية لضمان سلامة وفعالية القاعدة البريطانية في مصر كان يستدعي زيادة الاشراف البريطاني على الادارة المصرية .

ولما كان ذلك متعذرا في ظروف ما بعد معاهدة ١٩٣٦ فقد أصبح بديله هو التدخل السياسى تسنده القوة العسكرية الكفياة بحفظ هبة برطانيا وبقاء كلفتها مسموعة .

وكان لامبسون يرى في التدخل والقوة العسكرية - الى جانب مقترحاته التى أشرفا اليها - الوسيطان الحاسمتان لمواجهة جميع العوامل التى تهدد سلامة الجبهة الداخلية من وجهة النظر البريطانية ، ولضمان تعاون المصريين وتنفيذ المعاهدة .

ولا شك أن في هذه الفكرة توجد بذور التدخل البريطاني في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

في نوفمبر ١٩٣٨ كتب لامبسون عن الأزمة الدولية في سبتمبر ، وأشار الى ما لمسه من تردد الحكومة بشأن ما تقتضيه المعاهدة من مصر بدخولها الحرب ثم قال « ان تجدد مثل هذا الاتجاه لتجنب الوفاء بالتزامات المعاهدة انما يتوقف الى حد كبير على قوتنا الحرية ، فاذا شعر المصريون أننا في وضع يمكننا من حمايتهم بشكل فعال ، تضاعل ميلهم الى أن يلعب الخيال بعقولهم في امكان

التباعد عن حرب تتورط فيها بريطانيا العظمى • ان ضعفنا في جبهة شرق البحر المتوسط هو الذى يشجع على مثل هذه الميول • » (١)

وفي يناير ١٩٣٩ حين كتب عن خطاب صدقي باشا في البرلمان عن حياد مصر وتعديل التزاماتها بمقتضى المعاهدة ، قال أن انتشار فكرة حياد مصر « يتوقف الى حد كبير على قدرتنا على استرجاع ما كان لنا من هبة وقوة في الشرقين الأدنى والأوسط • فلو أن مصر اعتقدت أن بريطانيا العظمى لديها من القسوة ما يكفل حمايتها ( أى حماية مصر ) ضد النشاط العسكرى والجوى المغرب فسوف يقل شك الحديث عن حيادها • وإذا لم تتمكن من إثارة هذا الشعور بقوة أسلحتنا وباستعادة صداقتنا مع العالم العربى المجاور ، فمن الواضح أن مصر ستطالبنا أن عاجلا أو آجلا بالحد من التزاماتها الحرية بمقتضى المعاهدة المصرية البريطانية • » وأشار الى أن الدعاية الالمانية الايطالية تعمل على تقويض مركز بريطانيا في مصر والشرقين الأدنى والأوسط ، وأن الطريقة الفعالة لمواجهة تلك الدعاية هى تسوية الخلافات مع أصدقاء بريطانيا وحلفائها من العرب والمصريين • وأن تقوى قواتنا المسلحة بدرجة كافية حتى يرى أصدقاؤنا وأعداؤنا على السواء أننا أقوياء الى الحد الكافى لحماية أنفسنا في شرق البحر المتوسط • » (٢)

وبعد استيلاء ألمانيا على باقى تشيكوسلوفاكيا واستيلاء ايطاليا على البانيا ، عاد لامبسون يقول « ان مستقبل موقفنا كله في الشرق الأوسط يتوقف على وجود قوات بريطانيا كافية في مصر ، لكي تثبت للمصريين ولشعوب الشرق الأدنى الأخرى قدرتنا على الدفاع بكفاءة عن البلاد التى تمهدنا بالدفاع عنها بمقتضى المعاهدات • » (٣)

يتضح من تلك الرسائل أن لامبسون يطلب تعزيز القوات البريطانية في مصر ليس لحماية مصر والشرق الأدنى فقط ، بل أيضا لحماية مصالح بريطانيا في تلك البلاد في مواجهة أهلها عن طريق الارهاب الذى يخلقه وجود تلك القوات • أما السيطرة السياسية والتدخل في شئون مصر ، فقد كان لامبسون مصمما

Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222 (١)

Lampson to Halifax, 41, 16 January 1939, F.O. 407/223, pp. 7, 9. (٢)

Same to same, No. 560 12 May 1939, F.O. 407/223, p. 34. (٣)

عليها حتى بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ففى ٦ نوفمبر ١٩٣٦ قابل مجلس الوصاية على العرش برئاسة الأمير محمد على توفيق وتحدث اليهم فى الوضع بعد المعاهدة وكتب الى وزير الخارجية بضمون حديثه « لقد كان هناك حديث منتشر يدور حول أن هودنا فى القاهرة قد تضاعف ، وهذا هراء بحث لأنه لا يمكن أن يحدث ، حتى لو كنا نريد ذلك ، ونحن لا نريده . اعتقد أن الأمر على العكس من ذلك ، فان هودنا سوف يزداد .

حقيقة أنه سيكون مزيج آخر لأنه لن يكون هناك عامل الاملاء لكن سيكون عامل نصيحة الصديق المساعد . وبالفعل فانا فى السنوات الأخيرة حاولنا بكافة الأساليب أن تكون طلباتنا ووجهة نظرنا معروفة ، كما حاولنا بعناية أن تجنب قدر المستطاع كافة أنواع التوسل المباشر حول التخفطات الأربع . لكن كان هناك عامل كامن لا يمكن تجنبه بالنسبة لهذه النقاط الأربع . والآن وهذه النقاط على وشك أن تصفى عن طريق المعاهدة فان موقفنا سوف يختلف بالتالى ، لكن دورنا فى حماية مصر لن يختلف بل أن المعاهدة قد زادت قوة وشرعية . ولقد كنت متفائلا الى حد الاعتقاد بأن اهميتنا فى دور الموجه والنصح والصديق سوف يزداد من سنة الى أخرى نتيجة للظروف الجديدة . لقد اختفى عامل الاملاء الكامن وسوف نكون فى موقف الأخوين الأكبر والأصغر أو الشريكين فى مصنع ، ولو أن طبيعة الأشياء سوف تجعل هودنا أكثر قوة فى الشؤون الدولية ، وبالإضافة الى ذلك فمن الأمور الواضحة أننا لا نستطيع أن نعيش أنفسنا عن رفاهية وسلامة مصر حتى لو أردنا تلك العزلة . وكحلفاء فان اهتمامنا بتلك الرفاهية والسلامة أصبح أكبر من أى وقت مضى .

وفى ايجاز فعلى الرغم من أن أسم دار المعتمد سيتحول فى المستقبل الى سفارة ، ورغم أن الصوت الذى سيرفع لن يكون صوت المندوب السامى ، ولكن صوت السفير ، فانتى أرجو من ناحية المبدأ أن يسمع لهذا الصوت أكثر مما كان يحدث من قبل .

- ١ - لأنه سيكون صوت صديق أكثر منه صوت سيد .
- ٢ - ولأنه سيسرع فى السعى لتحقيق المصالح الحقيقية للدولتين .
- ٣ - ولأنه يتعذر على أن أرى أية حكومة مصرية تتجاهل بشكل مستمر نصحتنا وهقد وتبسط على أن تظل طويلة فى الحكم .

وقد أوضح لامبسون أنه كان من الواجب أن يتحدث إلى الأوصياء في حديثه الأول معهم على هذا النحو لأنه يوجد مناخ من الانهزامية في الدوائر البريطانية والأجنبية . وأشار إلى أن شرف صبرى « الذى هو فى الغالب أكثر الأوصياء ذكاء والمعروف لدى الحكومة البريطانية بعلاقاته الودية بالوفد (كان) شديد الاهتمام بما قلت ولم يعترض على الإطلاق بل تطوع بعد بعض المناقشة بالاعتراف بأن هذا تحذير حقيقى . » (١)

وبعد ذلك بثلاثة أيام كتب لامبسون عن مقابلة له مع النحاس باشا تحدث معه فيها عن تنظيم القمصان الزرقاء التابع للوفد ، « وأبلغته بكل صراحة عن التخوف الخطير فى لندن بشأن هذا التنظيم شبه العسكرية . نحن نخشى أن يبنى غول فرانكشتاين الذى قد يسيطر على صانعه ويحكم البلاد كلها .

٢ - قال النحاس باشا على الفور أنه يدرك هذا الخطر وأنه يتخذ الاجراءات لابقاء هذه الحركة تحت السيطرة ، وتكون مهمتها ( العاب القوى الوفدية ) وتبتعد عن السياسة ....

٣ - ذكرت أنى فهمت أن هناك تشريعا سوف يقدم قريبا إلى البرلمان البريطانى لمثل هذه التنظيمات السياسية فى المملكة المتحدة وأنه يحرم ارتداء مثل هذه الأزياء العسكرية . الخ ، وأنى لا أعلم بالبند الكاملة ولكن سوف أطلب هذا القانون حين يرى دولة رئيس الوزراء أن هناك فائدة من دراسته عند النظر فى عدم اشتغاله بالسياسة . » (٢)

وفى ١٤ نوفمبر كتب عن مقابلة جرت بينه وبين أمين عثمان بمناسبة توليه منصب وكيل وزارة المالية ، وكان الأخير يحظى بنفوذ كبير فى الوفد وبخاصة لدى النحاس ، كما كان على اتصال وثيق بالسفارة البريطانية ، لذلك كان همزة الوصل بين الوفد والسفارة . فى هذه المقابلة نقل لامبسون إلى أمين عثمان مضمون لقاءه مع مجلس الوصاية فى ٦ نوفمبر ، فكرر أمين عثمان « ما كان قد تطوع بقوله من قبل ، وهو أنه من المرغوب فيه الآن ، ربما أكثر مما كان الحال من قبل ، أن يستمر نفوذنا ملموسا . وأن تغير وضع مصر لا ينبغي أن يعنى أن

Lampson to Eden, No. 40, 6 November 1939, F.O. 407/223. (1)

Same to same, No. 46, 9 November 1939, F.O. 407/223. (2)

تتبع سياسة عدم التدخل أو عدم الاهتمام . لذلك فقد أسعده بوجه خاص أنى تدخلت في موضوع الانعامات حتى يستر النظر الى عادة الاستماع اليها في مثل هذه الأمور كأمر عادى » . وعلق لامبسون على ذلك قائلا لأمين عثمان أنه لا يعتزم أن يتخطى عما كان يتبعه ، وهو الاتصال مباشرة برئيس الوزراء في المسائل الكبرى ، أما المسائل الروتينية الصغيرة فيجرب الاتصال بشأنها بوزير الخارجية . وأجاب أمين عثمان على ذلك بأن لامبسون سيجد ترجيحاً حاراً بهذا من النحاس باشا . (١)

ويلقى مستر كيللى القائم بعمل لامبسون في الفترة المبكرة من الازمة الدستورية عام ١٩٣٧ الضوء على ضرورة اتباع سياسة التدخل بقوله تلخيصاً لتقرير مرفق لواتر سمارت السكرتير الشرقى بالسفارة « ما زالت اللقوى الحاكة هي القصر والوفد والسفارة البريطانية ( رغم أن موقفنا أصبح دقيقاً بعد أن تنازلنا عن التحفظات الأربعة ) ٠٠٠٠ »

أما بالنسبة لسفارة جلالة الملك فقد أثبتت الأحداث الأخيرة استحالة الاستمرار في اتخاذ موقف دبلوماسى عادى ٠٠٠ لو كانت السفارة قد اتخذت موقف السياسى المحايد حقيقة فإن هذا الموقف المحايد - على حد قول مستر سمارت - كان سيفسر من جانب الملك وعلى ماهر على أنه إشارة منا بالاستمرار، بل والأكثر من ذلك ، كان سيفسر بنفس المعنى من جانب النحاس ومكرم عياد ٠٠٠ واعتقد أنه لا جدوى من عدم اتخاذنا لخط واضح ما دام رفضنا إبداء الرأى سيفسر على أنه طريقة دبلوماسية للتشجيع .

وهناك عامل آخر مهم وهو المرونة التى تميز بها النحاس ومكرم في شتى الأمور ٠٠٠ لاعتقادهما أن مساعدتنا لهم أساسية فى التعامل مع القصر . وأشك أن هذه الحكومة أو أية حكومة أخرى فى المستقبل تستطيع الى رأينا اذا اعتقدوا أننا سنتبع سياسة حياد مطلق . قد يعاملونا بود ، لكنهم سيهتمون بمصالحهم السياسية قبل كل شئ، دون اعتبار لوجهة نظرنا .»

المقصود بموقف دبلوماسى عادى هنا هو عدم التدخل . والمقصود بتعيير

---

Lampson to Eden, Telegram No. 119 saving. 14 November 1936. (١)  
F.O. 407/219.

إشارة بالاستمرار هو إشارة لكل من الطرفين بالاستمرار في الصراع ، وهذا ، في رأى سمارت وكيللى ، يؤدي في النهاية الى مجيء وزارة من وزارات القصر بكل مساوئها .<sup>(١)</sup>

فخرج من رسالة كيللى ومن تقرير سمارت بثلاث نقاط واضحة فيما يختص بالتدخل : -

أولا : صعوبة التدخل بعد معاهدة ١٩٣٦ لانهاء التحفظات الأربعة .

ثانيا : التدخل حينئذ لازم حتى لا يحتدم الصراع بين الوفد والقصر وتجيء وزارة أقلية خاضعة للقصر وهذا ما يخشاه الجانب البريطانى حينئذ .

ثالثا : التدخل لازم لحماية المصالح البريطانية التى لن تراعى الأطراف المتصارعة لو اتخذ الجانب البريطانى موقف عدم التدخل .

خلاصة الأمر أن لامبسون تحرك بسرعة بعد توقيع المعاهدة ليؤكد أن النفوذ البريطانى والتدخل البريطانى سيبقى بعد توقيع المعاهدة كما كان قبلها ، ونم يلق معارضة في ذلك سواء من الوفد أو من السراى ، لكن هذا القول لم يكن مطلقا ، بل مقيدا بمصلحة كل من الأطراف الأخرى ، يستثنى من ذلك طبعاً حالة التهديد باستخدام القوة . لذلك فحين تدخل الجانب البريطانى لصالح الوفد في الأزمة الدستورية أواخر عام ١٩٣٧ ، ولم يستخدم سوى وسيلة الضغط السياسى ، فشل هذا التدخل أمام تصميم السراى وتعاونها مع أحزاب المعارضة وانقسام الوفد . فأقيلت وزارة النحاس في ديسمبر ١٩٣٧ وبدأت في مصرفرة أخرى من حكم السراى عن طريق أحزاب الأقلية . ترتب على هذا الفشل اضعاف مركز الجانب البريطانى وسوء علاقته مع كل من السراى والوفد .

هذه الحقائق تقودنا الى حقيقتين أخريين على جانب كبير من الأهمية : احدهما أنه يجب عدم التدخل عن طريق التهديد باستخدام القوة الا في حالة خطر داهم ومؤكد للمصالح البريطانية . ذلك لأن التهديد باستخدام القوة يجب أن يصحبه وجود الامكانيات والاستعداد لاستخدامها ، والتدخل بهذا

---

Killy to Eden, No. 1227, 28 October 1937, and enclosure,  
F.O. 407/221.

الشكل خطير الأثر بعد توقيع المعاهدة والتخطي عن التخططات الأربعة ، وفي ظروف الصراع الدولي المحتدم ، وتبني على هذا الحقيقة الثانية وهي الحد من التدخل البريطاني وقصره على ما يمس مصالح بريطانيا الأساسية .

أدركت وزارة الخارجية البريطانية هاتين الحقيقتين بعد فشل التدخل البريطاني في الأزمة الدستورية ، لذلك كتب وزير الخارجية ، ميمتر آيدن ، إلى لامبسون في ١٠ فبراير ١٩٣٨ يحدد له ، على وجه التقريب - أحوال التدخل :

« كقاعدة عامة ، فإن تدخل حكومة صاحب الجلالة يجب أن يكون مقصورا على مثل الأحوال الآتية :—

أ — اغتال تنفيذ نصوص المعاهدة نصا أو روحا .

ب — السعي من جانب الحكومة المصرية لتأمين نفسها بالتفاوض مع دولة أخرى لعقد معاهدة عدم اعتداء أو فحواها ، مما يعتبر متعارضا مع نصوص معاهدة التحالف .

ج — امتناع الحكومة المصرية عن اتخاذ الإجراءات الضرورية لتحسين وسائل الدفاع عن مصر ، أو رفضها الوعد بالتعاون لهذا الغرض .

د — تدهور النظام والأمن العام في مصر إلى الحد الذي يؤثر على حياة الأجانب وممتلكاتهم أو يعرضها للخطر .

هـ — خطر تدهور الوضع المالي على نحو يترتب عليه أن تصبح الحكومة المصرية عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها الدولية ، وعلى وجه الخصوص تنفيذ النصوص المتعلقة بالنواحي المالية في معاهدة التحالف .

و — مساندة الحكومة أو الملك فاروق للعناصر العربية المعادية لحكومة صاحب الجلالة أو الدخول في مشروعات غير مرغوب فيها خاصة بالجامعة العربية أو الجامعة الامبريالية .

واني إذ أسجل هذه الخطوط العامة لسياستنا لا أريد أن أقيّد تصرفكم بقواعد جامدة وثابتة ، فانكم بوصفكم سفيرا لصاحب الجلالة في مصر تملكون

الحرية في ابداء النصيحة في أى وقت ، اذا نشأت اعتبارات أخرى تبرر التدخل . » (١)

وجيء تولى لورد هاليفاكس وزارة الخارجية كتب الى لامبسون يخفف من استيائه لما اعتبره تقييدا لحرته في التصرف ، وفسر تعليمات ايدن في نفس الوقت ، فقال أن المقصود بذكر أحوال التدخل « أن توضح المبدأ العام بأن التدخل يجب أن يقوم على اعتبارات المصالح البريطانية ، ولم يكن المقصود بها تقييد حكم سفير صاحب الجلالة ، وهو ما يجب أن تعتمد عليه الحكومة البريطانية فيما يتصل بتوقيت تقديم النصيحة للحكومة المصرية وفي أى المسائل تقدم . فضلا عن ذلك فان سفير صاحب الجلالة وحده هو الذى يستطيع تقدير اللحظة المناسبة لتقديم مثل هذه النصيحة بحيث لا يمكن تجاهلها وبالتالي لا يس هوذه بأذى نتيجة لذلك . » (٢)

وقد استمرت هاتان الرسالتان من ايدى وهاليفاكس ، مع معاهدة ١٩٣٦ . تشكلان الاطار الذى تحرك فيه السياسة البريطانية في مصر حتى قيام الحرب .

أما الجانب المصرى فقد أدرك هاتين الحقيقتين في وقت مبكر . فأتناء الأزمة الدستورية أدركت السراى الملك ورئيس ديوانه على ماهر أن الجانب البريطانى لن يتعدى الضغط السياسى وتقديم النصيحة الى التهديد باستخدام القوة ، لذلك استمرت في تنفيذ خطتها ، وأقالت وزارة النحاس . أن أدراك السراى لهاتين الحقيقتين عن التدخل البريطانى يمثل إحدى خفقات حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فلو كانت السراى حينئذ تعلمت أن الجانب البريطانى قد يلجأ الى استخدام القوة لتغيرت معالجتها للأزمة .

أما الوفد فان تصرف رئيسه يدل على أدراك للأوضاع بعد عقد المعاهدة : لم يعترض على تدخل لامبسون في أول الأمر . ولاشك أنه بذلك كان يريد أن يتجنب صراعا مع الجانب البريطانى وهو يتوقع صراعا آخر مع السراى

Eden to Lampson, No. 166, 20 February 1938, F.O. 467/222. (١)

Halifax to Lampson, No. 553, 5 May 1938, F.O. 407/222. (٢)



حين يتولى الملك سلطاته الدستورية . لكن النحاس لم يلبث أن أحس بثقل وطأة التدخل البريطاني ، وأخذ يتصرف تصرفا مستقلا مما أغضب لامبسون ، فكتب في فبراير ١٩٣٧ الى ايدن شاكيًا بقوله : « فيما يختص ببيدان السياسة الخارجية فان موقف حكومة الوفد ليس مرضيا . وسبق أن أشرت الى كتمان الحكومة أمر محادثاتنا مع حكومة العراق لعقد معاهدة تحالف ( أنظر برقيتي رقم ١٤٨ في أول فبراير الماضي ) على الرغم من أن أى حليف ملزم أدبيا بأن يناقش معنا احتمالات دخوله في التزامات مع دولة أجنبية .

والحكومة المصرية بوجه عام لا تستشيرنا . والحق أنها ، فيما اعتقد ، لاتميل الى التشاور معنا في المسائل التي تهم كلا من الطرفين كما تفعل حكومات أخرى لا تربطنا بها سوى روابط الصاقة والمنفعة . وقد أبلغتكم في تقاريرى السابقة بالمصاعب التي تواجهها البعثة العسكرية البريطانية نتيجة شكوك المصريين والعقبات التي يضعونها في طريقها . ومن الواضح أن الحكومة المصرية الحالية يستحوذ عليها شعور عام بالاستقلال وتريد أن تبتعد عن أى مظهر من مظاهر الخضوع لسيطرتنا » .

لزاء ذلك يكشف لامبسون عن نواياه نحو حكومة الوفد ، فيسرد ما يوجه اليها من نقد ، ويشير الى الخلاف داخل الوفد بين النحاس ومكرم من جانب وأحمد ماهر والنقراشي من جانب آخر . ثم يقول « هناك اعتقاد عام أن جناح أحمد ماهر والنقراشي في الوفد قد يفصل في النهاية عن النحاس ومكرم وبشكل مع أحزاب المعارضة والمستقلين بمساعدة القصر معارضة قوية لحزب الوفد الرسمى . لكن ليس بين هذه العناصر من له شعبية لدى الجماهير ، لذلك فنجاح هذه المعارضة ضد النحاس كان لابد لها من زعامة رمزية تستطيع أن تنافس زعيم الوفد في شعبيته . والملك وحده هو الذى يستطيع أن يمثل هذه الشخصية... . ونأمل ألا يقع الملك وعناصر المعارضة في خطأ اتخاذ اجراءات متسعة كما كان يحدث في الماضي ، لأن ذلك يفيد الوفد ويوحد صفوفه . فاذا طرد الوفد من الحكم قبل أن تشوه سمعته بدرجة كافية فانه سيتمكن من تصحيح أوضاعه وتصوير نفسه كشهيد للحرية ، وتعود له شعبيته مرة أخرى... . نحن نأمل ألا يهاجم الوفد قبل أن يضعف بدرجة كافية حتى لا يكون خطرا في موقف المعارضة » .

وفي نفس الرسالة يعود لامبسون ثانية ليقول « ومهما كانت المتاعب التي تواجهنا بسبب الوطنيين المتطرفين وتأثيرهم في علاقات الوفد بنا ، فقد يكون تغيير حكومة الوفد بأخرى من حكومات القصر كالمستجير من الرمضاء بالنار . وإذا استثنينا واصفغالي باشا وحده فإن زعماء الوفد الحاليين ميانون لتفضيلنا على غيرنا من دول القارة..... كما أن القصر من الجانب الآخر كان دائما ولا يزال لديه أفضليات لاتينية ، ومن المؤكد أنه يفضل الثقافة الفرنسية على الانجلو سكسونية وأن ارتباطه بإيطاليا وألمانيا أكثر قوة من ارتباطات الوفد معهما ، ومن الطبيعي أن ألمانيا وإيطاليا تباشران ههنا أقوى على النظم التي يقيمها القصر أكثر مما هو الحال على حكومة الوفد..... »

وبالاختصار فليس هناك من ناحيتنا وجه للتفضيل بين حكومة وفدية وحكومة من اتباع القصر ، لكن إذا حدث شيء من هذا فربما مال الميزان إلى ناحية الوفد على الرغم من طرفه القومي أكثر من ميله إلى حكومة يؤيدها القصر تعادل البريطانيون بالذات وتخلص للقارة الأوربية » (١) .

يمكن أن نضيف إلى ذلك حقيقتين لتضخ الصورة : أحدهما أن لامبسون حاول جاهدا احتواء السراى عن طريق اجتذاب فاروق ووعده بالوقوف إلى جانبه إذا اتبع الطريق الدستوري ، وعن طريق الحد من ههوذ على ماهر في انسراى وتشجيع أحمد حساين (٢) ، أما الثانية فإن لامبسون حاول مساعدة الوفد في الأزمة الدستورية أواخر عام ١٩٣٧ .

بذلك تتضح مياسة لامبسون ، ويمكن إيجازها في أن السيطرة البريطانية وانتدخل البريطانيون يواجهان في الوفد خصما قويا بما له من تأييد شعبي . مواجهة ذلك أوائل عام ١٩٣٧ في ظروف ما بعد المعاهدة ، تكون بأضعاف الوفد والمساعدة على ههيته ، وبذلك تضعف مقامته للتدخل ، وتبتدد جهوده في الصراع مع خصوم يقاربونه في القوة . هذا في حدود الإبقاء على الوفد في الحكم لضمان تنفيذ المعاهدة .

Lampson to Eden, No. 209 secret, 16 February 1937, F.O. (١)  
407/221.

Same to same, telegrams No. 28, 29, 25 February 1937, F.O. (٢)  
407/221.

هذه النقطة الأخيرة ، على أية حال تستدعى استعراض علاقات الجانب البريطاني مع القوى الأخرى على المسرح السياسى فى مصر . لأن تعاون هذه القوى ، أو عدم تعاونها ، له أثر فى تنفيذ المعاهدة وتأمين الجبهة الداخلية فى حالة قيام الحرب . والقوى السياسية التى يعتد بها فى هذا المجال هى الوفد والسراى .

يمكن فى ذلك أن تقسم الفترة بين توقيع المعاهدة وقيام الحرب الى قسمين تفصلهما الأزمة الدستورية أواخر عام ١٩٣٧ ، وإقالة وزارة النحاس .

فى القسم الأول تسيطر على الجانب البريطانى فكرة الحاجة الى بقاء الوفد فى الحكم فى تلك الفترة الأولى الحساسة لتنفيذ المعاهدة . فالوفد يعتبر المعاهدة من إنجازاته الهامة ، وقد وصفها رئيسه بأنها معاهدة الشرف والاستقلال بينما انتقدتها معظم الأطراف السياسية الأخرى . يضاف الى ذلك ما يعطى به الوفد من تأييد شعبى ، وماله من أغلبية كبيرة فى البرلمان ، وتلك عوامل تكفل لوزارته السلطة وتوفر لها الهدوء والاستقرار اللازمين لارضاء قواعد السياسة الجديدة واتخاذ الخطوات الأولى لتنفيذ المعاهدة .

فى أوائل تلك الفترة يبدى الجانب البريطانى — كما أشرنا — استياءه من الموقف الاستقلالى الذى تتخذه حكومة الوفد بعدم التشاور معه والابتعاد عن أى مظهر من مظاهر الخضوع للسيطرة البريطانية . لكنه مع ذلك يفضل بقاء حكومة الوفد على مجئ حكومة من حكومات السراى بما تتميز به من اتجاهات لاتينية وصلات أوثق بألمانيا وإيطاليا وميول استبدادية . أما السراى فقد حاول لامبسون أن يحتويها كما أشرنا بتقديم الوعود الى الملك بمساعدته . وهو يرى — بعكس ما نقل اليه — أن فاروق لا تبدو عليه علامات الفرور أو عدم تقدير المسئولية ، ويرى أنه ذكى غرائزه سليمة وفى باطنه خامة طيبة أصيلة ، لكن تنقصه الخبرة . لذلك فإن كل شئ يتوقف على من سيحيطون به . لكنه مع ذلك لا يغفل — ولهذا أهميته — أن القصر كان دائما ولا يزال لديه أفضليات لاتينية ، ويفضل الثقافة الفرنسية وارتباطاته بألمانيا وإيطاليا قوية (١) .

Lampson to Eden, No. 209 secret, 16 Febraury, and telegrams (1)

No. 28, 29, 25 February 1937, F.O. 407/221.

لكن في أواخر هذه الفترة ، بعد أن تولى فاروق سلطاته في أواخر يوليو ١٩٣٧ ، وبعد أن قام الصراع بينه وبين وزارة الوفد فيما عرف بالأزمة الدستورية وبعد تولى على ماهر رئاسة الديوان ، تغير موقف الجانب البريطاني من الطرفين ، الوفد والملك ، فحاول مساعدة الوفد في تلك الأزمة لكي يستمر في الحكم .

ويتضح رأى الجانب البريطاني في الوفد والقصر ووزرات القصر في مذكرة قدمها في ٢٧ أكتوبر ١٩٣٧ والترسمات السكرتير الشرقي بالسفارة بمناسبة الأزمة الدستورية وفي تعقيب دافيد كيللي الوزير المفوض بالسفارة عليها .

حدثت سمات عن ضعف الوفد نتيجة اخراج النعراشي وإبعاد أحمد ماهر لأن ذلك أفقده العناصر المثقمة القادرة فيه ، وأفقده تأييد المثقفين في البلاد وقد ترتب على ذلك أن تحولت الجامعة ضد الوفد . وأشار الى أن الموظفين أصبحوا ضد الحكومة للتلاعب في التعيينات والترقيات وغيرها . وأبدى أسفه لما رآه أنه نهاية سريعة غير منتظرة للوفد ، لأن الوفد في رأيه « أكثر من القصر بساطة وأكثر أمانة وأقل كراهية للبريطانيين ، وأقل انحيازاً للعناصر الأوروبية ، هذا القصر الذي يتحرك ليحتل مكانه في هذه الفترة الدقيقة من تنفيذ المعاهدة »

أشار سمات الى عدة سياسات يمكن اتباعها لمعالجة الأزمة الدستورية فضل منها ( ١ ) التي تنضى بالاستمرار في « مناصرة الوفد بحذر كما هو الحال في الوقت الحاضر ولكن دون أن نذهب الى حد أرغام الملك على الانصياع لما يطلبه الوفد ، وهذا يقتضى مواصلة بذل جهودنا كي نوصل الطرفين الى حل وسط » .

وهو يرى أنه أيا كانت السياسة التي تتبع فأنهم سيواجهون في النهاية بحكومة من حكومات القصر بكل مخاطرها « حكومة من الأقلية ، وعصابات من المستشارين غير الأكفاء حول الملك ، ودسائس من القوى الأوروبية ، ومناهضة للثقافة البريطانية ، كل ذلك في ظل حكم ملك شاب يشتر بأن يكون أقل ملوك مصر تقديراً للمسئولية . وعندي أنه من غير المحتمل أن يظل ملك كهذا قادراً على أن يحتفظ بمركزه الى مالا نهاية ضد أغلبية رعيته الذي تقوى صفوفهم باستمرار بمن ينضم اليهم ممن خاب أملهم فيه بعد أن كانوا أعواناً له في مناهضة الوفد .

أن موقف فاروق مع علي ماهر يعيد الى الذاكرة ما سبق أن حدث بين الخديو الشاب عباس ومحمد ماهر باشا ( والد علي ماهر ) ، تلك السابقة التي تسفر بالشر (١) .

وجملة القول أن القوتين المؤثرتين في الموقف في مصر هما الوفد والملك أما الوفد فقد حطم همه ، وأما الملك فهو البديل وأن كان بديلا لا يعطى يرضاء البريطانيين أو المصريين على السواء . ولا يبدو في الأفق حتى الآن حزب وطني آخر على قدر من القوة يكفى لمواجهة القصر ، وأن كان احتمال ظهوره غير مستبعد ، ونشأته وتطوره مسألة وقت .

أن تحسن العلاقات بين مصر وانجلترا قد أخذ بالاتساع الذي أناره النحاس في صفوف الوفد في يوليو الماضي . وكما توقعنا في بداية العام فافتنا فواجه اليوم أول صدع في أساليب تنفيذ المعاهدة يكن في عطية الصراع الحزبي (٢) .

وعلى ضوء ما تقدم فأني أرى متابقة سياستنا الحاضرة المينة في (١) فهي سياسة عملية يمكن تنفيذها في الوقت الحاضر وفرصتها في النجاح كبيرة ، وأن كانت قد تؤدي فقط الى الحيلولة دون ضربة قاضية في الجولة الأولى (٣) .

وهذه السياسة لا تورطنا في نزاع حاد من القوى السياسية التي تتأهب لتحل محل الوفد . (٤) ثم هي قد تزيل فترة وجود حكومة مجبرة على

(١) يشير سمارة بذلك الى تولى محمد ماهر باشا وكالة وزارة الحربية عام ١٨٩٣ أيام الخديو عباس حلمي الثاني وتعاونته مع عباس في محاولة اجتذاب ولاء ضباط الجيش المصري الى جانب الخديو وضد السيطرة الانجليزية على ذلك الجيش مما ادى في النهاية الى الحادث المعروف بحادث الحدود في يناير عام ١٨٩٤ ، وفيه انتقد عباس تدريب الجيش المصري قاصطدم بكشنر سردار الجيش . ومن نتائج الحادث اجبار عباس على تقديم ترضية للسردار والضباط الانجليز في الجيش المصري وقتل محمد ماهر باشا من وزارة الحربية .

(٢) ربما يشير بذلك الى الفكرة التي وجدت بعد توقيع المعاهدة وهي أن يستمر في تنفيذها ذلك التعاون الذي قام بين القوى السياسية في مصر للتفاوض مع بريطانيا ، ذلك التعاون الذي تمثل في الجبهة الوطنية حينئذ .

(٣) أي أن النتيجة ستكون مجرد تأجيل سقوط وزارة الوفد .

(٤) يقصد بذلك مجموعة احمد ماهر والنقراشي والمستقلون المنتمون من سياسة الوزارة . انظر تقرير لامبسون الى ايلين رقم ٢٠٦ سري في ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

البلاد . وهذا الوضع الأخير هو ما نوليه كل اهتمامنا ، نحن الذين سوف نعمل مصادقتنا وهذا التأخير قد يأتي بحكومة جديدة لا تلتقي معارضة قدية في مع الحكومة الجديدة على الدفاع عن مصر وتنفيذ المعاهدة » (١) .

وفي خطابه الى ايدن الذي أرفق به تقرير سمارت ايد دافيد كيللي تلك الآراء ، وقال أنه يعتقد أن التصرف الحذر حينئذ « هو أن ندع الوقت يمر ونحاول ابقاء الحال كما هي وان تستمر وزارة النحاس في مسارها الطبيعي . وهو أيضا الطريق الوحيد أمانا كما فهمت من تعليماتك السابقة ...

أظن أننا مجبرين على قبول هذا الوضع كأخف الأضرار ، ولكننا يجب أن نستعد لمواجهة الخطر الدائم لمصلحتنا اذا ما تشكلت حكومة موالية للقصر ، وهو خطر أكبر بكثير في رأيي مما كنا نواجهه أيام الملك فؤاد . وسيكون الخطر أكبر لأن الملك فاروق لن يستطيع في المستقبل القريب أن يكتسب الخبرة في الحياة التي اكتسبها والده نتيجة للتجارب القاسية التي مر بها قبل اعتلائه العرش .

وقد كان تأثير ذلك في الماضي تأثيرا محليا ولكنه الآن سيصبح من العوامل المهمة في تكييف السياسة العامة لحكومة جلالته لأن هناك عنصر جديد دخل الى المسألة المصرية بسبب تغير العلاقات بين انجلترا وإيطاليا .

وأخشى أنه يجب التسليم بأن الملك فاروق مندمج في زمرة الامراء والنبلاء القدامى وأقاربهم وجميع العائلات التركية العريقة المتصلة بهم من الذين لا يمكننا الاعتماد عليهم بأي حال من الأحوال (٢) .....

وقد علمتنا التجربة خلال الثمانية عشر شهرا الاخيرة اننا نستطيع الاعتماد على العاملة الصريحة والتعاطف الحقيقي لشخصيات من الفلاحين البدائيين امثال النحاس باشا وما يتميز من عقلية بسيطة ، هذه البساطة التي كانت الى حد ما سببا في الأزمة الحالية ، والتي نسمى الآن الى اقامة علاقة طيبة معنا .....

Report by W.A. Smart, 27 October 1937, enclosed in Killy (1)  
to Eden, No. 1227 28, October 1937, F.O. 407/221.

(٢) فكرة الجانب البريطاني انهم اميل الى القارة الأوروبية وإلى المحور ..

وقد تساعدنا الظروف في المستقبل على تكوين رأى في الملك الصغير  
أفضل مما يظن مستر سمارت . لكن لا يوجد حتى الآن للاسف ، أى دليل على  
خطأ رأيه المتشائم ولا بد لنا أن نتصرف على أساس أنه ما دام الخطر الايطالى  
قائما فان أى حكومة موالية للقصر ستكون مصدر متاعب لنا . (١)

وحين عاد لامبسون من اجازته السنوية بدأ تدخله لتسوية الأزمة في أول  
نوفمبر ١٩٣٧ على نفس الأسس التى ذكرها كل من سمارت وكيللى ، واتى  
تعبير عليها السياسة البريطانية . فقد اتجه الى العمل على بقاء وزارة الوفد  
تجنباً لما يراه الجانب البريطانى من مخاطر ترتب على قيام حكومة موالية  
للقصر وحين طرح كل من النحاس ومكرم عبيد تحية فاروق عن العرش وتصيب  
ملك آخر ، لم يوافق لامبسون على تلك الفكرة (٢) .

ولا شك أنه لم يكن في مصلحة الجانب البريطانى أن يضع كل اسمه في  
جانب حزب هو في النهاية الحزب الشعبى الذى يتبنى المطالب الوطنية في مواجهة  
التدخل الاجنبى .

لكننا نلاحظ اتجاهه الى حل الازمة عن طريق تقوية الوفد ووزارته بالعمل  
على أن تعود الى حظيرة العناصر التى أخرجت منه أو كانت على خلاف مع  
قيادته ، وبخاصة النقراشى واحمد ماهر (٣) ، ومع أن هذا يتعارض في الظاهر  
مع فكرة تقيت الوفد التى أشرنا اليها كوسيلة لاضعافه وللتدخل ، الا أنه  
لا يتعارض مع الجوهر ، فان هذه الزيادة في قوة الوفد مستعادل مع السياسة  
القوية الجديدة التى بدأت تراولها السراى بعد أن تولى الملك سلطات الدستورية  
في يوليو، وتولى على ماهر رئاسة الديوان الملكى في أكتوبر وبذلك يتم الاحتفاظ  
بالتوازن بين القوتين الرئيسيتين المتصارعتين على مسرح السياسة الداخلية ،  
الوفد والسراى .

يضاف الى ذلك أنه كتب بعد مقابلة له مع الملك لحل الازمة الدستورية  
يقول أنهم ربما احتاجوا الى معاملته في المستقبل بطريقة أكثر حزماً (٤) .

Killy to Eden, No. 1227, 28 October 1937, F.O. 407/221. (١)

Lampson to Eden, telegrams, No. 608 and 612, 2 and 3 November 1937, F.O. 407/221. (٢)

Same to same telegram No. 701, 9 December 1937, F.O. 407/221. (٣)

خلاصة الأمر أنه بعد تولي الملك فاروق سلطاته الدستورية برز تبلور في موقف الجانب البريطاني أخذ يزداد وضوحا خلال الازمة الدستورية .

لقد استمر الهدف الرئيسي هو تنفيذ المعاهدة والدفاع عن مصر ، بسما يستتبعه ذلك من الحفاظ على الجبهة الداخلية .

لكن في حدود هذا الهدف أصبح الموقف من السراي أقل ودا ، والخوف من ميول السراي اللاتينية ومن وزارات القصر أكثر وضوحا ، وقام شبه وفاق ضمنى بين الوفد والسفارة البريطانية في مواجهة السراي ، مضمونه من الجانب البريطاني تنفيذ المعاهدة ، ومن جانب الوفد مواجهة عداء السراي والاستمرار في الحكم .

يضاف الى ذلك ان الجانب البريطاني أخذ يبنى حساباته أيضا على أساس ضعف الوفد ، نتيجة سياسته والانسلاخات التي خرجت منه ، وبنتيجة النزاع داخله بين النحاس ومكرم وبين أحمد ماهر ومؤيديه ، وعلى أساس احتمال قيام حزب جديد من القوى الوطنية الخارجة على الوفد والمتذمرة من زعامته .

في القسم الثاني من الفترة التي نستعرضها ، وهو القسم الذي يبدأ بإقالة وزارة النحاس حتى قيام الحرب ، حدث تغير آخر في موقف الجانب البريطاني وعلاقاته بالقوى السياسية في مصر .

لقد مالت علاقاته مع السراي بوجه عام نحو التحسن وان بقيت مخاوفه من وجود تأثيرات لدول المحور ، وقامت علاقات طيبة بينه وبين وزارة محمد محمود ، رغم انها تعتبر من وزارات السراي ، وساعت بالتالى علاقاته بالوفد .

لقد أدركت القوى المختلفة في مصر أن ما يهم بريطانيا في الحقيقة هو تنفيذ المعاهدة والدفاع عن مصر ، لذلك قفى مقابله الاولى كرئيس للوزراء مع السفير البريطاني أكد محمد محمود اعترامه « أن تظل علاقات الصداقة والولاء قائمة بيننا » كما أنه قرر أن تكون لمسألة الدفاع عن مصر وما تتطلبه من النفقات



أولوية على ما عداها من المسائل • ان رأية في المعاهدة معروف تماما ، وسوف يراعى تنفيذها باخلاص • » (١)

وفي مايو ١٩٣٧ كتب لامبسون تقريرا الى هاليفاكس عن الفترة منذ ابريل الماضى يقول فيه « القصر والحكومة الحاضرة لا يقلون ولاء عن حكومة النحاس باشا نحو تنفيذ المعاهدة الانجليزية المصرية ..... »

اما فيما يختص بعلاقات مصر مع الدول الاجنبية الاخرى — وخصوصا مع إيطاليا فان موقف القصر وموقف محمد محمود ازاءها لما يدعو الى الارتياح • » (٢)

ومع ان موقف محمد محمود من التعاون المصرى البريطانى ، خلال أزمة سبتمبر ١٩٣٨ وفي ديسمبر من نفس العام بنسبة حديث صدقى باشا ، قد ثابته بعض الشواهد من وجهة انظر البريطانية الا ان موقف محمد محمود تحول بعد ذلك الى تعاون كامل يصل الى حد دخول الحرب الى جانب بريطانيا ووضع الجيش المصرى تحت قيادتها ، لو ثبتت الحرب (٣) • لذلك كتب لامبسون فى مايو ١٩٣٩ يقول انه يأمل كثيرا أن يستمر تحسن صحة محمد محمود ، لان اتجاهه طيب بلا جدال نحو بريطانيا ، والعمل معه يبعث على الرضى والاعجاب « والحق أنى لا أطمع فى رفيق عمل أحسن أو أكثر ولاء منه واتمنى أن يبقى فى الوزارة بعض الوقت » • (٤)

اما السراى فقد حظى موقعها برضاء لامبسون خلال أزمة سبتمبر ١٩٣٨ • لكنه فى تقريره عن خطاب صدقى باشا فى البرلمان يبدى قلقه من موقف السراى فيما يختص بالتزامات مصر فى حالة الحرب بمقتضى المعاهدة ، فيقول ان « موقف القصر غامض ، وهناك تأثيرات قوية — وطنية واجنبية — يبدو أنها تعمل هناك لتوضح للملك الخطر من التزامات الحرب فى مصر كما تنص عليها

Lampson to Eden, telegram No. 1, 1 Jan., 1938, F.O. 407/222 (١)

Lampson to Halifax, No. 510 Secret, 6 May 1938, F.O. 407/222. (٢)

(٣) انظر عليه ص ٢٢٢ •

Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223. (٤)

المعاهدة وفي الحقيقة فإن مما يخشى منه أن عملاء إيطاليا وألمانيا قد يؤثرون  
بوسائلهم داخل القصر وخارجه على الملك فاروق بما يريده محور روما - برلين ،  
أي حيدة مصر في حالة الحرب » •

ثم يقول عن الدعاية الإيطالية الألمانية انه يبدو وان أحد حقولها المحيصة  
« هو كل ما يتصل بالآوساط الأرستقراطية في مصر ، مثل البلاط والملثمين حوله ،  
الأتراك والمصريين المتركنين ، والطبقات الراقية ، والأكثر تعاليا في المجتمع  
المصرى • قفى هذا الميدان يجد أنصار الدعاية الإيطالية الألمانية أذانا أكثر اصغاء  
عما هو الحال في مجال الطبقات الوسطى والشعبية » • (١)

وفي مايو كتب لامبسون يقول ان موقف جلالة أصبح « أكثر ودا وابحث  
على الرضاء ..... ولا يزال يخالط اتباعه الإيطاليين غير المرغوب فيهم ، بما فيهم  
حلاقة والكهرباء وفيروتشي • وقد أخبرت جلالة على المفتوح ، ولكن بدون  
أهانة ظاهرة ، أنه من غير المرغوب فيه أنه يحيط أول ملك لمصر المستقلة نفسه  
بغير المصريين ..... »

وعلى الرغم من كل هذه السقطات فقد برهن جلالة على رجاحة عقله تجاه  
التحالف أبان الازمات الدولية » • (٢)

ان نبرة القلق واضحة في تقارير لامبسون فيما يسميه ميول السراى  
اللاتينية ، واستعدادها للتأثر بالنفوذ الإيطالى - الألماني • وقد كتب لامبسون  
عن العوامل التى تباعد بين السراى وبين الجانب البريطانى وتجذبها نحو إيطاليا  
وألمانيا ، فقال ان الاحتلال البريطانى من البداية حال بين العرش والطبقة  
الحاكمة وبين استقلال المحكومين ، كما أجبر الملك فؤاد بعد ثورة ١٩١٩ على  
منح دستور للبلاد ، وقد كرهت الطبقات الحاكمة جرثومة الديمقراطية التى  
طعم بها المصريون •

وأشار الى أن النظم الدكتاتورية ، بما تبديه من احتقار للديمقراطية ، تحظى  
في الظروف الحالية بأعجاب السراى التى تحكم ضد رغبة غالبية الشعب •

Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223. (١)

Same to same, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223. (٢)

وقال لامبسون ان ايطاليا كانت لها دائما مكائنتها في السراى ، لانها استضافت الخديوى اسماعيل بعد فتيه من مصر، كما أن ابنه قواد شب في البلاط الايطالى.

وأشار الى أن الدعاية الالمانية تتعاون مع الدعاية الايطالية وان صدقى باشا ، وهو على علاقة طيبة الملك ، ينشر ما تروج له الدعاية الايطالية الالمانية من الدعوة لحياد مصر .

ولما كان صدقى فى معسكر على ماهر فيغلب ان الاخير يشجعه على ذلك . وأشار لامبسون ايضا الى كثرة ظهور فاروق فى صحبة اتباعه الايطالين ، الحلاق والكهربائى وفيروتشى ، وانه من المؤكد ان المفوضية الايطالية ومكاتب الدعاية تستخدمهم كصادر للمعلومات ووسائل للتوجيه والايحاء .

واقترح لامبسون ان يدعى فاروق لزيارة انجلترا ، وان يمنح وساما بريطانيا . ولكنه لم ير فى ذلك سوى مسكنات « لان عاهلا شرقيا شابا صلب الرأى لن يؤثر فيه فى النهاية سوى اعتبارات القوة . علينا أن نقوى وضعنا فى شرق البحر المتوسط ، بحيث لا يبقى مجال للشك لدى الملك فاروق وحاشيته فى قدرتنا على الدفاع عن مصر ، وعلى اجبار حكامها على تنفيذ رغباتنا لو لزم الأمر . سنجد أن ملك مصر والاستقرائية الحاكمة يحاولون دائما ان يتخذوا موقفا مستقلا ازاء بريطانيا طالما بقى فى مصر شعور بأن نهضة المانيا وايطاليا قد اضعفت موقفنا فى العالم بوجه عام وفى شرق البحر المتوسط بوجه خاص ، الى حد أنه لم يعد من الاسلام فقط بل أصبح من الحكمة ايضا ان تصل مصر جبال الود باصدقاء آخرين .

ان موقفنا كهذا قبيل الحرب الماضية دفع بنا الى عزل الخديو عباس حلمى ، ولو واطب فاروق على اتباعه فمن الممكن ان يدفعنا الى اتخاذ اجراء مماثل تجاهه قبيل الحرب القادمة » (١)

وهكذا نبتت فى ذهن لامبسون الفكرة التى أوشكت أن ينفذها فى ٤ فبراير

١٩٤٢ .

Lampson to Halifax, No. 110 Confidential, 3 Feb., 1939, F.O. (1)  
407/223.

أما الوفد فإن توقعات البريطاني الجانب بشأنه لم تلبث أن خابت . لم يضعف الوفد وينهار بل استرد قوته وشعبيته ، ولم يغم حزب وطني آخر يأخذ مكائته لدى الجماهير . وأصبح عداؤ الوفد ومهاجمته للسياسة البريطانية مصدر قلق بالغ للامبسون .

والاساس في عداؤ الوفد اعتقاد رئيسه أن الملك فاروق ما كان يمكنه أن يقبل النحاس باشا في ديسمبر ١٩٣٧ لو كانت الحكومة البريطانية ترى جديدا أن تمنع حدوث ذلك ، وأن قرار الملك فاروق برفض استقالة محمد محمود في أبريل ١٩٣٨ إنما يتدخل من السفير البريطاني (١) .

بعد حل مجلس النواب واجراء الانتخابات في ابريل ١٩٣٨ لم يعد للوفد في مجلس النواب قوة تذكر .

وكانت له أغلبية في مجلس الشيوخ بقيت متاسكة ولم تنقض عنه . أما بين الجماهير فإن اساليب الانتخابات التي أجريت وبداية المظالم على يد وزارة محمد محمود لم تلبث أن كسبت للوفد بعض التأييد الذي كان قد فقده .

وتعاطف طلاب الجامعة والازهر اخذ يعود الى الوفد . واستمر الوفد يستعيد مكائته في انحاء البلاد وفي الجامعة ، ودلت انتخابات الاتحاد العام للطلاب التي أجريت في أوائل العام الجامعي ١٩٣٨ - ١٩٣٩ على انحيازهم نحو الوفد .

وقد تردد لامبسون في تحليل هذه الظاهرة لكنه استقر على أن الجمهور في مصر في الحقيقة لم يتخل عن ولائه للوفد .

لقد كانت السياسة الخاطئة وسوء الادارة في وزارة الوفد سببا في تهور عدد كبير من انصاره المثقفين .

---

Lampson to Halifax, No. 513 Secret, 6 May 1938, F.O. 407/222. (١)

لكنهم لم يجدوا خارج الوفد هيئة أفضل تجتذبهم . لذلك فمع أنهم كمروا  
بالحزب بما في ذلك الوفد ، إلا أنهم سرعان ما عادوا اليه باعتباره جهة معارضة  
لنظام لا يرضيهم ، ورمزا للحرية وحصنا لها (١) .

تزايد قوة الوفد جعلت لامبسون يخشى نتائج هجومه المتصل على السياسة  
البريطانية لما يحدثه ذلك في حالة قيام الحرب .

فى مايو ١٩٣٨ كتب يقول ان الوفد ما زالت له قوة بين الجماهير وأى  
بادرة منه لها صاها في انهاء البلاد (٢) . وفى نوفمبر ١٩٣٨ كتب يقول تعقيدا  
على مهاجمة الوفد للحكومة وما اتخذته من استعدادات للحرب أثناء الأزمة الدولية:

« من الواضح على أية حال ، من الموقف أثناء الفترة الحرجة وما بعدها ان  
الوفد ، طالما بقى خارج الحكم ، لن يتردد أثناء أية أزمة في المستقبل في أن  
يتلاعب بمخاوف المصريين ليخرج الحكومة القائمة ، مع رسم صورة قائمة لموقف  
مصر وقد ارغمتها انجلترا على الدخول في حرب لا تمس المصالح المصرية  
وليس من شأن هذا الهجوم الذى يشنه حزب لا يزال هو الحزب الشعبى  
في البلاد أن يخفف الصعوبات القائمة في سبيل اتخاذ التدابير العسكرية  
اللازمة » (٣) .

ثم عاد في مايو ١٩٣٩ يعبر عن مخاوفه ثانية بقوله « من الواضح أن عداء  
انوفد لاشتراك مصر في حرب يمكن بسهولة تصويرها للشعب الجاهل على أنها  
حرب بريطانيا العظمى وليست حرب مصر ، قد تعقد اعمالنا وأعمال الحكومة  
للمصر الى درجة كبيرة عند قيام الحرب » (٤) .

---

Lampson to Halifax Nos. 510 Secret, 1197 and 41, 6 May and 7 (١)

November 1938, F.O. 407/222, 16 January 1939, F.O. 407/223.

Same to same, No. 510 Secret, 6 May 1938, F.O. 407/222. (٢)

Same to same, No. 1197, November 1938, F.O.  
407/222. (٣)

Same to same, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223. (٤)

وهكذا تبين لامبسون بطريقة عملية خطأ الآراء السابقة عن الوفد ومقدار  
قوة ذلك الحزب وثقل وزنه في الحياة السياسية في مصر ، وما يمكن أن يحدثه  
عداؤه من أثر على الجبهة الداخلية بكل ما لها من أهمية في حالة قيام الحرب .  
وسنرى أن الدرس كان دائماً العودة الى ذاكرة لامبسون في الازمات  
المقبلة وكان له أثره في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .







---

**NATIONAL LIBRARY LEGAL DEPOSIT**  
**No. 152—1978**

---

---

**Cairo Univ. Press, 699-1974-800 ex.**

**Printed by**

**Press and University Book Department**

**AL BRINCE H. HUSSEIN**

*Supervisor General*

11-2-1978

## « جاك القدرى »

بين

### « لعبة » القرون الوسطى و « الرواية الجديدة »

ان تحفة ديديرو التى حيرت النقاد من حيث اللون الادبى الذى تنتمى اليه ليست عملا ادبيا شالذا غير معروف الجذور ،، محكما عليه الا يكون له اثره فى الادب الفرنسى بعد القرن الثامن عشر . وقد خلعوا ، من جهة اخرى ، من ظنوا ان الكاتب الفرنسى تأثر فقط بالكاتب الانجليزى ستيرن وخذلوا اكثر من اكتفوا بتعليقاته عن « ثقافة » « جاك القدرى » Jacques le Fataliste

ان الاسالة الفريدة التى يتميز بها هذا العمل لا تتعارض مع انتسابه الى لون ادبى انتشر فى القرون الوسطى وتتميز بالتمثيلات الهادفة المضحكة التى يقوم بدور البطولة فيها « القبى » le sot وهو شخص على قيقض تسميته التى هى فقط بمثابة القناع يتستر وراءه من لا يريد ان تؤخذ اقواله لأول وهلة بكثير من الجدية فينفذ النقد الذى يوجهه الى المجتمع من خلال عباراته « الساذجة » دون ان يدري احد .

ونحن اذ نقارن « جاك القدرى » . العمل ذا الطابع القصصى . بلون ادبى خلق لكى يقدم على خشبة المسرح فهنا لان « لعبة » القرون الوسطى تساهلنا على الوقوف على ما بدا غامضا فى بنيان كتاب ديديرو . ولكن « جاك القدرى » هو من جهة اخرى اول تدير بظهور الموجة الجديدة فى القصة الحديثة الموجة التى يعتبر بروست Proust من روادها فى اوائل القرن العشرين والتى اعطت اكثر ثمارها بعد عام ١٩٤٥ فى روايات تختلف كل الاختلاف عما تعود عليه القارئ فى اعمال بلزاك وفلوبير وموريك وحتى جيد وكلموا . ان كان احد قد اخترع الا يكون للرواية حبكة وان يسود القموض الشخصيات فهو خالق « جاك » و « سيده » الذى فصلهما عن الزمان والمكان فى رواية تختلط فيها شرائح الزمن وينقلب فيها الراوى ( بل القارئ نفسه ! ) الى شخصيتين لهما ان تدليا براهيما فى الاحداث ، ذلك العمل اخيرا الذى يترك لنا اختيار نهايته ولا يفصل فيه الكاتب بين الآراء التى عالجها ، مكتفيا باثارة القلق فى نفوسنا .

pas lui qui accepterait de « filer un roman » <sup>(2)</sup> avec tout ce que cela comporte d'artifice lorsqu'on suppose qu'un scripteur peut aligner d'un bout à l'autre son récit sans tenir compte du fait que celui-ci est soumis aux contingences de la vie : associations d'idées, interruptions, causes physiques, etc. L'on a vu jusque là dans *Jacques* des digressions « à la manière de » Sterne. Mais n'y aurait-il pas dans ces parenthèses une allusion, vague peut-être dans l'esprit de Diderot lui-même, à un certain automatisme de l'écriture ? Plus que le procès de la liberté de l'homme, c'est celui de la liberté de l'écrivain que le philosophe, faisant figure de précurseur, instruit ici. *Jacques le Fataliste* est un anti-roman ou, si l'on aime mieux, le premier des « nouveaux romans » qui, si l'on néglige l'épilogue bâclé à dessein, se termine exactement au même point où il a commencé. Au cours de cette chevauchée symbolique, Jacques et son maître n'ont pas balayé des mythes; ils ont suggéré qu'il fallait les mettre en question et qu'un roman ne devait au lecteur aucune réponse. Il s'agit seulement de poser, à propos des personnages et des événements, des problèmes, d'en exposer plus ou moins nettement les données, de confronter les points de vue. Que le lecteur participe à la tâche, qu'il travaille s'il lui faut une conclusion : « Si vous n'êtes pas satisfait de ce que je vous révèle des amours de Jacques, lecteur; faites mieux, j'y consens. » <sup>(3)</sup> Et le narrateur nous quitte tandis que en dépit des hâtives péripéties des toutes dernières pages l'image des deux cavaliers reste imprimée sur notre rétine et que résonnent à nos oreilles ces mots du maître à son valet « Qu'importe, pourvu que tu parles et que j'écoute? ne sont-ce pas là les deux points importants? » <sup>(4)</sup>.

1. Ibid. p. 507.

2. Ibid. p. 710.

3. Ibid., p. 670.

nait-il pas ignorer certaines choses ? Il se déclare aussi curieux que nous de connaître la suite des amours de Jacques <sup>(1)</sup> et avoue : « Les amours de Jacques, il n'y a que Jacques qui les sache ; <sup>(2)</sup> » « Ont-ils quitté l'auberge ? « J'ignore ce qui se passa (...) après leur départ <sup>(3)</sup>. Ne voilà-t-il pas qu'il a besoin maintenant des lumières de ce lecteur si impitoyablement rudoyé au départ ! « ... » Je voudrais bien savoir ce qui se passa au fond de son âme (il devra se contenter, faute de mieux d'une « vision du dehors » donc !) s'il put se refuser à un léger mouvement de joie secrète (...) Une autre chose, lecteur, que je voudrais bien que vous me disiez, c'est si son maître n'eût pas mieux aimé (...) <sup>(4)</sup> Plus d'affirmations péremptoires : « Ce n'est ici qu'une conjecture que je donne pour ce qu'elle vaut <sup>(5)</sup>. C'est un signe d'abdication que cette liberté d'interprétation accordée au lecteur de *Jacques*, que cette porte ouverte à un nombre illimité de possibles, que ce sourire de connivence lancé à celui qui est pour lui désormais un camarade. « Je vous entends, lecteur : vous me dites (...) <sup>(6)</sup> « Mon cher lecteur, pardonnez-moi la propriété de cette expression ». <sup>(7)</sup> Lecteur, (...) J'aurais une petite question à vous proposer à discuter sur votre oreiller (...) Vous me direz cela demain matin. <sup>(8)</sup> Il lui arrive encore de se permettre avec cet interlocuteur quelques privautés, mais comme deux amis peuvent en prendre vis-à-vis l'un de l'autre ; d'ailleurs il se ravise et, après avoir écrit : « Lecteur, vous ne savez ce que vous dites (...) vous n'êtes qu'une bête » ajoute : « Je vous ai dit une grossièreté, j'en suis fâché, et je vous en demande pardon. » <sup>(9)</sup>.

*Jacques le Fataliste* est l'histoire du désarroi d'un romancier éminemment conscient de l'incommunicabilité des êtres — « (...) dis comme toi, je t'écouterai comme moi, et je t'en croirai comme je pourrai » dit, avec résignation, le maître à son valet <sup>(10)</sup> — et par conséquent de l'impossibilité de les cerner une fois pour toutes, conscient aussi d'une espèce de fatalité à laquelle ne peut échapper la narration. Ce n'est

1. Ibid., p. 620.

2. Ibid., p. 658.

3. Ibid., p. 484.

4. Ibid., p. 487.

5. Ibid., p. 569.

6. Ibid., p. 620.

7. Ibid., p. 632.

8. Ibid., p. 634.

9. Ibid., p. 578.

10. Ibid., p. 518.

ne dispute le bien fondé de la « vision du dedans » dont lui-même (ou l'un de ses protagonistes) jouit vis-à-vis de ses créatures, ni le privilège de connaître à l'avance la tournure que prendront les événements, serait mal venu à adopter l'attitude agressive dont fait preuve Diderot dès les premières lignes de *Jacques*. Il semble que le Philosophe, s'étant posé la question de la toute-puissance du romancier, ait voulu rendre ce problème tangible et le résoudre sous nos yeux. Il y a une courbe du début à la fin de l'ouvrage — qui représente peut-être le véritable plan de ce dernier — et qui va de la déclaration de la souveraineté, de l'omniscience du narrateur à son abdication progressive et la reconnaissance de ses limites. Voilà d'abord l'écrivain en plein exercice de ses pouvoirs et s'en vantant avec arrogance :

Vous voyez, lecteur, (...) qu'il ne tiendrait qu'à moi de vous faire attendre un an, deux ans, trois ans, le récit des amours de Jacques (...) en leur faisant courir à chacun tous les hasards qu'il me plairait (1).

Que cette aventure ne deviendrait-elle pas entre mes mains, s'il me prenait en fantaisie de vous désespérer ? (2).

Il semble bien placé pour se moquer du lecteur moins armé que lui :

Vous allez croire que c'étaient les gens de l'auberge (...)

Vous allez croire que le matin on avait enfoncé leur porte (...)

Vous allez croire que cette petite armée tombera sur Jacques et son maître (...) et il ne tiendrait qu'à moi que tout cela n'arrivât (...) (3).

se donne le droit de le tancer : « Ah ! lecteur, vous êtes bien léger dans vos éloges, et bien sévère dans votre blâme. »<sup>(4)</sup> voire de l'insulter, de le traiter d'« importun » et de se déclarer saturé de ses questions : « — Où ? lecteur, vous êtes d'une curiosité bien incommode ! »<sup>(5)</sup>.

Il continuera sans doute jusqu'à la fin du roman, mais de moins en moins fréquemment, à insinuer qu'il est en son pouvoir de changer le cours des événements. Toutefois, son ton, qui se fait de plus en plus amical lorsqu'il s'adresse au lecteur, est garant de sa modestie progressivement acquise et en quelque sorte fatalement imposée. Ne recon-

---

1. Ibid., p. 476.

2. Ibid., p. 4477.

3. Ibid., p. 484.

4. Ibid., p. 606.

5. Ibid., p. 429.

écouté ; «<sup>(1)</sup>» (...) Jacques (...) vit qu'il faisait un temps détestable, se recoucha, et nous laissa dormir, son maître et moi, tant qu'il nous plut. »<sup>(2)</sup>

De même que les visions se multiplient pour un même personnage, des versions différentes sont offertes pour un même événement : Jacques prit-il « le parti de s'étendre sur des chaises » ou était-il « écrit là-haut qu'il (...) tomberait sur le carreau et qu'il y resterait » ? Demain, après-demain, vous choisirez (...) <sup>(3)</sup> Après quelques moments de silence ou de toux de la part de Jacques, disent les uns, ou après avoir encore ri, disent les autres (...) <sup>(4)</sup> Même ce qui est inscrit « sur le grand rouleau » l'est tantôt par la volonté du destin, tantôt par celle des hommes :

Le Maître. — Je rêve à une chose : c'est si ton bienfaiteur eut été cocu parce qu'il était écrit là-haut ; ou si cela était écrit là-haut parce que tu ferais cocu ton bienfaiteur ?.

Jacques. — Tous les deux étaient écrits l'un à côté de l'autre. Tout a été écrit à la fois. <sup>(5)</sup>

Toutefois, si le lecteur ou les personnages sont laissés libre de choisir, ils choisissent à tout coup la mauvaise carte. L'homme auquel Jacques « port la plus profonde vénération (...) est ... le bourreau ! » <sup>(6)</sup> Pour peu que le maître s'amuse à deviner, il ne rencontre jamais juste et s'entend répéter par son valet. « Mon maître, je crois que vous ne voyez rien. » <sup>(7)</sup>

Diderot s'est-il amusé à nous mystifier tout en protestant du sérieux de ses intentions ? L'ambiguïté de la narration dans *Jacques le Fataliste* est en grande partie conscience des problèmes que pose l'écriture. C'est dans les premières pages de cette oeuvre que l'écrivain torturé s'écrit par la bouche de son héros : « — Ah ! si je savais dire comme j'esais penser ! » <sup>(8)</sup> Le narrateur classique à qui personne

1. Ibid., p. 607.

2. Ibid., p. 562.

3. Ibid., p. 607.

4. Ibid., p. 555.

5. Ibid., p. 479.

6. Ibid., p. p. 532-533.

7. Ibid., p. 448.

8. Ibid., p. 448.

introduite exprès par l'auteur dans les récits et les scènes et qu'il semble s'en amuser .

Il était tard ; la porte de la ville était fermée, et ils avaient été obligés de s'arrêter dans le faubourg. Là, j'entends un vacarme ... - Vous entendez ! Vous n'y étiez pas ; il ne s'agit pas de vous. - Il est vrai. Eh bien ! *Jacques ... son maître ...* On entend un vacarme effroyable. *Je* vois deux hommes ... - Vous ne voyez rien ; il ne s'agit pas de vous, vous n'y étiez pas. Il est vrai. Il y avait deux hommes (...) <sup>(1)</sup>

*Jacques et son maître se mêlèrent de la partie ; tous à la fois conjuraient le paysan. Si j'ai jamais vu... — Si vous avez jamais vu ! Mais vous n'y étiez pas. Dites si l'on a jamais vu. — Eh bien ! soit. Si l'on a jamais vu (...) (2)*

Les cartes sont brouillées à plaisir. Les premières lignes de l'oeuvre apportent une réponse à des questions que le lecteur est censé avoir posées, mais, par la suite nous entendrons ses commentaires : « Cela est très beau (...) Cela est impossible (...) Ah ! l'horreur ! (...) Qu'est-ce que ces livres ? ...— Mais Jacques et son maître ? Mais les amours de Jacques ? » (3). A un certain moment Diderot narrateur interrompt le récit du maître pour gliser un petit fait divers illustrant l'ineptie et la cruauté des procédés de justice. Cette fois, ce n'est pas le lecteur seul qui réfléchit : le maître, qui a entendu lui aussi, répond et, après lui, Jacques à son tour avance son commentaire (4). Un passage savoureux est celui où les deux protagonistes, conscients d'être surveillés par le narrateur et le lecteur et répugnant à mettre l'un ou l'autre (peut-être les deux !) dans leur secret, se parlent à mots couverts « Jacques bride et selle les chevaux et remplis ta gourde : Il faut aller où tu sais. » <sup>(5)</sup> . Passé et présent, fait réel et fait revu sont confondus ; "Tandis que je disserte, le maître de Jacques ronfle comme s'il m'avait

---

1. Ibid., p. 545 Nous soulignons

2. Ibid., p. 556 Nous soulignons.

3. Ibid., p. p. 527-528.

4. Ibid., 668.

5. Ibid., p.p. 700.



n'assigne de véritable frontière entre le narrateur, Jacques et le Maître, trinité ambiguë, monstre à trois têtes. « Je ne sais de qui sont ces réflexions, de Jacques, de son maître ou de moi ; il certain qu'elles sont de l'un des trois (...) »<sup>(1)</sup> « Est-ce Jacques qui profère cet apophtegme ? Est-ce son maître ? Ce serait le sujet d'une longue et épineuse dissertation. »<sup>(2)</sup> « Tout ce que je vous débite là, lecteur, je le tiens de Jacques (...) Je l'ai plusieurs fois contredit, mais sans avantage et sans fruit. »<sup>(3)</sup> « Et Jacques s'est servi du terme *engastrimute* ? (...) la vérité c'est que l'*Engastrimute* est de moi, et qu'on lit sur le texte original. *Ventriloque*<sup>(4)</sup>. » « Ah ! *hydrophobe* ? Jacques a dit *hydrophobe* ?... Non, lecteur, non ; je confesse que le mot n'est pas de lui. »<sup>(5)</sup> L'hôtesse du Grand-Cerf, cette patronne d'auberge qui raconte trop bien pour une femme de sa condition, a « des mains (...) à modeler »<sup>(6)</sup> déclare avoir été élevée à Saint-Cyr et prend trop chaudement la défense de la machiavelique Mme de La Pommeraye donne longuement à réfléchir sur sa véritable identité. Et que doit-on penser de cette dernière ? Diderot n'a point de réponse à nous donner mais aligne une succession de points de vue : « Votre Mme de La Pommeraye est une méchante femme » dit Jacques, à quoi son maître répond : « C'est bientôt dit »<sup>(7)</sup>. Et le narrateur à son tour après avoir entendu le fataliste défendre Mlle d'Aison remarque calmement : « Et vous croyez lecteur, que l'apologie de Mme de La Pommeraye est plus difficile à faire ? (...) Permettez donc que je m'en occupe un moment. »<sup>(8)</sup>

Plus que l'ambiguïté de la perception, celle de la narration est faite pour déconcerter le lecteur qui ne peut s'installer ni dans le temps ni dans l'espace. Les tranches de temps défilent successivement - parfois en même temps : « Le pauvre Jacques ! ou moment où nous en parlons Il s'écriait douloureusement (...) »<sup>(9)</sup> - avec une souplesse qui donne le vertige, tandis que le décor échange avec une brutalité qui préfigure la technique d'un Sartre dans *Les Chemins de la Liberté* : « Les uns se disposaient à suivre leur route, et les autres à retourner dans la capitale, en masque et sur des chevaux de poste, lorsque l'hôtesse reparut et mit fin au récit de Jacques »<sup>(10)</sup>. Sans compter que l'équivoque est

1. Ibid., p. 567.

2. Ibid., p. 659.

3. Ibid., p. 621.

4. Ibid., p. 658.

5. Ibid., p. 696.

6. Ibid., p. 572.

7. Ibid., p. 593.

8. Ibid., p. 606.

9. Ibid., p. 496.

10. Ibid., p. 572.

coloration reste « romanesque » et sans même pouvoir s'appuyer sur une réalité historique susceptible — comme dans le cas du *Nevens* d'authentifier peu ou prou ses personnages, est pour le moins déroutant. Diderot rédigeant Jacques grignote sur l'art dramatique mais sans opter franchement pour les planches, flirte avec le genre romanesque tout en le vilependant. Ne serait-ce pas qu'il tâtonne pour trouver une formule plus adéquate à sa pensée, un moule dont il ne connaît pas encore le nom et dont ne peut guère se réclamer l'illisible "Tristram Shandy" de Sterne ?

« Ce sont pas les idées qui me coûtent c'est le ton qui leur convient ». avoue-t-il dans un Salon <sup>(1)</sup> et le « ton » ici n'est à coup sûr pas celui d'un roman au sens classique du mot. Pour la première fois dans l'histoire du genre, le romancier renverse les barrières derrière lesquelles s'abritait le lecteur dans son traditionnel besoin de sécurité. Ce dernier, venu mettre le nez dans l'histoire de Jacques, voit s'abattre et s'écrouler devant lui la porte, alors qu'il avait jusque là le réconfort de regarder sans être vu, par le trou de la serrure. Et, avant même d'être revenu de son ahurissement, il est solidement empoigné par le narrateur qui l'oblige à pénétrer : dans l'action, qui loin de lui fournir des explications mûrement concertées, d'être à ses petits soins, refuse de lui venir en aide, le laisse tirer ses propres conclusions, le contrarie, le rabroue, se moque de lui. Il est entraîné dans cette « rapsodie » que constituent les événements et finalement laissé sur sa faim. Est-il habitué aux intrigues amoureuses ? Il doit se résigner à en être sevré sous le regard ironique d'un romancier qui ne le prend pas en pitié : « Tant pis (...) pour vous, lecteur (...) » <sup>(2)</sup>. D'ailleurs, pour une intrigue il n'y en a pas. Pas plus qu'il n'y a un début ou une véritable conclusion. L'action est remplacée par une enquête au cours de laquelle il faut interpréter les symboles, percer le mystère des personnages qui, dès qu'ils ont quelque importance dans le récit, se définissent par leur duplicité. "Jacques, quel diable d'homme es-tu !", s'exclame le Maître à qui, pour toute réponse, son valet renvoie la balle : « Eh bien, Jacques ! Jacques ! quel diable d'homme êtes-vous ? » <sup>(3)</sup>. La réponse à ces interrogations demeure jusqu'à la fin incertaine. Le narrateur, sinon les protagonistes eux-mêmes, semblent toujours nous cacher — et se cacher les uns aux autres — à dessein une partie de leur être. Aucune ligne de démarcation

1. Cité par J. Schérer. *Le Cardinal et l'Orang-Outang*. « Essai sur les distances dans la pensée de Diderot », Paris, Seides, 1972, p. 42.

2. *Jacques*, p. 622.

3. *Ibid.*, p. p. 481-482.

ment «deus ex machina» termine les aventures de Jacques. Les moins sceptiques peuvent rentrer chez eux et s'endormir rassurés. L'épilogue au cours duquel Jacques, délivré par Mandrin, sauve le château de Desglands, retrouve son maître qui s'y est réfugié et la sage Denise qui l'a attendu, est tout aussi prodigieux ou naïf que celui qui montre Saint Nicolas sortant les trois enfants vivants du saloir où ils ont été jetés il y a sept ans. Le «Jeu» s'est terminé par un «Miracle».

Vue dans la perspective d'une telle structure, l'oeuvre présente trois niveaux de dialogue que la technique du «jeu par personnages» médiéval peut, mais seulement dans une première étape, et parce qu'elle les étale dans l'espace, interpréter en les exploitant. Il n'en reste pas moins qu'à ce stade même une certaine ambiguïté demeure inhérente à *Jacques le Fataliste*, une ambiguïté que seule peut expliquer et dont devrait se réclamer à plus d'un titre la démarche propre au «nouveau roman».

Nous avons tenté, en apparentant *Jacques le Fataliste* à un «jeu», d'en étudier la structure et quelques aspects sous un angle que Diderot n'aurait probablement pas récusé ayant lui-même insisté à plusieurs reprises sur la théâtralité de son oeuvre, multipliant les indications scéniques, s'occupant soigneusement du décor — «Lecteur, j'avais oublié de vous peindre le site des trois personnages dont il s'agit ici (...) Faute de cette attention, vous les avez entendus parler, mais vous ne les avez point vus ; » (1) — notant la mimique des héros, lui qui avait toujours mis le «geste» au dessus du «discours». Autrement dit (et sans vouloir jongler avec les mots) nous sommes entrés dans son jeu. Mais ne faudrait-il pas maintenant chercher les raisons qui font prendre au Philosophe ses distances vis-à-vis du roman et affirmer tout le long de son ouvrage : «Il est bien évident que je ne fais pas un roman» (2). «Ceci n'est point un roman, je vous l'ai déjà dit, je crois, et je vous le répète encore» (3). Il est vrai que le genre est toujours décrié, et par Diderot tout le premier aux yeux de qui Richardson seul trouve grâce. Condamner le roman dans un écrit théorique n'est pas en soi anormal. Mais insister à s'en séparer au sein d'une oeuvre dont somme toute la

1. Ibid., p. 581.

2. Ibid., p. 484.

3. Ibid., p. 505.

action qui prend de la consistance au contact des êtres qui l'exposent. Que Sterne est loin de ce programme ainsi servi ! Diderot qui s'en rend bien compte le souligne ironiquement à la fin de *Jacques*. Ce qu'il doit, d'autre part, incontestablement à Rabelais ou à l'abbé Dulaurens — la verve gauloise, la bonne humeur alliées à la recherche philosophique, peut expliquer l'inspiration de son oeuvre mais non sa structure. En quête d'une expression adéquate à sa pensée, Diderot a été aux sources des « productions marquées au coin de l'ivresse et du génie » (1). Le Pantagruel, cependant, ou les aventures du Compère Mathieu n'ont pu lui offrir ce qu'il a peut-être trouvé dans le « jeu » médiéval. L'« espace qui permette l'exercice de la pantomime dans toute son étendue (.....) » (2), l'espace qui permette qu'au lieu de Lui et Moi il ait encore Vous et Eux. « Ecoutez-moi, ne m'écoutez pas, je parlerai tout seul ... » crame le narrateur de *Jacques* (3). En réalité, le simple dialogue ne lui suffit même plus. Celui qui se reconnaissait « double », capable de « fai (re) deux rôles » (4), a besoin aujourd'hui d'être, en plus de Jacques et du Maître, un troisième personnage qui les juge et qui semble encore ne pas pouvoir se passer de notre propre appréciation. de l'avis d'un « lecteur » ou plutôt d'un membre de l'assistance qu'il tire des premiers bancs — comme un prestidigitateur désireux d'exposer l'un de ses tours — qu'il fait parler, le transformant finalement en acteur, en nouveau personnage. Tenté de multiplier les perspectives, ce n'est pas un théâtre de marionnettes que le machiniste de Jacques vient de monter, mais tout un univers. La technique des dessins animés, celle du Guignol seraient incapables de faire passer dans ses personnages la vie qui les anime (ne prenons pas le change lorsque nous l'entendrons qualifier le Maître d'« automate » que son indigence intellectuelle met à la merci de sa montre, de sa tabatière et de Jacques ! (5) une vie qui fait que, tenus en haleine, nous les suivons des yeux d'une « mansion » à une autre. le narrateur, Jacques, le Maître, Gousse, la d'Aisnon, Mme de La Pommeraye ... et notre camarade, le lecteur, qui s'est mêlé à eux, jusqu'à ce qu'un court circuit interrompe le spectacle ! Mais le directeur du théâtre, l'« éditeur » tout essoufflé, ému du désarroi du public, commande qu'on lève à nouveau le rideau et un dénoue-

---

1. Ibid., p. 659.

2. *Entretiens sur Le Fils Naturel* (III), *Oeuvres*, p. 1254.

3. *Jacques*, p. 529.

4. *Discours sur la Poésie Dramatique*, cité par R. Mortier, « Diderot et le problème de l'expressivité » in *C.A.I.E.F.* Juin 1961 N° 13, p. 296.

5. *Jacques*, p. 494.

à la mode médiévale caractérisé par la liberté de son allure, la variété de ses tons qui allient l'émotion à la malice, le sérieux à la polissonnerie. Les aventures succèdent aux scènes de la vie courante.

Et dans ce « jeu », la diversité des êtres, des scènes, des tons concourent à l'unité de l'ensemble au lieu de la rompre. Cet émiettement de l'action, cette juxtaposition des lieux dans l'espace et des événements dans le temps sont le symbole de la continuité d'une trame qui se déroule à travers eux, suivant une nécessité qui foule aux pieds la volonté des personnages que l'on y rencontre. Cette trame c'est le déterminisme (doublé d'une fatalité de l'écriture que nous retrouverons plus loin) dont Jacques feint d'ignorer toute la portée puisqu'il ne lui donne que le nom de fatalisme. Le narrateur passe du coq à l'âne, nous donne le vertige en virevoltant d'une mansion à une autre, brouillant à première vue les lieux et les tranches de temps. C'est que Jacques n'est libre ni de continuer l'histoire de ses amours ni de se taire, l'hôtesse de s'arrêter ni de reprendre le récit qu'elle brule de faire à ses voyageurs le valet-philosophe de commander à son cheval, entêté à le mener jusqu'aux fourches patibulaires, ni de l'empêcher de le jeter la tête la première, contre la porte du bourreau. Les « jeux » sacrés avaient pour devise : « Accomplir faut les Ecritures ». La trame terrestre suggère ici qu'« Accomplir faut sa Destinée ».

A défaut d'action, le spectacle progresse par symboles, par exemples édifiants ou amusants. Nombre de tableaux réalistes laissent entrevoir un idéal humain, nombre de scènes ne sont que des traits satiriques. « Mère-Sottes » et « mime erreant », Jacques est aussi un jongleur dont les tours font rire. Et, comme si les thèmes eux-mêmes étaient empruntés au Moyen-Age, c'est au dépens des hommes de justice, des médecins, du curé du village que nous rions lorsqu'un maître tourné en ridicule par son valet, un père que l'on berne, des paysannes faciles et coquines, de jeunes adolescents libertins ne font pas les frais de la farce.

Mais, qu'il fasse jouer dans la troisième mansion l'épisode de Bigre, celui du curé « enfourché » par Jacques ou débite la fable de la Gaine et du Coutelet, le narrateur, désireux de séduire, prétend aussi assumer une mission sociale, celle qui convient au « philosophe » mais qui est également, et avant tout, le but d'un « jeu » digne de ce nom. Le spectacle que nous avons sous les yeux est divertissant ; toutefois, l'un ou l'autre des protagonistes ne cesse de rappeler : Quel que soit le récit que tu m'as promis (.....) sois sûr qu'il ne sera vide d'instruction que pour un sot (1). Cette instruction est communiquée par une morale en

---

1. Jacques, p. 645.

à première vue c'est que cet « espèce de philosophie » (1) qui a des pressentiments, joue à la pythie et se trouve avoir écrit un « traité de la divination » (2), ce « diable d'homme » (3), spirituel mystificateur débrouillard, effronté, sentimental et cet « original » (4), animal jaseur » (5) paradoxal, a endossé une personnalité hétéroclite. Jacques est tout simplement déguisé. Il n'est pas seulement déguisé en valet — condition dont il ne porte apparemment même pas la livrée (6) — il a adapté à son visage, pour les huit jours que durera son pseudo-voyage, le masque de Mère-Sotte. Son maître, instruit du mystère de cet incognito, ne lui promet-il pas le secret ? Le bonnet du "Sot", le "sac à coquillons", modernisé, est remplacé par un chapeau sur lequel le narrateur s'attarde pour en souligner et le burlesque et le côté symbolique : » (...) son énorme chapeau, parapluie dans les mauvais temps, parasol dans les temps chauds, couvre-chef en tout temps, le ténébreux sanctuaire sous lequel une des meilleurs cervelles qui aient encore existé consultait le destin dans les grandes occasions ; ... les ailes de ce chapeau relevées lui plaçaient le visage à peu près au milieu du corps ; rabattues, à peine voyait-il à dix pas devant lui : ce qui lui avait donné l'habitude de porter le nez au vent ; » (7). Il fait souvent figure de « grand nigaud », affecte le langage d'un niais, débite des balourdises » (8). Mais le public est suffisamment prévenu : « Je m'amuse à écrire (traduisions aussi « à vous faire voir » puisque Diderot, au cours de la narration, s'excuse d'avoir fait entendre les propos de ses personnages avant de les avoir décrits) sous des noms empruntés les sottises que vous faites, vos sottises me font rire ; » (9). L'ivresse vraie ou feinte de Jacques, ses trop fréquentes consultations de la gourde ne tromperont que ceux qui, faute de circonspection, prendront « le vrai pour le faux, le faux pour le vrai. » (10) À la faveur de cette « folie » le héros glisse idées subversives et satire hardie.

Est-ce donc une « sottise » que narrateur et personnages — Jacques en tête nous régaland de ses « balivernes » (11) — nous promettent ce soir ? C'est un spectacle entier qu'ils se proposent de nous offrir, un spectacle varié où les genres se mêlent à plaisir, tout un « programme »

1. Ibid., p. 577.

2. Ibid., p. 701.

3. Ibid., p. 481.

4. Ibid., p. 682.

5. Ibid., p. 608.

6. Ibid., p. 496 : le porteballe l'appelle spontanément : « Monsieur le chevalier ».

7. Ibid., p. 693.

8. Ibid., p. 647.

9. Ibid., p. 656 Nous soulignons.

10 Ibid., p. p. 626-626.

Dans la troisième mansion enfin les personnages foisonnent. C'est le lieu des nombreuses historiettes où Jacques et son maître iront, à l'occasion, exécuter leur pirouette. Mais, la plupart du temps, ils se bornent à surveiller et à commenter de la mansion n° 2, ce qui se passe dans la mansion n° 3., alors qu'ils sont eux-mêmes observés et jugés par le meneur du jeu. Car ce décor représente non seulement des places différentes, mais correspond aussi à des tranches de temps irréductibles l'une à l'autre. La première partie de la scène est réservée au passé propre au narrateur. C'est l'espace qui sert à l'évocation de ce qui s'est écoulé pour lui jusqu'au moment où il s'adresse au public. Dans la deuxième se déroule une action qui est actuelle pour le valet et le maître mais qui, pour le narrateur, appartient au registre du passé puisqu'il la « raconte » tandis que les personnages, tant qu'il ne leur donne pas la parole, se contentent de la mimer. La troisième est une fenêtre ouverte sur le passé de Jacques, de son maître, du marquis des Arcis, de l'abbé Hudson, de l'hôtesse, etc. La vision est donc conçue dans un sens unique, de gauche à droite. Seul le narrateur-metteur en scène, personnage privilégié, peut promener son regard sur les trois tranches de temps, le plonger à l'intérieur du triple décor.

Il présente d'abord les deux héros. Les autres acteurs qui apparaissent au fil du souvenir des protagonistes et sévanouissent dès que se termine l'épisode où ils avaient un rôle à jouer, sont, à quelques exceptions près, des comparses ou même de simples figurants. Attardons-nous un moment auprès de la création la plus complexe, du déroutant Jacques. En réalité, déroutant l'est-il à ce point ? Ce valet peu ordinaire ne l'est pas pour avoir pris le pas sur son maître : Scapin, Gil Blas avaient, eux aussi, plus d'untour dans leur sac et ne s'étaient pas gênés pour afficher leur supériorité intellectuelle et faire valoir leur astuce. Ce n'est pas non plus en tant qu'ancêtre de Figaro que le personnage de Diderot est fait pour nous intéresser essentiellement. Il en diffère surtout du fait que notre Fataliste satisfait d'être traité le plus souvent par son maître sur un pied d'égalité, n'a aucune ambition sociale. Tout juste insiste-t-il à être appelé « Monsieur Jacques » (1). « Parvenir » est le dernier des soucis de ce paysan-là qui, de valet, finira, et de la meilleure grâce du monde, concierge Si Jacques déconcerté

---

1. *Jacques le Fataliste*, in *Oeuvres de Diderot*, éd. La Pléiade, 1961, p. 561  
Toutes les citations de *Jacques le Fataliste* sont empruntées à cette édition.

## **«JACQUES LE FATALISTE»**

### **ENTRE**

## **LE «JEU PAR PERSONNAGES» ET LE «NOUVEAU ROMAN»**

*Par*

**HANNA'A FAHMY**

*Maître de conférences à la Faculté des Lettres du Caire  
Section de Français*

Le rideau se lève sur un décor simultané. La scène est divisée en trois «mansions» à travers lesquelles va se dérouler l'action. La première représente un intérieur la seconde une route, la troisième a pour toile de fond un paysage de campagne. Des panneaux sont prêts qui transformeront, au moment voulu, l'intérieur en prison, la route en auberge, le paysage de campagne en champ de bataille, en boutique de brocanteur, etc... A l'avant scène le meneur du jeu fait une profonde révérence : il a monté à notre intention le «Jeu du destin», spectacle profane, conçu comme divertissement mais ayant en même temps un but didactique, soulevant des problèmes, évoquant sur un mode tantôt léger, tantôt sérieux, le «mystère» de la destinée humaine. De l'endroit où il s'est placé, Diderot, narrateur et metteur en scène, commande les trois «lieux» qu'il a aménagés mais se trouve aussi à demi tourné vers le public auquel il a souvent besoin de s'adresser.

Le narrateur se réserve la première mansion où d'un saut il peut se rendre pour dialoguer avec le poète de Pondichéry ou «entreprendre» Gousse. A moins qu'il ne la prête à ce dernier qui y montera l'histoire de l'Intendant de M. de Saint-Florentin. Dans la deuxième, Jacques et son maître sont le plus souvent seuls dans leurs chevauchée, lorsqu'ils ne font pas la rencontre d'autres voyageurs, d'un convoi ou d'un borte-balle. Durant les haltes ils accueillent dans cette mansion l'hôtesse du Grand-Cerf flanquée de son mari, de Nicole, la chienne, de la servante ou projetant un éclairage spécial sur deux autres de ses hôtes, le marquis des Arcis et son compagnon. Un bourreau, le chevalier de Saint-Ouin peuvent également y faire une brève apparition.





6. August Langen, in: "Deutsche Philologie im Aufriß, Bd. 1, 2. Auflage, hrsg. von W. Stammler, Berlin 1957

7. Luthers Bibel, hrsg. von der Evangelischen Haupt-Bibelgesellschaft, Berlin 1958

8. Josef Mattausch: Untersuchungen zur Wortstellung in der Prosa des jungen Goethe, Akademie-Verlag, Berlin 1965

9. O. Pniower: Zu Goethes Wortgebrauch. Goethe-Jahrbuch 19

10. Alfred Schirmer: Deutsche Wortkunde, Sammlung Göschen, Bd. 929, 3. Auflage, Berlin 1949

11. Johannes Seiler: Die Anschauungen Goethes von der deutschen Sprache, Preisschrift, Stuttgart und Berlin 1909

12. Emil Staiger: Goethe Bd. 1, 2. Auflage, Zürich und Freiburg 1957

sprachschöpferische Kraft mit folgenden Worten: "Sie fällt ihm so wenig auf, wie dem Gesunden sein Körper. Der Dichter und die Schöpfung kommen sich auf halbem Wege entgegen. So auch der Dichter und die Sprache. Seine Lyrik ... erkennt keine Regeln an und übernimmt keine Maße. Das geht wieder daraus hervor, daß seine Dichtung ... schöpferisch ist und einzig ihn und seine Welt bezeugt. Sie kommt vom Herzen und geht zum Herzen." Als wahre Dichtung rührt sie auch heute noch unmittelbar an, mag sich auch der Sprachgebrauch inzwischen in vielem gewandelt haben, denn in ihr sind Form und Sinn, Klang und Seele eins, sie fließt aus dem unversiegbaren Quell dichterischer Eingebung und wird genährt vom Urgrund zeitlosen Schöpfungstums.

### **Literaturverzeichnis**

**Texte :** (Die Hamburger Goethe-Ausgabe)

1. Die Laune des Verliebten, Bd. 4
2. Die Mitschuldigen, Bd. 4
3. Die Geschichte Götz von Berlichingen, Bd. 4
4. Prometheus, dramatisches Fragment, Bd. 4
5. Clavigo, Bd. 4
6. Die Leiden des jungen Werther, Bd. 6
7. "Brief des Pastors zu...", Bd. 12
8. Urfaust: Christian Wegner Verlag. Kommentiert von Erich Trunz
9. Gedichte der Frühepoche, eine Auswahl, hrsg. von Stefan Zweig

### **Sekundärliteratur:**

1. E. A. Boucke: Wort und Bedeutung in Goethes Sprache, Berlin 1901
2. Horst Enders: Stil und Rhythmus, Studien zum freien Rhythmus bei Goethe, Marburg 1962
3. Goethe-Wörterbuch, Einleitung zur 1. Lieferung, hrsg. von der Deutschen Akademie der Wissenschaften, Kohlhammer Verlag 1966
4. Friedrich Kainz, in: Deutsche Wortgeschichte, Bd. 2  
(Maurer-Stroh) 2. Auflage, Berlin 1959.
5. Naoji Kimura: Goethes Wortgebrauch zur Dichtungstheorie, M. Hueber Verlag, München 1965

Goethe war nicht nur Nachahmer und Vermittler, sondern er schuf auf Grund seiner starken Individualität eine ursprüngliche und eigenständige Dichtung, geprägt vom Siegel seiner Persönlichkeit. Gerade das Jugendwerk Goethes gibt Zeugnis von seinem sprachschöpferischen Genie. Er hat Worte und Wortverbindungen geschaffen, die die Sprache bereicherten und befruchteten. Zu geflügelten Worten sind geworden: "Grau, teurer Freund ist alle Theorie/ Und grün des Lebens goldener Baum" (Urfaust, S. 373), "Nach Golde drängt, am Golde hängt doch alles" (S. 391), "Wenn nicht alle Blümenträume reifen" (Prometheus, Gedicht). Bei der Betrachtung der formalen Elemente wurde bereits auf Wortbildungen verwiesen, wie "honiglallend", "warmumhüllen", "Wonneruhgenuß", (Prometheus, Gedicht), "Sternenblick", "freudebrausen" (Mahomets Gesang), "morgenschön (Heideröslein). "Wanderers Sturmlied" zeugt in besonderer Weise von schöpferischer Fülle. Hier spricht Goethe in kühnen Bildern: "Wirst ihn heben überm Schlammfuf/ Mit den Feuerflügeln" "Wirst mit Hüterfittichen ihn decken in des Haines Mitternacht", "sturmatmende Gottheit". Vor allem offenbart sich das sprachschöpferische Genie im Urfaust. Faust spricht in seinem Eingangsmonolog von "Wissensqualen", "segenduftend", "erwühlen": den Geist "neigt" sein "mächtig Seelenflehn". Er kam auf "der Seele Ruf", "die Brust mit Freudebeben erschwell". Faust ist für den Geist, "die Flammenbildung", "ein furchtsam weggekrümmter Wurm." Im Dialog zwischen Mephisto und Faust (S. 409) schwärmt Faust von der "engellieben Seele", Faust nennt Mephisto eine "Spottgeburt von Dreck und Feuer" (S. 409). Der Geist spricht von "Brandschande-Malgeburt" (S. 412), "Und dein Herz aus Aschenruh Zu Flammenqualen Wieder aufgeschaffen, Bebt auf !" (S. 415). Ausdrücke dieser Art hat später der moderne Expressionismus als wesentliche Sprachelemente in sich aufgenommen. Zu den Höhen scherischer Weltanschauung erhebt sich der Dichter in den Worten "Und mitgeborne Harmonien/ihr erklangen/aus sich selbst" (Prometheus-Fragment, S. 179) in Bildungen wie "Lebensfluten", "Tatensturm", "am sausenden Webstuhl der Zeit", "Und würke der Gottheit lebendiges Kleid." So "spiegelt sich", wie BOUCKE (S. 6) darlegt, "der Reichtum und die Tiefe der individuellen Kultur Goethes ... auch in seinem Wortschatz wider, und zwar in einem so hohen Grade, daß sich aus seinen Werken ein Individualvokabular zusammenstellen läßt, nicht nur hinsichtlich der Neuschöpfungen, sondern auch der individuellen Bedeutung einer großen Anzahl von Worten... Sein individueller Sprachgebrauch bildet eine Welt für sich". Goethes kühne Sprachschöpfungen erlangten zeitlose Gültigkeit, denn sie entstammen nicht kühler Reflexion, sondern dichterischer Intuition. Staiger (S. 80f.) kennzeichnet Goethes

sind die zehn Gebote "implicite" wohl, nicht explicite enthalten. Mephistopheles nennt dem Studenten gegenüber die "Paragraphos" (S. 377), allerdings hier auf die Metaphysik bezogen.

Durch seine Studien kannte Goethe den Wissenschaftsbetrieb seiner Zeit sehr gut, und er versäumt nicht, in seinem Jugendwerk diese Kenntnisse zu verwerten. Das tritt besonders in dem Gespräch des Mephistopheles mit dem Studenten zutage. Mephistopheles schildert den gesamten Studiengang des Studium generale mit "Collegium logicum", "Metaphysik" und endet mit dem "Geist der Medizin" (S. 376 f.). "Reduzieren", "klassifizieren" und "präparieren" sind Ausdrücke der wissenschaftlichen Sprache (S. 377).

Im 1. Buch des "Werther" (Brief v. 17. Mai) schildert Werther die Studiengebiete des Studenten. Goethe zeigt damit, das er auf der Höhe der Bildung seiner Zeit steht. Leicht ironisch bemerkt Werther, der Student, "der von Akademien" kommt, "...kramte viel Wissens aus, von Batteux bis Wood, von Piles zu Winckelmann, und versicherte mich, er habe Sulzers Theorie gelesen, den ersten Teil, und besitze ein Manuskript von Heynen über das Studium der Antike". Eingehend mit der Naturwissenschaft hat sich Goethe erst nach 1775 beschäftigt. Die Schrift "Aus den Physiognomischen Fragmenten" entstand in den Jahren 1775-1776. Als Naturwissenschaft im modernen Sinne sind diese Versuche allerdings nicht zu werten. Die Bezüge auf die Naturwissenschaft sind im Jugendwerk Goethes selten. Im Prolog des Faust herrscht die Welt der Magie, nicht der Geist experimenteller Naturwissenschaft, für den er in späterer Zeit sehr aufgeschlossen war.

In der Arbeit wurde versucht zu zeigen, wie sehr Goethe der literarischen Tradition verpflichtet ist und bis zu welchem Grade das geistige Erbe seinen Niederschlag in der Sprache seiner Jugendliteratur gefunden hat. Seine Sprache vereint in sich "eine tief geschichtete Vielfalt von Sprecharten und Ausdrucksweisen. Goethe ist diese Sprachvielfalt bereits aus seinem Leben zugewachsen: diesem so ungemein beziehungsreich gelebten Leben mit seiner Unzahl von Beschäftigungen, amtlicher, persönlicher, gelehrter, literarischer Art, der Unzahl ernsthaftester Liebhabereien, dem Zuhausesein in den verschiedensten Bereichen, dem lebendigen Umgang mit Menschen aller Gesellschaftsschichten, Berufsarten und Tätigkeiten. Und er hat — der große "Nehmer, Ausplauderer und Schreiber — die Fülle dieser Weltbeziehungen in seiner Sprache kundgegeben". (Goethe-Wb, Sp. 9) Das Zitat wurde in seiner Breite gegeben, weil es all das wiedergibt, was wir vorhin bruchstückweise darlegten.

Freien in der griechischen Antike verwirklicht und eröffnete Goethe den Zugang zur Welt der Griechen. Homer und Pindar, in denen er die Verkörperung naturhaft-genialen, ursprünglichen Dichtertums sah, begeisterten ihn so sehr, daß er in seiner Jugendliryk nicht nur Stilelemente hymnaischer antiker Odendichtung übernimmt, sondern auch den Namen seiner großen Vorbilder in die Dichtung einführt. So heißt es in "Wanderers Sturmlied", indem er bildungsstolz seine antiken Kenntnisse einflacht: "Vater Bromius bist Genius.../ Bist, was innre Glut Pindarn war, /Was der Welt Phöbus Apoll ist". Der Dichter ruft "die Musen" und die "Charitinnen" an, spricht vom "kastalischen Quell", von "Deukalions Flutschlamm", von "Pythius Apollo", ruft den Göttervater an "Der du mich fassen deckst, Jupiter Pluvius".

Er stellt seine Dichtung in den Zusammenhang literarischer Tradition, nennt den "honiglallenden Theokrit" und den "blumenglücklichen Anakreon" und wendet sich nochmals ekstatisch an Pindar "Glühte deine Seel' Gefahren, Pindar, Mut... Glühte? — Armes Herz." — Auch die Gedichte "Ganymed", "An Schwager Kronos" und "Prometheus" zeigen schon auf Grund der Motivwahl den großen Einfluß der Antike auf Goethes Jugendwerk. Das gilt auch für das Prometheus-Fragment: "Und mitgeborne Harmonien. In ihr erklangen aus sich selbst". Diese Stelle beweist, daß Goethe mit den griechischen Naturphilosophen — hier mit Pythagoras — vertraut war. Auch Werther hebt hervor, daß er "viel zeichnete und Griechisch konnte, zwei Meteore hierzulande", womit eine "seltene Erscheinung" gemeint ist. Gleichzeitig spricht er über einen jungen Studenten, der sich rühmt, "ein Manuskript von Heynen über das Studium der Antike" zu besitzen (Brief v. 17. Mai, 1. Buch).

Die mannigfachen Anspielungen auf die Antike weisen Goethe als einen Mann von hoher Bildungsstufe aus. Doch findet auch sein juristisches Fachwissen seinen Niederschlag in der Dichtung. Dies ist besonders ausgeprägt im "Götz", und insbesondere im 4. Akt in der Rathausszene. "Protokollieren" und "im Entstehungsfalle" (S. 146, 148) entstammen der juristischen Sprache. Ferner führen uns die Szene im Rathaus sowie die im bischöflichen Palais zu Bamberg vor Augen, daß Goethe über eingehende Kenntnisse der Rechtsgeschichte verfügte und wie geläufig ihm die Rechtspraktiken der Vergangenheit waren: Der Rat spricht von "Urfehde abschwören" (S. 147), Olearius erwähnt den "Corpus Juris" (S. 94), den "Schöppenstuhl", der "mit lauter Leuten besetzt ist, die der römischen Rechte unkundig sind", "von den Casus" (S. 95). In der "Sammlung aller Gesetze"

Im "Götz" treffen wir ebenfalls auf eine Reihe von Fremdwörtern : Der Bischof sagt : "Er molestiert mich unsäglich" (S. 97). Liebetraut spricht vom "Gebeul ... ominöser Vögel" (S. 105). In der gleichen Szene heißt es : "Sein Hofmeister, zu tätig, um ein Gelehrter ... zu sein, erfand das Spiel in usum delphini, das so homogen mit seiner Majestät war" (S. 105). Götz meint, die Fürsten "glorieren von Ruh und Sicherheit" (S. 91), er ist "ein Feind von Explikationen" (S. 92). Weitere Fremdwörter aus dem "Götz" sind "Konterfei" (S. 148), "despektierlich" (S. 75). "kurios" (S. 85), "der Nimbus von Ehrwürdigkeit" (S. 95) u. a. m.

Häufig verwendet Goethe Fremdwörter in "Werthers Leiden", so "ordre" (30. Mai, 1. Buch), "Minnett. Chapeau" (16. Juni, 1. Buch), "radotieren" (1. Juli, 1. Buch). "Radotage" (S. 48, 1. Juli, 1. Buch), "frappant" (10. Sept., 1. Buch), "Derraisonnement" (24. Dez., 2. Buch). Dem lateinischen entnommen ist "pro forma" (12. Aug., 1. Buch). Im "Clavigo" finden wir "Sentimente" (S. 261), "distiquieren" (S. 268), "Quästionieren" (S. 291) und andere.

Mephistopheles im Urfaust verwendet viele Fremdwörter, z. B. "profan" (S. 392), "Sancta Simplicitas". Er zitiert die Bibelstelle aus der Genesis auf Lateinisch : "Eritis sicut Deus scientes bonum et malum" (S. 370). Auch die Studenten in Auerbachs Keller gebrauchen Fremdwörter "Appartinenzien" (S. 380), "fatal", "inkognito", "Rarität" (S. 381 f.).

In der Szene in Auerbachs Keller findet sich auch ein Anklang an den sächsischen Dialekt : "Ich will'en Würme schon aus der Nase ziehn". Die Redewendung selbst entstammt der niederen Umgangssprache. Selbst "Liesgen", das Kind aus dem Volke, streut aber französische Fremdwörter ein : "Kurtesiert ihr immer mit Pastetchen und Wein!" (S. 410).

Wie die lateinischen Fremdwörter und Zitate zeigen, war auch die Antike in das konventionelle Bildungsgut des Bürgertums mit einbezogen. Das aufstrebende Bürgertum des 19. Jahrhunderts fühlte sich als Vermittler des geistigen Vermächtnisses der Vergangenheit. Es war sich seiner Berufung, Verwahrer des europäischen Bildungsgutes zu sein, voll bewußt, eines kulturellen Erbes, das bis in die Antike zurückreicht. Die 2. Hälfte des 18. Jahrhunderts ist bereits durch ein ausgeprägtes Geschichtsbewußtsein gekennzeichnet. Auch hier war es wieder Herder, der auf die großen geistesgeschichtlichen Zusammenhänge hinwies und der die Kontinuität der geistigen Tradition Europas erkannte. Er sieht die Ideale des Schönen, Großen und

gegeben.—In der freien, weltoffenen Reichsstadt Frankfurt lebte auch der Gebildete in Berührung mit dem Volk. Das zeigen Lebensart und Sprache von Goethes Mutter. So war es unvermeidlich, daß sich auch im dichterischen Ausdruck Volkstümliches mit den Elementen der am Französischen orientierten Modesprache mischte. Die Sprache zeigt uns die dreifache Rolle, die das gehobene Bürgertum des 19. Jahrhunderts übernommen hat. Es ist Nachahmer, Vermittler und gleichzeitig schöpferisch. Es kann schöpferisch sein, da es den lebendigen Zusammenhang mit dem Volkstümlichen nicht verloren hat, seine geistige Spannweite aber groß genug ist, um überkommenes Bildungsgut zu übernehmen, die Lebensform und damit auch die Sprache der gesellschaftlichen Führungsschicht, des Adels, nachzuahmen, sich zu eigen zu machen und schließlich umzuformen und so die Grundlage für eine neue durch das Bürgertum geprägte und von ihm getragene Epoche zu schaffen.

Wenn Goethe, wie oben an vielen Beispielen gezeigt wurde, der Umgangssprache durchaus positiv gegenüberstand und sie seinem Werke einfügte, so zeigt sich darin, daß er im Volkstümlichen den lebendigen Quell der Sprache sah. Nun standen dem jungen Goethe alle Bildungsmöglichkeiten offen, über die das Bürgertum damals verfügte. Seine gesellschaftliche Stellung brachte ihn in ständige Berührung mit Höchstgebildeten sowie mit jenen Kreisen die sich in Lebensstil und Sprache weitgehend an den Adel angeglichen hatten.

Was den Gebrauch von Fremdwörtern und sogenannten Alamodewörtern anbelangt, so ist Goethe ganz Kind seiner Zeit. Wie KAINZ (S.252) ausführt, war er dem Fremdwort nicht abhold, sondern sah, wohl als Nachwirkung der in adeligen Kreisen intensiven Pflege des Französischen, in ihnen einen unentbehrlichen Bestandteil der Sprache. Es gehörte in Frankfurt zum guten Tone, gründliche Kenntnisse des Französischen zu besitzen. Goethe war deshalb, vor allem im "Werther", bestrebt, nicht nur der Gefühlswelt und den geistigen Strömungen seiner Zeit Ausdruck zu verleihen, sondern auch die zeitgenössische Sprache wiederzugeben. Er selbst betrieb eifrig französische Studien. So verbesserte er die Briefe seiner Schwester Cornelia auf Französisch, um darzutun, wie gut er diese Sprache beherrschte (vgl. Selier, S. 129). So überrascht es nicht, wenn uns allenthalben im Jugendwerk Goethes Fremdwörter, meist französischer Herkunft, begegnen.

In "Die Mitschuldigen" finden wir unter anderem "Das Couvert" (S. 53), "Rendezvous" (S. 69), "Renomee" (S. 53). Alcest sagt zu Sophien: "Adien, scharmante Frau" (S. 39). Der Wirt meint, wenn er das Geld nicht schaffe, so solle Alcest ihn "Pique As" nennen (S. 57). Er wünscht Alcest "viel Plaisier" (S. 39).



„Küssen“ zu nennen. Goethe gebraucht „ohngefähr“ an Stelle von „ungefähr“ (Urfaust, S. 407), setzt „Turn“ statt „Turm“ (Götz, S. 85, S. 138, 144, 148).

In „begannte“ (Urfaust, S. 402) mischt er die schwache Form mit der starken und ändert gleichzeitig den Vokal des starken Verbs. Mephisto spricht in der folgenden Szene von den „Mädels“. Das Endung-S als Pluralform ist eine Entlehnung aus dem norddeutschen Raum. ähnlich auch „die Bräutigams“ (Götz, S. 95).

Durch den Gebrauch von Mundartformen verleiht Goethe seiner Jugendliteratur Lebensnähe. Er setzt sich damit in Gegensatz zu der getragenen Sprache des Barocks und dem geschliffenen Stil der Aufklärungsliteratur. Maßgeblich ist der Einfluß des Sturm und Drang, der mundartliche Wörter und Wendungen als wesentliches Stilelement einführt. Man schließt damit an eine Tradition an, die bis in die frühe neuhochdeutsche Zeit zurückgeht, hatte doch Luther gefordert, man müsse „dem Volk aufs Maul schauen“, wenn die Sprache lebendig bleiben soll. Die Art, wie Goethe mundartliche Formen seinem Werk einverleibt, läßt sein Sprachgefühl, seinen sicheren Blick für das Echte und Ursprüngliche erkennen. Seine Sprache ist organisch gewachsen, die mundartlichen Worte wirken nicht willkürlich eingestreut, sondern fügen sich nahtlos in den Zusammenhang. Sie beleben und färben die Sprache, ohne das dichterische Niveau zu senken.

## 2. Einflüsse der Gesellschaftsschicht und der Bildung :

In der Sprache spiegelt sich der Einfluß der Gesellschaft, der ein Dichter entstammt, wider. Soziologische Bindungen wirken sich gerade im Sprachgebrauch deutlich aus. Goethe gehörte dem gehobenen Bürgertum an. Diesem Bürgertum fiel im geistigen Leben eine wichtige Rolle zu. Zwischen Adel und einfachem Volk stehend hatte es bereits im geistigen Leben eine führende Stellung errungen. In dem Maße, in dem die Theologie an Bedeutung verlor und weltlich orientierte Geisteswissenschaften und vor allem Naturwissenschaften mehr und mehr in den Vordergrund traten, wurde das gehobene Bürgertum Träger der Bildung. Andererseits war der gesellschaftliche Vorrang des Adels im 18. Jahrhundert vor der französischen Revolution noch unbestritten. Es überrascht somit nicht, daß gerade diese Kreise bemüht waren, höfische Lebensart nicht nur in der Lebensführung, sondern vor allem auch in der Sprache nachzuahmen. Nun war die Sprache des Adels das Französische. Das gehobene Bürgertum war deshalb bestrebt, das Niveau seiner Sprache zu heben und der des Adels anzugleichen, daß es nach Möglichkeit französische Fremdwörter einflocht. Jedoch war auch eine verhältnismäßig enge Bindung zum einfachen Volk, vor allem im süddeutschen Raume,

Buch), derb-volkstümlich klingt "einander die paar guten Tage mit Fratzen verderben" (1. Juli, 1. Buch). Werther nennt sich "der Fratze" (30. Juli, 1. Buch). Eine Wendung der Umgangssprache stellt der Ausdruck "mich wurmt" dar (1. Juli, 1. Buch). Eine ausgesprochen dialektische Form ist "getratscht" (16. März, 2. Buch), altertümlich mutet "chegebern" statt "vorgestern" (16. März, 2. Buch).

Syntaktische Bildungen mit einer Häufung des Bindewortes "und" (Polysyndeton) sind für die Volkssprache kennzeichnend. Wir treffen sie im "Clavigo" z. B. S. 287 "Wie die Seele nun steht und liegt und sich verhält."

In allen Frühwerken, vor allem im "Werther" und "Urfaust", aber auch im "Clavigo" begegnet uns eine große Anzahl von Verkleinerungen. Angeführt seien aus "Werther" "Hüttchen" (S. 26), "Plätzchen" (S. 26), "Gartenhäuschen und Körpchen" (S. 16, S. 21), "Lottchen, Wolkchen, Händchen" (S. 22), "Eckchen" (S. 23), "Schnittchen" (S. 25), "Mäulchen" (S. 27), "Lämpchen" (S. 39), "Quakelchen" (S. 31), "Ölkrüglein" (S. 38), "Steinchen" (S. 40). Im Urfaust begegnet uns "Gretchen" (S. 38), "Steinchen" (S. 40). Im Urfaust begegnet uns "Gretchen", "Augenblickchen" (S. 400), "Stündchen" (S. 408), "Bärbekchen" (S. 409).

Auch Dialektformen haben Eingang in das Jugendwerk Goethes gefunden. Es lassen sich Spuren sowohl des Frankfurter als auch des Leipziger Dialekts feststellen, also des fränkisch-hessischen und des sächsischen Sprachraumes. Als fränkisches Dialektwort ist "Weck" anzusehen, gebraucht im Sinne von Brötchen, Semmel (Götz, S. 84) und im Werther (27. Mai, 1. Buch). Die Form "regnicht" (Werther, Brief v. 12. August, 1. Buch) dürfte dem Frankfurter Dialekt angehören, desgleichen "Nachtmahl" (Urfaust S. 406) und "Nachtessen" (Werther, S. 56). Die Häufung von Verkleinerungen ist eine Eigenart des sächsischen Dialektes. Die Verkleinerungs-Endsilben "Gretgen" "Gärtgen", "Gartenhäuschen" kennzeichnen den sächsischen Dialekt. Daß statt "ch" ein "g" gesetzt wird, ist ebenfalls als Eigenart der sächsischen Mundart anzusprechen.

Hierbei muß man berücksichtigen, daß der in der Schrift erscheinende Verschluslaut als Reibelaut auszusprechen ist. Alfred SCHIRMER (S. 80) weist auf Thüringer Mundartwörter, wie "gältlich" im Sinne von "ziemlich groß" und "kauzen" für "kavern", hin.

Goethe ist bestrebt, durch bestimmte Wortformen der Sprache nicht nur dialektische Färbung, sondern auch altertümlichen Klang zu verleihen. In diesem Zusammenhang sind Formen wie "würklich", "Gebürge, "erschröken",

Wendungen der Umgangssprache begegnen uns allenthalben in seinem Jugendwerk. In "Die Mitschuldigen" spricht Stöller seine Frau mit "Mein Fieckchen" (S.29) an. Der Ausdruck "die Ohren voll lärmern" findet sich sowohl in "Die Mitschuldigen" (S.33) "Er lärmert mir die Ohren voll" als auch im "Götz", wo Götz (S.92) zu Weislingen sagt: "Euer Bischof lärmerte dem Kaiser die Ohren voll." Der Umgangssprache entlehnt ist "Es geht was im Gang" (Die Mitschuldigen, S.42).

Im "Götz" kommt der volkstümlich gefärbten Sprache als Ausdrucksmittel große Bedeutung zu. Aus der großen Zahl volkstümlicher Wendungen seien nur einige herausgegriffen: Metzler (S.74) hält Weislingen für "des Bischofs rechte Hand,...der dem Götz auf'n Dienst lauert". Der Ausdruck entstammt der Dienersprache und steht für "aufmerksam bedienen", hier allerdings im ironischen Sinne angewandt. Die Redewendung wiederholt sich im Gespräch zwischen Götz und Georg: Georg sagt "Ich will nur hinten drein laufen, nur auf der Seite lauern." (S.77). Sievers spricht in der Szene, in der er mit Metzler in Streit gerät: "Seht doch der Fratzen", Metzler antwortet: "Schlagt doch den Hund tot!" Der Wirt: "Tausend Schwerenot! Schert euch raus" und schließlich wieder Metzler: "Komm, Kamerad, wollen die draußen bleuen". Noch weitere Kraftausdrücke und volkstümliche Wendungen begegnen uns in dieser Szene: "Halt dein Maul!"... "den Kerls"... "ein gefunden Fressen"... "Lumpenhunde"... "die Haut über die Ohren ziehen" (S.75). "Unter einer Last keichen" (S.80) steht als altertümliche Form für "keuchen".

An Stelle von "dichtem Wald" heißt es "dicken Wald" (Götz, S.84). "Turner" tritt für "Türmer" ein: "Der Turner bläst's Liedel" (Götz, S.85), "Turn" statt "Turm" (Götz, S.138, 144, 148). Volkstümlich verkürzt ist "Ich wollte was antworten" (S.103), die altertümliche Form "stund" wird für "stand" gesetzt (S.103, 115, 140).

Ebenfalls der Volkssprache entnommen ist "wie sie haudern und trenn" (S.157) für "bummeln und trödeln", "da er dir Weck mitbrachte" für "Brot brachte" (Götz, S.84).

Selbst im "Werther" mit seiner hochgespannten Gefühlslage flicht der Dichter Ausdrücke der Umgangssprache und dialekt-gefärbte Wendungen ein: "Kameradin" statt "Kameradin" (17. Mai, 1. Buch), "eine recht gute Art Volks" (17. Mai, 1. Buch), "die sich ihres bißchen Kopfs überhoben (15. März, 2. Buch), "das ist alles garstiges Gewäsch" (16. Juni, 1. Buch). Kurze volkstümliche Wendungen sind Ausrufe wie "Zack!" und "Wutach" (26. und 30. Juli). Altertümlich für Zählen ist "Wir spielen Zählens" (16. Juni, 1.

Sein Selbstmord ist nicht Frevel, sondern Heimgehen zum Vater, Rückkehr ins Vaterhaus. Er faßt dies in die Worte : "Ich gehe voran ! Gehe zu meinem Vater, zu deinem Vater !" (Brief an Lotte v. 22. Dez. der Herausgeber an den Leser).

Auch im Götz treffen wir viele Änklänge an die biblische Sprache : Adelheid spornt Weislingen mit den Worten an : "O ihr Ungläubigen ! Immer Zeichen und Wunder!" Die Stelle nimmt Bezug auf Johannes 4,48 (Götz, S. 118). Götz und Sickingen gebrauchen in ihrem Gespräch in Jaxthausen (S. 126) das biblische Bild vom "Guten Hirten" und vom "Mietling" aus dem Gleichnis des Johannes-Evangelium (10.Kap.). Ähnlich wie Werther nimmt Götz vor seinem Tode sein Schicksal aus Gottes Händen an und gibt dieser Ergebung mit Christi Worten am Ölberg Ausdruck: "Meine Stund' ist kommen. Sein Wille geschehe" (Götz, S. 173).

Der Einfluß der Sprache des Hohen Liedes und der Psalmen ist auch in "Wanderers Sturmlied" zu erkennen: "Ihr seid rein, wie das Herz des Wassers, Ihr seid rein, wie das Mark der Erde..."

#### V. Einfluß vom Welt und Persönlichkeit:

In der Sprache des jungen Goethe haben nicht nur die geistigen und literarischen Strömungen seiner Zeit ihren Niederschlag gefunden, sondern sie spiegelt auch die Persönlichkeit und Umwelt des Dichters wider. Die Umwelt, die den engsten Kreis der Familie umfaßt, darüber hinaus das bürgerliche Milieu seiner Vaterstadt, die wissenschaftlichen Kreise der Universität, das studentische Leben und die Berufswelt der Rechtswissenschaft, haben die Persönlichkeit des Dichters geprägt. Bei der Weltoffenheit und Kontaktfreudigkeit des jungen Goethe, bei seiner Wendigkeit und Anpassungsfähigkeit war der Einfluß der Umwelt sehr stark. Die einzelnen Einflußsphären von einander zu trennen ist kaum möglich, in vielem ergibt sich eine Überschneidung mit der Einwirkung der geistigen Strömungen. Immerhin sei versucht, die Wirkung des Umkreises auf die Sprache des jungen Goethe im einzelnen aufzuzeigen. Hierbei sei zwischen dem Sprachraum des jungen Dichters und der soziologischen Bedingtheit unterschieden.

##### 1. Einfluß des landschaftlichen Sprachraumes:

Der junge Goethe war nicht Theoretiker, sondern er schöpfte aus dem vollen, bunten Leben, das ihn umgab. Bei seiner hohen Wortmusikalität war es verständlich, daß er sich die Volkssprache, also Worte und Ausdrucksweise der Umgangssprache sowie des lokalen Dialektes, weitgehend aneignete und auch in seine Dichtungen aufnahm.

nachgedichtet. In seiner Frankfurter Zeit beschäftigte er sich, hauptsächlich unter dem Einfluß des Frl. v. Klettenberg und seiner Mutter, mit der Bibel. 1772 entstanden "Zwo wichtige bisher unerörtete Biblische Fragen" und "Der Brief des Pastors zu +++ an den neuen Pastor zu +++". Die Werke lassen erkennen, wie ernsthaft sich Goethe mit der christlichen Lehre auseinandersetzte, wie tief er vom Pietismus durchdrungen war, zeigen aber gleichzeitig, daß er beginnt, sich innerlich von ihm zu lösen. Das eingehende Studium der Bibel, insbesondere der Lutherbibel, hat den Stil des jungen Goethe geprägt. Wie Emil STAIGER (S. 27 u. 33) ausführt, wurde Goethe schon in der Kindheit mit der biblischen Sprache bekannt, und zwar durch seine Mutter, die ihr Deutsch aus der Lutherbibel schöpfte, und der die Predigten und Tischreden Luthers geläufig waren. Die Neigung, in Gleichnissen zu reden, die Anspielungen auf Bibelstellen, die Goethe häufig anwandte und die ihm in der Leipziger Zeit manchen Tadel einbrachten, hat Goethe von seiner Mutter übernommen. August LANGEN (Sp 1122) weist auf die Inversion hin, auf die Umstellung von Wörtern, die als Anlehnung an die biblische Ausdrucksweise zu verstehen ist. So werden bei zusammengesetzten Zeiten Hilfsverb und Infinitiv nicht getrennt. An pathetischen Stellen bedient er sich des archaischen Bibeltons: "Denn süß soll meine Stimme seyn um meine Freude". Pietistisch-biblischen Geist atmet die Stelle aus "Werther": "Ach, Könntest du das wieder ausdrücken.../daß er würde der Spiegel des unendlichen Gottes" (10. Mai, I. Buch). Im Zusammenhang mit dem geizigen Ehemann der verstorbenen Frau M. erwähnt Werther (Brief v. 11. Juli, I. Buch) "des Propheten ewiges Ölrüglein". Auf Joh. 8,7, da Christus der Ehebrecherin vergibt, spielt Werther im Brief vom 12. August (I. Buch) an: "Wer hebt den ersten Stein auf...". Im gleichen Brief begegnen wir der Wendung: "...dankt Gott, wie der Pharisäer, daß er euch nicht gemacht hat, wie einen von diesen." Im Brief v. 30. August (I. Buch) ruft er aus: "O Wilhelm...das härene Gewand und der Stachelgürtel waren Labsale, nach denen die Seele schmachtet." Die Worte, die Christus im Abendmahlsaale sprach, werden im Brief vom 15. Nov. (2. Buch) aufgenommen: "Sagt nicht selbst der Sohn Gottes, daß die um ihn sein würden, die ihm der Vater gegeben hat." Mit den Worten von Christi Todesangst am Ölberg ergibt sich Werther in sein Schicksal: "Was ist es anders als Menschenschicksal, sein Maß auszuleiden, auszutrinken. Und ward der Kelch dem Gott vom Himmel auf seiner Menschenlippe zu bitter, warum soll ich groß tun und mich stellen, als schmeckte er mir süß?" Damit erhebt er seinen Zwiespalt in die religiöse Sphäre, heiligt ihn und gibt ihm metaphysischen Hintergrund.

mitgeprägt. Besonders deutlich ist dies im "Werther". Im Brief vom 10. Mai (I. Buch) können wir in der Naturbeschreibung den Einfluß Ossians erkennen: "hohe Sonne"... "undurchdringliche Finsternis meines Waldes". Im Brief vom 18. August (I. Buch) schildert Werther, wie sich "das innere glühende, heilige Leben der Natur" ihm eröffnete: "Ungeheure Berge umgaben mich, Abgründe lagen vor mir und Wetterbäche stürzten herunter, die Flüsse strömten unter mir und Wetterbäche stürzten herunter, die Flüsse strömten unter mir und Wald und Gebirge erklang". Im Brief vom 30. August (I. Buch) beschreibt Werther, wie er Trost findet, wenn er durch die Natur schweift: "Und wenn ich für Müdigkeit und Durst manchmal unterwegs liegen bleibe, manchmal in der tiefen Nacht, wenn der hohe Vollmond über mir steht im einsamen Walde auf einen krummgewachsenen Baum mich setze... und dann... in den Dämmerchein einschlummere!" Ossian nachempfunden ist die Ausdrucksweise des Briefes, den er an Lotte schrieb, nachdem sie gemeinsam Ossian gelesen hatten (2. Buch): "Ich stürzte neben das Grab hin - ergriffen, erschüttert, geangstet, zerrissen mein Innerstes,... Sterben! Grab! ... O, vergib mir! vergib mir!..."

Auch in den Liedern an Friederike Brion finden sich sprachliche und motivliche Anklänge an Ossian. So heißt es in dem Gedicht "Ein grauer trüber Morgen": "Ein grauer, trüber Morgen/Bedeckt mein liebes Feld,/ Im Nebel tief verborgen/Liegt um mich her die Welt", "Der Baum ... wird bleich vom rauhen Winde". Auch in "Willkommen und Abschied" ist der Einfluß von Ossian spürbar: "Und an den Bergen hing die Nacht;/ Schon stand im Nebelkleid die Eiche,/ Ein aufgetürmter Riese, da, / wo Finsternis aus dem Gesträuche/ Mit hundert schwarzen Augen sah,/ Der Mond von einem Wolkenhügel/ Sah kläglich aus dem Duft hervor,/ Die Winde schwingen leise Flügel/ Umsausten schauerlich mein Ohr."

Ein wesentliches Stilelement des "Ossian" ist der Parallelismus. "Meine Tränen, Ryno, sind für den Toten, meine Stimme für die Bewohner des Grabes" (Ossian-Fragment, Werther, 2. Buch, Alpin), "Dein Angesicht war gleich der Sonne nach dem Gewitter, gleich dem Monde in der schweigenden Nacht!" Werther, zum Tode entschlossen, wendet sich an die Natur: "So trauere denn Natur! dein Sohn, dein Freund, dein Geliebter naht sich seinem Ende", "getrennt geschieden ... Das ist wieder ein Wort, ein leerer Schall!", "Du hast sie berührt geheiligt", "So kalt, so starr", "Ich wollte mutig, Wollte freudig sterben".

#### 7. Einfluß der religiösen Sphäre (Lutherbibel):

Der Parallelismus ist nicht nur ein Anklang an Ossian sondern zeigt auch den Einfluß der biblischen Sprache. Später hat Goethe ja das Hohelied Salomons

der Strophe an. Im "Zigeunerlied" mit seinem aus alliterierenden Klangbildungen bestehenden Kehrreim kommt der junge Goethe der magischen Welt wahrer Volksdichtung auch inhaltlich nahe. Volkstümlich gefärbte Sprache fand auch Eingang in die dramatische Dichtung. Im "Zigeunerlager" (S.165f.), der späteren Fassung des Götz, bedient sich Goethe einer volkstümlich rauhen Ausdrucksweise mit altertümlichen Sprachelementen: "hint Nacht" stellt einen Pleonasmus dar, da in "hint" "Nacht" bereits enthalten ist. "Eine Kapp ... von dem Felchen", ein "wullen Deck". Das Sagenmotiv vom "Wilden Jäger" wird angeschlagen: "Wie die Hunde bellen!...die Jäger Jauchzen holla, ho". Die Sprache wird dem Milieu angeglichen. Der Einfluß Shakespeares ist hierbei deutlich, gleichzeitig kündigt sich in der Wahl des Zigeunermotivs schon die Romantik an, für die das unstete in engster Verbindung mit der Natur lebende Volk der Zigeuner eine ursprüngliche Daseinsform verkörpert, in der die Grenzen zwischen Magie und Wirklichkeit fließend sind. Volkstümlich im Stile einer alten Ballade ist Gretchens Lied vom "König von Thule" (S.390). Das Lied, das Gretchen im Kerker lallt (S.417), enthält deutliche Anklänge an die in die Grimmschen Märchen eingestreuten Lieder.

#### 6. Einfluß der englischen Literatur (Shakespeare und Macpherson) :

Die englische Literatur hat in all ihren Epochen das volkstümliche Element bewahrt. In Deutschland wurde durch Lessing und Herder das Interesse an Shakespeare neu geweckt. Goethe hat seinen "Götz" ganz im Geiste Shakespeares geschaffen. In der Sprache kommt dies in der phantasievollen Bildhaftigkeit zum Ausdruck und in den dazwischen geschalteten Volkszenen mit derb-volkstümlicher Sprache. Das dramatische Geschehen durch Lieder zu unterbrechen, wie Goethe es im Urfaust tut, ist ebenfalls ein Erbe Shakespeares (vgl. Wiese, S.51f.). Im "Werther" und in den frühen Gedichten tritt uns jedoch besonders deutlich der Einfluß Macphersons entgegen. Macpherson war mit dem Gallischen vertraut und ließ in seinem Ossian die Welt der altkeltischen Sage neu erstehen. Goethe und seine Zeitgenossen sahen darin das Werk eines altkeltischen Barden.

Goethe hat Teile davon in der Übersetzung von Herder seinem "Werther" angefügt. Auch wenn Macphersons Werk nur eine Nachdichtung ist, so zeigt es doch wahres Naturgefühl. Naturstimmung und Empfindung stehen im Einklang. Macphersons Ossian führt uns in eine düster-großartige Welt, nebelverhangen und sturmdurchbraut, in der sich das Schicksal tragischer Helden vollendet und in "mondbeglänzten Nächten" sind die Geister der Toten den Lebenden nahe. Die Sprache ist rhythmisch-getragen, Parallelistisches. Stilelemente des Ossian haben also die Sprache des jungen Goethe

nur durch "das Zauberwort" geweckt wird, wie es später die Romantik in mystischer Weltanschauung empfand. Im "Zigeunerlied", das ursprünglich in der ersten Fassung des Götze enthalten war, spricht er im Refrain in reinen Klängen, losgelöst von Wort und Sinn, und nimmt damit eine späte Entwicklung des 20. Jahrhunderts vorweg. Den Weg zum Urquell der Dichtung hat ihm Herder gewiesen, der ihm die Volkspoesie nahebrachte. In ihr bilden Gefühl und Ausdruck, Sinn und Klang noch eine großartige Einheit, der Mensch ist umfassen im Bannkreis der Natur, eingebettet ins magische Weltbild, in dem Sinnliches und Übersinnliches, Irdisches und Überirdisches sich unlösbar durchdringen. Natur und Mensch sind eins, durchpulst vom gleichen Herzschlag, die Naturstimmung spiegelt das Gefühl, die Seele das Bild der Naturwider (vgl. Staiger, S. 58f.).

Dies alles erfährt der ursprüngliche, der "naive" Dichter nicht rationell spekulativ, sondern seherisch-intuitiv mit der Einfalt eines Kindes, das dem schöpferischen Urgrund noch nahe ist. Hintergrund der Volksdichtung ist die Welt der Märchen und Sagen, sie beschwört die Schatten grauer Vorzeit, läßt in Liedern und Epen die alten Helden erstehen und spricht in zeitlosen, schlichten Weisen von Freud und Leid, Liebe und Sehnen der Menschenseele. In einer Dichtung, die sich wie die des jungen Goethe bewußt an die Volkspoesie anlehnt, spielen Wortwahl und Ausdruck, Wortfolge und Sprachmelodie, Form und Klang eine besondere Rolle.

Dies zeigt sich in vielen seiner frühen Gedichte, die er im Volkston verfaßt, den er wohl am reinsten im "Heideröslein" trifft. Dies wird erreicht durch die Verwendung bestimmter typischer Form- und Klangelemente, auf die oben schon hingewiesen wurde. Kennzeichnend für die volkstümliche Ausdrucksweise sind Abkürzungen, die Auslassung des unbetonten "e", wie in "sah's", "s' Röslein", "will's".

Weitere Merkmale der Volkspoesie sind die mehrmalige Wiederholung des gleichen Wortes "Röslein, Röslein, Röslein", und das nachgestellte, unflektierte Adjektiv "Röslein rot", altertümliche Kasusformen "auf der Heiden" und die häufige Einfügung von Wortpaaren wie "Weh und Ach". Dieses der volkstümlichen Sprache entlehnte Stilmittel, das durch Alliteration noch an Einprägsamkeit gewinnt, findet sich mehrmals im "Urfaust", so "Kopf und Busen" (S.372), "Geburt und Grab" (S.371), "Schmuck und Schmied" (S.395), "hüben und drüben" (S.406), sowie in "Clavigo": "Schutz und Hülfe" (S.272), "um Leben und Tod" (S.276), "Tod und Teufel" (S.292), "einzig und allein" (S.296). An die Überlieferung des Zaubersonges knüpft der Refrain am Ende



in Sklavenklauen packen" (S. 180). Jupiter spricht vom "Wurmgeschlecht", von "neugeborner Jugendwonne", in der "ihre Seele sich göttergleich" wähnt (S. 182). Aus dem Worte "Göttergleich" spricht das Hochgefühl der Geniezeit (Prometheus, Gedicht). In "Willkommen und Abschied" zeigt sich, daß die Ausdrucksweise des Sturm und Drang im Grunde in erster Linie eine Steigerung der Sprache der Empfindsamkeit ist: "In meinen Adern welches Feuer/In meinem Herzen, welche Glut!". Die bruchstückhafte, elliptische Diktion, die mit wenigen oft dunklen Worten bei größter syntaktischer Freiheit mehr andeutet als sie ausspricht, beherrscht die lyrischen Dichtungen "Ganymed" und "Wanderers Sturmlied". Einige Beispiele mögen dies verdeutlichen: So heißt es im "Ganymed": Ich komm ! Wohin ? Ach wohin ?/Hinauf ! Hinauf strebt's./Es schweben die Wolken Abwärts, die Wolken/ Neigen sich der sehnen- den Liebe. Mir ! Mir ?" Dem Geist des Sturm und Drang entsprungen ist "Wanderers Sturmlied": "Wie vom Gebirg herab, Kieselwetter ins Tal./ Glühte deine Seel' Gefahren, Pindar, Mut. GlühteArmes Herz." Die fünfmalige Wiederholung "Wen du nicht verlassest, Genius. hat etwas Beschwörendes, wie es alten Zaubersprüchen eigen ist. Der Dichter führt uns so die Magie des Wortes, die bannende Kraft der Wortfolge vor Augen. Reine Ausdrucks- form des Sturm und Drang ist die 1. Strophe von "An Schwager Kronos": "Spute dich, Kronos!/Fort den rasselnden Trott !;...Eckes Schwindeln zögert/ Mir vor die Stürpe dein Haudern./Frisch, holpert es gleich.../Rasch ins Leben hinein" Weiterhin versucht Goethe im gleichen Gedicht (3. Strophe) in einem kühnen Bilde den Urgrund des Lebens auszuloten: "Vom Gebirg zum Gebirg schwebet der ewige Geist/Éwigen Lebens ahndevoll...".

##### 5. Einfluß der Volksdichtung (Herder und Hamann):

Daß Goethe schon in der Früh epoche seines Schaffens von der ana- kreontischen Rokokodichtung sich abwandte und in Wortschatz, sprachlicher Gestaltung und Motiv einem neuen Lebensgefühl Ausdruck verlieh, ist im wesentlichen auf den Einfluß Herders zurückzuführen, mit dem er in Straßburg bekannt wurde. Herder vermittelte ihm auch das Vermächtnis Hamanns. Der 'Magus des Nordens' predigte in seiner Ästhetik die Abwendung vom Rationalismus der Aufklärung, stellte die Intuition über die Ratio, Gefühl über Denken, Bilder über Begriffe. Poesie ist nach Hamann 'Ursprache des Menschengeschlechtes'. Auch Herder löst die Poesie von der Ratio und bezeichnet sie als 'Musik der Seele' (vgl. Victor S.25). Musik und Dichtung erscheinen als im innersten wesensverwandt; damit rückt das Wort als Aus- druck der Empfindung, als Klang gewordenes Gefühl in den Vordergrund. Auch Goethe weiß schon um "das Lied", das "in allen Dingen" "schläft" und

verleiht. Ihm ist höchste Intensität des Erlebens eigen, die sich in den Worten des Franz ausdrückt, mit denen er schildert, wie ihn die Schönheit Adelheids von Walldorf überwältigte (Götz, S. 102): "Alle Sinne stärker, höher, vollkommener, und doch der Gebrauch von keinem." Und Weißlingen beschwört Adelheid (Götz, S. 118): "Könntest du mich lieben, Könntest du meiner heißen Leidenschaft einen Tropfen Linderung gewähren!"

Wendungen aus dem "Clavigo", wie "Angsttropfen auf dem Gesichte"; "Possenspiel", "paar Mauslöcher immer offen" (S. 295 f.) stehen dem Sprachgebrauch der Geniezeit nahe.

Die ganze Spannweite des Sturm und Drang wird im "Urfaust" deutlich. Den Studenten in Auerbachs Keller ist "gar kannibalisch wohl/Als wie fünfhundert Sauen". Sie betiteln sich mit "Esel und Schwein, Mastschwein, Besenstiel, Ratte, Schmeerbauch" (397 ff.). Auch Faust und Mephisto bedenken einander mit rauch-genialischen Namen: Mephistopheles bezeichnet Gretchen als "Giasaff" (S. 408), ein Frankfurter Ausdruck, ähnlich wie Backfisch. Faust nennt Mephisto eine "Spottgeburt aus Dreck und Feuer". Es fehlt jedoch auch nicht an erhabenen Tönen, die die ekstatische Seite genialen Lebensgefühls offenbaren: Nur einige wenige Stellen seien angeführt. Faust spricht beim Anblick des Zeichens des Makrokosmos (Urfaust, S. 367 ff.): "Ha, welche Wonne fließt in diesem Blick...fühl neue Glut durch Nerv und Adern rinnen... Wo faß ich dich unendliche Natur! Euch Brüste, wo? Ihr Quellen alles Lebens ... All meine Sinne sich erwählen ... Du mußt! Du mußt! Und kostet es mein Leben." Darauf der Geist, ein "Schröckliches Gesicht": "Wo ist die Brust, die ... erscholl sich uns den Geistern gelich zu heben. Du, der in allen Lebens-tiefen zittert. Ein furchtsam weggekrümmter Wurm." Auch "Lebensfluten, Tatensturm" gehören dem Wortschatz des Sturm und Drang an, wenn auch den Worten des Erdgeistes eine zeitlos gültige, bereits klassische Form verliehen hat. Das gilt auch für die Szene in Marthes Garten (S. 405 ff.), da Faust versucht, Gretchen sein religiöses Weltbild nahezubringen: "Nenn's Glück! Herz! Liebe! Gott! Gefühl ist alles, Name Schall und Rauch, Umnebelnd Himmelglut."

Wohl am nachhaltigsten hat die sprachliche Form des Sturm und Drang die frühe Lyrik Goethes geprägt, sowie das dramatische Fragment "Prometheus". Für Prometheus (S. 179) sind "von Anbeginn" Minervas Worte "Himmelslicht"; "Mitgeborne Harmonien. erklangen aus sich selbst"; /Wie der süße Dämmerchein der Weggeschiedenen, Sonne dort heraufschwimmt, und meine Seel umgibt mit Wonneruh" (S. 179). Prometheus möchte um vieles nicht "Mit dem Donnervogel tauschen/Und meines Herren Blitze stolz

und unmittelbaren Erlebens ist. Sie soll Poesie im Sinne Hamanns sein, das heißt Ursprache der Menschheit; sie denkt in Bildern weit mehr als in Begriffen, ist Spiegel der Individualität, des "Genies"; sie lebt aus der Intuition, löst sich von der Ratio; sie umspannt den gesamten Bogen menschlicher Existenz, reicht deshalb von den Tiefen rein animalischen Daseins bis zu den Höhen mystischer Ekstase. Sie bedient sich der vulgären Sprechweise des Volkes, scheut vor der Zote nicht zurück und erhebt sich bis zum sakralen Bereich des Hymnus, bis in den Glanz der Vergeistigung und Verklärung (vgl. Vietor, S. 25–38).

Freilich liegt hierin die Gefahr, worauf WIESE (S.58) hinweist, "Lärm mit Kraft, Phrase mit Ausdruck zu verwechseln". wie es bei einer Reihe von Dichtern des Sturm und Drang der Fall war. Bei Goethe jedoch verliert die Sprache nie die innere Spannkraft, sie bleibt stets Ausdrucksform des "Genies", und für Goethe heißt - wie WIESE es formuliert - als Genie leben "aus einer dem Augenblick hingegebenen Gottes-Fülle leben".

Die äußeren Stilmittel des Sturm und Drang sind syntaktische Freiheit, plötzliches Abbrechen, Wortlücken, wo an die Stelle des Wortes der Gedankenstrich tritt, Anakoluthe und Ellipsen, Variationen, Wiederholungen und Abkürzungen. Der Elisionsstil betont das Dynamische und ist gleichzeitig Ausdruck des Volkstümlichen Ursprünglichen, das durch Herder und Hamann als das befruchtende Element der dichterischen Sprache erkannt wurde (vgl. Langen, Sp. 1120 ff.)

Kennzeichnend für "Götz" ist die volkstümlich gefärbte Geniesprache, wobei Goethe, dem Vorbild Shakespeares folgend, die Ausdrucksweise jeweils der Szene, also dem Milieu und der Situation anpaßt (vgl. Vietor, S. 48 ff.).

Die Vorsilben "zer" und "ver" setzen perfektive Akzente. Marie "verjammert und verhetzt ihr Leben" (Götz, S. 124). Der Spieler "zerbeißt und zerstampft die Karten" (S. 116). Ausdrücke wie "Schurke ... Hundsfoth ... verkehrtes Zeug" (Götz, S.116), "rotrückiger-Schurke" (Götz, S.138), "Schwein-saug'ger Ochsenkopf mit wahren Eselschren" (Die Mitschuldigen, S. 69) kennzeichnen das Drama des Sturm und Drang, desgleichen eigenwillige, altertümlich anmutende Formen, z. B. "Nacht-Ims" (Götz, S. 121), "inskünftige" (Götz, S. 99) und pleonastische Wortgebilde wie "blutgelbrot" (Götz, S. 158). Das Ideal ist "der tolle Kerl" (Götz, S. 110), das heißt der "große Mensch", projiziert auf die Ebene des Alltäglichen, dem er durch die Ausstrahlungskraft seiner genialen Persönlichkeit eine fast dämonische Bedeutung

Pindar", desgleichen im Gedicht "Prometheus": "Und glühtest ... Betrogen, Rettungsdank, dem Schlafenden da droben".

Der adjektivische Gebrauch des Partizip Perfekt verstärkt das dynamische Element. Hinzu kommen Zusammensetzungen von Partizipien meist mit Substantiven. Die Beispiele ließen sich in großer Zahl anführen "hellleuchtend, umwärmend Feuer, sturmatmende Gottheit, umkränzende Seligkeit, Den blumensingenden, honigallenden freundlich winkenden Theokrit" (Wanderers Sturmlied); "Schlangenzwängelnd... silberprangend... erwartender Erzeuger... freudebrausend" (Mahomets Gesang); "Umfangend umfängen (Ganymed)"; "Strebend und hoffend... diesen schäumenden Trank, "den er atmenden Schritt" (An Schwager Kronos); "Die glühend Herz aufquillet... sich schmerzverzehrend stilltet!" ("Sehnsucht"). "Mit segenduftenden Schwingen" (Urfaust, S.369), "voll schwellender Tränen" (Gedicht "Herbstgefühl").

Den Sprachgebrauch Klopstocks ahmen Verbalzusammensetzungen, wie "warmumhüllen", "siegdurchglühert" nach (Wanderers Sturmlied). Die ekstatische Wirkung wird durch substantivierte Partizipia verstärkt "Trunken vom letzten Strahl... Mich Geblendeten, Taumelnden" (An Schwager Kronos); "...des Bedrangten... Dem Schlafenden ... Je des Beladenen ... Je des Geängsteten" ("Prometheus"). Schließlich ist die hymnische Sprache selbst, die knappe, bruchstückhafte Ausdrucksweise bewußt an Klopstock angelehnt: Glühete deine Seel! Gefahren Pindar, Mut.- glühete?-Armes Herz "Wirst mit Hüterfittichen ihn decken in des Haines Mitternacht" (Wanderers Sturmlied); "Hinauf strebt's/ Abwärts. die Wolken/ Neigen sich der sehnenden Liebe./ Mir! Mir! ... Hinauf, hinauf, Abwärts? Aufwärts!" ("Ganymed") Auch in der Prosa begegnen wir allenthalben Wendungen im Stil Klopstocks, wie z. B. im "Werther": "Heilige, belebende Kraft, mit der ich Welten um mich schuf" (Brief v. 3. Nov.. 2. Buch.).

#### 4. Sturm und Drang:

Über Klopstock führt der Weg von der Sprache der Empfindsamkeit zur affektgeladenen Ausdrucksform des Sturm und Drang, in dem die Dynamik, die Hyperbolik des Wortes, die Bildhaftigkeit ihren Höhepunkt erreicht (vgl. KAINZ, S. 170). Hier münden die Einflüsse der englischen Literatur, beginnend mit Shakespeare, den Herder und Hamann den Deutschen nahegebracht haben, über die Metaphysical Poets bis zu den Vorboten der englischen Romantik. Das Ideal des selbständig schöpferischen Menschen rückt in den Mittelpunkt. Das Original-Schöpferische äußert sich in der Sprache, die jenseits aller Regeln des Rationalismus Ausdruck hochgespannter Gefühle

Wehen des Alliebenden". Für Faust (S.406) ist Gott "der Allumfasser, der Allerhalter". Das Gedicht "Ganymed" schließt mit "Alliebender Vater". Im Prometheus-Fragment wendet sich Merkur an Zeus mit "Allvater! Du Allgütiger". In diesem dramatischen Gedicht verwendet Goethe das Wort "all", sei es in Zusammensetzungen, als Adjektiv oder Substantiv sehr häufig, wohl ein Ausdruck von Goethes pantheistischer Weltanschauung. Pietistische Demut spricht aus Werthers Worten, mit denen er um die Geborgenheit der Gotteskindschaft betet: "O Gott ... Vater, den ich nicht kenn! Vater, der sonst meine ganze Seele füllte ... rufe mich zu dir! ... lieber himmlischer Vater." (Brief v. 30. Nov., 2. Buch). Die Seele ist "der Spiegel des unendlichen Gottes" (10. Mai, 1. Buch). Sinnverwandt, im Ausdruck an Klopstock angelehnt, sind die Verse aus "Sehnsucht": "Konnt ich doch ausgefüllt einmal von dir, O Ewiger, werden!"

August LANGEN (Spalte 1118 f.) weist darauf hin, daß Goethe von den Pietisten und vor allem von Klopstock die Verbalisierung als typisches Sprachmerkmal übernimmt. Dadurch bekommt die Sprache etwas Dynamisches. Der Autor führt als Beispiel verbaler Präfixbildungen folgende Zusammensetzungen von Verben mit Präpositionen bzw. Adverbien an: "entgegenglühen, herausgrüßen, hinaufwiegen, abwärtsstreben, entlangrauschen, überschwellen, nachjauchzen, vorbeiquellen." Im "Clavigo" begegnen uns "ausqualen, hinjammern" (S.264) und "ausgenießen" (S.248). Das Gedicht "Ganymed" beginnt: "Wie im Morgenglanze / Du rings mich anglühst, / Frühling Geliebter!". Die Zeichnung ist "mit ungeduldigem Streben" "hingewühlt" (Gedicht, "Mit einer Zeichnung"). In "Wanderers Stürmlied" findet sich: "Dem Schlossenturm entgegensingend" wird, "wen der Genius nicht verläßt". Und in dem Gedicht "Sehnsucht" beginnt der Dichter: "Dies wird die letzte Trän' nicht sein, / Die glühend Herz aufquillet".

Dynamisierend wirken auch die bewegungshaltigen Adverbia, die dem Nomen beigelegt werden. LANGEN (Sp.1118) gibt als Beispiel "Berge, wolkig himmeln". Ähnliche Wortgruppen treffen wir in "An Schwager Kronos": "Mühsam Berg hinauf ... herrlich der Blick, / Rings ins Leben hinein / Ab denn, rascher hinab?"

LANGEN (Sp.1119) sieht in der Transitivity intransitiver Verben den Einfluß von Klopstock, z. B. "Hoffnungslieder nachjauchzen", "dem Blut Maßigung tropfen", "einander anglühen". Ähnlich heißt es in "An Schwager Kronos": "Töne, Schwager, ins Horn, raßle den schallenden Trab!". In "Wanderers Stürmlied" tritt uns die Nachwirkung Klopstocks besonders klar entgegen: "Haucht ihn Schauer übers Herz ... Glühete deine Seel' Gefahren,

riant mir eine süße Träne". Im Gedicht "Ein zärtlich Jugendlich Kummer" sieht das Mädchen "mit Seelenfreude" ... "Und fühlt und hofft". Auch im hymnisch-ekskatischen "Sturmlied" fehlen sentimentale Töne nicht : "Innere Wärme, Seelenwärme". Desgleichen spricht sich empfindsame Seelenhaltung im Ganymed aus : "Mit tausendfacher Liebeswonne/Sich an mein Herz drängt/Deiner ewigen Wärme Heilig Gefühl, / Unendliche Schöne!" ... "Achi, an deinem Busen lieg' ich, schmachte ... Du kühlst den brennenden Durst meines Busens". Mit am reinsten spricht sich die Sentimentalität im Gelicht "Sehnsucht" aus. Hier treffen wir "die letzte Träne, /Die glühend Herz aufquillet unsäglich neuer Pein ... schmerzvermehrend stillet... Schmerz durch Nerv und Adern wählen."

### 3. Pietismus und Klopstock:

Bezieht sich die empfindsame Ausdrucksweise in erster Linie auf die irdische Liebe, so wird das Verhältnis zu Gott, zum Metaphysischen schlechthin, sei es im rein religiösen oder im philosophischen Sinne, vom Pietismus geprägt. Goethe kehrte 1768, ohne seine Studien abgeschlossen zu haben, körperlich krank und innerlich zerrissen nach Frankfurt zurück. Die körperliche und geistige Krise macht ihn aufgeschlossen für die gefühlsmäßige Frömmigkeit des Fr. v. Klettenberg, der "schönen Seele". Durch sie wurde er mit alchemistischen Schriften bekannt und näherte sich der Herrenhuter'schen Brüdergemeinde. So erschloß sich ihm die Welt des Paracelsus, der Magie der deutschen Renaissance ; darüber hinaus las er moderne französische Mystiker (vgl. Staiger, S. 46 und Vietor, S. 14). In seiner Straßburger Zeit gewinnen Klopstock und Lavater einen entscheidenden Einfluß auf den jungen Goethe ; er selbst setzt sich mit dem Pietismus und der evangelischen Frömmigkeit in "Brief des Pastors zu +++ an den neuen Pastor zu +++" auseinander, einem der wichtigsten religiösen Dokumente der Goetheschen Frühzeit. Reiner Pietismus spricht aus dem Satz "Unsere Seele ist einfach und zur Ruhe geboren" (S. 229, Bd. 12). Gleichzeitig zeigt der Brief, daß sich der Dichter bereits vom eigentlichen Pietismus löst und einer weltoffenen, männlicheren Frömmigkeit sich zuwendet (Anm. zu Bd. 12, S. 671). Alle diese vielfältigen Strömungen finden ihren Niederschlag im sprachlichen Ausdruck, in der Wahl der Wörter, in Wortbildungen, in Rhythmus und Sprachmelodie.

Die Namen, mit denen Gott und das Göttliche genannt werden, treten meist in Zusammensetzungen mit der Vorsilbe "All" auf. Aus den Wortbildungen spricht eine mehr oder minder deutliche Hinwendung zum Pantheismus, was sich aus dem Studium der auf Paracelsus fußenden Philosophen erklären dürfte. Werther (10. Mai, 1. Buch) "fühlt die Gegenwart des Allmächtigen .... das

Den Hut mit Bändern, und das Mädchen pflückt / Die Veilchen aus dem jungen  
Gras, und bückend sieht (sic) / Sie heimlich nach dem Busen, / Sieht mit See-  
lenfreude... / Reizender ihn heute als er vom Jahr am Maienfest geblüht."

Worte aus dem Wortschatz der Anakreontiker finden wir in "Die Laune des Verliebten", das Goethe selbst als Schäferspiel in Versen bezeichnet, so z.B. auf S. 7 (Bd.4): "Nelke ... Rose... Aminen ... Kränze, Körbchen mit Blumen ... mit freundlichen Gebärden, dies muntre Herz ... artig scherzhaft, zärtlich ... mancher Schäfrin ..." und auf S. 8: "was Süßes ... Amors Schläfrigkeit ... Bitten, Küsse, Klagen ... ein Schmeicheln hört, bald seine Laune flieht... der Wiese Gras um deine Tritte neidet", desgleichen S. 9: "Maienkranz-Frühlingsfest" etc.

## 2. Empfindsamkeit:

Die gesamte frühe Epoche Goethes ist durch die Empfindsamkeit mit geprägt. Wie KAINZ (S.147) ausführt, wird mit Empfindsamkeit das "unbefriedigte Begehren vor allem in der Liebe" bezeichnet, das Schmachten und Sehnen. Dieser sentimentalisierten Seelenhaltung entstammen auch Komposita wie "schmachtend lächelnd, sanftschmachtend." Auch "Kätzchen schwächig" wird von "schmachtend" abgeleitet (Mephistopheles im Urfaust, S. 414). Reinsten Ausdruck findet die Empfindsamkeit im "Werther": "... eine Leidenschaft hat sich "im armen Herzen" von Leonore "gebildet", Werther hat "ihre Empfindungen genährt". Nun ist "die Einsamkeit" Werthers "Herzen köstlicher Balsam" (S.8) und "eine wunderbare Heiterkeit" hat seine "ganze Seele eingenommen" (10. Mai, 1. Buch). Werther wiederholt alles in seiner "innersten Seele" (30. Mai, 1. Buch), er "versank im Strome von Empfindungen, den sie ... ausgoß" (16. Juni, 1. Buch), er wird "von erquickender Träne gelabt" (3. Nov., 2. Buch), empfindet "schmerzlich glühende Freuden" (12. Okt., 2. B.) ; er ist "der glücklich Unglückliche" (1. Dez., 2. B.). Auch im "Götz" begegnen uns Worte aus dem Kreise der Empfindsamkeit : Marie hat eine "süße Seele" (S. 103). Franz fühlt, daß "ein volles ganz von einer Empfindung volles Herz" den Dichtern macht. Sentimentalisch sind die Worte Fausts, die er beim Anblick von Gretchens Zimmer spricht "Willkommen süßer Dämmerchein, ... die du vom Tau der Hoffnung schmachtend lebst", das "Gefühl der Stille atmet"; Faust findet "in diesem Kerker welche Seeligkeit" (S. 388). Auch in der Lyrik lassen sich die Beispiele sentimentaler Ausdrucksweise häufen : In "Willkommen und Abschied" fließt "milde Freude von" dem "süßen Blick"... "In meinem Herzen welche Glut ... in deinem Auge welcher Schmerz?". In "An Friedrike Brion" heißt es: "Vom Auge

### III. Niederschlag der geistigen Strömungen:

Im Sprachschatz von Goethe spiegeln sich in typischen Wendungen, in der Wortwahl, in Rhythmus und syntaktischem Aufbau die geistigen Strömungen seiner Zeit wider und findet das literarische Erbe seinen Niederschlag.

#### I. *Anakreontik und Rokoko:*

Als Student der Juristerei in Leipzig verfaßte er nach französischem Muster Liebesdichtung im Geiste der Anakreontik und wurde mit dieser gesellschaftlich gebundenen Lyrik ein Mittelpunkt der dortigen gebildeten bürgerlichen Kreise, die einen galanten Lebensstil im Sinne des Rokoko pflegten und der zeitgenössischen Literatur großes Interesse entgegenbrachten (Vgl. Viotor, S.7). In seinen Gedichten begegnen uns charakteristische Wendungen, die dem Sprachschatz der Anakreontiker entstammen. In "Willkommen und Abschied" finden wir: "Ein rosenfarbnes Frühlingswetter umgab das liebliche Gesicht" und "Zärtlichkeit für mich - ihr Götter!" Das kleine Gedicht "Mit einem gemalten Bande" ist ganz dem verspielten Geist des Rokoko entsprungen, wenn auch schon gewisse sentimentale Wendungen, wie "Fühle, was dies Herz empfindet" aufklingen. Nur einige besonders charakteristische Ausdrücke seien herausgegriffen: "Kleine Blumen, kleine Blätter streuen wir mit leichter Hand ... tändelnd-luftig Band, Zephir - Munterkeit, Rose jungschwaches Rosenband!" Das Lied "An Friederike Brion" atmet weit mehr den Geist Shakespeares als den der Anakreontik, wie überhaupt die Lieder an Friederike von einem tiefen Erleben von Liebe und Natur zeugen und damit weit über den Rahmen des Rokokoliedes hinauswachsen. Vereinzelt treffen wir aber öuch hier Worte und Wendungen, die kennzeichnend für die erotische Lyrik des 18. Jahrhunderts mit ihrer mehr oder minder formelhaften Beschreibung der Naturkulisse sind: "Horch, Philomelens Kummer/Schweigt heute still .../ Es zittert Morgenschimmer/ Mit blödem Licht / Errötend durch dein Zimmer/ Schwer lag auf meinem Busen des Reimes Joch :/ Die schönste meiner Musen..." Selbst in dem von hymnischem Pathos getragenen "Wanderers Sturmlied" begegnet uns vereinzelt eine Ausdrucksweise, die der Anakreontik entlehnt ist. "Wandelnd wird dem Taubenpaar /In dem zärtlichen Arm, /Mit der freundlichen Ros' umkränzt, / Tändelnden ihm blumenglücklichen, Anakreon". Reine Rokokodichtung ist das Veilchen "das herzig Veilchen", "das von der jungen Schäferin mit leichtem Schritt und muntern Sinn" "vom Liebchen abgepflückt/Undan dem Busemmatt gedrückt zuwerden". Verwandt mit der Schäferdichtung ist auch "Ein zärtlich jugendlicher Kummer": "... bald gaukelt dir, mit Rosenkränzen/In runder Hand, du Sonnengott.../ Und zu Tänzen auf neuen Wiesen schickt / Der Jüngling sich und schmückt/



Im alten Sinne von "befehlen", "anschaffen" wird das Verbum "schaffen" von Elisabeth im 1. Akt d. "Götz" (S. 100) gebraucht: "Was schafft ihr?"

Der junge Goethe bevorzugt den Genetiv, wodurch seine Ausdrucksweise etwas Gehobenes und Altertümliches zugleich erhält. In "Götz" (S. 110) sagt der Bischof: "hätt ich nicht Gelds genug?" Weislingen äußert in einer der folgenden Szenen (S. 114): "Er kannte die Gefahren, die mein hier warten". Hier ist der Genetiv in der alten einsilbigen Form gebraucht, was die altertümlich-volkstümliche Note unterstreichen soll. Auch in gebundener Sprache, wie im Gedicht "An meine Lieder" (Zyklus Annette) begegnet und die vom üblichen Sprachgebrauch abweichende Verwendung des Genetives: "Dann erinnert sie der Freuden, die uns sonst vereint erquickt".

Mit dem "n"-Infix, z. B. "um Ihrentwillen" (Werther, Brief v. 17. Marz, 2. Buch) will Goethe der Sprache ebenfalls eine altertümliche Färbung verleihen. Eine ähnliche Wirkung sucht der Dichter mit dem eingeschobenen "d" zu erzielen "ahndungsvoller Engel" (Marthes Garten, Urfaust), "mit ahndevoller Gegenwart" (Szene im Dom, böser Geist), ahnde ist eine falsche Rückbildung zu ahnte; mit Bildungen wie "mißhör mich nicht" (Urfaust, Marthens Garten), "ohnmöglich" (Urfaust, S. 378), "ohngefähr" (Urfaust, S. 407), mit Zahlwortformen, wie "zehen Jahr" (Clavigo, S. 288) und "bis eilfe" (Clavigo, S. 263).

Ungewöhnlich ist der Ersatz von Teilnahme durch "Teilnehmung" (Werther, S. 18, 38, 70, 100). Mehrmals gebraucht Goethe "Plane" statt "Pläne", vermeidet also den Umlaut, so im "Werther" (Brief v. 8., Jan. 1. Buch, v. 9. Mai, 2. Buch) und im "Clavigo" (S. 275, 288).

Schließlich sei noch auf Dativformen hingewiesen, die Goethe in eigenwilliger Weise anwendet, wobei das volkstümliche Element von gewissem Einfluß sein dürfte. Götz (S. 100) sagt: "Ich muß meiner Frau rufen." Die gleiche Wendung begegnet uns im "Clavigo" (S. 304): "Sie ruft mir, sie ruft mir". In diesem Zusammenhang ist auch die Dativform (Dat. ethicus) zu nennen, die wir in Adelheids Gespräch mit Weislingen finden (S. 113): "Willst du unser Feind sein und wir sollen dir lächeln?"

Ausgeprägt ist die Vorliebe des jungen Goethe für den ethischen Dativ. Der Dichter versucht dadurch, der Sprache Nachdruck und Eindringlichkeit zu verleihen. Beispiele hierfür sind im "Götz" anzutreffen: "Ihr sollt mir ... ein Paar sein" (S. 136), "Du sollst mir jetzo fort" (Götz zu Weislingen, 1. Akt, S. 100).

der Geniezeit. Die Beispiele ließen sich beliebig mehren. In "Die Mitschuldigen" werden die Kasus abweichend gebraucht: "Er muß von jemand Hohes sein" (S. 38). "Nun hilf dich aus der Falle" S. 41. Im "Clavigo" (S. 262) heißt es: "Ich halte nicht viel auf solche Vorschläge".

Im I. Akt des Prometheus-Fragments spricht Epimetheus: "Du sollst der Erde herrschen" (S. 178). Häufig werden die Präpositionen in ungewöhnlicher Weise eingesetzt, was an die mittelhochdeutsche Sprache erinnert: Im "Götz" lesen wir:

"Ihr werdet gegen der Menge wenig sein" an Stelle von "gegenüber" (S. 126), ... "Ich will gegen ihnen halten" (S. 132); im "Werther" (Brief v. 16 Juni, I. Buch: "kam ich ganz außer mich" ... "unter dem Gespräch". Schließlich sei noch auf eine eigenartige Redewendung aus dem "Götz" hingewiesen: Franz sagt über Adelheid von Walldorf (S. 102): "Es ist der Zunge so wenig möglich, eine Linie ihrer Vollkommenheiten auszudrücken" (das Abstraktum "Vollkommenheit" wird hierbei im Plural gebraucht, und damit kommt eine Art Pleonasmus zum Ausdruck).

In den Imperativformen Singularis erscheint bei den starken Verben "schelten", "verderben", "messen" ein "e" anstelle von "i". So heißt es im "Werther" (Brief v. 30 Mai, I. Buch): "Schelte mich nicht", im "Clavigo" (S. 301) spricht Sophie zu ihrem Bruder: "So bleib und verderb uns alle!". Im "Götz" bestellt Sievers ein Glas Brantwein beim Wirt und sagt zu ihm: "Meß christlich!". Umgekehrt tritt "i" für "e" ein: Götz fragt Georg (S. 77): "Wo stickst du?".

In Anlehnung an den mundartlichen Sprachgebrauch wird "wie" durch "als" ersetzt. Im "Clavigo" treffen wir folgende Wendungen "So weit als möglich" (S. 262) ... "so unschuldig als unglücklich" (S. 267) ... "so klug handle als möglich" (S. 267). Beim letzten Beispiel ist auch die freie Wortstellung zu beachten.

Verstöße gegen die unregelmäßige Steigerung von Adjektiven finden sich auch in den beschwörenden Worten Clavigos, Beaumarchais möge ihm die Schwester zur Frau geben: "Sie erfüllen mich, mein Herr, mit der größten Hochachtung für Sie" (S. 275). Sehr ungewöhnlich ist die Bildung "am ungernsten". Im "Clavigo" hat Carlos "mit honetten Mädchen" "am ungernsten zu tun" (S. 261).

Fast durchweg werden Eigennamen dekliniert: "mit Marianen" (Werther, Brief v. 6. Juli, I. Buch), "mit Margreten" (Urfaust, S. 392), "zu Mariens Füßen" (Clavigo, S. 260), "verlaß Sophien nicht" (Die Mitschuldigen, S. 38).

das ekstatische Hochgefühl zum Ausdruck. Das gilt auch für die Wortschöpfungen aus "Mahomets Gesang": "Freudehell", "jünglingsfrisch", "silberprangend", "Sternenblick", "freudebrausend", "schlangenvandelnd", welche höchste Dynamik, Bildhaftigkeit und Ausdruckskraft in sich vereinen.

Der empfindsamer: Sphäre gehören die Zusammensetzungen an "schmerzvermehrend" (im Gedicht "Sehnsucht") und "Unschuldswohnung" (in Annette, Triumph der Tugend, 2. Erzählung). Kennzeichnend für die Anakreontik sind die Wortbildungen "rosenfarben Band" und "Frühlingsgötter" (aus dem Gedicht "Mit einem gemalten Bande"): verwandt sind "morgenschön" ("Heideroslein"), "Morgenwolken", "Morgenblumen", "Himmelsduft" (im "Mälied"; "Morgenschimmer" (aus "An Friedricke Brion"). Goethe scheint den Morgen sehr geliebt zu haben, wie überhaupt das Licht, das Leuchtende und Helle. In dem Gedicht "Willkommen und Abschied" klingen in "rosenfarbenes Frühlingswetter" ähnliche Töne auf, die wie "Nebelkleid und Wolkenhügel" ein vertieftes Naturgefühl ankündigen. Dieses findet in den Wortschöpfungen von "Wanderers Sturmlied": "blumenglücklich", "sturmatmend", "blumensingend", "honiglallend", "siegdurchglüht" seinen Ausdruck in geradezu barockem Überschwang. Die "segeneuften Schwingen" im Urfaust (S.369) sind ebenfalls in diesem Zusammenhange zu erwähnen.

### 3. Syntaktische Freiheiten:

Die Jugendliteratur Goethes ist durch die Freiheit der Wortfolge gekennzeichnet. So heißt es im "Werther" (Brief v. 10. Mai, 1. Buch) "daß es würde der Spiegel deiner Seele, wie deine Seele ist der Spiegel des unendlichen Gottes". Abweichende Wortfolge zusammen mit Ersatz des Partizips Perfekt durch den Infinitiv findet sich im Brief vom 16. Juni, 1. Buch: "daß ich eins der liebenswürdigen Geschöpfe habe kennen lernen." Im Brief vom 4. September, 2. Buch, wird in dem Satze "er habe getan, was er nicht tun sollen" das konjugierte Hilfszeitwort "hatte" ausgelassen. Ein besonders deutliches Beispiel für die Freiheit, mit der Goethe die Syntax handhabt, ist die 2. Strophe des Gedichts "An meine Lieder" des Zyklus "Annette": "Bald entflieht der Freund der Scherze, Er, dem ich euch sang, mein Freund."

Um Goethes Verhältnis zur Grammatik zu charakterisieren, zitiert SEILER (S. 129) eine Stelle aus einem Brief Goethes vom 16. Juli 1798 an Wilhelm von Humboldt: "Poeten von meiner Natur, die nun einmal keine grammatische Ader in sich haben." August LANGEN (Sp. 1120) aber bringt die grammatikalischen Freiheiten in Zusammenhang mit dem Sprachgebrauch

dürfte kein Zufall sein, denn es ist in besonderer Weise geeignet, der Sprache etwas Gehobenes, im Schiller'schen Sinne "Sentimentalisches" zu verleihen, sie zu durchgeistigen und so auch den sprachlichen Ausdruck dem Milieu der Tragödie anzugleichen. Beaumarchais bezeichnet Clavigo als "einen Nichtswürdigen! Hassenswürdigen!" (S.264). Man schildert der Marie den Clavigo als "den Rückkehrenden, den Reuigen" (S.281). Auch in den Jugendgedichten erscheinen Wendungen dieser Art, z.B. in "Annette, Triumph der Tugend, 1. Erzählung": "Sie saßen tändelnd in dem Kühlen" ... "Mich Unglückselige". Daneben finden sich substantivierte Verben, so im "Götz": "das widerfährt mir über alles Hoffen und Wünschen" (S.99), und im "Clavigo": "das Zittern, das Schlagen" (S.298).

## 2. Wortzusammensetzungen:

Goethe ist ein Freund von Wortzusammensetzungen, und zwar von Substantiven mit Substantiven, von Adjektiven mit Substantiven, von Adjektiven mit Adjektiven. Volkstümlich-derb ist die Wendung, mit der in "Die Mitschuldigen" der Wirt seinen Schwiegersohn beschimpft: "Schweinsaug' ger Ochsenkopf mit wahren Eselsohren" (S.60). Eine Anspielung auf den betrogenen Ehemann stellt der "Hirschapotheekersprovisor" (S.65), weiter begegnet uns "der Bärenhäuter" (S.53), "der Fastnachtsnarr" (S.61). Zusammensetzungen dieser Art gehören wir auch die Wendungen aus dem "Götz" "Weibskute" (S.92), "ein Nimmersatt" (S.74), "Weibergunst" (S.116) der Volkssprache an. Einprägsam - wohl auf Grund der Alliteration - ist "der rotrückige Schurke" (Götz, S. 138); im "Clavigo" spricht Carlos von einer "hochäugigen" bzw. "hohläugigen Spanierin" (S.291). Wörter, wie "Weltklugheit" (S. 269) und "Angsttropfen" (S.295) erinnern an die Sprache des Pietismus und an Klopstock'sche Ausdrucksweise, worauf später im einzelnen noch verwiesen wird. Im "Werther" bildet Goethe Wortzusammensetzungen wie "Sommerta gswanderung" (Brief v. 12. Mai, 1. Buch). Zusammengesetzte Substantive wie "Seelenfrude" (15. Mai, 1. Buch), "Seelenvergnügen" (15. September, 2. Buch), "Menschengefühl" (15. Sept., 2. Buch) sollen die hochgespannte Seelenlage des Helden widerspiegeln. Das Hymnisch-Pathetische der Ossiandichtung läßt Goethe in Worten wie "Edel-gefallener", "siegrückkehrendes Schiff", "das schwachlispelnde Gras", "Nachtfuer am Himmel", "Sturmregen", "Feuerwolke im Sturm" lebendig werden (Ossian-Fragment, Werther, 2. Buch). Wortbildungen aus dem "Prometheus-Fragment": "Wonneneruh" (S.79), "Seelenruhgenuß" (S.181) und "Göttergleich" (S. 182) bringen

trifft das Lokalkolorit der mittelalterlichen kleinbürgerlichen Welt, die den Hintergrund des Urfaustes bildet. Gretchen wird von Mephisto als "ein gar unschuldig Ding" (S.386), von Faust als "ein lebenswürdig Kind" (S.396) bezeichnet. Als weitere Beispiele seien aus dem Urfaust angeführt "Klar Wasser ... und jung Gemüs" (S.375), "ein heimlich Grauen" (S.407), "ein prächtig Wort" (S.377), "ein hübsch Vermögen" (S.401). In Verbindung mit der Umstellung findet sich das unflektierte Adjektiv in der Rede des Mephisto in der nächtlichen Szene "wie dem Kätzlein schwächig" sowie in Gretchens Lied im Kerker "mein Schwesterlein klein" (S.414, S.417). Mehrmals begegnen uns unflektierte Adjektive in der Szene in Auerbachs Keller: "Ein garstig Lied? Ein politisch Lied, ein leidig Lied" ... "ein alt Lied" (S.379).

In den Gedichten der Frühzeit belebt das unflektierte Adjektiv den Rhythmus, hilft das trochäische bzw. jambische Versmaß bewahren, z.B. in "Annette, Triumph der Tugend, 1. Erzählung": "Des Mädchens zärtlich Herz"; in dem Gedicht "Mit einem gemalten Bande": "Ein lustig Band"; in "Friederike Brion": "mein geliebt Geschwister". Im "Ganymed" wird durch das Stilmittel der hymnische Charakter des Liedes unterstrichen: "Heilig Gefühl".

### 1. Abstrahierende Bildungen:

Die Stilelemente, die die Sprache des jungen Goethe bestimmen, sind nicht einheitlich. Neben den Ausdrucksmitteln, die das Ursprüngliche, das Volkstümliche unterstreichen, treffen wir abstrahierende Bildungen, die die Sprache auf ein geistigbegriffliches Niveau heben. In diesem Sinne sind vor allem die substantivierten Eigenschaftswörter zu nennen. PETERSEN (zit. nach Kainz, S. 241) verweist darauf, daß an Stelle der Wörter auf -heit und -keit die Substantivierung des zugrunde liegenden Eigenschaftswortes tritt, wodurch "begriffliche Abstraktion durch mystische Unbestimmtheit, numinose Vorstellungen und metaphysischen Tiefblick ersetzt wird". Ausschlaggebend dürfte bei Goethe jedoch die allgemeine Tendenz zur Abkürzung gewesen sein, die ihn die etwas schwerfälligen Bildungen vermeiden und die kürzere und gleichzeitig bedeutungsvollere Form bevorzugen ließ.

Vereinzelte finden wir substantivierte Adjektive im "Werther". Werther ist "der glücklich Unglückliche" (S.191) genannt. Im "Götz" wird Weislingen "ein Nichtswürdiger", "ein Elender" (S.124) genannt. Häufiger wendet Goethe das Stilmittel der Substantivierung von Adjektiven im "Clavigo" an. Dies

Aus "Annette, Triumph der Tugend, 2. Erzählung": "Listgen Streichen"  
 "Sie stürzt' mir um den Hals" ... "mitternächt'ger Stunde" ... "Sie rief's"  
 "Vermagst's allein".

Auch Eigennamen werden unter Umständen verkürzt. So wird in "Götz"  
 "Weislingen" zu "Weisling", was möglicherweise eine Anspielung auf den  
 Namen des Schadlings Kohlweißling darstellt (Anm. zu Bd. 4). Im Götz gibt  
 Goethe bewußt durch solche Formen eine altertümliche Färbung. Manch-  
 mal wird auch die Vorsilbe des Partizip Perfekts weggelassen "gessen"  
 für "gegessen" (Götz, S. 184), "worden" für "geworden": "Er ist ein Mann  
 worden" (Clavigo, S. 297)

Charakteristisch für die Sprache des jungen Goethe ist auch die *Weg-  
 lassung des Artikels*, auf die u. a. August LANGEN (Spalte 1118) verweist. Es  
 handelt sich hier, worauf noch eingegangen werden soll, um eine Eigenart der  
 volkstümlichen Sprache. Wir finden die Auslassung des Artikels deshalb auch  
 häufig bei den im Volkston geschriebenen Liedern, so im Heideröslin: "Knabe  
 sprach, Röslein sprach". Das Stilmittel wird auch in der dramatischen Sprache  
 angewandt: Im "Clavigo" finden sich folgende Stellen: "Zu Ausführung"  
 (S. 270), "Mit Tode" (S. 270), "Geh in Kerker" (S. 301).

Goethe gebraucht das Adjektiv mit Vorliebe unflektiert. Auch hier  
 macht Goethe eine Anleihe bei der Mundart, und zwar beim rheinfränkischen  
 Dialekt, wie August LANGEN (Spalte 1120) darlegt. Wir finden *unflektierte  
 Adjektive* (stets Neutrum) in der Sprache des Schauspiels, wie in "Die Laune  
 des Verliebten": "Ein lebenswürdig Bild" (S. 8), in "Die Mitschuldigen":  
 "Mein eigen Geld" (S. 33), "ein künstlich Amt" (S. 42), "ein närrisch Ding um  
 ein empfindlich Blut" (S. 43), "mein widerspenstig Herz" (S. 62). In diesen  
 ersten im Geiste der Anakreontik abgefaßten Versuchen erzielt Goethe mit  
 dem Stilmittel des unflektierten Adjektivs eine Auflockerung der Sprache.  
 Der Ausdruck erhält dadurch einen lebendigen und gleichzeitig verspielten  
 Charakter. Auch im "Götz" strebt Goethe, wie MATTAUSCH (S. 204)  
 darlegt, Unmittelbarkeit und Ungezwungenheit der Sprache an. Er macht  
 in diesem Drama häufig von der unflektierten Form des Adjektivs Gebrauch  
 und erreicht so die Wirkung des Urtümlich-Volkstümlichen: "Ein stark Gewis-  
 sen" (S. 105), "ein königlich Spiel" (S. 105), "Schön Exempel" (S. 130), "Ein  
 brav Stück" (S. 140), "ein halb Jahr" (S. 151). In ähnlicher Absicht verwen-  
 det Goethe das unflektierte Adjektiv im Urfaust. Er erzielt auf diese  
 Weise den Eindruck des Altertümlichen und Volkstümlichen zugleich und

## II. Formale Stilelemente:

Kennzeichnend für den Sprachstil des jungen Goethe ist das *Dynamisch-Vorwärtstrebende*, die bewußte Hinwendung zu *naiv-volkstümlicher* Ausdrucksweise, das Bemühen, der von jugendlicher Unbekümmertheit und Impulsivität getragenen Seelenstimmung einen möglichst unmittelbaren, individuell geprägten Ausdruck zu verleihen. Um dieses Ziel zu erreichen, hat sich Goethe einer Reihe von Stilelementen bedient, Knappheit, Weglassungen und unflektierte Formen. Wie KAINZ (S.237) ausführt, tritt hierbei als der vorherrschende Zug der sprachlichen Gestaltung ein ausgeprägtes Streben nach Knappheit und Kürze in Erscheinung. Diese auf Intensivierung zielende Tendenz äußert sich in der Weglassung von einzelnen Lauten und von Wörtern, in Wortbildungen und Wortzusammensetzungen, sowie im syntaktischen Aufbau sowohl der gebundenen als auch der ungebundenen Sprache. Aus der großen Anzahl der Beispiele seien jeweils nur wenige herausgegriffen.

Sehr häufig begegnet uns beim jungen Goethe die *Weglassung* der Endsilben, des unbetonten "e" bzw. des "i" in schwachtoniger Silbe. Das zeigt einen bewußten Einfluß der Mundart, bewußt, weil der junge Goethe bestrebt war, Umgangssprache zu bieten. Als Beispiele seien angeführt (Hamburger Ausgabe) :

Aus "Die Laune des Verliebten": "heut, seh ich sei's, hör ich" (S.7)  
"gnug, die heutge Lust" (S.19),  
"sollt ich nicht rasen?" (S.23)

Aus "Die Mitschuldigen": "Über's Jahr gibt's wieder" (S.31)  
"Schwörst du mir ewge Treu" (S.36)

Aus "Götz von Berlichingen": "Weil ich's Herz dazu hab, so fehlt mir's nicht am Maul" (S.96)  
"... so stecken einen die Kerl am End in Sack" (S.96)  
"Geb's Gott! Geh aber, wie's will, prozessieren tu ich mein Tag nit mehr" (S.119)  
"grad" (S.137)  
"überm Fluß" (S.137)

Aus "Clavigo": "auf'm Sand" (S.261)  
"nun aber werd ich" (S.269)  
"als wollt ich" (S.270)

Aus "Die Leiden des jungen Werther": "g'nügen" (S.41)

Aus "Urfaust": "Du guts, unschuldigs Kind!" (S.397)

Aus "Lilis Park": "Grad aus"

# DER WORTGEBRAUCH DES JUNGEN GOETHE

by

DR. KAMAL RADWAN

## I. Einleitung:

Wenn in der folgenden Arbeit versucht wird, eine Darstellung des Wortgebrauchs des jungen Goethe zu geben, so geschieht dies im Bewußtsein der Problematik dieser Aufgabe. Bei der sprachlichen Fülle und dichterischen Vielfalt von Goethes Werk muß der Versuch, eine Analyse der Sprachelemente und ihrer Verwendung zu geben, nur Stückwerk bleiben, auch wenn man sich auf eine Epoche, in diesem Falle das Jugendwerk, beschränkt. Nicht alle Stilmittel, wie z.B. Metapher, Symbolik, Personifikation und Anapher, konnten behandelt werden. Auch sind "Historisches, Grammatisch-Syntaktisches, Symbolik, Stilistisches und Synonymik...nur mittelbar mit zu berücksichtigen". (Goethe-Wb, Bd.1, 1. Lief., Spalte 13). Besonderer Wert sei auf die formalen Elemente gelegt, da sie sozusagen die Bausteine der dichterischen Sprache darstellen. Ferner sollen die geistigen Hintergründe der sprachlichen Gestaltung aufgehellt und die Sprachschichten, aus denen Goethe schöpfte, aufgezeigt werden, denn eine universale Persönlichkeit wie Goethe nahm die gesamten geistigen Strömungen seiner Zeit in sich auf, gab sie weiter und wandelte sie kraft dichterischen Genies zum ewig gültigen Kunstwerk um. Wie LANGEN (Dt.Phil.i.A., Sp. 1117) es treffend ausdrückt, "spiegelt ... seine sprachliche Entwicklung noch einmal in der stärksten dichterischen Potenz die Wandlungen der Zeit." Ferner wurde er geprägt durch seine Umwelt, d.h. er empfing Eindrücke durch Sprachraum, Gesellschaft, Studiengang und Berufswelt. Eine scharfe Trennung der einzelnen Einflußsphären kann nicht gegeben werden und manche Überschneidungen in der Darstellung sind unvermeidlich. Ferner muß man berücksichtigen, daß ein gewisser Wandel im Sprachgebrauch eingetreten ist. Ausgehend von formalen Sprachelementen möge an Hand des Wortgebrauches dargelegt werden, inwieweit die Sprache des jungen Goethe Spiegel seiner Zeit ist, in welchem Maße landschaftliche und soziologische Bindungen sprachlich ihren Niederschlag finden und wie sich im Wortgebrauch Goethes sprachschöpferische Kraft offenbart.





It seems, somehow, that it is this love of Ralph, a thing of the past — as the use of the past tense indicates — rather than the promise of the passionate love, offered by Caspar Goodwood, that will win the day with Isabel. For her, Ralph will always be here. The sad beauty of the last moment of communion between them seems to be more in keeping with Isabel's thought of the future. Knowing the kind of person Isabel was and how much she had suffered, Ralph says, repeating her own words

“ ‘As seems right — as seems right ? — Yes, you think a great deal about that’ ”.

Goodwood's tempestuous embrace, which almost sweeps Isabel off her feet, only emphasizes the rightness of her turning her back on it. For Isabel Archer, ever true to her 'tormenting ideal', there was to be only the 'very straight path', to Pansy, 'from whom she could not turn away', and to her 'indissoluble tie'.

fact that she had been “a used thing” — and under the impact of such a blow that she decides to go and see Ralph. However, the impression one gets of Isabel during her journey is one of infinite sadness, and a sense of loss. She envied Ralph his dying. The future seemed to hold nothing more for her :

She saw herself in the distant years, still in the attitude of a woman who had her life to live, and these intimations contradicted the spirit of the present hour.... Deep in her soul...deeper than any appetite for renunciation — was the sense that life would be her business for a long time to come....To live only to suffer — only to feel the injury of life repeated and enlarged — it seemed to her, she was too valuable, too capable for that. Then she wondered if it were vain and stupid to think so well of herself. When had it even been a guarantee to be valuable? Wasn't all history full of the destruction of precious things? Wasn't it much more probable that if one were fine one would suffer? It involved then perhaps an admission that one had a certain grossness; but Isabel recognised, as it passed before her eyes, the quick vague shadow of a long future. She should never escape; she should last to the end.<sup>(1)</sup>

The beauty and effectiveness of Isabel's meditations as a vehicle of meaning is an important aspect of James's achievement in *The Portrait of a Lady*. Part of their amazing power lies in the way they reach backwards and forwards. We cannot help recalling here Isabel's fondness for the old Roman ruins, nor can we forget Ralph's first view of her as a work of art. Later on when Ralph expresses the thought that “she will be young again”, we remember Isabel's own thoughts. Once more, however, Ralph's words do not seem to strike a positive note :

‘You'll grow young again. That's how I see you. I don't believe — I don't believe —’ But he stopped again; his strength failed him.

A little later he adds :

‘I don't believe that such a generous mistake as yours can hurt you for more than a little’.

‘Oh Ralph, I'm very happy now,’ she cried through her tears.

‘And remember this,’ he continued, that if you've been hated you've been also loved. Ah but, Isabel — *adored* ! he just audibly and lingeringly breathed.

‘Oh my bother !’ she cried with a movement of still deeper prostration.<sup>(2)</sup>

---

(1) *Ibid.*, p. 613.

(2) *Ibid.*, p. 630.

In her argument with Osmond, when she went to tell him that she had been called to go and see her dying cousin, the "grave" and "almost gentle tone, out of which sarcasm had dropped, with which he talks of their being "indissolubly united" checks her "quick emotion",

'You don't like to be reminded of that, I know ; but I'm perfectly willing, because — because —' And paused for a moment looking as if he had something to say which would be very much to the point. 'Because I think we should accept the consequences of our actions, and what I value most in life is the honour of the thing.' <sup>(1)</sup>

Osmond's words and his tone arrest his wife because they are an echo of her own thoughts, perhaps :

His last words were not a command, they constituted a kind of appeal ; and though she felt that any expression of respect on his part could only be a refinement of egotism, they represented something transcendent and absolute, like the sign of the cross or the flag of one's country. He spoke in the name of something sacred and precious — the observance of a magnificent form .... Isabel had not changed; her old passion for justice still abode within her; and now, in the very thick of her sense of her husband's blasphemous sophistry, it began to throb to a tune which for a moment promised him the victory. It came over her that in his wish to preserve appearances he was after all sincere, and that this, as far as it went, was a merit.<sup>(2)</sup>

It should, perhaps, be pointed out that all this takes place after the issue of Lord Warburton's marrying or not marrying Pansy had cast a darker shadow on their relationship. Isabel's view of the baseness of her husband's motives regarding his poor daughter's happiness does not seem to change Isabel's view of the sacredness of marriage. Even after the Countess Gemini has tried to make her see that her journey to England should not be impossible, Isabel torments herself with the thought that "Marriage meant that in such a case as this, when one had to choose, one chose as a matter of course for one's husband".

We notice the contrast between Isabel's and Countess Gemini's views on marriage, as we later see that between hers and Madame Merle's.

It is only when she is conformed with the appalling truth about her marriage and the relationship of her husband and Madame Merle — the

---

(1) *Ibid.*, p. 585.

(2) *Ibid.*, p. 586.

'You have *changed*,' in spite of the impossibility. I hope you don't mean to say you like him.'

Isabel debated. 'No, I don't like him. I can tell you, because I'm weary of my secret. But that's enough; I can't announce it on the housetops.'

Henrietta gave a laugh. 'Don't you think you're rather too considerate?'

'It's not of him that I'm considerate—it's of myself!' Isabel answered.<sup>(1)</sup>

The change Henrietta is talking about is a material change, and the shame and considerateness are quite natural. They are part of the psychological motivation of Isabel's conduct. Equally natural and human is her wondering at times what unhappiness might not make her do, or her asking whether "having married her for her money," whether Osmond "would not have the money and let her go".

Despite these transitory thoughts, however, Isabel had a very clear idea of her duties as a wife and of marriage in general. She continued to regard her husband as her "appointed and inscribed master". "Constantly present to her mind were all the traditionary decencies and sanctities of marriage. The idea of violating them filled her with shame as well as dread."<sup>(2)</sup> She was prepared to make concessions to his dislike for her friends. When Henrietta wrote to say she was coming to Rome, for example, Isabel did not ask her to stay at Palazzo Reccanera, she did not even ask her to dinner. When Ralph was sick in Rome and she felt a crisis on the way between her and Osmond because of her visits to her cousin, she was tormented, torn by the conflict between her love for Ralph and her duty to her husband,

If he should interpose, if he should put forth his authority, she would have to decide, and that wouldn't be easy. The prospect made her heart beat and her cheeks burn....in advance, there were moments when, in her wish to avoid an open rupture, she found herself wishing Ralph would start even at a risk. And it was of no use that, when catching herself in this state of mind, she called herself a feeble spirit, a coward. It was not that she loved Ralph less, but that almost anything seemed preferable to repudiating the most serious act—the single sacred act—of her life. That appeared to make the whole future hideous.<sup>(3)</sup>

---

(1) *Ibid.*, p. 532.

(2) *Ibid.*, p. 503.

(3) *Ibid.*, p. 504.

Using one of his favourite and recurring images, James explains :

There were certain things they had to do, a certain posture they must take, certain people they must know. When she saw this rigid system close about her, draped though it was in pictured tapestries, that sense of darkness and suffocation....took possession of her; she seemed shut up with an odour of mould and decay. She had resisted of course; at first very humorously, ironically, tenderly; then as the situation grew more serious, eagerly, passionately pleadingly. She had pleaded the cause of freedom, of doing as they chose, of not caring for the aspect and denomination of their life—the cause of other instincts and longings, of quite another ideal.<sup>(1)</sup>

The free girl ultimately perceives that the real offence “was her having a mind of her own.” Her mind was to be his—“attached to his own like a small garden-plot to a deer-park.”<sup>(2)</sup> The effect on her is shattering. “Nothing was a pleasure to her now; how could anything be a pleasure to a woman who knew that she had thrown away her life? There was an everlasting weight on her heart—there was a livid light on everything.”<sup>(3)</sup> Critics of Isabel’s conduct do not seem to realize what great unhappiness can do to the spirit of a human being. Henrietta makes an intelligent analysis of her friend’s condition, when she remarks that “If she’s really changed” her being unhappy “Must be at the bottom of it.”<sup>(4)</sup> Caspar Goodwood also notes the change in Isabel, “you’re somehow so still, so smooth, so hard,” he says.

Both Isabel’s friends want her to leave her husband. Henrietta has come from America to “look after her.” In a revealing conversation, she asks,

‘Why don’t you leave him?’

‘I can’t change that way,’ Isabel said.

‘Why not, I should like to know? You won’t confess that you made a mistake. You’re too proud.’

‘I don’t know whether I’m too proud. But I can’t publish my mistake. I don’t think that’s decent. I’d much rather die.’

‘You won’t think so always,’ said Henrietta.

‘I don’t know what great unhappiness might bring me to; but it seems to me I shall always be shamed. One must accept one’s deeds. I married him before all the world; I was perfectly free; it was impossible to do anything more deliberate. One can’t change that way,’ Isabel repeated.

---

(1) Ibid.

(2) Ibid., p. 469.

(3) Ibid., p. 471.

(4) Ibid., p. 495.

There were hours when Isabel would have given anything for lessons in that art....She had become aware more than before of the advantage of being like that—of having made one's self a firm surface, a sort of corset of silver.<sup>(1)</sup>

But by the time Madame Merle reappeared on the scene (in the winter during which, says James, we lately renewed our acquaintance with our heroine), Isabel's "needs and inclinations had considerably changed...she had lost the desire to know this lady's clever trick. If she had troubles she must keep them to herself, and if life was difficult it would not make it easier to confess herself beaten."<sup>(2)</sup> Indeed, Isabel did her best to hide her misery even from her friends. The only one to whom, finally weary of her misery, she confided, under pressure, was Henrietta.

Isabel, still thinking that she had been a free agent, accepts full responsibility for her act, rather grandly—her self-knowledge is not yet complete!

When a woman had made such a mistake, there was only one way to repair it—just immensely (oh, with the highest grandeur!) to accept it. One folly was enough, especially when it was to last for ever; a second one would not much set it off. In this vow of reticence there was a certain nobleness which kept Isabel going.<sup>(3)</sup>

Another thing which kept her going, and which was to play a part in her decision to return to her husband was the interest she took in Pansy. "Isabel liked her company; it had the effect of one's carrying a nosegay composed all of the same flower. And then not to neglect Pansy, not under any provocation to neglect her—this she had made an article of religion."<sup>(4)</sup>

It is sometimes asked why Isabel was so miserable. What did Osmond in fact do to her? Putting it very simply Isabel says that she discovered that her husband did not like her; he hated her, she explains on another occasion. He discovers that she has different ideals and will not make his her own. "Her notion of the aristocratic life was simply the union of great knowledge with great liberty; the knowledge would give one a sense of duty and the liberty a sense of enjoyment. But for Osmond it was altogether a thing of forms, a conscious, calculated attitude."<sup>(5)</sup>

---

(1) *Ibid.*, pp. 435-6.

(2) *Ibid.*, p. 436.

(3) *Ibid.*, p. 440.

(4) *Ibid.*, p. 441.

(5) *Ibid.*, p. 468.

This is reminiscent of something she says to Osmond, in answer to a remark of his, during her first visit to his hill-top villa. His own plan, he had told her, was very simple, "Not to worry—not to strive nor struggle ...to be content with little."<sup>(1)</sup> His influence on her was certainly restrictive.

The enormity of Isabel's error is only equal to her misery when she discovers how wrong she had been. Isabel's real change occurs as a result of both the discovery of her error as well as of her suffering. It is interesting to notice that we only see her again two years after her marriage. For Lord Warburton, it is four years, (James is once more careful to let us know), after their last meeting in the Capitol in Rome before her engagement. To Ralph, she seems "To have fallen into exaggerations."

The free, keen girl had become quite another person; what he saw was the fine lady who was supposed to represent something. What did Isabel represent? Ralph asked himself; and he could only answer by saying that she represented Gilbert Osmond.<sup>(2)</sup>

The 'studied impressions', the work of Osmond, were, however, merely the face put to the outside world. The real Isabel is to be seen through her meditations, the record of her consciousness, especially in that magnificent forty - second chapter.

At this point, the contrast with Madame Merle becomes important. In a sense Isabel envies Madame Merle for the smooth surface she presents to the world,

That personage was armed at all points; it was a pleasure to see a character so completely equipped for the social battle. She carried her flag discreetly, but her weapons were polished steel, and she used them with a skill which struck Isabel as more and more that of a veteran. She was never weary, never overcome with disgust; she never appeared to need rest or consolation. She had had her own ideas....But her will was mistress of her life; there was something gallant in the way she kept going....Isabel, as she grew older, became acquainted with revulsions, with disgusts; there were days when the world looked black and she asked herself with some sharpness what it was that she was pretending to live for. Her old habit had been to live by enthusiasm, to fall in love with suddenly-perceived possibilities, with the idea of some new adventure....But Madame Merle had suppressed enthusiasm; she fell in love now-a-days with nothing; she lived entirely by reason and by wisdom.

---

(1) *Ibid.*, p. 258.

(2) *Ibid.*, pp. 426-7.



affording Isabel the chance 'to give'. He seems to love freedom, like herself, to have taste and knowledge, and to care nothing for conventions. He makes no secret of his being glad she has money, but he does not behave in the least like a vulgar fortune-hunter. The irony lies in the fact that he is nothing else. His being and his having nothing are amply emphasised.

The girl who marries Osmond, however, is very different from the girl, who had valued her freedom so much only a short time before. Coming back to Florence, after several months (the first of many references to time in this part of the novel), she feels wiser.

Grave she found herself, and positively more weighted, as by the experience of the lapse of the year she had spent in seeing the world. She had ranged, she would have said, through space and surveyed much of mankind, and was therefore now, in her own eyes, a very different person from the frivolous young woman from Albany who had begun to take the measure of Europe on the lawn at Gardencourt a couple of years before. She flattered herself she had harvested wisdom and learned a great deal more of life than this light-minded creature had even suspected.<sup>(1)</sup>

To her mystified sister, Lily, who had come to spend five months with her sister in Europe, she seems "to have lost her courage,"<sup>(2)</sup>

Before her meeting with Caspar Goodwood, who had come all the way from America to see her before her marriage, she "felt older—ever so much, and as if she were 'worth more' for it, like some curious piece in an antiquary's collection."<sup>(3)</sup>

In the conversation with Ralph, after her engagement, at which he felt shocked and humiliated, he tells her :

'You must have changed immensely. A year ago you valued your liberty beyond everything. You wanted only to see life.'

'I've seen it,' Isabel said. 'It doesn't look to me now, I admit, such an inviting expanse.'

'I don't pretend it is; only I had an idea that you took a genial view of it and wanted to survey the whole field.'

'I've seen that one can't do anything so general. One must choose a corner and cultivate that.'<sup>(4)</sup>

---

(1) *Ibid.*, p. 345.

(2) *Ibid.*, p. 341.

(3) *Ibid.*, p. 352.

(4) *Ibid.*, pp. 369-70.

Our impression of what Isabel feels about it is received through Mrs. Touchett. 'For the present,' she says, 'Isabel is simply stupefied.' And Madame Merle, asks, significantly, 'Do you mean that she doesn't know what to do with the money?' The two things go together and are of immense importance to Isabel's future : What the money means to her and what she is going to do with it. By way of explanation, Mrs. Touchett uses one of her rare figures of speech :

'She doesn't know what to think about the matter at all. It has been as if a big gun were suddenly fired off behind her; she's feeling herself to see if she be hurt. It's but three days since she received a visit from the principal executor, who came in person, very gallantly to notify her. He told me afterwards that when he had made his little speech she suddenly burst into tears.' (1)

Later, Madame Merle is told that she will not "be struck by her being very happy. She has looked as solemn, these three days, as a Cimabue Madonna."

As her friends see it, the money brings Isabel real independence, real freedom, a real change from her unsuspected financial dependence and her 'theoretic' love of 'her own liberty.' 'Now, of course, you're completely your own mistress and are as free as the bird on the bough,' (2) says her aunt. Ralph, observing how much she tormented herself—'You've too much power of thought—above all too much conscience', advises her, using the same image used by his mother, to spread her wings; to rise above the ground. 'It's never wrong to do that.' (3)

Once more, Henrietta expresses her own common-sense view of Isabel's acquisition of means. She refuses to congratulate her on 'her augmentations.' She thinks Mr. Touchett should have left the money to someone he loved less. The danger to Isabel lies in encouraging her to live in the romantic world of her dreams.(4)

To Isabel herself, 'A large fortune means freedom' and power, 'and I'm afraid of that,' she confesses. It is a great responsibility. And as if to transfer the responsibility to other shoulders than her own, she marries Osmond. Of course he has other attractions, besides being poor and

---

(1) *Ibid.*, p. 225.

(2) *Ibid.*, p. 237.

(3) *Ibid.*, p. 240.

(4) See pp. 232-4.

the mortal fear that she may marry 'one of these fell Europeans', asks Isabel, 'Do you know where you re'drifting', Isabel answers,

"No, I haven't the least idea, and I find it very pleasant not to know. A swift carriage, of a dark night rattling with four horses over roads that one can't see—that's my idea of happiness" Henrietta tells her that she talks like "the heroine of an immoral novel" and insists that she's "drifting to some great mistake."<sup>(1)</sup> No one could be more critical of Isabel's romanticism. Henrietta does not trust her friend any more.

Ralph, who on the other hand, trusts in his charming cousin, persuades his hesitant and bewildered father to leave her a fortune. "I should like to put a little wind in her sails,"<sup>(2)</sup> he says. Five thousand pounds is not enough. "I should like to see her going before the breeze"<sup>(3)</sup> he explains. When the father, still perplexed, asks, "Doesn't it occur to you that a young lady with sixty thousand pounds may fall a victim to the fortune-hunters?" he admits that it is a risk, but he is willing to take it. The concept of her being a 'victim'—a word which recurs in this part of the novel—does not seem to enter seriously into his calculations of his cousin's future "She'll hardly fall a victim to more than one," he says.

The only other person who seems to have a kind of prophetic trust in Isabel is, strangely enough, Madame Merle. "I want to see what life makes of you. One thing is certain—it can't spoil you. It may pull you about horribly, but I defy it to break you up,"<sup>(4)</sup> she tells Isabel. And this is the impression one gets of Isabel at the end.

It is not part of my plan to examine in detail why Isabel married Osmond or the kind of fascination he had for her. Despite some adverse criticism, Henry James has, I believe, made this fully convincing. Nor do I intend to account for her tragic mistake. What I am interested in showing is that her marriage and her decision to abide by her vow are consistent.

The most important result of Isabel's coming into a fortune is, perhaps, the change not only in Isabel's position but in her character. Compared with this change, the one brought about by her coming to Europe is almost negligible.

---

(1) *Ibid.*, p. 177.

(2) *Ibid.*, p. 196.

(3) *Ibid.*, p. 197.

(4) *Ibid.*, p. 201.

an example of how he exhausts the possibilities of a situation. The organization of the material is marvellous. First, we get a glimpse of Isabel's mind, then we see her in company with her uncle, then her aunt, then finally, some time later, with Ralph. The matter occupies the greater part of three chapters (XIII—XV), and becomes insolubly part of everybody's expectations of Isabel. Ralph tells her that nineteen women out of twenty, even of the most exacting sort, would have managed to do with Lord Warburton, adding :

'... I shall have the thrill of seeing what a young lady does who won't marry Lord Warburton.'

'That's what your mother counts upon too,' said Isabel.

'Ah, there will be plenty of spectators ! We shall hang on the rest of your career. I shall not see all of it, but I shall probably see the most interesting years. Of course if you were to marry our friend you'd still have a career — a very decent, in fact a very brilliant one. But relatively speaking it would be a little prosaic. It would be definitely marked out in advance; it would be wanting in the unexpected. You know I'm extremely fond of the unexpected, and now that you've kept the game in your hands I count on your giving us some grand example of it'.<sup>(1)</sup>

Both Ralph's words and Isabel's, 'if you look for any grand examples from me I shall disappoint you,' carry a great deal of irony.

For the time being, she wishes 'not to tie' herself. She does not wish 'to touch the cup of experience', as Ralph puts it. 'It's a poisoned drink,'<sup>(2)</sup> she thinks, she only wishes to see for herself. Ralph's estimate of her plans is : 'the world interests you and... you want to throw yourself into it.' It is Ralph alone, despite his fine intelligence, who seems willing to enter into Isabel's romantic, theoretic plans for seeing the world.

Once more, as a result of James's masterly handling of structure and organization, we see what both Caspar Goodwood and Henrietta—two different people—think of such plans. In his practical clear-eyed way, Goodwood tells Isabel, 'An unmarried woman—a girl of your age—isn't independent. There are all sorts of things she can't do. She's hampered at every step.'<sup>(3)</sup>

When Henrietta, who is greatly worried by Isabel's 'change' and by

---

(1) *Ibid.*, pp. 159-60.

(2) *Ibid.*, p. 161.

(3) *Ibid.*, p. 172.

in the sense of being aware of her own ideals: "It's not what I ask; it's what I can give. I don't think I should suit you; I really don't think I should." " No less emphatic is the change in the way she regards her intentions, as the following statement of her silent thought indicates. "She couldn't marry Lord Warburton; the idea failed to support any enlightened prejudice in favour of the free exploration of life that she had hitherto entertained or was now capable of entertaining." (1)

It is worth pointing out, however, that the change neither involves the whole of her character, nor immediately brings wisdom. The wisdom comes later as a result of her painful experience and of self-knowledge. What we are trying to show here is that Isabel, particularly as seen in the process of of her relations with Lord Warburton, is more serious, though perhaps not much less given to her theories of the exploration of life. To be entirely credible, she has to be made human. That is why James, in the last sentence of the chapter (XII)—such a sentence often being with him the repository of some important revelation — makes her wonder, "if she were not a cold, hard, priggish person" and, on her at last getting up and going rather quickly back to the house, she "felt, as she had said to her friend, really frightened at herself." It is therefore with a desire to feel "more natural, more human" that she goes to talk to her uncle—significantly, not to her aunt or Henrietta.

A great deal has been said about Isabel's fear of herself, of her mind, of sexual passion.(2) What she is frightened of here, it seems to me, is her pride in being able to refuse such a 'bribe' as she later calls it. The pride in her sense of power and the fear of practising that power are, in fact, inseparable. James's superb workmanship can be seen in the last chapter of the novel when, in an attempt, I believe, to evoke in our minds a recollection of a previous scene and a previous choice made by his heroine, uses almost exactly the same words to tell us about how Isabel finally sees her straight path to the house—and to Rome. In the later case, there would be no one to approve or disapprove, and certainly no one to run to, Mr. Touchett having long been dead. Such is the quality of James's dramatic technique.

James's rendering of Isabel's refusal of Lord Warburton's offer is

---

(1) *Ibid.*, p. 117. (Italics mine)

(2) See, for example, Tony Tanner, "The Fearful Self: Henry James's *The Portrait of A Lady*," *Henry James*, ed. Tony Tanner, 1968.

Both admirers are seen as threats to her independence. One of them had a system which threatened to absorb her own, the other had no system at all, but he had a character of which the impression on her mind "had not been light." She spends more time considering her refusal of the first however. As F.R. Leavis rightly puts it

The admirableness of Lord Warburton and the impressiveness of his world, as we are made to feel them, are essential to the significance of Isabel's negative choice. That her rejection of them doesn't strike us as the least capricious, but as an act of ethically radical judgement, is a tribute to the reality with which James has invested her.<sup>(1)</sup>

In my opinion, this rejection reveals not only the true colour of Isabel's mind, or her idealism, to use a term more appropriate to the general view of her, as distinct from her aunt's more practical attitude, but also a certain measure of the change in Isabel, already noted. This is particularly clear in the scene in the garden. As she walks by Lord Warburton's side, 'It suddenly came upon her that her situation was one which a few weeks ago she would have deemed deeply romantic.'<sup>(2)</sup>

On Isabel's first arrival at Gardencourt, she thought the beautiful old house, and the presence of a Lord just like a novel. She had even asked whether Gardencourt had a ghost. A few minutes before the arrival of Lord Warburton on this occasion, she is found thinking that "Of late, literature had seemed a fading light." During the proposal scene, we get the impression that she is not totally involved in the scene. She is more of an observer of herself and of Lord Warburton. There is a tension between the superficially romantic aspects of the situation, Lord Warburton saying that he had fallen in love with her at first sight, "as the novels say", for example, and the deep feelings of both parties. 'I'm a judicious animal. I don't go off easily, but when I'm touched, it's for life. *It's for life, Miss Archer, it's for life,*' Lord Warburton repeated in the kindest, tenderest, pleasantest voice Isabel had ever heard."<sup>(3)</sup>

Her own words emphasise the unromantic trend of her thought : 'Ah, Lord Warburton, how little you know me!' she says very gently. But if she is not romantic in the heroine-of-a-novel sense, she is idealistic,

---

(1) *The Great Tradition*, op. cit., p. 148.

(2) *The Portrait of a Lady*, p. 110.

(3) *Ibid.*, p. 111. (Italics mine)

'I hope he'll hate me then,' said Isabel.

'I believe you hope it about as much as I believe him capable of it.' (1)

This is an important conversation, not only because it externalizes the subtle change which Henrietta senses in her friend, and which she sees simply in terms of a change of feelings towards Isabel's admirer, Mr. Goodwood, but because it throws light on Isabel's feelings for Mr. Goodwood which will help us to understand, later on, why she refuses to listen to him and leave her husband. The conversation also brings out the basic difference between two 'independent' young women, one so wanting in delicacy, and the other of such fine grain. But it is her attitude towards Mr. Goodwood which is of particular interest at this moment. In that passage of meditation which we have already quoted at some length, we were told that it was one of Isabel's theories that she was 'very fortunate in being independent' and that she 'ought to make some very enlightened use of that state.' We are also told :

She was always planning out her development....Her nature had, in her conceit, a certain garden-like quality, a suggestion of perfume and murmuring boughs, of shady bowers and lengthening vistas, which made her feel that introspection was, after all, an exercise in the open air, and that a visit to the recesses of one's spirit was harmless when one returned from it with a lapful of roses.(2)

This is a basic image and it will be noticed that Isabel's relations with her admirers, or rather the quality of these relations will be conveyed poetically by means of related images. At this moment, the thought that Mr. Goodwood's name might be announced any moment, "pressed upon her; it made the air sultry, as if there were to be a change of weather; and the weather, socially speaking, had been so agreeable during Isabel's stay at Gardencourt that any change would be for the worse." (3) In contrast Lord Warburton, who soon arrives to press his own suit, "seemed to emit that radiance of good feeling and good fare which had formed the charm of the girl's first impression of him. It surrounded him like a zone of fine June weather." (4) Isabel's refusal of his offer is a much more interesting affair.

---

(1) *Ibid.*, pp. 103-4.

(2) *Ibid.* p. 55.

(3) *Ibid.*, p. 104.

(4) *Ibid.*, p. 107.

Isabel is already seen to be somewhat different. The change in her character has already been noted by Henrietta — who, in my opinion is no mere *ficelle*, as James tells us — on her first arrival at Gardencourt, and she takes upon herself to plead the cause of Caspar Goodwood. When Isabel shows no great enthusiasm about the news of Goodwood's approaching arrival, Henrietta says :

'He'll find you changed.... You've been affected by your new surroundings'.

'Very likely. I'm affected by everything'.

.....

'Yes, you're changed; you've got new ideas over here', her friend continued.

'I hope so,' said Isabel; 'one should get as many new ideas as possible.'

'Yes; but they shouldn't interfere with the old ones when the old ones have been the right ones.'

Isabel turned about again. 'If you mean that I had any idea with regard to Mr. Goodwood—!' But she faltered before her friend's implacable glitter.

'My dear child, you certainly encouraged him.'

Isabel made for the moment as if to deny this charge; instead of which, however, she presently answered : 'It's very true. I did encourage him.' And then she asked if her companion had learned from Mr. Goodwood what he intended to do. It was a concession to her curiosity, for she disliked discussing the subject and found Henrietta wanting in delicacy.

'I asked him, and he said he meant to do nothing,' Miss Stackpole answered. 'But I don't believe that; he's not the man to do nothing. He is a man of high, bold action. Whatever happens to him, he'll always do something, and whatever he does will always be right.'

'I quite believe that.' Henrietta might be wanting in delicacy, but it touched the girl all the same, to hear this declaration.

'Ah, you *do* care for him!' her visitor rang out.

'Whatever he does will always be right,' Isabel repeated. 'When a man's of that infallible mould what does it matter to him what one feels ?'

'It may not matter to him, but it matters to oneself.'

'Ah what it matters to me—that's not what we're discussing,' said Isabel with a cold smile.

This time her companion was grave. 'Well I don't care; you *have* changed. You're not the girl you were a few short weeks ago, and Mr. Goodwood will see it. I expect him here any day.'



the finest work of art — than a Greek bas-relief, than a great Titian, than a Gothic cathedral".<sup>(1)</sup> Ralph, however, has too fine a consciousness to think that he has in fact the key to such a cathedral in his pocket. Isabel would not be the rare creature she is supposed to be, if she was so simple to understand :

His cousin was a very brilliant girl, who would take, as he said, a good deal of knowing, and his attitude towards her, though it was contemplative and critical, was not judicial. He surveyed the edifice from the outside and admired it greatly; he looked in at the windows and received an impression of proportions equally fair. He felt that he saw it only by glimpses and that he had not yet stood under the roof. The door was fastened, and though he had keys in his pocket he had a conviction that none of them would fit. She was intelligent and generous ; it was a fine free nature; but what was she going to do with herself ? This question was irregular, for with most women one had no occasion to ask it. Most women did with themselves nothing at all; they waited, in attitudes more or less gracefully passive, for a man to come that way and furnish them with a destiny. Isabel's originality was that she gave one the impression of having intentions of her own. 'Whenever she executes them', said Ralph, 'may I be there to see ?' <sup>(2)</sup>

Such an original girl is capable of surprising her observers. Isabel surprises not only her aunt but also Ralph, and more than once, the second time — tragically.

Once the scene is laid and Isabel's character fully introduced through a multiplicity of points of view, through seeing and hearing and authorial comment, the action begins. James's engaging and independent<sup>(3)</sup> young heroine seems to take pleasure in making one negative decision after the other. Within a few weeks of her arrival in England, she refuses two — to most people — wonderful marriage proposals. Superficially, this might seem like a wanton show of independence and taking pleasure in one's sense of power. But a look at what we are allowed to see of Isabel's 'fine consciousness' and to hear of her conversations with both the two men concerned as well as with her aunt, Ralph and her friend, Henrietta Stackpole, will soon convince us that we are in the presence of a serious young woman who knows what she is doing.

---

(1) *Ibid.*, p. 65.

(2) *Ibid.*, pp. 65-6.

(3) James's own description of Isabel in the Preface to the New York edition.

ing and indulgent, her mixture of curiosity and fastidiousness, of vivacity and indifference, her desire to look very well and to be if possible better, her determination to see, to try, to know, her combination of the delicate, desultory, flame-like spirit and the eager and personal creature of conditions : she would be an easy victim of scientific criticism if she were not intended to awaken on the reader's part an impulse more tender and more purely expectant.<sup>(1)</sup>

In fact, the reader cannot help feeling tender in the presence of such idealism, for he knows it is the idealism of youth. But even in later life its main principles would stand the owner in good stead. And Isabel did not lack admirers. Her uncle, old Mr. Touchett, is amused by her chatter. He used to think that she reminded him of his wife when she was in her teens. "It was because she was fresh and natural and quick to understand, to speak — so many characteristics of her niece — that he had fallen in love with Mrs. Touchett. He never expressed this analogy to the girl herself, however, for if Mrs. Touchett had once been like Isabel. Isabel was not at all like Mrs. Touchett,"<sup>(2)</sup> another illustration of the similarity-dissimilarity link between the two of them. In his old age, he was full of kindness for her, and "our rustling, quickly-moving, clear-voiced heroine," writes the novelist, "was as agreeable to his sense as the sound of flowing water."

It was Ralph, however, who was in rapture about this new-found cousin of his :

'Ah ! dear mother', Ralph exclaimed, 'one always knows what to expect of you ! You've never surprised me but once, and that's today — in presenting me with a pretty cousin whose existence I had not suspected'.

'Do you think her so very pretty?'

'Very pretty indeed ; but I don't insist upon that. It's her general air of being someone in particular that strikes me. Who and how did you make her acquaintance ?'<sup>(3)</sup>

Isabel's arrival gives his life a new interest, and he promises himself an entertainment of "a high order" in watching what she's going to do with herself: "A character like that", he said to himself — "a real little passionate force to see at play is the finest thing in nature. It's finer than

---

(1) *Ibid.*, p. 53.

(2) *Ibid.*, p. 57.

(3) *Ibid.*, p. 43

She also liked to be thought clever, but she hated to be thought bookish. She had a great desire for knowledge,

but she really preferred almost any source of information to the printed page; she had an immense curiosity about life and was constantly staring and wondering. She carried within her a great fund of life, and her deepest enjoyment was to feel the continuity between the movements of her soul and the agitations of the world.<sup>(1)</sup>

Later (in Chapter VI), we are told that Isabel Archer was a young person of many theories and that she was liable to the sin of self-esteem :

Her thoughts were a tangle of vague outlines which had never been corrected by the judgement of people speaking with authority. In matters of opinion she had had her own way, and it had led her into a thousand ridiculous zigzags. At moments she discovered she was grotesquely wrong, and then she treated herself to a week of passionate humility. After this she held her head higher than ever again; for it was of no use, she had an unquenchable desire to think well of herself. She had a theory that it was only under this provision life was worth living ; that one should be one of the best, should be conscious of a fine organization (she couldn't help knowing her own organization was fine), should move in a realm of light, of natural wisdom, of happy impulse, of inspiration gracefully chronic.... The girl had a certain nobleness of imagination which rendered her a good many services and played her a great many tricks. She spent half her time in thinking of beauty and bravery and magnanimity; she had a fixed determination to regard the world as a place of brightness, of free expansion, of irresistible action : she held it must be detestable to be afraid or ashamed. She had an infinite hope that she should never do anything wrong. She had resented so strongly, after discovering them, her mere errors of feeling (the discovery always made her tremble as if she had escaped from a trap which might have caught her and smothered her) that the chance of inflicting a sensible injury upon another person only as a contingency, caused her at moments to hold her breath. That always struck her as the worst thing that could happen to her.<sup>(2)</sup>

Such is her idealism that her creator finds it incumbent on him in the course of the chapter to make two pleas for sympathetic judgement on her behalf :

Altogether, with her meagre knowledge, her inflated ideals, her confidence at once innocent and dogmatic, her temper at once exact-

---

(1) *Ibid.*, p. 34.

(2) *Ibid.*, pp. 52-3.

'Oh Moses!' Edmund Ludlow exclaimed. 'I hope she isn't going to develop any more!' <sup>(1)</sup>

Though it throws little light on Isabel's character, the conversation contains what Barbra Hardy calls 'dramatic prefiguration.' Will not Isabel marry if not a foreigner, the next thing to one? Will she not be given a chance and all the advantages she needs? Well, what does she make of them?

However, the finest appreciation of Isabel comes from none other than the finest intelligence in the book. But before James gives us that, he allows us a glimpse of Isabel's own mind. Here in the first of her long meditations (Chapter IV), we are given some of the basic qualities of her mind or rather consciousness. One needs to quote at some length, in order to give a little of the colour of her way of thinking. She is accused of feeling 'grand' since she has had her aunt's invitation to go to Europe and she is thinking about it :

Whether she felt grand or no, she at any rate felt different, felt as if something had happened to her. Left to herself for the evening she sat a while under the lamp, her hands empty, her usual avocations unheeded. Then she rose and moved about the room, and from one room to another, preferring the places where the vague lamplight expired. She was restless and even agitated; at moments she trembled a little. The importance of what had happened was out of proportion to its appearance; there had really been a change in her life. What it would bring with it was as yet extremely indefinite; but Isabel was in a situation that gave a value to any change. She had a desire to leave the past behind her and, as she said to herself, to begin afresh. This desire indeed was not a birth of the present occasion; it was as familiar as the sound of rain upon the window and it had led to her beginning afresh a great many times. She closed her eyes as she sat in one of the dusky corners of the quiet parlour; but it was not with a desire for dozing forgetfulness. It was on the contrary because she felt too wide-eyed and wished to check the sense of seeing too many things at once. Her imagination was by habit ridiculously active; when the door was not open it jumped out of the window. She was not accustomed indeed to keep it behind bolts; and at important moments, when she would have been thankful to make use of her judgement alone, she paid the penalty of having given undue encouragement to the faculty of seeing without judging.<sup>(2)</sup>

As we can see, Isabel is in a mood of self-criticism. She is a romantic girl, with too much imagination, but she is fully aware of her romanticism.

---

(1) Ibid.

(2) Ibid., pp. 31-2.

She is one of the main characters who push Isabel's carriage. Barbra Hardy is right when she claims that "details, which might be gratuitous in another novel, have a density of reference, a large irony, a symbolic weight, when they make their appearance in *The Portrait of a Lady*." (1)

Now if in Chapter III, we see Isabel via her aunt, in the next chapter we see her through the eyes of both her sister and her brother-in-law. Mr. and Mrs. Ludlow hold opposite views of their sister and James makes full use of the juxtaposition. Mrs. Ludlow thinks very highly of her sister : "The two things in life of which she was most distinctly conscious were her husband's force in argument and her sister Isabel's originality." (2)

Though Lilian's view of her sister seems complimentary and her husband's the opposite, they are both rather stupid estimates of Isabel's character, as we see from the following conversation :

'I want to see her safely married—that's what I want to see,' she frequently noted to her husband.

'Well, I must say I should have no particular desire to marry her,' Edmund Ludlow was accustomed to answer in an extremely audible tone.

'I know you say that for argument; you always take the opposite ground. I don't know what you've against her except that she's so original.'

'Well, I don't like originals. I like translations,' Mr. Ludlow had more than once replied. 'Isabel is written in a foreign tongue. I can't make her out. She ought to marry an Armenian or a Portuguese.'

'That's just what I'm afraid she'll do!' cried Lilian, who thought Isabel capable of anything. (3)

Later on, when the conversation turns on her aunt's taking her abroad, we get the same difference of opinion,

'Well, she ought to go abroad,' said Mrs. Ludlow. 'She's just the person to go abroad.'

'And you want the old lady to take her, is that it ?'

'She has offered to take her—she's dying to have Isabel go. But what I want her to do when she gets her there is to give her all the advantages. I'm sure all we've got to do,' said Mrs. Ludlow, 'is to give her a chance.'

'A chance for what ?'

'A chance to develop.'

---

(1) *The Appropriate Form*, 1964, p. 15.

(2) *The Portrait of a Lady*, p. 29.

(3) *Ibid.*, p. 30.

time for Mrs. Touchett to decide on going to America", Isabel listens eagerly "Her face was full of pain and wonder". 'My aunt does that at fixed periods and lets nothing turn her aside. When the date comes round she starts; I think she'd have started if Ralph had been dying.' Lord Warburton's answer, 'I sometimes think he is dying' <sup>(1)</sup> puts the last touch to this glimpse of Mrs. Touchett's character. We cannot help putting this side by side with the loving interest Isabel takes in her poor stepdaughter. The contrast between their attitudes to marriage will be even greater. Mrs. Touchett 'was virtually separated from her husband',

It had become clear, at an early stage of their community, that they should never desire the same thing at the same moment, and this *appearance*<sup>(2)</sup> had prompted her to rescue disagreement from the vulgar realm of accident. She did what she could to erect it into a law—a much more edifying aspect of it—by going to live in Florence, where she bought a house and established herself; and leaving her husband to take care of the English branch of his bank. This arrangement greatly pleased her; it was so *felicitously* definite. It struck her husband in the same light, in a foggy square in London, where it was at times the most definite fact he discerned; but he would have preferred that such unnatural things should have a greater vagueness. To agree to disagree had cost him an effort; he was ready to agree to almost anything but that, and saw no reason why either assent or dissent should be so terribly consistent.

His wife, on the other hand, indulged in no regrets or speculations, but during her yearly one-month stay with her husband, "she apparently took pains to convince him that she had adopted the right system".<sup>(3)</sup>

The relevance and significance of Mrs. Touchett's views on marriage will be fully realized only later when we begin to see Isabel's and are unobtrusively steered by the novelist to make a comparison between them. Another thing to notice is that James makes no secret of his attitude towards Mrs. Touchett's views and conduct. He does not, of course, do this by direct commentary, he is too good an artist for that, but dramatically through action and dialogue as we have seen. Many more examples can be found. Almost to the very end, James hardly relaxes the stiff tone he adopts towards her. He is aware, it should, perhaps, be pointed out, of her honesty, but what he misses is a certain human richness. What we have been trying to point out is that through Mrs. Touchett we see Isabel.

---

(1) *Ibid.*, p. 415-6.

(2) *Italics mine.* The italicized words being the vehicles of the irony.

(3) *Portrait of a Lady*, pp. 19-20.

The idea of the value of people's sorrow, or suffering' as it is later described in the case of Isabel's own experience, remains part of Isabel's creed—a part which is not shared by her aunt—though being human, Isabel also, values happiness. As we shall see she also believes the world to be a place of light and free expansion.

There seems to be two strains to Isabel's romantic idealism : the light novel-reading-young-lady strain; so beautifully satirized by Jane Austen in *Northanger Abbey*—and the more serious 'tormenting' strain, the one so tragically illustrated by her choice of Osmond for a husband, no less than by her final decision to return to him.

One of Isabel's qualities that her aunt tolerates, and that, structurally establishes the link between them, a link that works by parallelism here but is later to work more forcibly by contrast, is Isabel's love of her own way "You're fond of your own way; but it is not for me to blame you," says Mrs. Touchett. It is also worthy of note that this is a thing—a principle of her creed—that she would sacrifice for the sake of another—presumably a more important one—that of seeing the world and seeking experience : "And yet, to go to Florence," the girl exclaimed in a moment, "I'd promise almost anything!" (1)

It seems to me that James is subtly intent on establishing this link between niece and aunt. I don't believe it is sufficiently noticed how well James uses the simplest devices of style to convey meaning. A relevant example here is the almost identical beginnings of chapters III and IV. The first deals with the aunt and runs thus : "Mrs Touchett was certainly a person of many oddities...." The second deals with the niece and follows almost the same pattern : "Isabel Archer was a young person of many theories..." One of Mrs. Touchett's oddities, we go on to read, is her view of marital relations and family life, which later, James contrasts deliberately, I believe, to that of Isabel. When Mrs. Touchett comes to pay her husband and son a 'visit' after a year's absence, she asks to see her son at a quarter to seven, exactly, and keeps her husband waiting until dinner time, the only concession she makes for his impatience is about a quarter of an hour. When her son is seriously ill at the end of the novel, she will not be deterred from paying her routine visit to America. When Lord Warburton expresses his surprise, "I think it was a most extraordinary

---

(1) *Ibid.* ,p. 27.

traditionally, no one knew why, the office." Then follows a highly concrete as well as highly symbolical description of this favourite haunt of Isabel's :

Whose office it had been and at what period it had flourished, she never learned; it was enough for her that it contained an echo and a pleasant musty smell and that it was a chamber of disgrace for old pieces of furniture whose infirmities were not always apparent (so that the disgrace seemed unmerited and rendered them victims of injustice) and with which, in the manner of children, she had established relations almost human, certainly dramatic....The place owed much of its mysterious melancholy to the fact that it was properly entered from the second door of the house, the door that had been condemned, and that it was secured with bolts which a particularly slender little girl found it impossible to slide. She knew that this silent motionless portal opened into the street; if the sidelights had not been filled with green paper she might have looked out upon the little brown stoop and the well-worn brick pavement. But she had no wish to look out, for this would have interfered with a theory that there was a strange unseen place on the other side—a place which became to a child's imagination, according to its different moods, a region of delight or terror.<sup>(1)</sup>

It was in this 'office', we are told, that Isabel was sitting on that melancholy afternoon, when her aunt came to see her. The ambiguity of the adjective 'melancholy' as well as of so many other details of the description of the 'office'—its being a place of disgrace, its being 'secured with bolts', its being shut off from the street—achieves full significance later on in the novel, when Isabel, for example, chooses Osmond of all her suitors or when almost at the very end of the novel, Isabel wonders whether, if her aunt had not paid her that visit, she would not have had a different life.

From the beginning Isabel is shown as romantic, idealistic, theoretic. At the end of her story she may be less romantic, certainly less theoretic, her idealism bearing the marks of her sad experience, but she remains idealistic to the last.

During the conversation with her aunt, she tells her, that she likes places where things have happened—'even if they're sad things.'

'... A great many people have died here; the place has been full of life.'

'Is that what you call being full of life?'

'I mean full of experience—of people's feelings and sorrows. And not of their sorrows only, for I've been very happy here as a child.'<sup>(2)</sup>

(1) *Ibid.*, pp. 22-3.

(2) *Ibid.*, p. 26.



turned itself easily this was and that, in sympathy with the alertness with which she evidently caught impressions. Her impressions were numerous, and they were all reflected in a clear still smile. I've never seen anything so beautiful as this.<sup>(1)</sup>

Having listened to the well-known conversation between the visitor and her cousin about her not being 'a candidate for adoption,' Lord Warburton expresses his impression of her by addressing the latter in this way :

'You wished a while ago to see my idea of an interesting woman. There it is !'

In the next three chapters we see Isabel largely as seen by other people : Mrs. Touchett, Mrs. Ludlow, Isabel's sister and her husband, and Ralph as the first word of each of these chapters indicates.

Her aunt has no illusions about her. She immediately perceives when she goes to pay her an unexpected visit on a wet afternoon, and finds her sitting alone in the office, reading a German book and 'boring herself to death', that she is intelligent, interesting and would do her credit. But she realizes that she has very little knowledge of the world. Twice she tells her aunt that she 'knows nothing about money.' She offers to take her to Europe and Isabel who has always dreamt of seeing the world and meeting people, and who, as a rule, would not dream of doing 'everything she's told', would promise even that, to go to Florence.

To allow the reader to get a better view of his heroine, the novelist presents her both dramatically and through authorial commentary. James also has a genius for recreating places, particularly the interior of rooms. In this third chapter of the novel, much of what we get to know about Isabel as well as much foreshadowing is conveyed through the glimpse we are given of the 'office'. Isabel loved reading : "The foundation of her knowledge was really laid in the idleness of her grandmother's house, where, as most of the other inmates were not reading people, she had uncontrolled use of a library full of books with frontispieces, which she used to climb on a chair to get down. When she had found one to her taste—and she was guided in the selection chiefly by the frontispiece—she carried it into a mysterious apartment which lay beyond the library and which was called,

---

(1) *Ibid.*, pp. 15-16.

The broad humour is James's way of showing us how independent American girls in general were regarded. They don't seem to give much thought to their being engaged, which is presumably part of the independence of the American young women.

The conversation not only introduces two of the main themes of the novel, but also lays the scene, morally speaking, for the introduction of the heroine. The ironical overtones of some of the remarks made have been often pointed out. Will Lord Warburton make a good husband? Is the niece worth trying on? One is bound to remember these things later on.

However, except for two ironical remarks made by Lord Warburton, while Isabel is still at a distance, all humour and irony completely disappear, when she is actually on the scene.

Isabel is seen to be, in fact, independent, but she is many other things besides. She immediately captures the interest and admiration of all three men. Henry James works by contrast. Isabel seems largely different not only from the general idea of American girls, but also from her independent aunt. Of course she possesses all the qualities which James regards as constituting the superiority of the American girl, but she possesses them in a way which is peculiarly her own.

As she makes her appearance in the ample doorway, Ralph notes that she is unexpectedly pretty, that she has a great deal of confidence and that she was looking at everything with an eye that denoted clear perception. The old man places his two hands on her shoulders, looks at her for a moment with extreme benevolence and then gallantly kisses her. A moment later, he is heard to say,

'Oh, I'm an old man, my dear; it's time for me to be old. But I shall be the better for having you here.' <sup>(1)</sup>

We are allowed to see and hear how she impressed her companions.

She had been looking all round her again—at the lawn, the arcat trees, the reedy, silvery Thames, the beautiful old house; and while engaged in this survey she had made room in it for her companions; a comprehensiveness of observation easily conceivable on the part of a young woman who was evidently both intelligent and excited. She had seated herself and had put away the little dog; her white hands, in her lap, were folded upon her black dress; her head was erect, her eye lighted, her flexible figure

---

(1) *Ibid.*, p. 15.

‘Whatever else it means, it’s pretty sure to mean that,’ Mr. Touchett remarked.

‘You’ll see for yourself,’ said Lord Warburton. ‘When does Mrs. Touchett arrive?’

‘We’re quite in the dark ; as soon as she can find a decent cabin. She may be waiting for it yet ; on the other hand she may have already disembarked in England’.

‘In that case she would probably have telegraphed you.’

‘She never telegraphs when you would expect it—only when you don’t,’ said the old man. ‘She likes to drop on me suddenly ; she thinks she’ll find medoing something wrong. She has never done so yet, but she’s not discouraged.’

‘It’s her share in the family trait, the independence she speaks of.’ Her son’s appreciation of the matter was more favourable. ‘Whatever the high spirit of those young ladies may be, her own is a match for it. She likes to do everything for herself and has no belief in any one’s power to help her. She thinks me of no more use than a postage-stamp without gum, and so would never forgive me if I should presume to go to Liverpool to meet her.’<sup>(1)</sup>

The conversation then reverts to the niece, when Lord Warburton asks that he should at least be told when she arrives. Mr. Touchett replies,

‘Only on the condition I’ve mentioned—that you don’t fall in love with her’.

‘That strikes me as hard. Don’t you think me good enough?’

‘I think you too good—because I shouldn’t like her to marry you. She hasn’t come here to look for a husband, I hope ; so many young ladies are doing that, as if there were no good ones at home. Then she’s probably engaged ; American girls are usually engaged, I believe. Moreover I’m not sure, after all, that you’d be a remarkable husband.,

‘Very likely she’s engaged ; I’ve known a good many American girls, and they always were ; but I could never see that it made any difference, upon my word ! As for my being a good husband,’ Mr. Touchett’s visitor pursued, ‘I’m not sure of that either. One can but try.’

‘Try as much as you please, but don’t try on my niece,’ smiled the old man, whose opposition to the idea was broadly humorous.

‘Ah,well,’ said Lord Warburton with a humour broader still, ‘perhaps, after all, she’s not worth trying on!’<sup>(2)</sup>

---

(1) *Ibid.*, pp. 10-11.

(2) *Ibid.*, p. 11.

'If I marry an interesting woman I shall be interested : is that what you say ?' Lord Warburton asked. 'I'm not at all keen about marrying—your son misrepresented me; but there's no knowing what an interesting woman might do with me'.

'I should like to see your idea of an interesting woman', said his friend.

'My dear fellow, you can't see ideas — especially such highly ethereal ones as mine. If I could only see it myself — that would be a great step in advance' :

'Well you may fall in love with whomsoever you please; but must'nt fall in love with my niece', said the old man.<sup>(1)</sup>

In the above part of the conversation, and amidst the levity of the things said by the two young men, there emerges the old man's faith in women and marriage, despite his own unsuccessful marriage, and the importance of making a difference between women in this respect. The relevance of Mr. Touchett's views about marriage to Isabel Archer's story will become clear later. The relevance of the idea of an interesting woman is made clear almost immediately, but not before another of the central themes of the novel is put forward. The niece, against falling in love with whom, Lord Warburton is warned, is said to be 'independent'.

Her name ambiguously coupled with the word, had been mentioned in Mrs. Touchett's telegram from America. The three men spend some time trying to decide what the word really means. The broadly humorous tone of the conversation at this point need hardly be pointed out. What should perhaps, be pointed out is how much of the humour attaches itself to the character of the also-independent aunt. Mrs. Touchett's telegram ran thus; "Changed hotel, very bad, impudent clerk, address here. Taken sister's girl, died last year, go to Europe, two sisters, quite independent". In comment Ralph says :

... 'We thought at first that the sister mentioned might be the sister of the clerk, but the subsequent mention of a niece seems to prove that the allusion is to one of my aunts. Then there was a question as to who the two other sisters were ; they are probably two of my late aunt's daughters. But who's "quite independent" and in what sense is the term used ? That point's not yet settled. Does the expression apply more particularly to the young lady my mother has adopted, or does it characterize her sisters equally ?— and is it used in a moral or in a financial sense ? Does it mean that they've been left well off, or that they wish to be under no obligations ? or does it simply mean that they're fond of their own way ?'

---

(1) *The Portrait of a Lady*, reference to the World's Classics, 1962 edition, pp. 8-9.

One does not need to spend much time on our first introduction to the heroine of *The Portrait of a Lady*. James's masterly presentation of his charming and independent heroine has been sufficiently noted by critics. Only two points need to be dwelt upon here, because they have not, in my opinion, received the attention they deserve. The importance of both the apparently casual and humorous way in which the subject of marriage and pretty women is touched upon in the conversation in the first chapter in the novel, and the definite change of tone from the moment Isabel appears on the scene still needs to be brought out. And to do this I need to quote the first two chapters at some length.

Before Isabel's name is even mentioned in the novel, we are introduced to three men having their tea on the lawn at Gardencourt, on a mellow summer afternoon. The three men are Mr. Touchett, an old American banker who has been living in England for thirty years, his son Ralph and Lord Warburton, an English nobleman and old friend of Ralph's. They are conversing leisurely.

Lord Warburton is bored, says Ralph. He's bored, retorts Mr. Touchett, because he's too rich and too indolent. The conversation then touches on the impending political 'change' and the necessity of 'taking hold' of something. Lord Warburton remarks :

'...One hesitates to take hold of a thing that may the next moment be knocked sky-high'.

'You ought to take hold of a pretty woman', said his companion. 'He's trying hard to fall in love', he added by way of explanation, to his father.

'The pretty women themselves may be sent flying !' Lord Warburton exclaimed.

'No, no, they'll be firm', the old man rejoined ; they'll not be affected by the social and political changes I just referred to'.

'You mean they won't be abolished ? Very well, then, I'll lay hand on one as soon as possible and tie her round my neck as a life-preserver'.

'The ladies will save us', said the old man ; 'that is the best of them will—for I make a difference between them. Make up to a good one and marry her, and your life will become much more interesting'.

A momentary silence marked perhaps on the part of his auditors a sense of the magnanimity of his speech, for it was a secret neither for his son nor for his visitor that his own experiment in matrimony had not been a happy one. As he said, however, he made a difference ; and these words may have been intended as a confession of personal error ; though of course it was not in place for either of his companions to remark that apparently the lady of his choice had not been one of the bets.

A close examination of James's rendering of his heroine's character will reveal that some aspects of her intellectual and moral make-up have been overemphasized while others have been rather neglected or even completely ignored. As a result of the emphasis laid on her independence in the early chapters of the novel, some readers tend to forget that there is a great deal more to her character than just that. Consequently, they will be at a loss when they find her behaving later on in a way which seems to them inconsistent and not at all 'in character'.

So much has been made of Isabel's 'love of freedom', her being 'fond of her own way' and her refusal 'to have things settled for her', that few critics have taken the trouble to examine the quality of her independence in relation to other varieties of independence in the novel or in relation to her strong moral sense, her passionate desire to do what is right and her total acceptance of her fate.

Much of this is conveyed structurally, through a pattern of parallelism and contrast, together with a masterly use of the point of view. Not only does James supply a variety of independent women characters, ranging from Mrs. Touchett and Henrietta Stackpole to Madame Merle and the Countess Gemini, but through a perfectly controlled tone, he conveys the subtle differences in the quality of, and attitude towards these varieties. James also makes excellent use of the responses of four intelligent men of varying degrees of refinement and good taste to convey to the reader the nature of Isabel's charm and fineness and especially her being 'some one in particular'.

It is also relevant to examine the slow but definite change which Isabel undergoes in the course of the novel, not only during the period between her realization of the failure of her marriage and the moment at the end of the novel, when freeing herself from Caspar Goodwood's passionate embrace, she is shown, after a moment's hesitation, to know where to turn. 'There was a very straight path', but much earlier. This change becomes increasingly noticeable to her friends, Ralph, Henrietta and Caspar Goodwood, and is admitted by Isabel herself. James's constant but unobtrusive preoccupation with the problem of the passing of time, illustrated by the many references to the number of years, the month, the season of the year and the ages of some of the characters, seems to be closely related to this.

I've heard it seriously argued that Isabel 'could after all have done something else'—walked out into freedom (Like Nora in *A Doll's House*, presumably), or gone in for charitable works (Like Dorothea Brooke in *Middlemarch*), or even perhaps taken a degree and become a pioneer in women's education, or whatever. The short answer to these bracing proposals is that Isabel Archer could have done none of these things. Her circumstances, historical, psychological and dramatic—in particular the dramatic—absolutely proscribe any 'end' to her life other than marriage, and any duties, responsibilities or even serious interests other than those belonging to or arising out of that state. This is part of James's *donnée* in the story; and to intrude other, extrinsic possibilities—or, rather, pseudo-possibilities—is to fall into vicious abstractionism that is fatal to literary criticism.

To those who take too emancipated a view of the marriagebond and the 'naturalness' of divorce, she insists that "what we know of Isabel Archer's nature and of her view of marriage (as distinct from that of her modern critics) makes it abundantly clear that divorce would be for her the least natural form of deliverance from her predicament".<sup>(1)</sup>

The writer then points out that apart from the special motive of going back to Osmond provided by Pansy and Pansy's need of her, we are expected to remember that loyalty or 'devotion' was a conspicuous element of Isabel's nature. No less important is her view of marriage. But her deepest and most decisive reason for going back, claims Dr. Krook, is Isabel's knowledge of the degree in which she herself is responsible for Osmond's self-deception about her, and the extent therefore to which she contributed to the failure of her marriage.<sup>(2)</sup>

Dr. Krook is right about Isabel's awareness of her share of moral responsibility, though this is not perhaps the result of her having been 'hypocritical' as Isabel herself puts it, as for having committed such a grave error of judgement. Whatever deception she may have practised had been unconscious. Dr. Krook makes a good, though not an exhaustive defence of Isabel's return to Osmond. There is still room for more work in this area.

---

(1) *Ibid.*, p. 358.

(2) See *Ibid.*, p. 360.

Kettle's use of the words 'life' and 'death' and his pointing out what he regards as the 'symbolic quality' of the novel prepares us for his attempt to carry the argument to a social and philosophic level. Arguing from an anti-bourgeois viewpoint, he says, 'It seems to me inescapable that what Isabel finally chooses is something represented by a high cold word like duty or resignation, the duty of an empty vow, the resignation of the defeated, and that in making her choice she is paying a final sacrificial tribute to her own ruined conception of freedom'. What he seems to be blaming James for is that "though he sees the tragedy implicit in the Victorian ruling-class view of freedom, is himself so deeply involved in that illusion that he cannot escape from it"<sup>(1)</sup>. His conclusion is that James's books are tragedies "precisely because the subject is the smashing of the bourgeois illusion of freedom in the consciousness of characters who are unable to conceive of freedom in any other way"<sup>(2)</sup>. What Kettle regretfully implies is that Isabel's fate has a kind of glory to it, which it should not have :

"...when Isabel takes her decision to return to Rome the dominant sense is not of the waste and degradation of a splendid spirit, but of a kind of inverted triumph"<sup>(3)</sup>.

The question one would like to ask in face of such a brilliant analysis is : "Is this, in fact, our undoubted sense in the presence of Isabel's brave but tortured decision to return to her husband?" One of the points we hope to emphasize in the course of this paper is the complete disillusionment of the heroine of the novel. Isabel goes back a humiliated but chastened woman—humiliated and chastened by her attained knowledge and by her suffering.

One of the best defences of the novel has been made by Dorothea Krook. She begins by stating that the problem of why Isabel goes back to her husband has been somewhat artificially created by a failure in critical perspective which arises from a disposition to ignore or minimize the context, historical and dramatic, in which Isabel Archer's decision is made.<sup>(4)</sup> She then proceeds to pour scorn on the fatuous questions asked by some critics of the novel :

---

(1) *Ibid.*, p. 31-2.

(2) *Ibid.*, p. 32.

(3) *Ibid.*, p. 34.

(4) *The Ordeal of Consciousness in Henry James*, Cambridge University Press, Cambridge, 1962, p. 357.



issue. As for this particular critic's assumption that James was as shackled by the conventions of his age as other Victorian critics, this would need a whole paper to refute. In keeping with her line of argument, she finds no "leak" or commonness in interest, as regards form in the novel, but she is disappointed in James's "human conclusions". This is a pitfall of novel criticism, which James himself tried to warn both novelists and critics against. Form and content are inseparable in a novel as much as in any other form of art. A neglect of this would amount to a betrayal of the sacred office on the part of the prophet of Life and Art as James is often described and should be seen.

Arnold Kettle, a more important critic, seems to make a more serious criticism of the novel. He perceives its technical excellence, "a habit of perfection", "a certainty and poise, which is quite different from the merits and power" of other English novels. But he, too, is critical of the content of the book. "Is not the accumulated effect of the novel to present human destiny as inexorably one of suffering and despair?"<sup>(1)</sup> he asked.

This is how he argues the point :

Our final judgement must depend on the climax — the famous ending of the book. It is from this ultimate impression that we shall have to decide whether James indeed plays fair with Isabel and us, whether he reveals in full profundity and (in the least cold sense of the word) objectivity a tragic situation or whether there is a certain sleight of hand, the putting across not of life but of something which merely for the moment passes for life.<sup>(2)</sup>

Then he goes on to ask, "Is Isabel's return to Osmond irrevocable, an acceptance now and for ever of her 'destiny', or is it tentative, no ending, the situation unresolved?" Referring to what both James and Matthiessen have to say about this question, he holds that "although the ending of the novel does not completely and irrevocably round off the story — the possibility of Isabel's later reconsidering her decision is not excluded — yet the dominant impression is undoubtedly that of the deliberate rejection of 'life' (as offered by Caspar Goodwood) in favour of death, as represented by the situation in Rome".<sup>(3)</sup>

---

(1) *An Introduction to the English Novel*, Vol II, 1957, p. 13.

(2) *Ibid.*, p. 29.

(3) *Ibid.*, p. 30.

James believes, he concludes, that the arbitrary circle of art should stimulate such speculations beyond its confines, and thus create also the illusion of a wider life. How far this is relevant to a judgement of the given end of the novel is a debatable point. James's own words regarding the end of *The Portrait of a Lady* not only anticipate but aim at putting an end to such unnecessary speculation. His vindication of the end of the novel is well worth quoting:

With strong handling it seems to me that it may all be very true, very powerful, very touching. The obvious criticism of course will be that it is not finished—that it has not seen the heroine to the end of the situation—that I have left her *en l'air*. That is both true and false. The *whole* of anything is never told; you can only take what groups together. What I have done has that unity—it groups together. It is complete in itself—and the rest may be taken up or not, later.<sup>(1)</sup>

Elizabeth Drew, representing another group of critics, also, sees that the conclusion is "consistent with what has gone before and makes the story complete in itself". Yet she goes on to ask with regard Isabel's return to her husband and resignation to what she describes as 'matrimonial slavery':

"But does anyone with 'a great fund of life' in her, meet such a situation so passively, and accept suffering without action as her final fate?"<sup>(2)</sup> What follows seems to be the answer:

We must not of course, apply contemporary social standards to a book written in 1881, or think of Isabel as a modern girl. The conventions of his day shackled James as much as they did other Victorian writers.

What such critics do not seem to realize is that they are violating one of the basic tenets of novel criticism. A character in a novel should be judged in relation to the situation in the novel itself and not in relation to the historical context or to our personal view of some social or moral

---

(1) *The Notebooks of Henry James*, ed., F.O. Matthiessen and Kenneth B. Murdock, New York and London, 1947, p.

(2) *The Novel: A Modern Guide to Fifteen English Masterpieces*, New York, 1963. Reference to *Henry James: The Portrait of a Lady. A Collection of Critical Essays*, ed. A. Ayouti, Anglo Egyptian Bookshop, Cairo, n.d. p. 56.

In this paper we propose to show, by a close examination of the text, that given the kind of person Isabel really was, together with the kind of person she became under the impact of her sad experience, whether her decision to return to her husband was not, in fact, the only conceivable one, and whether in accepting to suffer, she was not being true to her own "tormenting ideal". We also hope to show how Henry James has used all the resources of his novel technique for the purpose of rendering Isabel's story as truthfully as he sees it. Before doing so, however, it may be useful to survey briefly some of the recurrent complaints against the novel, and the grounds on which they are based.

F.O. Matthiessen states that "it has recently been assumed that James believed entirely in the rightness of his heroine's conduct, and since our age no longer feels as he—and she—did about the strictness of the marriage vow, we can no longer respond to the book except as a period piece."<sup>(1)</sup> By way of comment, he adds, "But this is to misread not only the ending but all of James's own 'characteristic characterization' of Isabel."<sup>(2)</sup> He seems to believe, however, that Isabel's conduct at the end of the novel is part and parcel of "the weakness that she exposed to Europe," and that James "could hardly have made a more lucid summary of." She continues, he seems to think, to do the wrong thing for the right reasons—having, as Ralph puts it—"too much conscience"—a peculiarly American complication in the romantic temperament. Matthiessen interestingly suggests that Isabel's conduct is also in keeping with "James' whole conception of the discipline of suffering."<sup>(3)</sup> Having made a careful study of James's revisions in the novel, he points out that, "The inevitability of her lot is made more binding in the revision."<sup>(4)</sup> Strangely enough, he goes on to suggest that her return to Rome was not, perhaps, "the last word". The end of Isabel's career is not yet in sight". He argues that the reader must weigh for himself what is likely to lie ahead in her relation with Osmond :

It may be that, as Isabel herself conjectures, he may finally 'take her money and let her go.' It may be that once she has found a husband for Pansy, she will feel that she no longer has to remain in Rome.

---

(1) *The Major Phase*, Oxford University Press, 1946, pp. 182-3.

(2) *Ibid.*, p. 183.

(3) *Ibid.*, p. 184.

(4) *Ibid.*, p. 186.

## ISABEL ARCHER AND THE TORMENTING IDEAL\*

### THE PORTRAIT OF A LADY RE-EXAMINED

By

ANGELE BOTROS SAMAAAN

Though widely regarded as the masterpiece of Henry James's early period and one of the major novels in English, *The Portrait of a Lady* continues to be a subject of controversy. Most serious critics agree that the novel is a great achievement and its heroine a charming and perfectly rendered character. F.R. Leavis, for example, regards *The Portrait of a Lady* as "a great novel" and "one of the two most brilliant novels in the language", the other being *The Bostonians*. In Isabel Archer he recognizes "a real superiority", despite what he considers "a large measure of idealization". "Nevertheless", he concludes, "the idealization stands for a true fineness, worthily imagined by James."<sup>(1)</sup>

D.W. Jefferson holds that *The Portrait of a Lady* is "now sufficiently recognized as a tragic novel of the first order, and Isabel Archer is for modern readers one of the most significant and appealing of heroines."<sup>(2)</sup>

Nevertheless, there has been a considerable amount of criticism not only of the end of the novel but also — and essentially as a result of a refusal to accept the rightness of this end — of Isabel's character and of James's view of his heroine. How can the 'independent' girl, that Isabel is supposed to be, become so conventional? How can she go back to her husband, only to spend the rest of her life in misery and suffering? And is her return to Rome really irrevocable? These are some of the questions put by some readers and critics.

---

\* Title derived from T.S. Eliot's definition of James's romanticism as issuing from "the imperative insistence of an ideal which tormented him" and which we believe Isabel shared with her creator. See T.S. Eliot, "A Prediction," *Henry James, A Collection of Essays*, ed., Leon Edel, New York, 1963, p. 56.

(1) *The Great Tradition*, 1960, p. 147.

(2) *Henry James*, 1960, p. 36.

Faustus is gone : regard his hellish fall,  
Whose fiendful fortune may exhort the wise  
Only to wonder at unlawful things,  
Whose deepness doth excite such forward wits,  
To practice more than heavenly power permits.

(11. 4 ff.)

Such a statement does not see that the whole point with this kind of drama (or verse narrative for that matter) is its historicity—the fact that it had actually happened. The audience, like Oedipus's audience, knew the story, and in this foreknowledge lies the strength of the example. French pointing out what seems to him the stupidity of the play really puts his finger on what is actually its very strength :

Thus we are to see his fate as something which we know, and which he could know too if he would but open his eyes, to be unavoidable.<sup>(1)</sup>

This is the whole point, that we *as audience* should see his fate as unavoidable. This is the same point where those who demand a psychological development of Faustus's feeling, miss. Cleanth Brook's definition of the middle which he finds lacking in Faustus is according to this view of the play beside the point. He defines the middle as

the experience that do change Faustus's mind so that in the end he knows what hell is and has become accommodated to it, now truly damned<sup>(2)</sup>.

The middle, however, in an Elizabethan "Tragicall History" is the experience that does change the *audience's* mind so that in the end they see the truth of the prologue's simple statement and believe the epilogue's final judgment. This is a form of art that is primarily didactic. That it has fallen out of repute with the evolution of the neo-classical tragedy and the nineteenth century so-called tragedies, is balanced by the fact that it is with us again, for better or for worse, in the works of Brecht, Max Frish and Peter Weiss. It is with us in political musical such as *U.S.* and *O What a Lovely War*. It is with us in many of the B.B.C. 2 comic sketches. It is surprising how Marlowe anticipated the same sort of debunking technique through his pattern of serious scenes followed by a parody of each, or serious utterances followed by a joke, which this modern school of drama has arrived at. A.L. French was absolutely right when he said that Marlowe's irony.

is so utterly reductive that there is no thing for us to respect or feel for.

But far from this being a definition of failure, it is the very theme of the play. not to feel for Faustus, but assent heartily with the Chorus's Epilogue :

---

(2) Cleanth Brook, "The Unity of Marlowe's Faustus", *op. cit.*, p. 220.

My suggestion is that the play was neither written as a tragedy nor as a Morality but as its title literally tells us *The Tragical History of ...* The term "Tragedy" and "Tragical History" had in the Renaissance a definite meaning. In England in the latter half of the sixteenth century they were almost synonymous since the tragic figure by definition had to be historical. And the function of the so-called tragedy had nothing of Aristotle's catharsis nor of what C.L. Knights mentions of the freedom that is "concomitant of acceptance with reality" as quoted above. From Sydney in the early 1580<sup>(1)</sup> to Heywood<sup>(2)</sup> three decades later, tragedy was to teach people to be good and shun evil. Marlowe's *Doctor Faustus* is nearer to this concept than any other major play of the period. It is written in the spirit in which *The Mirror for Magistrates*, whose stories are all tragedies and all historical, was written.

For here as in a looking glas, you shall see (if any  
vice be in you) how the like hath bene punished in  
other heretofore whereby admonished, I trust it will  
be a good occasion to move you to the soner amendment.  
This is the chieftest ende, whye it is set furth, which  
God graunt it may attayne.<sup>(3)</sup>

A.L. French's comments on the prologue's speech in which we are told a summary of the story shows how one can go off the track by not realising the main function of the "Tragical History" :

We hear this [the summary] right at the beginning,  
and it is in the past tense ; so that everything which  
happens in the body of the play is merely the working  
out of a predestined fall ; and even if Faustus's attempts  
at contrition were enormously stronger than Marlowe has  
made them, we'd still know that nothing could ever come  
of them.<sup>(4)</sup>

---

(1) "If evil men come to the stage, they ever go out...so manacled as they little animate folks to follow them". *An Apologie for poetry*, ed. Geoffrey Shepherd, 1965, p. 111.

(2) The Tragic muse justifies herself in these words : "That held in awe tyrants of the world,/And playde their liues in publicke Theaters, Making them feare to sinne, since fearlesse I/Prepar'd to wryte their liues in Crimson Inke,/And act their shames in eye of the world?". *An Apology for Actors, containing briefe Treatises*, 1612, sig. B2.

(3) "Baldwin's Dedication", *The Mirror for Magistrates*, ed. Lily B. Campbell, Cambridge, 1938, pp. 63—66.

(4) French, *op. cit.*, p. 139.

(5) *Id.*

If Marlowe is being ironical at all, his irony is so utterly reductive that there is nothing left for us to respect or feel for. We may no longer believe that tragic heroes . . . ought to be faultless, but there must surely be some limit to their folly.<sup>(1)</sup>

The answer to this, again like the answer to all that went before, is that the *Tragicall History of Doctor Faustus* is not a tragedy in the Shakespearean sense (though I wonder whether Mr. French finds a limit to Lear's folly).

Many writers have already found in the play elements that make it nearer a morality than a tragedy—at least they point out "the appearance of the good and bad angels" and "the anonymous Old Man, the 'good council' of many an earlier play". They also point out the elaborate staging used for the descent of the devils at the end of the play and the horrors of hell made visible in an "ever-burning chaire",<sup>(2)</sup> all of which are familiar elements of the Moralities of the later age. Douglas Cole, finds as well echoes in Marlowe of the "damnation theme that characterises the mystery cycles"<sup>(3)</sup>

As a morality, the comic scenes would need no justification for, as Cole says, "there is a long tradition of associating evil with comedy in Medieval arts and letters".<sup>(4)</sup> In support of this Brockbank tells us about the double image of the devil, one defiant and the other comic, and quotes "An early instance in the North Town Fall of Lucifer" :

at one point Lucifer occupies the throne of God and 'Above sunne and mone and starrys on high' commands the reverence of angels and men ; but the moment he tumbles from Heaven he becomes a comic figure bent on blowing out the fire of hell with his own wind.<sup>(5)</sup>

This in part can explain *Dr. Faustus*, but it leaves one criticism unanswered, which is that at certain moments Faustus speaks and feels more intensely than any morality figure does. Certainly the tone of his last agonizing speech is out of tune with the placid and even comedy ending of the Morality.<sup>(6)</sup>

---

(1) A.L. French, *op. cit.*, p. 135.

(2) See Boas, *Christopher Marlowe*, Oxford, 1940, p. 211, and W.W. Greg, *parallel Texts*, *op. cit.*, pp. 130—132.

(3) D. Cole, *op. cit.*, pp. 12—13.

(4) *Ibid.*, p. 14.

(5) Brockbank, *Marlowe : Dr. Faustus*, 1962, p. 20.

(6) See Greg, *parallel Trxsts*, *op. cit.*, p. 131—132.



because his characters never give us the impression that "this is a real person, and this is how he and only he would act". Surely we must realize that Marlowe does not want to limit his theme to how "he, and only he" would act. And unfortunately this is not an attitude that reflects the thirties only, for up till 1968, R. Ornstein objects to the lack of psychological development in Faustus :

Faustus's spiritual struggles .... might have provided an essential core of psychological and moral action between the first and last acts. But though Marlowe superbly portrays his hero on the heights of aspiration and in the depths of despair, he does not trace the path which leads Faustus from one spiritual extreme to the other. He is not interested in, or perhaps capable of depicting psychological nuances and processes.<sup>(1)</sup>

Certainly all this—and we hear much of it—is the result of reading the play in the shadow of nineteenth century analysis of Shakespeare, and to read this particular play we must first get away from the nineteenth century concept that drama is character in action. Even Shakespeare is no longer read in terms of character and action. Such an attempt reflects the same mentality that refused the porter scene in *Macbeth* and the fool in *King Lear*. Even when we go beyond such naive reading of what makes a drama we find a comment like this one by L.C. Knight on the last speech of Faustus :

the reader's submission is .... of a different order from the submission one gives to the greatest art, where a sense of freedom is the concomitant of acceptance with reality, however painful this may be.<sup>(2)</sup>

This is, one would agree, a very valid definition of the tragic art, but the point that I want to arrive at is that the play is not a tragedy. A.L. French refuses the whole play because he cannot see it in any other light. After a vehement attack on the kind of person Faustus is in the play from the very first act, he says :

---

(1) *Ibid.*, p. 60.

(2) "Marlowe and God", *op. cit.*, p. 1379. See also Cleanth Brook, "The Unity of Marlowe's Faustus", *op. cit.*

(3) L.C. Knight, *op. cit.*, p. 207.

### III

If one reads the structure of the play as analysed above — without the intrusion of the horse-courser-Duke and Duchess episode- we have a play with a definite and deliberate form, but which does not follow any definite pre-known pattern, and unfortunately we have not been trained enough to read form and :

We are often not subtle enough when the dramatist legitimately uses dramatic irony or when he carefully complements an action or speech by a later action or speech.<sup>(1)</sup>

In short we are at a loss, when the dramatist uses a dramatic technique that has nothing to do with Aristotle's beginning, middle and end, nor with the nineteenth century conception of the tragic character, and the tragic flaw, etc. In other words : where the dramatist uses a technique that, strangely enough has been quite recently rediscovered by very modern writers of the twentieth century as Brecht (who incidentally acknowledged his debt to Marlowe) we do not seem able to read him. We think that if a play does not fit any of our pre-formulated forms it is a bad play. But in such cases, it is we who are bad readers.

The greatest harm we can do the play, for example, is to read it as a tragedy and to see in Faustus a tragic hero. Minkov, writing in the thirties, while admitting that we enter into Faustus's feeling, comments that feelings are not enough, for they.

remain the same for everyone, and thus, though the figure of Faustus may move us .... he remains .... a shadowy person .... embodying the whole of humanity but without any solid background or marked individuality of his own.<sup>(2)</sup>

Who but a reader saturated with Bradley can endorse the assumption of this statement, which is that the whole of humanity is less important than the "marked individuality". Minkov's attitude is further revealed when he praises the play because it "shows a lyrical quality that reaches the very greatest heights" and denounces it because it "lacks the more specifically dramatic qualities that lie chiefly in the interplay of character of individuality".<sup>3</sup> He criticises Marlowe

---

(1) Leo Kirschbaum, *op. cit.*, p. 225.

(2) Mincov, *op. cit.*, p. 61.

(3) *Id.*

But such an argument does not preclude the fact that the additional matter written by Rowley could have been added to the manuscript. after all, Henslowe paid Samuel Rowley his 4 pounds in 1602,<sup>(1)</sup> that would make it possible for these additions to be in existence before 1604. The fact that the A-text does not keep all the clowning scenes can be perhaps explained by the fact that whoever prepared the A-version prompt book knew that not all the scenes were authentic. At any rate Greg does not preclude this possibility since he says these scenes are :

part of the original or at any rate of an *early* version of the play.<sup>(2)</sup>

Thus this cuts out a little of his confidence :

that none of the passages peculiar to B represent the additions paid for by Henslowe in 1602.<sup>(3)</sup>

My assumption that all this sequence of scenes (v-viii) were added by Rowley in 1602 finds some support in Kocher's conclusion that even though Nashe might have written all the prose scenes of the play he did not write sc.vi. of Act IV or the scene where the clowns bang on the door of the Duchess :

Nashe's characteristics are not to be discovered in either of these two scenes of the 1616 quarto.<sup>(4)</sup>

However, all this is mere conjecture, but the fact remains that these scenes add nothing to the play and it loses nothing by cutting them out except, perhaps the four lines beginning :

What art thou Faustus, but a man . . . .

The lines stand there in the middle of the clowning with no connection with what comes before or after, so that one is led to think that they were taken from another part of the play and inserted here, to make the scenes seem to have something in common with the play.

---

(1) *Henslowe's Diary from 1591 to 1609*, ed. W.W. Greg, 1904, entry for 22nd November, 1602.

(2) Greg, *op. cit.*, p. 28. *Italics added.*

(3) *Ibid.*, p. 29.

(4) Kocher, "Nashe's Authorship, etc." *op. cit.*, p. 34.

bearing whatever on the play—a thing that never happened in any previous scene. The Duke and Duchess scenes fall in the same category, there is no different kind of magic or evil in it; and the subservient tone Faustus uses to the Duke has already been used in addressing the Emperor. Moreover here it lacks the hypocritical tone of the first. I would therefore suggest that the whole group of scenes xv, xvii (v, vi, vii of Act IV) are additions to the text.

That there has been some tampering done with both versions of the play that have come down to us, the 1604 as well as the 1616, is not a question of debate. What is debatable is the specific scenes put in without Marlowe's knowledge. My rejection of the last three scenes is purely on structural grounds. Taken out, the play would have a compactness and cohesion as well as a progression in tone that it loses with them. However, one can bring a certain conjectural textual argument to bear this conclusion out.

W.W. Greg, who is our main authority on the subject, sums up his opinion about the nature and authenticity of each text.

the B text (1616), so far as it reproduces the manuscript, contains an authoritative text of the original but unrevised version; whereas the A-text (1604) contains a corrupt and debased report of the play as finally revised and acted.<sup>(1)</sup>

That is, as he explains more fully in his introduction to his *Parallel Texts*, the 1616 edition is nearer to the original yet the 1604 seems the better text, a conclusion which Boas has arrived at sometime earlier.<sup>2</sup> Moreover Greg leaves no doubt that the B text relies on the A text in parts, especially on the 1611 edition.<sup>3</sup> However he believes that the additions found in the B text particularly the additions to the Van Holt scene are authentic :

Here, namely, we find the A-version of the Horse-courser episode (IV.v) amplifying the B version by borrowings from the tavern scene IV.vi which is only preserved in B. Since borrowing in the opposite direction, inherently improbable, is found to be virtually impossible on a detailed examination of the text, we have here conclusive evidence that at least one of the scenes peculiar to B was already in existence at the time the A text took shape.<sup>4</sup>

---

(1) Greg, ed., *The Tragical History of the Life and Death of Doctor Faustus... A conjectural reconstruction*, ed. clt. Advertisement, p.v.

(2) Boas, ed., *The Tragical History of Doctor Faustus*, intro p. 27.

(3) Greg, ed., *parallel Texts*, p. 63—64.

(4) *Ibid.*, p. 28.

The last scene in which the friends meet battered and defeated does not strike me as funny. It is a scene full of pathos in its acceptance of the supremacy of evil, a pathos that the poetry expresses. I do not think an Elizabethan audience would laugh at the final couplet

Sith black disgrace hath thus eclips'd our fame,  
We'll rather die with griefe than live with shame.

If they do, it will be with the wrong kind of laughter. In fact the distinction between comic and serious has been so sharply reduced at this point that one's feeling is a mixture of both. The comedy has become something like our modern black-comedy-one laughs with a lump in one's throat.

As a meaningful pattern the form of the play has up to Act IV sc. iv been a gradual process with the tone getting more and more serious so that it does lead naturally to the horrible end in Act V. The intrusion of the horse-courser episode, sc. xv, the carter and the Duke and Duchess Van Holt scenes, scenes xvi, xvii (Act IV, sc. v, vi, vii) seems to me to interrupt and distort that pattern. In fact, as Rowley was paid money to add something to the play, I believe his additions to be these particular scenes. They seem to me to disrupt a very compact and articulate design in which every scene had a particular part to play in the overall meaningful structure of the drama.

Let us begin by the first horse-courser-scene. I do not see Faustus's degeneration as that from Pope to Emperor to Duke to layman-for I do not believe that a Protestant audience would relegate to the Pope a higher position than to the Emperor-but rather I see it lies in his degeneration from a curious student of evil to a doer of evil, at first not with evil intentions then with truly evil intentions. The horse-courser mischief, therefore, has no place in this pattern. For it can be seen, from a certain point of view, as retribution for the horse-courser's own covetousness. Moreover the incident of pulling off Faustus's leg has nothing of the overtones found in the cutting off of his head earlier and comes as an anticlimax to that very pregnant earlier scene. Faustus's cry of "O, help, help, the villain hath murdered me" (1.37) is such an obvious contradiction to his attitude at his actual murder and to the very basic assumption of the play that one cannot help but reject the whole scene altogether.

The second scene at the tavern we are told the horse story again, plus the carter-story and some vulgar dialogue between clown and hostess that has no

My gracious ord, not so much for injury done to  
me, as to delight your Majesty with some mirth  
hath Faustus justly requited this injurious knight.

(11. 107-109)

Faust almost becomes revolting.

The third scene in this episode deals with the Knight's plot to murder Faustus. In this episode several points come to light. This armed clash between the devil's party and the average human being shows the futility of such a fight, and it brings out by contrast the Old Man's superiority when in Act V he is attacked by the devil in vain. One does not fight evil by evil means—one loses in the end. Benvolio in a very significant phrase, cries :

The devil's dead : the furies now may laugh.

(1. 45)

He gloats over Faustus's head in lines that are thoroughly pertinent to the problem of evil :

Was this that stern aspect, that awful frown,  
Made the grim monarch of infernal spirits  
Tremble and quake at his commanding charms.

(11. 46-48)

One may think he has conquered evil itself—think, at the moment of illusory triumph, that evil is nothing after all ; but then, evil rears its head a few minutes later and we hear the cry "Zounds, the devil's up again!". The scene sets down almost a whole theological creed. The devil never dies—evil never dies. Later Faustus explains that nothing can kill him before his time and says a couple of lines so filled with paradox and irony that I cannot understand how anyone can think of the scenes as slapstick comedy. He says that even had they cut him to pieces :

Yet in a minute had spirit return'd  
And I had breath'd a man made free from harm.

(11. 75-76)

Is he man or spirit ? or are the two identical in one man ?—is man really evil by nature ? So much is suggested by the lines that they take one's breath away. And then his truly vicious nature appears and in a command to Mephistophilis, whom ironically enough he calls "gentle Mephistophilis", asks him to torture these enemies who dared to think they could kill him. Faustus, with a legion of devils at his command, had finally become truly evil.

Mar. Speak softly sir, lest the devil hear you :  
For Faustus at the Court is late arriv'd,  
And at his heels a thousand furies wait  
To accomplish whatever the Doctor please.

(11.23-27.)

The first two lines of Martino's speech almost make an identification between Faustus and the devil, then we know that he is here with a train of devils. There is no doubt now as to Faustus's stature with that group. Then there is another suggestion of devilry and a jibe at the Pope when Benvolio says :

Has not the Pope [ Bruno ] enough of conjuring yet ?  
He was upon the devil's back late enough :  
And if he be so far in love with him  
I would he would post with him to Rome again.

(11. 33-36)

With the general attitude of the Protestants to Popes, this, once more, links Faustus with another devil's advocate — the Pope.

Furthermore, the scene establishes sympathy for Benvolio, who is not of the Pope's party on the one hand and who is not so wicked as to be interested in black magic. This sympathy becomes significant as the scenes progress.

In the second scene Faustus presents his vision of Alexander and his paramour to the Emperor. In short he has become, if less a clown, a Master of Ceremony, a juggler. What is more important, however, is the way in which Faustus, for the first time, is becoming petty. He cannot accept the fact that someone, Benvolio, is not interested or impressed by his conjuring. So he swears revenge on Benvolio for this sin. This is where I see the deterioration of Faustus. In the Pope scenes he was merely childish, here he is becoming childish with a wicked purpose. Not only does he make Benvolio a ridiculous sight but he threatens to

raise a Kennel of hounds shall hunt him so  
As all his footmanship shall scarce prevail  
To keep his carcase from their bloody fangs.

(11. 97-99)

He actually begins to put his threat in effect and calls his devils :

Ho, Belimote, Argiron, Asterote ?

Certainly the revenge is more than the offence deserved. And what makes Faustus more petty is the hypocritical note with which he accepted the Emperor's entreaty for Benvolio :

odd dramatic indecorum and irresponsibility : the attitude seems to be "it makes good fun so never mind how it fits".(1)

is in fact, the very *raison d'être* of the scene, which is, as I see it, to get rid of the clowns. Some years later Shakespeare can drop the clown from *King Lear* without any explanation, but Marlowe had to tie his plot, and Mephistophilis protesting at the clowns' pranks turns the one into an ape and the other into a dog.(2)

The following episode is that of Faustus's visit to the Emperor and his feud with Benvolio. These series of scenes (four in all) which are found in their entirety in the 1616 quarto only and which had for a time been attributed to Bird and Rowly (an attribution refuted by Greg) (3) can be seen as part of the significant structural pattern of the Play. Steane, because he concentrates on the 1604 edition (which has only the Knight's scoffing, the dumb show, and the Knight's re-entrance with the horns from which Faustus releases him at the Emperor's request), finds the joke of the horns "crude and tiresome, and the rest of the scene tedious." (4) In the 1616 edition, however, the four scenes all together have a cumulative effect, and not one of them is superfluous. Frank Manly says re this particular sequence of scenes :

It is possible, of course, to take all this too seriously. It is slapstick : it amuses with its sudden acts against nature. (5)

I would perhaps reverse the order of this statement and say that it is possible, of course, to take all this as slapstick comedy, but I take the scenes very seriously indeed.

Let us take the first scene, the one in which Martino and Fredrick wake up Benvolio and give him news of Faustus's arrival. First the scene performs a narrative function, it picks up the thread of the action : we are told that Faustus has arrived from Rome. Secondly the conversation is full of significant prattle.

Mark What ho, *Benvolio*.

Ben. What a devil ail you two ?

---

(1) *Op. cit.*, p. 145.

(2) For the fact that they appear again, see below, pp. 26.

(3) *Parallel Texts*, *op. cit.*, intro., pp. 27—28.

(4) *Op. cit.*, p. 145.

(5) *Op. cit.*, p. 225.



...to cross the Pope

Or dash the pride of his solemnity.

To make his monks and abbots stand like apes

And point like antics at his triple crown,

To beat the beads about the friars' pates

Or clap huge horns upon the cardinals' heads,

Or any villainy thou canst devise.

(II. 81-87)

This very indiscriminating list, recalled, proves that the point was not to shape history but just to do anything regardless of its value. The two scenes at the Pope's residence thus appear to have been motivated by the same childish impulse "to prove Faustu's cunning". In fact the implicit meaning in the Bruno scene became explicit only through juxtaposing it to the other. The important point to notice is that now it is Faustus himself who, structurally speaking, as well as literally speaking is taking over the clown's part. Orstein seems to get very close when he says :

As Faustus changes shape the tragic-comic contrast begins to coalesce. Scene by Scene the opposing images approach one another until at last we discover beneath the exalted appearance of the fearless rebel the figure of the fool.<sup>(1)</sup>

It is not "scene by scene" however, that this discovery takes place, but in the Papal court scenes through the technique of juxtaposition, that this coalescence takes place. In one scene Faustus is the great magician, in the next he is the fool and by juxtaposition the second image colours the first.

This interpretation makes the comic scene that follows, the one in which the clown and Dick (or Ralph and Robin) steal a cup from the Vintner superfluous. It is true that it emphasizes the pranky kind of game to which Dr. Faustus's magic can fall to, but the emphasis, in view of the preceding scene, seems unnecessary. The scene, however, is functional. Now that Faustus has become the fool, Marlowe has to get rid of his clowns. They have become superfluous ; and the calling in of Mephistophilis which Steane finds :

---

(1) *Op. cit.*, p. 145.

This is a point which D. Cole treats in more detail, for according to him the comic exploits of Faust are deliberate contrasts between what he wanted to achieve as stated in his first speech, and what he has actually achieved, and he sees every scene as a deliberate betrayal of one particular ambition.(1)

In general, one does not disagree with any of the preceding ideas, but perhaps the analysis of the scenic structure of the scenes will show some qualifications, and more precise definitions of Faust's deterioration.

Faustus's first step down the ladder is obviously at the Papal court. Till that point in the play Faustus has been deflated by parody, he has done nothing apart from the pact with the devil, that can pin him down to damnation. He has been an onlooker. But in this scene he finally asks Mephistophilis that,

... in this show let me an actor be, That  
this proud Pope may Faustus cunning see.  
(Sc.viii alias Act III, sc.i. ll. 76-77)

There is irony in the description of the Pope as proud by someone who takes so much pride in his own achievement. In fact Brockbank sees the whole Pope episode as one in which Mephistophilis and Faustus are destroying the pride of the Pope just as the tragedy is going to destroy the pride of Faustus.(2) It seems to me that these scenes carry more significance than Brockbank thinks, I had better state at the outset that I believe the Bruno episode to be very important in the structural pattern of the play and cannot understand that someone like Warren Smith, for example, can leave it out even though it is not in the 1604 edition. The Pope episode is composed of two scenes, the rescuing of Bruno and the clowning at the Pope's repast. In the 'Rescue of Bruno', Faustus's first action of devilry is not at all a prank or a practical joke. It seems to fulfil his dreams of power. He has in fact made international history (whatever the actual historical fact may be). He has thwarted the will of the Pope and in effect gives Bruno the chance to take his place. The first action of Faustus is big-as big as his dreams ; but ... and here we meet with the pattern of deflation met with from the beginning of the play. He starts to clown about with the Pope's food and we soon realize that, the Bruno episode was performed in much the same spirit as this second episode. And in retrospect we remember the alternatives Mephistophilis offered Faustus by which he could impress the Pope :

---

(1) *Op. cit.*, pp. 215 ff.

(2) *Op. cit.*, pp. 49—50.

O brave, Robin, shall I have Nan Spit, and to mine own use ? On that condition I'll feed thy devil with horsebread as he lives, of free cost. (1)

(11. 31-33, p. 111)

His exclamation of joy and his promise of eternal services to the devil remind one of Faustus's frequent such exclamations and promises. And the equation of Faustus with these clowns can have but one effect on the audience : to take away a great deal of the heroic stature of Faustus, and put him on the same level with the clowns.

The scenes that follow, beginning with the papal scene have as a group received more attention from scholars. W.W. Greg was perhaps the first to find in them a "gradual deterioration of Faustus' character and the prostitution of his powers".<sup>(2)</sup> In Ornstein's catalogue of Faustus's accomplishments, we have a more detailed picture of this deterioration.

On the stage Faustus's accomplishments grow increasingly petty ; he discomforts the Pope, horns a knight, entertains an Emperor, cheats a Horse-Courser and delights a Duchess with grapes out of season.<sup>(3)</sup>

While Helen Gardner, though putting it differently, is, in essence, saying the same thing:

From a proud philosopher, master of all human knowledge, to a trickster, to a slave of phantoms, to a cowering wretch : that is a brief sketch of the progress of Doctor Faustus.<sup>(4)</sup>

And Warren Smith whose whole article was to define the Nature of Evil in *Faustus* points out that in these scenes :

he proceeds downward in rank from Pope, to Emperor, to Duke and Duchess, to horse-course ...<sup>(5)</sup>

More significant is what he says about

the vast discrepancy between the actuality of the experience of the hero after the agreement with Lucifer has been made and his anticipation as he prepares to sign the fatal document.<sup>(6)</sup>

---

(1) *loc. cit.* added.

(2) "Damnation of Faustus" *op. cit.*, p. 103.

(3) *op. cit.*, pp. 169—70.

(4) *op. cit.*, p. 321.

(5) *op. cit.*, p. 175.

(6) *Ibid.*, p. 173.

Faust. O, might I see hell and return again safe, how happy were I then :

*Lmc.* Faustus, thou shalt ; at midnight I will send for thee.

The diversion is of the very essence of the struggle for Faustus's soul. The pageant has led Faustus's interest from the Heavens above to the realms of Hell below.

In the pattern I see for the relationship between the more serious (not to use the word tragic) scenes and the comic ones we must accept the placing of the following scene as it recurs in the 1616 edition.(1) This is the scene in which the clown (alias Robin) with the help of one of Faustus's books of magic promises Dick many free pleasures. However, I prefer the reading of the 1604 edition for this particular scene since it has more relevance to the preceding scene of the seven deadly sins than has the reading of the 1616 edition, and is full of echoes parodying Faustus's search for knowledge and pleasure.(2) The scene opens with Robin entering alone with a book in his hand :

Robin. O, this is admirable! Here I have stolen, one of Doctor Faustus' conjuring books, and i' faith, I mean to *search* some circles for my own use. Now will I make all the maidens in our parish dance at my pleasure stark naked before me, and so by that means *i shall see more than e'er I felt or saw yet.*(3)  
(11. 1-6. Printed in Appencix I, P.110.)

Once again there is a search for knowledge on two levels, but this time the speech does more than deflate Faustus. For not only does it look back at Faustus's ecstatic exclamations of "Letchery" "O how this sight doth delight my soul, " but it looks forward to Faustus's last wish, to have Helen for his paramour. Robin's speech and his littleness are a direct comment on the littleness to which Faustus will descend. He, the great Doctor, will eventually end where Robin began. The scene emphasizes the point in Ralph's ecstatic exclamation at the same kind of promise :

---

(1) In the 1604 ed. the scene is numbered viii and comes immediately before a comic scene, the one in which the two steal the goblet from the tavern.

(2) W.W. Greg, in his conjectural reconstruction gives precedence to this practice. "I have throughout kept a watchful eye on that of 1604, which I have followed in certain passages, and from which I have taken a number of individual readings." (*The Tragicall History of the Life and Death of Doctor Faustus, A Conjectural Reconstruction*, ed. cit., Advertisement, p. vi.)

(3) Italics added.

1616 edition has it. is not logical. Faust does not go to Rome till later, and here the 1604 edition makes more sense, for it goes on immediately with the scene of Faustus oscillating between repentance on the one hand and persistence in his evil way on the other. The oscillation which leads to Lucifer's presence and his ordering the enforcement of the show of the seven deadly sins.

Some critics take this—because it is in prose—not to have been written by Marlowe, and again we hear charge of its being an interpolation. Steane speaks for many when he expresses the opinion that it is “a regrettable scene” and says.

It is in this sort of thing, mere diversion, that the integrity of the play is compromised.<sup>(1)</sup>

But is this really a diversion? Greg says, “The pageant of the Sins hints at the depths of vulgar triviality into which he is doomed to descend.”<sup>(2)</sup> Surely it is more than that. Admittedly it is a pageant but it is a very serious pageant. The danger, from the devil's point of view, of losing Faustus, always comes from the Doctor's curiosity about the world, about which he says in the opening lines of Sc. vi (Act II, sc.i).

When I behold the heavens, then I repent  
And curse thee, wicked Mephostophilis.

It is the same curiosity that led him a little later to the very dangerous question “Now tell me who made the world?” (l. 69) : and made him cry out for Christ's help. It is at this point that Lucifer decides to win Faustus's curiosity about the world *he*, Lucifer, has created - in fact to introduce him to *sin*. Frank Manly says.

the seven deadly sins enact the totality of evil, the entire negative creation of the devil, and Faustus symbolically makes it his own.<sup>3</sup>

And the dialogue between Faustus and Lucifer emphasises this point. We must not stop at Faustus's exclamation “O, how this sight doth delight my soul :” But read the three following lines.

*Lus.* But Faustus, in hell is all manner of delight.

---

(1) Steane, *op. cit.*, p. 143.

(2) W.W. Greg, *The Damnation of Faustus*, *op. cit.*, p. 102.

(3) “The Nature of Faustus”, *Modern philology*, LVXI, 1969, p. 223.

In fact Brockbank sees in the very serious scene this kind of deflation through comedy. Faustus's order to Mephistophilis to come back as a Friar, according to him, is an "anti-clerical joke in the manner of protestant interludes" and comments. :

The lapse into farce is a fall from conjuring in its solemn sense to conjuring in its popular sense - the playing of magical tricks. The joke devalues the claim Faustus makes as he plays it. "I see there is virtue in my heavenly words" and seems to mock the whole rite(1).

In other words, even in the poetic scenes where there is no doubt of authorship whatever, the technique of deflation is used.

Sc. V (i.e. Act II, sc.i, as given in Boas and Greg) in which Faustus signs his contract with the devil, is given in great harrowing detail, with a great deal of ritual and symbolic action. The deed is written in blood, is read out word for word to an audience whose blood must have curdled in their veins as they sat, or rather stood up in the auditorium. In return Faustus is given books that will enlarge his knowledge beyond that of all mankind particularly in the art of necromancy.

All editors are agreed that there is a missing comic or clowning scene at this point(2); and professor Greg suggests it is an episode in preparation for Act II, sc.iii showing the clown stealing one of Faustus's conjuring books and thus becoming free of Wagner's dominance.(3) I would agree with Professor Greg that it deals with an incident in which the clown gets hold of one of Faustus's books not as he sees it in preparation for the development of the narrative underplot, but rather as a parody of the magnificent Sc. V. alias Act II. sc.i It, in effect, continues weaving the same pattern woven so far ; so that what Faustus has achieved is diminished by the similar achievement of much lesser personalities in a comic manner, and perhaps through a much less complicated process. In this way the laugh is directed at Faustus, not the clowns. The substitution of the chorus introducing the papal scene at this point as the

---

(1) *Ibid.*, pp. 36—37.

(2) Boas, ed. *op. cit.*, fn. p. 38, Greg. ed. *Paralle Texts*, p. 108, Jump ed. *Doctor Faustus*, p. 38, Roma Gill, ed. , *The Tragical History of Doctor Faustus*, fn. p. 31.

(3) See *The Tragical History of Doctor Faustus. A Conjectural Reconstruction*, ed. Greg, 1950, intro, p. 18. This is followed by Jump who also takes the comic missing scene as a scene to tie the subplot (see his edition of the play, p. 34).

up Mephistophilis and prides himself on his magical power, crying out "thou art conjuror laureate" (1.34).(1) Mephistophilis however corrects this self-image and informs him that his conjuring :

...was the cause. but yet *per accidens* ;  
For when we hear one rack the name of God,  
Abjure the scriptures and his Saviour Christ,  
We fly, in hope to get his glorious soul; (1.48-51)

This information is confirmed in sc.iv, in the wagner/clown scene. Wagner achieves exactly what his master has achieved. He has succeeded in conjuring up Baliol and Belcher and in driving them away - as Faustus did when he ordered Mephistophilis to return as a Frair. Moreover, the clown is as full of self-conceit as was his master in the scene before :

Wagner (to clown) : Villain, call me master Wagner. (1.45)

Once more the parody makes it obvious that one needs no supernatural powers to call up devils - even a Wagner can do it ; and without realizing it we laugh at what we have admired and feared before.

Once the devil is conjured, the bargaining begins. Faustus in his grand manner says :

Say he surrenders up his soul.  
So he will spare him four-and-twenty years.  
Letting him live in all voluptuousness.  
Having thee ever to attend on me.  
.....

And always be obedient to my will. (sc.iii, ll. 92-99)

These are Faustus's terms, and they certainly sound big. But this nolonger remains true put beside the bargaining of Wagner and the clown. "I had need to have it (the leg of mutton) well roasted, and good sauce to it, if I pay so dear," (sc.iv.ll. 11-12) "This is what appetite and the "conjuring occupation" boil down to at the level of street life,"(2) says Brockbank, and one should add that the juxtaposition of the two scenes *brings down Faustus to that street level*. Faustus is asking for no more than *his* leg of mutton ; it is only a matter of degree and not of kind. Thus the juxtaposition of one scene against the other diminishes the stature of our hero. Deliberately the structure of the play deflates the grandeur of Doctor Faustus.

---

(1) All quotations are from *The Tragical History of The Life and Death of Doctor Faustus*, ed. John D. Jump, 1962 (The Revel Plays series, general ed., Clifford Leach).

(2) *Ibid.*, p. 40.

point I want to stress is that it is through this sophistry that Doctor Faustus reaches his conclusion that necromancy is the science worth pursuing. This is what happens in the comic scene with Wagner; he, like his master, through a process of the same kind of sophistry, outwits the scholars. Moreover in his absurdity he is mocking all learning—the other facet of Faustus's speech. What he is saying in effect is what Faustus has said before, i.e. learning is no good, especially logic, it can lead you into any sort of situation. Ornstein comments :

Obviously Marlowe does not enhance the main action of his tragedy to reducing it to absurdity scene by scene. He does not magnify Faustus's achievements by having the clowns parody them immediately afterwards.<sup>(1)</sup>

Though putting it so clearly Ornstein does not draw the most obvious conclusion which is : Marlowe is therefore reducing and debunking his main action. Instead, Ornstein proves that the Elizabethan accepted this kind of parody because it "is its own excuse for being."<sup>(2)</sup> Whether the Elizabethan accepted it or not there is no doubt that Wagner's clowning with learning and beating the scholars is a comment which would sink in the audience's mind consciously or unconsciously. Moreover the play on words which Brockbank points out and Steane echoes gives a seriousness to the scene that strengthens the point.

The moral theme is alive - anxiety about Faustus's spiritual situation becomes the practical question. "How nowsirrah, where's thy master?" and Wagner's cheeky reply "God in heaven knows" is apter than he intends. The patter about "corpus naturale" puts lightly the solemn point that Faustus is "but a man".<sup>(3)</sup>

This scene is very important, because hardly anybody doubts its authenticity and if we accept this interpretation, and take in its significance we will be able to accept what follows. This pattern of a serious scene followed by another parodying and deflating it is repeated again and again throughout the play. We find it in the relationship between sc.iii and sc.iv. Faustus in sc.iii conjures

---

(1) R. Ornstein, *op. cit.*, p. 166.

(2) *Ibid.*, p. 117.

(3) Brockbank, *op. cit.*, p. 36.



and adds nothing to Greg's analysis of the comic scenes in which Faustus appears, as a study of deterioration. He makes no comment on the horse-courier episodes. J. Steane weakens this part of his analysis because he uses the 1604 text, thus leaving many scenes with no comment.<sup>(1)</sup> Moreover, one finds it difficult to agree with many details of his commentary. Perhaps the fullest and most satisfying analysis comes from the pen of Brockbank, who gives an analysis of the play scene by scene.<sup>(2)</sup> However, except for his analysis of Act I, sc.ii and Act I, sc.iv, he does not relate the scenes, from a structural point of view, to the play as a whole.

Boas, writing about the two mock conjuration scenes in which the clowns appear says that this carries on

a tradition, that was as old as *Fulgens and Lucrez*, almost a century before, of an underplot that is a burlesque of the main action.<sup>(3)</sup>

But Marlowe is not the man to use a tradition without being conscious of its effect on the audience. And if the effect is not the tragical effect which many critics seem to want, then maybe the play is not really a tragedy in the sense they take it.

This is what I propose to do in this paper, to find the pattern and read the form as it stands. I hope this will help us to classify the play's *genre* so that it does not seem to fall between two stools, a Morality become tragedy, or an unrealised Shakespearean tragedy.

Most scholars agree that sc.ii and sc.iv of Act I are parodies of the main theme. As Brockbank puts it : "In classical-comedy style the scholars are outwitted by the servant" ; unfortunately he goes on to say "through a travesty of their own pedantry."<sup>(4)</sup> As I see it, it is not "their own pedantry" that is in question but Doctor Faustus's. A.L. French in his essay "The philosophy of Doctor Faustus" shows by his analysis of the Doctor's first speech that Dr. Faustus's knowledge of philosophy was completely confused and when he talked about logic he was really talking about "false logic—sophistry."<sup>(5)</sup> The

---

(1) J. B. Steane, *Marlowe : A Critical Study*, Cambridge, 1964.

(2) Brockbank, *op. cit.*

(3) Boas, Ed., *The Tragicall History of Doctor Faustus*, 1949, 2nd ed., intro., p. 27.

(4) Brockbank, *op. cit.*, p. 36.

(5) *Essays in Criticism* vol. XX, 1970, P. 127.

as it has come down to us, and try to read the pattern so designed, perhaps we can find that these comic and clowning scenes far from providing comic relief — an idea which one hopes to see disappear from all our readings of Elizabethan drama-imposed on Marlowe by his ingorant audience, or later interlopation of the play, form a significant pattern of meaning that fits in with the modern reading of the play, that offered by Kirschbaum,(1)Greg,(2)Lily B. Campbell,(3)Brocknbak,(4)Warren Smith (5) Douglas Cole (6) and others.(7) These, lead by Kirchbaum all agree that Marlowe's presentation of Faustus was not intended to be heroic and that the play is essentially an unfolding of Christian beliefs, and far from exalting Faustus's revolt, it shows his foolishness and the pettiness and degrading power of evil. The comic scenes, as I see it, play a geat part in helping to bring out this meaning.

II

The pattern created by the interplay of serious and comic scenes in *The Tragicall Hiatory of Doctor Faustus* has been, more or less commented on by several writers, but not with the thoroughness they deserve. Warren D. Smith gives a very general survry and estimate of the scenes,(8)Nicholas Brooke sees possibilities only in Act I, sc. ii and Act I, sc.iv, and contempouosly dismisses the rest.(9) Robert Ornstein, the title of whose article "The Comic Synthesis in *Doctor Faustus*"(10) might lead one to expect a great deal, shows interest only in the two scenes from Act I, the same that interested Brooke,

---

(1) Leo Kirschbaum, *op. cit.*

(2) "The Damnation of Faust", *op. cit.*

(3) Campbell, *op. cit.*

(4) Brockbank, *op. cit.*

(5) Warren D. Smith, "The Nature of Evil in Doctor Faustus", *Modern Language Review*, LX, 1965, pp. 171—175.

(6) Douglas Cole, *Suffering and Evil in the Plays of Christopher Marlowe*. 1962.

(7) For example Robert B. Heilman, "The Tragedy of Knowledge : Marlowe's Treatment of Faustus", *Quarterly Review of Literature*, II (1940), 316—332 ; Roland M. Frye, "Marlowe's Doctor Faustus. The Repudiation of Humanity", *South Atlantic Quarterly*, LV (1956), 322—328.

(8) Smith, *op. cit.*

(9) M. Brooke, *op. cit.*

(10) *Journal of English Literary History* (XXII), iii, 1955, Reprinted in *Dr. Faustus: A Case Book*, *op. cit.*

play has a beginning and an end, it has no middle... the whole central body of the play tends to degenerate into a mass of not very witty practical jokes and conjuring tricks...(and leave) a feeling that a great opportunity has been thrown away not only by the hero but also by the poet.”(1)

Even when the critics accept the interpretation of the play as a study of degeneration into evil, or a study of the degenerating power of evil, and the scenes in a sense a presentation of this degeneration, they still protest at the inadequacy with which, according to them, Marlowe has realized that idea.

It is absurd to pretend that these scenes represent a lowering of standard in Faustus's achievement..., but they do reveal clearly the persistent weakness in Marlowe's work... the story of Faustus's fame on earth has to be told, but its telling presents a dramatic problem which Marlowe has failed to solve. (2)

A great many of these protests and opinions are reached because of a failure to read the structure of the play as a whole — a tendency to read the serious scenes alone and read the rest as inter-ludes—as scenes that “afford welcome relief from the tauntness of the march of the main theme.”<sup>(3)</sup> or as Sykes quoting Heywood's words in “The General Historie of Women” expressed it, to

breed in the less capable mirth and laughter, lest the auditory should be dulled with serious courses which are merely weighty and material. (4)

At best such a divided reading of the play relegates to the comic scenes a very secondary function— a purely extraneous one ; and inevitably leads to a gross misreading of the play. It thus becomes a series of magnificent passages interspersed with a comic plot that has nothing to do with the main tragedy ; an someone with aspen etrating a critical faculty as Cleanth Brooke ends by defining the play as lyrical drama. (5)

This is not the place to discuss whether there can be such a thing as a lyrical drama. Certainly it was as alien a concept to Marlowe as it was to his audience. If, however, we can for a moment accept that the play was written by two different hands, and accept the idea that Marlowe had a hand in designing the play

---

(1) Marco Minkov, *Christopher Marlowe : A Study of his Development*, 1937, p. 58.

(2) Nicholes Brooke, *op. cit.*, p. 125, See also Brockbank, *Marlowe's Doctor Faustus*, 1962, pp. 50—51.

(3) Kocher, *The Tragicall History of Doctor Faustus*, Ed., Intro., p. xiii.

(4) Sykes, *op. cit.*, p. 23.

(5) Cleanth Brooke, “The Unity of Marlowe's Doctor Faustus”, *To Neville Coghill from Friends*, Ed., J. Lawlor and W.H. Auden, 1966, pp. 109—110.

While it is true that the middle portion shows little trace of Marlowe's hand, I see no reason to doubt that it was he who planned the whole, or that his collaborator or collaborators whoever he or they may have been, carried out his plan substantially according to instructions.<sup>(1)</sup>

A statement which he makes again in his introduction to the *Parallel Texts* of the play he edited :

There is thus no reason to assume that clownage scenes did not form as much part of the original play as the tragic, and some evidence that they did. <sup>(2)</sup>

Not wanting to reject the scenes altogether, such scholars attack the play on structural grounds. One asks : "Was it ever a well constructed play?"<sup>(3)</sup> And another describes it as "A wandering, illconstructed and for the most part ill-written affair."<sup>(4)</sup> while L.C. Knights cannot imagine anyone considering it an "entirely satisfying and consistent whole," and though aware of W.W. Greg's theory that the scenes present the degeneration of evil and the disintegration of Faustus,<sup>(5)</sup> he only sees them "as an escape... (and) what they pad out is a crucial gap in the play's imaginative structure."<sup>(6)</sup> And long before Harry Levin stated the idea,<sup>(7)</sup> Marco Minkov said that "though the

---

(1) W. W. Greg, "The Damnation of Faustus", *Modern Language Review*, XLI, (1946), pp. 99—100.

(2) W. W. Greg, Ed., *Parallel Texts*, *op. cit.*, p. 95. S. F. Boas takes the same view, (see : *The Tragical History of Doctor Faustus*, Ed., Boas, intro., p. 28). Kocher on the other hand assumes at the very beginning of his article "Thomas Nashe's Authorship etc.", *op. cit.*, that Nashe "does not seem to have been an original contributor with Marlowe", (p. 17). This he arrives at by a conjectural deduction that Nashe wrote his contribution in 1594 which "if ... right" would make it impossible for him to "have been an original collaborator with Marlowe, who died in 1593" (p. 39). Such a conjectural argument cannot stand against the fact that Nashe knew Marlowe well and that he had collaborated with him in *Dido ... Queen of Carthage*.

(3) Curt A. Zimansky, "Marlowe's *Faustus* : the Date Again", *Philological Quarterly*, XLI (1962), pp. 181—182.

(4) Nicholas Brooke, "The Moral Tragedy of Dr. Faustus", *Cambridge Journal*, V, 1951—1952, in *Marlowe, Doctor Faustus : A case Book* Ed., John Jump, 1969, p. 103.

(5) W. W. Greg, "The Damnation of Faustus", *op. cit.*

(6) L. C. Knight, "The Strange Case of Christopher Marlowe", *Further Explication* (1965), p. 90.

(7) Harry Levin, *The Overreacher*, 1954, pp. 146—147. Other writers who attack the middle of the play are : Zimansky, *op. cit.*, p. 182 ; Una Ellis-Femor, *Christopher Marlowe*, 1927, p. 78 ; Matthew W. Black, Ed., *Typical Elizabethan Plays*, 1949, p. 133—134 ; Michel Poirier, *Christopher Marlowe*, 1951, p. 135—136 ; Ornstein, "Marlowe and God : The tragic theology of Dr. Faustus", *PMLA*, 1968, p. 1378.

It is this view of the play as a preparation for Shakespearean Tragedy that makes scholars, even the most unprejudiced, not quite able to accept the play in its entirety, and are impatient with the clowning and the comic scenes ; and would, therefore, like to explain them away in some way or other.

The easiest way out of this dilemma was the rejection of the clowning scenes and of some of the comic scenes on the basis that they were later interpolations added to the text. It was Professor Molden who first led the way in his introduction to his 1912 edition of the 1604 text :

Marlowe, therefore, ought not to be held responsible for the dull coarseness that some editors of the play still reprint under his name.<sup>1</sup>

H.D. Sykes and Paul Kocher even went to the trouble of identifying the authors of the scenes. The first to Samuel Rowley<sup>(2)</sup>, and the second—with the exception of a few scenes—to Thomas Nashe<sup>(3)</sup>. Another way out is to ignore the scenes completely. Miss Mahood defines and discusses the tone of the play after stripping “the action of its playhouse accretion:”<sup>(4)</sup> In fact this has been the practice of many writers of the last two decades writing on Marlowe’s *Faustus* <sup>(5)</sup> Even Leo Kirschbaum, whose analysis of the theme of the play as the most “Christian document in all Elizabethan drama”<sup>(6)</sup>, opened all eyes to the non-heroic character of *Faustus*, builds his thesis on analysing the text of the serious scenes, disregarding the rest.

When critics include the comic scenes in their consideration they tend to criticize the play severely for them. These critics take their departure from Greg’s final judgment that :

---

(1) William Molden, Ed., *The Tragicall History of Doctor Faustus*, 1912, Intro., p. xxiii.

(2) H. D. Sykes, *op. cit.*

(3) P. H. Kocher, “Nashe’s Authorship of the prose Scenes in *Faustus*”, *Modern Languages Quarterly*, Vol. III, 1942, pp. 17—40.

(4) “Marlowe’s Heroes”, *Elizabethan Drama : Modern Essays in Criticism*, Ed., R. T. Kaufmann, 1961, p. 104.

(5) J. C. Maxwell, “The Sin of *Faustus*”, *The Wind and the Rain*, 1947; Lily B. Campbell, “Doctor Faustus : A case of conscience”, *PMLA*, LXVII (1952), pp. 219—239 ; Helen Gardner, “The Tragedy of Damnation”, *Elizabethan Drama : Modern Essays in Criticism*, Ed., *cit.*, pp. 320 ff.

(6) “Marlowe’s *Faustus* : A Reconsideration”, *Review of English Studies*, XIX (1943), p. 233.

THE CLOWNING AND COMIC SCENES.  
IN  
CHRISTOPHER MARLOWE'S  
THE TRAGICALL HISTORY OF DOCTOR  
FAUSTUS

By  
HODA HEBAlSHA  
*University of Menia, A.R.E.*

---

There can hardly be any doubt that most scholars are not quite satisfied with what has been termed the "clowning scenes" and "comic scenes" that form a great part of Marlow's *The Tragicall History of Doctor Faustus*. To most, the scenes seem to jar on the magnificent tone of the play, and to rob it of a dignity which many feel belongs to it. This is because they still see the play as a tragedy in the Shakespearean sense and therefore find great difficulty in understanding the "tiresome buffoons that disfigure Marlowe's play":<sup>(1)</sup> Even that most understanding and diligent scholar W.W. Greg, in explaining why some of the comic scenes dropped out of the 1604 edition, which according to his analysis is a later version than that of 1616, betrays this attitude; for he considers that :

The tragic action is after all, the essence of the play, and alone gives it interest and value.<sup>2</sup>

The bias towards the tragic parts of the play is again heard in Kocher's admiring but nevertheless condescending tone when he writes :

Its uniqueness as a tragedy emerges most clearly when we remember that it was written when Elizabethan drama was still young ; and before the plays of Shakespeare.<sup>3</sup>

---

(1) H. Dugdale Sykes, "The Authorship of *The Taming of The Shrew*, *The Famous Victories of Henry V.* and *Additions of Marlowe's Faustus*". *The Shakespeare Association Publication*, 1920, p. 34.

(2) W.W. Greg, Ed., *Marlowe's Doctor Faustus*, 1604, 1616. *Parallel Texts*, Oxford, 1930, p. 97.

(3) Paul H. Kocher, Ed., *The Tragicall History of Doctor Faustus*, New York, 1930, Intro., p. XIV.



## CONTENTS

	Page
The Clowning and Comic Scenes in Christopher Marlowe's <i>The Tragical History of Doctor Faustus</i> by Dr. HODA HEBASHA ... ..	1
Isabel Archer and the Tormenting Ideal: <i>The Portrait of a Lady</i> Re-Examined by Dr. ANGELE BOTROS SAMAAAN ... ..	27
Der Wortgebrauch des Jungen Goethe by DR. KAMAL RADWAN ... ..	63
Jacques Le Fataliste entre Le «Jeu par Personnages» et le «Nouveau Roman» par Dr. HANNA'A FAHMY ... ..	95



**The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year ;  
in May and December. All requests for copies should be  
made to the Cairo University Library Giza. Communi-  
cations regarding contributions should be addressed to the  
Dean of the Faculty of Arts, Giza, A. R. E.**

**BULLETIN**  
**OF**  
**THE FACULTY OF ARTS**



**VOL. XXXI—PART I, II**  
**May, December 1969**

**CAIRO UNIV. PRESS**

**1977**



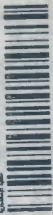








Bibliotheca Alexandrina



0531333